

لِبَابِ التَّفَاسِيرِ

تَأَلَّفَ الْإِمَامُ الْمُفَسِّرُ

تَاجِ الْقُرَّاءِ الْكَرْمَانِيِّ

بُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ نَصْرِ الْكَرْمَانِيِّ

الْمُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠ هـ

يُطْبَعُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مُحَقَّقًا عَلَى نِسْخِ خَطِّهِ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

مُحَمَّدُ عَبْدِ الْكَلِيمِ بَعَّاجٌ

دَارُ الدُّبَابِ

لباب التفاسير

(٧)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعة هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويره ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المساءلة الدنيوية والأخروية



دار اللباب

للدراسات وتحقيق التراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlimi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850



İskenderpaşa mh. Kızıtaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

لِبَابِ التَّفَاسِيرِ

تَأَلِيفُ الْإِمَامِ الْمُفَسِّرِ

تَاجِ الْقُرَّاءِ الْكِرْمَانِيِّ

بُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْرَةَ بْنِ نَصْرِ الْكِرْمَانِيِّ

الْمُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠ هـ

يَطْبَعُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مُحَقَّقًا عَلَى ثَلَاثِ نُسَخٍ خَطِيئَةٍ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ

مُحَمَّدُ عَبْدِ أَحْلِيمِ بَعَّاجٍ

الْمَجْلَدُ السَّابِعُ

دارُ اللُّبَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ



سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

تسعٌ وستون آيةً^(١)، مكيةٌ عند الجمهور.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قولان^(٢): مكيةٌ، ومدنيةٌ^(٣).

وعن عليٍّ رضي الله عنه: نزلت بين مكة والمدينة^(٤).

وعن يحيى بن سلام: مكيةٌ إلا عشر آياتٍ من أولها فإنها مدنيةٌ^(٥).

وقيل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [العنكبوت: ٨] وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا

بِاللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] نزلتَا بالمدينةِ فحسبُ.

(١) «تسع وستون آية»: ليس في (ف).

(٢) في (ن): «فيها قولان».

(٣) ذكرهما عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٩٨)، وقال الماوردي في «النكت والعيون»

(٤/ ٢٧٤): «مدنية كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة، وفي القول الثاني لهما - وهو قول

يحيى بن سلام - مكية كلها إلا عشر آيات من أولها مدنية إلى قوله: ﴿وَلَعَلَّ مَن الْمُنْفِقِينَ﴾.

وسياتي هذا عن يحيى بن سلام قريباً.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ١٦٥) وقال:

«هذه رواية غريبة».

(٥) انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٦١٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿آلَمَ﴾.

﴿آلَمَ﴾ سبق الكلام فيه، ووقوع الاستفهام بعده يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها في هذه السورة وغيرها من السور.

(٢) - ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِرُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِرُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ في سبب النزول عن الشعبي: أنَّ هاتين الآيتين نزلتا في أناس كانوا بمكة قد أقرؤوا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب النبي ﷺ من المدينة: إنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فممنهم من قُتل، وممنهم من نجا، فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠] (١).

وأكثرهم على أنها نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قُتل يوم بدر، رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله، فقال ﷺ يومئذ: «سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»، فجزع عليه أبواه وامرأته، فأنزل الله فيهم (٢).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٣٥٨ / ١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٣١ / ٩).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١١ / ٢١) عن مقاتل، وهو بنحوه في «تفسير مقاتل» (٣٧٢ / ٣). وروى ابن سعد في «الطبقات» (٣٩١ / ٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧٧١)، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: «أول من استشهد يوم بدر مهجع مولى عمر»، =

وعن مجاهدٍ: نزلت في عمّار بن ياسر رضي الله عنه حين كان يُعذَّبُ في الله (١).

وقيل: نزلت في عيَّاشٍ أخي أبي جهل (٢).

قوله: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ ﴾ استفهامٌ إنكارٍ على مَنْ جَزَعٌ، والمعنى: أَحَسِبُوا أَنْ يُقْنَعَ منهم بمجرّد قولهم: ﴿ءَأَمَّنَّا ﴾ ثمَّ لا يُمتَحَنون بما به (٣) يظهر حقيقة إيمانهم.

وقيل: معناه: أظنُّ المؤمنون أن لا يُؤذَّوا ولا يُقتلوا؟

وقيل: أظنوا أن لا يُؤمروا ولا يُنهوا؟

(٣) - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: ابتليناهم، من قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ في الدين.

وقيل: هو من صدق القتال وكذب القتال.

= ورواه ابن سعد أيضًا عن الزهري.

(١) لم أقف عليه عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»

(٣٠٣٢/٩)، عن ابن جريج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول... فذكره.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/٦١٨) عن السدي، وعيَّاش هو ابن أبي ربيعة، أخو أبي جهل

لأمه. كما في «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/١٢٣٠). وذكر بعض المفسرين أن الذي نزل في

عيَّاش هو الآية العاشرة من هذه السورة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُنذِرَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ

كَذٰبِ اللَّهِ﴾ ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/٢٢) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل»

(٣/٣٧٥). وذكره دون نسبة السمرقندي في «تفسيره» (٢/٦٢٦)

(٣) «به»: ليس في (ف).

وقيل: صدقوا فيما وعدوا النبي عليه السلام من النصرة.

أي: يعلمهم موجودين كما علمهم معدومين.

وقيل: يعمل معهم مُعاملة المُختبر.

وقيل: يعلم علم مُشاهدة بصحة الجزاء.

وقيل: معنى (لِيَعْلَمَنَّ): لِيُجَازِيَنَّ.

قوله: ﴿أَنْ يُرَكَّوْا﴾ واقعٌ موقعٌ مفعولي (حَسِبَ)، و﴿أَنْ يَقُولُوا أَمَّا﴾ نصبٌ، وتقديره: بأن يقولوا، و: لأن يقولوا، فحُذِفَ الجارُّ، فوصلَ إليه الفعلُ فنصبه.

الزَّجَّاجُ: نصبٌ على البدلِ من ﴿أَنْ يُرَكَّوْا﴾، وأنكرَ عليه أبو عليٍّ في «إصلاح الإغفال»، وقسّمَ عليه الكلامَ، وليس في «معاني الزَّجَّاجِ» صريحٌ ما يدعي عليه أبو عليٍّ من البدلِ، بل عنده: أحسبوا أن يقولوا آمناً وهم لا يُفتنون، فحُذِفَ (حَسِبَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه^(١)، وله نظائرٌ.

وقيل: تقديرُ الكلامِ: أحسِبَ النَّاسُ أَنفُسَهُمْ متروكةٌ قائلينَ آمناً.

المُبرِّدُ: ﴿أَنْ يُرَكَّوْا﴾ نصبٌ بـ(حَسِبَ)، و﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ نصبٌ بـ﴿يُرَكَّوْا﴾، والخبرُ محذوفٌ^(٢).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ١٥٨ - ١٥٩)، وليس فيه: «فحُذِفَ (حَسِبَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه»، ولكن المصنف ذكر وجهاً يحتمله كلام الزجاج، وهو أن يكون (أن يقولوا) منصوب بفعل مقدر (حسب) دلَّ عليه المذكور، وبهذا يخرج من القول بالبدلية الذي ألزمه أبو علي للزجاج في «الإغفال» (٢ / ٥١٨) مع ثلاثة احتمالات أخرى، وهي: المفعول الأول والثاني والصفة، ولم يرتض أبو علي منها شيئاً. وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٧٧) القول بالبدلية واستغربه، ونبه لما نبه إليه هنا من كون الزجاج لم يصرح به، ونحن ننبه هنا إلى أن أبا علي لم ينسبه للزجاج، وإنما أورده كاحتمال لكلامه بعد أن أورده بحروفه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٧٧)، واستغربه، وفيه: «والمفعول الثاني محذوف» بدل «والخبر محذوف» والمعنى واحد؛ لأن المفعول الثاني أصله الخبر في باب حسب.

والحُسبانُ: قوَّةُ أحدِ النقيضين على الآخرِ، ومثله الظنُّ والتَّوهُمُ، وأما العلمُ: فالقطعُ بأحدهما، والشكُّ: توقُّفٌ بينهما.

(٤) - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الشُّرَكَ والمعاصي ﴿أَنْ يَسْفُتُونَا﴾: أن يفوتونا فلا تقدِرُ عليهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ على الله بالعجزِ.
وقيل: ساءَ ما يظنون؛ أي: كِلا الظنَّين باطلٌ.

(٥) - ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ في القيامةِ ويطمعُ في ثوابه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ الذي أجَّله للجزاءِ ﴿لَآتٍ﴾؛ أي: قريبٌ.

وقيل: معناه: مَنْ كان يخافُ الموتَ والمصيرَ إلى دارِ الجزاءِ فليعملْ خيرًا ولا يتوان فيه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ يعني: الموتَ ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة^(١).

وقيل: معنى ﴿يَرْجُوا﴾: يأملُ ثوابَ لقاءِ الله.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(٦) - ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ نفسه بالصَّبْرِ على طاعةِ الله.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٧٨)، واستغربه.

وقيل: جاهد الكفار.

وقيل: جاهد الشيطان بدفع وساوسه.

﴿فَانْمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ له ثوابٌ ذلك ومنفعته.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: عن طاعتهم ومجاهدتهم.

(٧) - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: الشرك والمعاصي

بالإيمان والتوبة.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بأحسن أعمالهم وهو طاعة الله.

وقيل: هو أداء الفرائض.

ويحتمل: ولنجزينهم أحسن من الذي كانوا يعملون^(١)؛ أي: بالواحد عشرًا،

وبالواحد سبعين.

(٨) - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ في سبب النزول: أنها نزلت في سعد بن أبي

وقاصٍ وأمه حمئة، قالت له: يا سعد، بلغني أنك صبوت، فوالله لا يُظلني سقف

بيتٍ من الصبح والريح، ولا أكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمدٍ وترجع إلي ما كنت

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، واستغربه.

عليه، وكان أحبَّ ولدها إليها، فأتى سعدُ النبي ﷺ وشكا ذلك إليه، فأنزل الله هذه الآية، والتي في (لقمان) و(الأحقاف) (١).

والمعنى: أوصيناه فيما أنزلناه من الكتبِ على رسلنا أن يفعل الإنسانُ بأبويه ما يحسنُ ولا يقبحُ.

وقيل: معنى ﴿وَوَصَّيْنَا﴾: ألزمتنا.

وُنصِبَ ﴿حُسْنًا﴾ على المصدرِ، وتقديرُه: بأن يُحسِنَ حُسْنًا.

وقيل: الإيضاءُ يتعدى إلى مفعولين.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في سببِ النزولِ: أنَّها نزلتْ في سعدِ بنِ مالكٍ، ابتليَ بمثلِ ما ابتليَ به سعدُ بنُ أبي وقاصٍ (٢)، والمعنى: وصَّيناه ﴿إِنْ جَاهِدَاكَ﴾: إنَّ جَهدَا بك وغالبَاك واستفترغا مجهودَهما وحملاك على الإشراكِ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنَّه لي شريكٌ، وهذا علمٌ لا يكونُ؛ إذ لا شريكَ له.

أبو مسلمٍ: لا تُطِعْهُمَا مَدَّةٌ لا تَعْلَمُ له شريكًا (٣)، جعلَ (ما) للمصدرِ، والمُرَادُ به: المَدَّةُ.

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٦/٢١) دون عزو، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٠) وعزاه للمفسرين. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٣٦٣/١٨) عن قتادة، وأصله عند مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رضي الله عنه. والتي في لقمان الآيتان (١٤ - ١٥)، والتي في الأحقاف الآية (١٥).

(٢) كذا قال، وهو سهو منه، فإن سعد بن أبي وقاص هو نفسه سعد بن مالك.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، وعده من العجائب. وفيه: «... مدة ما لم تعلم

وقيل: ما ليس لك به حجة؛ لأنَّ الحجةَ طريقُ العلم.

﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾؛ أي: أطعهما في الواجبِ والمباح، ولا تُطْعَمُهُمَا في المُحَرَّمِ

والمحظور.

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾؛ أي: مصيرُ الوالدِ والولدِ إليَّ في القيامة.

﴿فَأَنْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أوقفكم على أعمالكم؛ فإنَّها مُثَبِّتَةٌ عندي، ثمَّ

أجازيكم بها.

(٩) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: في الجنة مع المؤمنين.

وقيل: ﴿ءَامَنُوا﴾ بعد كُفْرِهِمْ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد إفسادِهِمْ ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي

الصَّالِحِينَ﴾ بقبولِ توبتِهِمْ وجعلِهِمْ أسوةً سائرِ المؤمنين وفي جملتِهِمْ.

(١٠) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ

وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ في سببِ النزولِ: عن مجاهدٍ والضَّحَّاكِ: أنَّها

نزلت في المنافقين^(١).

عكرمة: نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدرٍ فارتدوا، قال:

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٣٦٥)، ورواه عن مجاهد ابن أبي حاتم في «تفسيره»

وهم الذين نزلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]^(١).

﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾؛ أي: إذا أُصِيبَ بِمَكْرُوهِ فِي سَبَبِ إِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ ﴿جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾؛ أي: ترك الإيمان خوفاً من عذاب الناس كما ينبغي أن يترك الكفر خوفاً من عذاب الله، فعَدَلَ عَذَابَ الدُّنْيَا الَّذِي هُوَ سَاعَةٌ بِعَذَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ بَاقٍ لَا يَنْقَطِعُ.

الرَّجَاحُ: جِرْعٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا يَجْرَعُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ^(٢).

﴿وَلِينَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: فَتَحٌ وَغَنِيمَةٌ ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾؛ أي: مؤمنين فأشركونا فيما غنمتم، ويقولون ذلك استكفافاً لما يخافونه من إيقاع المؤمنين بهم.

﴿أَوْلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ يُرِيدُ: مِنْ خَلْقِهِ ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالنَّفَاقِ.

(١١) - ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾؛ أي: حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٦١).

(١٢) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: طريقنا الذي نسلكه في الدين ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ يريد: عنكم، اللفظ أمرٌ والمعنى جزاء^(١).

وفي بعض التفاسير: أن هذا القائل أبو سفيان بن حربٍ وأميه بن خلفٍ، قالا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن كان في الإقامة على دين الآباء إثمٌ فنحن نحمله عنك^(٢)، فقال الله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يُخَفَّفُ عن المحمول عنه العذاب، ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم.

(١٣) - ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَتَقَالُوا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ﴾: آثامهم ﴿وَأَتَقَالُوا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ يُضَاعَفُ لهم العذاب بذنوبهم وذنوب من أضلُّوهم، من قوله عليه السلام: «مَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً فَعَلِيهِ وَزُرْهَا وَوَزَّرَ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

﴿وَلِيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يكذبون في خداعهم هذا. وقيل: ﴿يَفْتَرُونَ﴾: يُشْرِكُونَ.

(١) أي: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/١٦٢).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/٣٧٦)، وفي ذكر أبي سفيان نظر؛ فقد أسلم وحسن إسلامه، فلا يوصف بالكفر من كان هذا حاله.

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(١٤) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى الله، وكان أوَّل نبيٍّ فيما رواه أنس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ^(١)؛ أي: مكث فيهم تسع مئةٍ وخمسين حوَّلًا، وكان هذا مدَّةَ عمره.

وقيل: كان له قبل هذا ثلاثُ مئةٍ وخمسون سنةً؛ أي: قبل النبوة، وعاش بعد الطوفان ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً.

وقيل: كان له قبل النبوة ثلاث مئة سنة، ودعاهم إلى الإيمان ثلاث مئة سنة، وعاش بعد الطوفان ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً.

وقيل: كان عمره ألف سنة، فوهبَ منها خمسين لابن له، فلمَّا كان في آخرِ عمره راجعَ في ذكرِ الخمسين، فذكرَ الله ذلك تنبيهاً على أن النقيصة كانت من جهته، حكاه الماورديُّ^(٢)، وهذا من الترهات.

وإنما قال: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ﴾ ولم يقل: فلبث^(٣) فيهم تسع مئةٍ وخمسين؛ لأنك إذا قلت: «له تسعة» احتمل التمامَ والنقصانَ، فإذا قلت: «عشرةٌ إلا واحدةً» فقد أكَّدت التسعة.

وقيل: ذكر الألفَ لفخامة اللفظ، فإن الألفَ من كلِّ شيءٍ كثيرٌ.

(١) رواه البخاري (٧٤٤٠)، وهو قطعة من حديث الشفاعة، ولفظه: «ولكن اتنوا نوحًا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨) واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «مكث».

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾: الماءُ المُحيطُ حتى غرِقُوا، وكلُّ ما عمَّ الكلَّ من المكاره فهو طوفانٌ، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أنفَسَهُم بِالْكَفْرِ.

(١٥) - ﴿فَأَيَّخِنَتْهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَأَيَّخِنَتْهُ﴾؛ أي: نوحًا ﴿وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾: أولاده وأصحابه، وكانوا ثمانين نسمةً.

وقيل: مَنْ كان فيها، وما كان فيها من كلِّ زوجين اثنين.

﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: السَّفِينَةَ حين استوت على الجوديِّ، وناحية الجوديِّ موضعٌ يُعرفُ بسوقِ الثمانين.

وقيل: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: العقوبةَ ﴿آيَةً﴾، وقيل: القِصَّةَ.

﴿آيَةً﴾: عبرةٌ وعِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يتعظون بها.

(١٦) - ﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَبْرَاهِيمَ﴾: وأرسلنا إبراهيمَ، وقيل: واذكر إبراهيمَ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أخلصوا له العبوديةَ والطاعةَ ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الإخلاصُ والأتقاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادةِ الأصنامِ ﴿إِن كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾: تدبِّرون وتفكِّرون.

(١٧) - ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تكذبون كذبًا.

وقيل: (تخلقون): تصنعون، والخلق: الفعل المقدّر.

﴿إِفْكًا﴾: ذا إفك؛ أي: كذب حين سميتُموها آلهة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ أي: الأوثان لا تملك أن ترزقكم، وهو مصدر.

وقيل: لا يملكون شيئًا مما هو رزق لكم.

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: سلوا الله حوائجكم ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾: وحده ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما ابتدأكم به من النعم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للثواب والعقاب.

(١٨) - ﴿وَإِن تَكذَّبُوا فَمَقْدَرٌ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن تَكذَّبُوا﴾ محمّدًا ﷺ ﴿فَقَدَّ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: قوم نوح، وقوم

إبراهيم، وهذا اعتراض بين خطاب إبراهيم قومه وجوابهم إياه.

وقيل: كلّه من كلام إبراهيم^(١)، والأوّل هو الوجه.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾: ليس عليك يا محمّد من كفرهم غضاضة

إذا بلّغت، فليس عليك غير ﴿الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ يبين لمن سمعه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٧٩)، واستغربه.

(١٩) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .
 ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فيستدلُّوا بالمتَّفِقِ عليه على المشكوكِ فيه.

ويحتملُ أنَّ الوقفَ على قوله: ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ تامٌّ، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ لأنَّ ذلكَ فيما لم يروا بعدُ، وكذلكَ قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، والوقفُ عليه في الثاني مروِّيٌّ^(١).

ويحتملُ أنَّ المرادَ بالإبداءِ والإعادةِ والإنشاءِ ما نشأه مما يتجددُ كلَّ حينٍ وكلَّ سنةٍ من النَّباتِ والأشجارِ والثَّمارِ، فيكونُ داخلًا تحتَ الرُّؤيةِ والنَّظَرِ، واللهُ أعلمُ.
 ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الإعادةُ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهلٌ هينٌ.

(٢٠) - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَّعَدِيرٌ﴾ .
 ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ.

ومنَّ جعله من كلامِ إبراهيمَ فتقديره: فأوحينا إليه أن قل: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على كثرتهم واختلافِ أحوالهم؛ لتعرفوا عجائبَ فطرةِ الله بالمُشاهدةِ ولقاءِ مَنْ هو أعلمُ منكم، وبدأً وأبدأً بمعنى^(٢)، والآيةُ تجمعُهما.
 ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ وقُرئَ ﴿النَّشْأَةَ﴾ بالمدِّ^(٣)،

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩).

(٢) انظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ١٢٧)، وقوله: «الآية تجمعهما» عنى به: هذه الآية والتي قبلها؛ في هذه (بدأ)، وفي التي قبلها ﴿يُبْدِئُ﴾ وماضيه (أبدأ).

(٣) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

وهما لغتان كالرَّافَةِ والرَّافَةِ، والإنشاء: ابتداء الشيء.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإبداء والإنشاء^(١) والإعادة ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاته^(٢)، لا بقدره محدثة كقدرة بني آدم.

(٢١) - ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: إعادتهم بعد الموت للجزاء على الأعمال. ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: وإلى حكمه في دار الجزاء تُردُّون.

(٢٢ - ٢٣) - ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: بفائتين هرباً من عقابه؛ أي: فاحذروا عقابه ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: ولا من في السماء بمُعْجِزِينَ فِي السَّمَاءِ، قاله الفراء، قال: وهذا من غوامض العربية، وأنشد قول حسان:

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سِوَاءِ

أَي: وَمَنْ يَنْصُرْهُ^(٣).

وقيل: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها.

وقيل: لا تُعْجِزُونَنَا بِأَنْ تَهْرُبُوا إِلَى الْأَرْضِ أَمْ إِلَى السَّمَاءِ^(٤).

(١) في (ن): «والنشاء».

(٢) في (ف) زيادة: «بقدر قديم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣١٥)، والبيت في «ديوان حسان» (ص: ٦٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٧٩)، واستغربه.

وقيل: هذا قول إبراهيم عليه السلام لقومه وفيهم ثمود، وكان ثمود رام الصُّعُودَ إِلَى الْجَوِّ يُوهِمُ أَنَّهُ يُحَاوِلُ السَّمَاءَ.

وقيل: معناه: لا تفوتون من في الأرض من الإنس والجن ولا من في السماء من الملائكة، فكيف تفوتون الله سبحانه^(١)؟ وهذا ضعيف؛ لأن الصلة لا تقوم مقام الموصول.

﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بالقرآن، وقيل: بدلائل توحيده.

﴿وَلِقَائِهِ﴾: البعث بعد الموت.

﴿أُولَئِكَ يَسُؤُوا مَن رَّحِمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: هم أهل اليأس والعذاب، ودُكِرَ بلفظ الماضي لأن أكثر ألفاظ القيامة جاءت بلفظ الماضي تحقيقاً.

وقيل: يسؤوا في الدنيا؛ لأن اليأس رفع الطمع، وقد رفعوا طمعهم بإنكارهم البعث.

وقيل: يجب أن يأسوا من رحمتي.

(٢٤) - ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ عاد بعد الاعتراض إلى كلام إبراهيم عليه السلام

وجواب قومه فقال: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إياه: ﴿إِلَّا أَن قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ فأنفقوا على تحريقه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩)، وعده من العجائب.

﴿فَأَنْجَحَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾؛ أي: من النَّارِ ومكروها حين قذفوه فيها، وجعلها برداً وسلاماً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما فعلوه^(١) به وفعلنا ﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يُمْشُونَ﴾: علاماتٍ لهم على أن العاقبة للمؤمنين.

(٢٥) - ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ معنى الآية: اتَّخَذْتُمْ هذه الأوثان لتتوادوا بها، وتتحابوا على عبادتها، وتتواصلوا، كما يتوالى ويتحابُّ المؤمنون على عبادة الله.

وقيل: اتَّخَذْتُمُوهُ مودةً بينكم لتتروا وما هوَيتُم ولا تكونوا مأمورين ولا منهيين، وإِنَّمَا ذلك بينكم في الدنيا، فإذا صرَّتم إلى الآخرة تبرأ بعضكم من بعض، من قوله: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويلعن بعضكم بعضاً من قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ومأوى المتحابين النار وجهنم من غير أن يمنعم عنها منعة.

وفي إعراب الآية كلام:

قُرِيَّ ﴿مَوَدَّةً﴾ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ، ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بِالنَّصْبِ وَالجَرِّ^(١).
الرَّفْعُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أحدها: أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لـ ﴿إِنَّ﴾، و﴿مَا﴾ بِمَعْنَى: الَّذِي.
والثَّانِي: هِيَ مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ، خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ.

والثَّالِثُ: بِالابتِدَاءِ، وَالخَبْرُ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ^(٢).
وَالوَجْهُ الْأَوَّلُ أَحْسَنُهَا.

وَالنَّصْبُ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

أحدها: أَنْ يَكُونَ الْمَفْعُولَ الثَّانِي، كَمَا تَقُولُ: «أَخَذْتُ زَيْدًا خَلِيلًا»، و﴿مَا﴾
تَكُونُ كَافَّةً لـ ﴿إِنَّ﴾.

والثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ؛ أَي: لِلْمَوَدَّةِ.

والثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ حَالًا؛ أَي: مُتَوَادِّينَ.

وَالرَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزًا.

وَالخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْأَوْثَانِ، كَأَنَّهُ جَعَلَ الْأَوْثَانَ الْمَوَدَّةَ عَلَى السَّعَةِ.
وَالوَجْهُ الْأَوَّلُ أَحْسَنُهَا.

وَمَنْ أَضَافَ (الْمَوَدَّةَ) جَعَلَ ﴿بَيْنِكُمْ﴾ اسْمًا لَا ظَرْفًا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾
[المائدة: ١٠٦]، وَمَنْ نَوَّنَ ﴿مَوَدَّةً﴾ وَنَصَبَ ﴿بَيْنِكُمْ﴾ فَعَلَى الظَّرْفِ.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿مَوَدَّةً﴾ بِالرَّفْعِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بِالخَفْضِ، وَحَفْصٌ
وَحَمْزَةٌ: ﴿مَوَدَّةً﴾ بِالنَّصْبِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بِالخَفْضِ، وَالباقون: ﴿مَوَدَّةً﴾ بِالنَّصْبِ
والتنوين و﴿بَيْنِكُمْ﴾ بِالْفَتْحِ. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨-٤٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٨٨٠)، واستغربه.

(٢٦) - ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾؛ أي: آمن به، وقيل: صدَّقه.

وجاء في التفسير: لم يُؤمن به من جملة قومه إلا لوطٌ وكان ابن أخيه، وسارةٌ وكانت ابنة عمه.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾: مُفَارِقٌ قَوْمِي خَارِجٌ مِنْهُمْ ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾: إلى حيث أمرني ربي.

وقيل: إلى حيث لا أُمْنَعُ من عبادة الله.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غلبهم ونجاني.

وقيل: هذا كلام لوطٍ، والمعنى: مُهَاجِرٌ مَن خَالَفَنِي مِنْ قَوْمِي مُقَرَّبًا إِلَىٰ رَبِّي، حكاة القفال^(١).

فخرج هو ولوطٌ عليهما السَّلامُ من كُوَيْتٍ، سوادِ الكوفةِ إلى الشَّامِ، وهو أوَّلُ مَنْ هَاجَرَ فِي اللَّهِ.

الفراء: هاجر من حرَّانِ إلى فلسطين^(٢).

(٢٧) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأُتْبَةَ وَالْكَتَابَ وَأَيَّتَنَّهُ أَجْرَهُ

فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ أي: إسحاق ولدًا، ويعقوب ولدًا ولد، ولم يذكر

هاهنا إسماعيلَ عليهم السَّلامُ لشهرته.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨١) دون نسبة، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣١٦).

وجاء في التفسير: وخرج إبراهيم مهاجراً وخرج معه لوطٌ مهاجراً، وتزوج إبراهيم عليه السلام سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفراز بدينه حتى نزل حرّان، فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل قريةً من أرض فلسطين، ونزل لوطٌ سدّوم - وهي المؤتفكة - على مسيرة يومٍ وليلةٍ من قرية إبراهيم عليه السلام.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾؛ أي: ذرية إبراهيم عليه السلام؛ فإنه شجرة الأنبياء. ﴿وَالْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والألف واللام للجنس. ﴿وَأَيَّتَنَّهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾: الثناء الحسن ولسان الصديق.

وقيل: الولد الصالح.

وقيل: رضا جميع الأديان به.

الماوردي: بقاء ضيافته عند قبره، قال: وليس ذلك لغيره من الأنبياء^(١).

وقال بعض المفسرين في قوله: ﴿وَأَيَّتَنَّهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ هذا دليل على أن الله قد يُعطي الأجر والثواب في الدنيا^(٢).

﴿وَأَيَّتَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾: من الأنبياء.

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤ / ٤٨١)، وفيه: «بقاء الصلاة عند قبره، وليس ذلك لغيره من الأنبياء»، وورد قوله: «بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره» في «النكت والعيون» (٣ / ٢١٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيَّتَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢]، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨١)، واستغربه، وانظر كلام صاحب «النظم» الذي نقله الواحدي في «البيسط» (١٧ / ٥١٧).

الحسن: من أهل الجنة، قال: ولا صفة للعبد أشرف من الصّلاح، وكفى بالصّلاح شرفاً؛ أي: جعل الله إبراهيم عليه السّلام منسوباً إلى المتّصّفين به^(١).

(٢٨ - ٢٩) - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنُكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾.

﴿وَلَوْطًا﴾: واذكر لوطاً، أو: وأرسلنا لوطاً.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ﴾: اللواطُ ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَيْنُكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ﴾: موقعة الرجالِ ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: الطَّرْقَ بالقتلِ وأخذِ المالِ.

وقيل: سبيل الولد ياتيان الأدبار وتعطيل الفروج.

وقيل: باللواطِ بالعُرباءِ حتى انقطعتِ السُّبُلُ^(٢) خوفاً منهم^(٣).

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾: مجلسِكم، تقول: ناديتُه؛ أي: جالسته.

﴿الْمُنْكَرَ﴾ قيل: المضارطة، روثه عائشة رضي الله عنها^(٤).

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٦٣٠): «من الذين يستوجبون صالح الجزاء. قال معناه الحسن».

(٢) في (ف): «الطرق».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١)، واستغربه.

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم

في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٤).

وقيل: كانوا يُجامعون في المحافلِ فعلَ الحميرِ.

مجاهدٌ: لعبُ الحمامِ، والصَّفيرُ، والجُلاهقُ، والخَذْفُ، والسَّوَاكُ في المجلسِ، ومَضْعُ العلكِ، وحلُّ أزرارِ القَبَاءِ^(١).

وعن النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ قَوْمَ لَوِطٍ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَعِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِصْعَةٌ فِيهَا حَصَى، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ عَابِرٌ سَبِيلٍ خَذَفُوهُ، فَأَيُّهُمْ أَصَابَ كَانَ أَوْلَى بِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي كَادِيكُمْ﴾»^(٢).

وعنه ﷺ: «إِيَاكُمْ وَالْخَذْفَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْكَأُ عَدْوًا، وَلَا يَقْتُلُ صَيْدًا، وَلَكِنْ يَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ»^(٣).

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
في الرِّسَالَةِ وَالْإِيْعَادِ.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٥٥ / ٩) بلفظ: «الصفير ولعب الحمام والجلاهق وحل أزرار القباء»، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣١٧ / ٢) بلا نسبة. والجلاهق كعلايط: هو البندق الذي يرمى به، ومنه قوس الجلاهق، وأصله بالفارسية: جله، وهي: كبة غزلي. انظر: «الصحاح» و«التاج» مادة: (ج ل ه ق).

(٢) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٣٩ / ٢١) من حديث معاوية رضي الله عنه، وفيه المسيب بن شريك وهو متروك. وروى الترمذي (٣١٩٠) من حديث أم هانئ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي كَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ قال: «كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم». قال: «هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك».

(٣) رواه البخاري (٦٢٢٠)، ومسلم (١٩٥٤)، عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه.

(٣٠) - ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ بإنزالِ العذابِ عليهم .

وقيل : بأن تمنع أذاهم عني .

(٣١) - ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ

أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى ﴾ ؛ أي : جاؤوه ببشارة إسحاق ، ومن وراء

إسحاق يعقوب .

﴿ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ يعنون : سدوم ، ولقربها قالوا : ﴿ أَهْلَ هَذِهِ

الْقَرْيَةِ ﴾ ، ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ كافرين عاتين في الكفر .

(٣٢) - ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم : ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾ : أنه لكونهم وفيهم لوط ؟

﴿ قَالُوا ﴾ يعني : الملائكة : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ ؛ أي : أكثرُ علمًا ، فليس يخفى

علينا .

﴿ لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ ؛ أي : لنا مُرَن لوطًا بمُفارقة أهلِ القرية بقطع من الليل ،

أمرنا الله بذلك ، فيكون نزولُ الهلاكِ بهم بعد خروجه من بين أظهرهم .

﴿ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ ، كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ : الباقيين في العذاب .

ثم أخبر عن مصير الملائكة إلى لوطٍ بعد مُفارقتهم إبراهيم فقال :

(٣٣) - ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا قَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم وخاف عليهم قومه أن يتناولوهم بالفجور حسب عاداتهم ﴿وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾؛ أي: ضاق ذرعه عن قومه بأن لا يحفظ أضيافه.

قتادة: معنى ﴿سِئَ بِهِمْ﴾: ساء ظنه بقومه، ﴿وَضَافَ﴾ بضميفه ﴿ذُرْعًا﴾^(١)؛ أي: نفساً.

﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ من تمكّنهم منّا، وقيل: لا تخف ولا تحزن لهلاكهم. ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾ نُصِبَ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى؛ لَأَنَّهُ مَفْعُولٌ. وقيل: التّوِينُ مُقَدَّرٌ فِيهِ؛ لَأَنَّهُ فَعْلٌ لَمْ يَكُنْ وَقَعَ. ﴿إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ في العذابِ.

(٣٤) - ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾: عَذَابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله، فانتسف^(٢) جبريل المدينة وما فيها بأحد جناحيه، فجعل عاليها سافلها، وتبع الحجارة من كان غائبًا.

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٢٤٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨ / ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣٠٥٨).

(٢) يقال: انتسف ما في أيديهم؛ أي: اختطفه. انظر: «العين» مادة: (ن س ف) (٧ / ٢٧٠).

(٣٥) - ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قيل: هي الحجارة التي أمطرت عليهم، فمن ذهب إلى الشام وأتى على قرية لوط رأى من تلك الحجارة. وقيل: إنها بقية الأنهار التي كانت بأرضهم، وصار ماؤها أسود. وقيل: ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾: عقوبة الله إياهم، والأمر في ذلك مشهور عند العرب.

(٣٦) - ﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ﴾: وأرسلنا إلى مدين أخاهم ﴿شُعَيْبًا فَقَالَ﴾ قيل: الفاء هاهنا لموافقة قوله: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ﴾ [العنكبوت: ١٤]. ﴿يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: اعملوا بطاعته لإدراك الثواب في الآخرة، وقيل: خافوه، ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

(٣٧) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ عاقبهم الله بالزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾ بعضهم على بعض ميئين. وقيل: جائمين على الركب.

وقيل: هي ما أصابهم يوم الظلة، رجفت بهم الأرض مع أخذ الحر.

(٣٨) - ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَّيْنَا لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ .

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ واذكر عادًا وثمود. وقيل: أهلكننا.

وقيل: فتننا؛ حملًا على أول السورة.

﴿وَقَدْ تَبَّيْنَا لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾: ظهر لكم بعض مساكنهم كيف خرب وخلا عن أهله بإهلاك الله إياهم.

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي، ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الذي وجب عليهم سلوكه، وهو الإيمان بالله ورؤسليه، ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾: ذوي بصائر يمكنهم تمييز الحق من الباطل.

وقيل: مستبصرين عند أنفسهم بزعمهم.

(٣٩) - ﴿وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ .

﴿وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾: فائتين، بل أدركهم العذاب، يُقال لمن فات طالبه: سبق .

(٤٠) - ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: أخذنا كلهم فعاقبتناهم بذنوبهم؛ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: حجارة من سجيل كقوم لوط.

وقيل: الحاصب: الریح تأتي بالحصباء، وهي الحجارة الصَّغيرة، وتذكيره كالطالق والحائض.

وقيل: حاصبٌ: ملكٌ رامهم بالحصباء^(١).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كقوم صالح وغيره.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني: قارون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا﴾ يعني: فرعون وقومه، وقوم نوح من قبل.

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾: ليعاقبهم بغير استحقاق وجرم.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والعدوان فيه.

(٤١) - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ

بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: مثل من أشرك بالله

الأوثان في الضعف وسوء الاختيار ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ أي:

كمثل العنكبوت فيما تتخذ لنفسها من بيت، فإن ذلك البيت لا يدفع عنها

الحر ولا البرد، ولا يقي ما يتقى بالبيوت، كذلك أوثان هؤلاء لا تنفعهم ولا

تغني عنهم في الدنيا والآخرة.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه.

﴿وَأَنَّ أَوْهَانَ الْأَبْيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾: لا يبت أوهى ولا أقل وقاية للحرِّ والبرد من بيت العنكبوت.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: يرجعون إلى علم، لعلموا أن وثناً من حجارة وجص لا يغني عنهم شيئاً.

الزجاج في جماعة: تقدير الآية: مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت، ليس أنهم لا يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف^(١).
والعنكبوت يقع على الواحد وعلى الجمع، ويُذكر ويُؤنث، وليس التاء فيه للتأنيث، وجمعها: عنكب، وتصغيرها: عنكب.

وفي التفسير عن يزيد بن ميسرة: أن العنكبوت شيطان مسحته الله^(٢).
وعن عطاء: نسجت العنكبوت مرتين: مرة على النبي ﷺ، ومرة على داود عليه السلام^(٣).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ١٦٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٢٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٣)، واستغربه. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣٠٦٣) عن يزيد بن ميسرة عن ابن عائذ قال: «العنكبوت شيطان».

وروى أبو داود في «المراسيل» (٥٠٤) عن يزيد بن مرثد قال: قال رسول الله ﷺ: «العنكبوت شيطان فاقتلوه». فهذه كلها مراسلات، وروي مرفوعاً لكن بإسناد ضعيف:

رواه ابن عدي في «الكامل» (٨ / ١٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «العنكبوت شيطان مسحته الله فاقتلوه»، وأعله ابن عدي بمسلمة بن علي الخشني، وقال عنه الذهبي في «الميزان»: «شامي واه تركوه، وقال البخاري: منكر الحديث».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣٠٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥ / ١٩٧).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت؛ فإن تركه في البيت يورث الفقر^(١).

(٤٢) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: وثني أو صنم أو ملك أو جن،
 ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنيع لا شريك له ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تأخير العذاب^(٢).
 و﴿مَا﴾ نصب بـ ﴿يَدْعُونَ﴾، و﴿يَعْلَمُ﴾ معلق.
 وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي، وهو مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾، ومفعول ﴿يَدْعُونَ﴾
 مضمّر؛ أي: يدعونه.

(٤٣) - ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.
 ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾؛ أي: مثل العنكبوت وبيتها وسائر الأمثال
 نبيها للناس كافة للاستدلال والتفكير فيها.
 ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾: لا يفتن لحقائقها ولا ينتفع بضرها إلا أولو
 العلم الذين يضعون الأشياء موضعها.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥١ / ٢١) وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو متروك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٣)، واستغربه.
 (٢) في (ف): «العقاب».

(٤٤) - ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ؛ أي: مُحَقًّا، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ : في خلقه
إياها ﴿ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ خصَّهم بالذكرِ لانتفاعهم بها.

(٤٥) - ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ .

﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ : اقرأ القرآن، ولا يَمْنَعَنَّكَ عن ذلك ما يُعاملُ
معك الكفَّارُ.

وقيل: أتْلُ عليهم وأنذِرهم.

وقيل: أتَّبِعْ ما فيه.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ : ودِّمْ على إقامة الصلاة المفروضة.

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: الصَّلَاةُ: القرآنُ^(١).

ابنُ بحرٍ: الصَّلَاةُ: الدُّعَاءُ؛ أي: قُمْ بالدُّعَاءِ إلى أمرِ الله^(٢).

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾ : الزُّنَى ﴿ وَالْمُنْكَرِ ﴾ : الشُّرْكَ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٤٠٨) بلفظ: «القرآن الذي يقرأ في المساجد»، وذكره الثعلبي في

«تفسيره» (٢١ / ٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب

التفسير» (٢ / ٨٨٣)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(٢ / ٨٨٣)، وعده من العجائب.

ابن عباس رضي الله عنهما: تنهى ما دام فيها^(١).

قال عليه السلام: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»^(٢).

وقيل: ﴿تَنْهَى﴾ لَأَنَّ فِيهَا تَلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مُشْتَمَلٌ عَلَى كُلِّ وَعْظٍ.

ووصفُ الصَّلَاةِ بِالنَّهْيِ تَوْشِيحٌ، كَمَا تَقُولُ: الْعِلْمُ يَنْفَعُ، وَالْجَهْلُ يَضُرُّ، وَالْعَقْلُ يَأْمُرُ بِكَذَا، وَ﴿كَيْبِنَا يَنْطِقُ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وَعَلَى تَأْوِيلِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الْقُرْآنَ يَنْهَى؛ أَي: فِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى تَأْوِيلِ ابْنِ بَحْرٍ: إِنَّكَ بِدَعَائِكَ تَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ.

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٤) عن الكلبي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٢٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

ورواه الدارقطني في «غرائب مالك» - كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزليعي (٣/ ٤٤) - وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٩٧)، من طريق محمد بن الحسن الأزدي عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، قال الدارقطني: «هذا باطل لا أصل له، ومحمد بن الحسن مجهول». وقال ابن حبان: «محمد هذا يروي عن مالك ما لا أصل له، لا يجوز الاحتجاج به».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٥٤) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٤٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٤): أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» من حديث الحسن مرسلًا بإسناد صحيح، ورواه الطبراني، وأسنده ابن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عباس بإسناد لين، والطبراني من قول ابن مسعود: «من لم تأمره صلاته بالمعروف ونهه عن المنكر لم يزد من الله إلا بعداً». وإسناده صحيح.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه وجوه:

أحدها: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ إِيَّاكُمْ ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذكركم إِيَّاهُ، هذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما^(١).

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من الصَّلَاةِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ في الصَّلَاةِ ﴿أَكْبَرُ﴾ منه خارج الصَّلَاةِ؛ أي: أكثرُ ثوابًا.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سائرِ أركانِ الصَّلَاةِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿أَكْبَرُ﴾ في النهي عن الفاحشة من

الصَّلَاةِ^(٢).

وقيل: المرادُ بالذِّكْرِ هاهنا النهيُ؛ أي: الصَّلَاةُ تنهى ونهى اللهُ أكبرُ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من كلِّ العباداتِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أن يُبْقِيَ على صاحبه عقوبةَ الفحشاءِ والمنكرِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من الفاحشةِ والمنكرِ^(٣)، وهذا ضعيفٌ.

ويحتملُ أن تأويلَ (ذكرِ الله): الصَّلَاةُ، كأنه قال: والصَّلَاةُ أكبرُ من سائرِ

العباداتِ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ في الصَّلَاةِ وتلاوةِ القرآنِ فيُجازيكم عليه.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨ / ٤١١)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٣٨) وصححه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٤)، وعده من العجائب.

(٤٦) - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا
ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

قتادة: منسوخة، نسختها ﴿قَدِّمُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] ^(١).

والثاني: ابن زيد: هي مُحَكَّمَةٌ، والمرادُ مؤمنوهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
بالإقامة على الكفر؛ فإنه يُجَادَلُ ويُقال له الشرُّ ^(٢).

والثالث: مجاهد: مُحَكَّمٌ، والمرادُ به ذوو العهد، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فقاتل
ولم يُعْطِ الجزية ^(٣)، فيكون تقديره: ظلموكم بمنع الجزية.

والمُجَادَلَةُ: قَتْلُ الخصمِ بطريقِ الحِجَاجِ، وأصله: القَتْلُ.

وقيل: ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: لا إله إلا الله.

﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة وهو بالعبرانية ويفسرونه بالعربية لأهل
الإسلام، فقال ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ، ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٤٥)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٩)، والطبري
في «تفسيره» (١٨ / ٤٢٠)،

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٤١٩) بلفظ: «ليست بمنسوخة، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم،
لعلهم يحسنون شيئاً في كتاب الله لا تعلمه أنت، فلا تجادله، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا،
المقيم منهم على دينه. فقال: هو الذي يجادل ويقال له بالسيف».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٤١٨) بلفظ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قال: من قاتل ولم يعط الجزية».

إِنَّا وَأَنْزَلِ إِلَيْكُمْ ﴿١﴾؛ أَي: الْقُرْآنُ، وَالتَّوْرَةُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ.
﴿وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَوَجِدُ﴾: مَعْبُودُنَا وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: خَاضِعُونَ مُتَذَلِّلُونَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(٤٧) - ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.
﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ أَي: كَمَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ.

وقيل: الكافُ مُتَّصِلَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَوَجِدُ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا﴾^(١).
وقيل: مُتَّصِلَةٌ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنَ الْمُجَادَلَةِ بِالْأَحْسَنِ.
﴿فَالَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يُرِيدُ: مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.
﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يَعْنِي: الْعَرَبَ.
وقيل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يَعْنِي: مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) رواه البخاري (٤٤٨٥)، لكن فيه: «وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]». ورواه بلفظ المصنف الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٧٠/ ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه أبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٥٧) من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٨٨٤/ ٢)، واستغربه.

وقيل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: هم المؤمنون ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أهل الكتاب.

قوله: ﴿تُؤْمِنُ بِهِ﴾ قيل: بالقرآن.

وقيل: بمحمد ﷺ.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.

(٤٨) - ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ

الْمُبْطُلُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ كتاباً من الكتب ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾: ولا تخطُّ كتاباً بيدك؛ لأنك أُمِّيٌّ لا تكتبُ ولا تقرأ.

وعن الشعبي: ما مات النبي ﷺ حتى كتب^(١).

وقرئ في الشاذ: (ولا تخطُّه) بالفتح على النهي^(٢)، والصحيح أنه لم يكتب.

﴿إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ﴾ لقاتل اليهود: كتبه من تلقاء نفسه.

وقيل: ﴿لَأَزْتَابَ﴾ أهل الكتاب؛ لأن نعتك في الكتب المتقدمة: النبي الأميُّ

الذي لا يكتب ولا يقرأ من الكتاب.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٤)، واستغربه، وعزاه القرطبي في «تفسيره»

(٣٥٢ / ١٣) للنقاش. وروى البيهقي نحوه في «السنن الكبرى» (٧ / ٤٢) عن عون بن عبد الله عن

أبيه. قال البيهقي: «هذا حديث منقطع، وفي رواه جماعة من الضعفاء والمجهولين».

قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، انظر تفصيل الكلام في ذلك في «روح المعاني»

(٢٠ / ٣٧٧)، وقد تقدم عن تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقْعُونَ الرُّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٤).

وقيل: ﴿الْمُطْلُوتِ﴾ عامٌّ في جميع الكفارِ.

(٤٩) - ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا

الظَّالِمُونَ﴾.

﴿بَلْ هُوَ﴾: بل القرآن ﴿آيَاتٌ يَبْنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.

قتادة: هو القرآن، وأعطى هذه الأمة حفظ القرآن، ومن كان قبلهم لا يقرؤون الكتاب إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيون^(١).

وقيل: بل النبيُّ وأموره آياتٌ بيناتٌ^(٢).

وقيل: كونه لا يقرأ ولا يكتب آياتٌ بيناتٌ^(٣).

قوله: ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قيل: العلم بكتب الله وأحوالك وصفاتك.

وقيل: هم أصحاب النبي^(٤) ﷺ يحفظونه، ويعتقدون أحكامه، ويفرقون بين

كلام الله وكلام البشر.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾: وما يُنكِرُ أدلَّتْنا، والجحودُ الأوَّلُ مُتعلقٌ

بالوحدانية، والثاني بالنبوة، تقول: جحدَه وجحدَ به، وكفرَه وكفرَ به.

وقيل: تقديره: وما يجحدُ محمداً برَدِّ آياتنا.

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٣٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «محمد».

(٥٠) - ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ كما أُوتِيَ موسى وعيسى .

وقيل: هو ما سأله في قوله: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات .

﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فهو يأتي بها، لست أملك منها شيئاً فأتاكم بما تقترحونه عليّ .

﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ ﴾: أُنذِرُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ عَلَى إِقَامَتِكُمْ عَلَى شُرِكِكُمْ ﴿ مُبِينٌ ﴾: أُبَيِّنُ لَكُمْ الْإِنذَارَ .

(٥١) - ﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِيَّايَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ بلسانهم، وهم أفصحُ النَّاسِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَصْنَافِ الْبَلَاغَةِ، وَقَدْ تَحَدَّثْتُهُمْ لِأَن يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ عَشْرِ سُورِ مِثْلِهِ، أَوْ سُورَةٍ مِثْلِهِ، فَعَجَزُوا فَبَدَّلُوا الْأَمْوَالَ وَالْمُهَجَّ دُونَهُ، وَذَلِكَ أَبْلَغُ مِنْ سَائِرِ الْمُعْجَزَاتِ، وَأَبْعَدُ مِنْ أَسْبَابِ التَّشْكِيكِ .

﴿ إِيَّايَ فِي ذَلِكَ ﴾: فِي الْقُرْآنِ ﴿ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: لِمَنْ هُمُ الْإِيمَانُ دُونَ التَّعْنَتِ .

(٥٢) - ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ۝﴾ .

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد لي بالصدق بأنِّي رسولُه، يعني: شهادته في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] ﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقيل: معناه: في القرآن الذي بين الله بإعجازه صدقي كفاية وشهادة صدق بيني وبينكم لمن طلب الدليل.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يخفى عليه فيهما شيءٌ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ الذي لا يجوزُ الإيمانُ به، وهو إبليسُ.

وقيل: الصنم.

وقيل: صدقوا الباطل.

﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ الذي يجبُ الإيمانُ به والشُّكرُ على نعمه.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾: الهالكون.

(٥٣) - ﴿وَسْتَغْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَ هُرُ الْعَذَابِ وَلِيَأْنِيَنَّهُمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ۝﴾ .

﴿وَسْتَغْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

قيل: نزلت في أبي جهل^(١).

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٣٥٦/١٣) من غير تصريح بسبب النزول، وقد صرح بمثله في قوله تعالى: ﴿وَسْتَغْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧].

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ أي: لكلِّ عذابٍ أنزله الله على أمّةٍ أجلٌ معلومٌ لا يُقدّمه قبله ولا يؤخّره، وهو إذا تناهى الإعداؤُ ووقع اليأس من إيمانهم.

﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ أي: ليس تأخّره لعجزٍ عن الإنزال، ولا لرضًا بكفرهم، بل لأنَّ الأجلَ لم يحضُر بعدُ.

﴿وَلِيَأْيِنِّيهِمْ بَغْتَةً﴾: فجأةً؛ لا يحسبونه إذا حضر الأجلَ المعلومَ عنده.

وقيل: ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ سمّاه الله لأعمارهم ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْيِنِّيهِمْ﴾ أجلهم ﴿بَغْتَةً﴾، فيُعذّبون عند نزول الموتِ بهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقتِ مجيئه. وقيل: الأجلُ المُسمّى القيامةُ.

(٥٤) - ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ عَجَبَ من جهلهم في استعجالِ العذابِ وقد أعدَّ الله لهم جهنّم، وأنها قد أحاطتْ بهم وهم على شفيرِ جهنّم لم يبقَ إلا أن يدخلوها.

وقيل: لمُحِيطَةٌ بهم في الآخرة؛ أي: ستُحيطُ بهم عن قريبٍ؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ. وقيل: كأنّها مُحِيطَةٌ بهم لِمَا لزمهم بكفرهم.

(٥٥) - ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾؛ أي: من كلِّ الجهات؛ لأنّه مُحِيطٌ بهم، ﴿وَيَقُولُ﴾ اللهُ، وقيل: الخزانة، و﴿نَقُولُ﴾^(١) نحن: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير»

تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: جزاء أعمالكم، وذلك زيادة في العقوبة والإيذاء.

(٥٦) - ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَاعْبُدُونِ﴾ أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن هذا نزل فيمن كان مقيماً بمكة، أمروا بالهجرة عنها إلى المدينة؛ أي: جانبوا أهل الشرك واطلبوا المؤمنين.

وقيل: ﴿أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾ فجاهدوا فيها أعداء الله.

وقيل: ﴿أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾ فاطلبوا الرزق.

وقيل: أراد: أرض الجنة واسعة.

﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أعطكم^(١)، وقيل: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ بالهجرة إلى المدينة.

(٥٧) - ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ أي: كل نفس تنال كرب الموت وشدائده أينما كانت، فلا تقيموا بدار الشرك.

وقيل: أراد: كل حي يموت.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ للشواب والعقاب.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، واستغربه.

(٥٨ - ٥٩) - ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ : لَنُنزِلَنَّهُمْ قُصُورًا ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴾ .

ابن عيسى: بَوَّأته منزلاً: اتَّخَذَتْ لَهُ مَنْزِلًا^(١).

وَمَنْ قَرَأَ بِالثَّاءِ^(٢)؛ أَي: لَنَجْعَلَنَّاهُمْ ثَاوِينَ مُقِيمِينَ.

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(٦٠) - ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ ﴾ : وكم من دابة ﴿ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ في سبب النزول: عن ابن عمر رضي الله عنهما: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى دَخَلَ بَعْضُ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلَ يَلْتَقِطُ التَّمَرَ وَيَأْكُلُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَمْرٍ، مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ؟ فَقُلْتُ: لَا أَشْتَهِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَكِنِّي أَشْتَهِيهِ وَهَذِهِ صَبِيحَةٌ^(٣) رَابِعَةٌ مَذْلَمٌ أَذِقُ طَعَامًا، وَلَوْ شِئْتُ لَدَعَوْتُ رَبِّي فَأَعْطَانِي مِثْلَ مِثْلِكَ كَسْرِي وَقَيْصَرِي، وَكَيْفَ بَكَ يَا ابْنَ عَمْرٍ إِذَا بَقِيَتْ فِي قَوْمٍ يَخْبِؤُونَ رِزْقَ سَنَتِهِمْ وَيَضَعُفُ الْيَقِينُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْنَا حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٤).

(١) ذكر الأزهري هذا المعنى في «تهذيب اللغة» مادة: (ب و أ) (٤٢٦/١٥).

(٢) أي: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ مِنَ الثَّوَاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَالْكَسَائِي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٣) في (ف): «وهذا صبح».

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» للكشي (٨١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» =

الدَّابَّةُ: اسمٌ عامٌّ لِمَا دَبَّ.

قوله: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ قيل: للادِّخارِ، وعن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: لا يدَّخِرُ شيءٌ مما خلق اللهُ إلا الأدميُّ، والنَّمْلُ، والفأرةُ، والعَقَعُ، وأجناسُ العَقَعِ^(١).

وقيل: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لعجزها عن ذلك، بل تأكل حاجتها.

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ يوماً فيوماً، وقيل: يأتيها من غير طلب.

﴿وَأَيَّاكُمْ﴾ يا بني آدم؛ أي: رازق الجميع هو الله.

ابنُ جريرٍ: ﴿وَكَايِّنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ يريدُ محمداً ﷺ، وحكاة النقاش أيضاً^(٢)، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ اسمَ (الدَّابَّةِ) مُطلقةٌ لا يقعُ على الأدميِّ إلا شتمًا، وكذلك (الحيوان).

= (٩ / ٣٠٧٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٣)، قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف»، قلت: الجراح بن منهال أبو العطوف الجزري قال البخاري ومسلم: مُنكر الحديث، وقال ابن حبان: كذاب، وذكره ابن البرقي في باب من اتهم بالكذب، وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه، وقال النسائي والدارقطني: متروك، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث لا يكتب حديثه. انظر: «تعجيل المنفعة» (١ / ٣٨١).

وقال القرطبي في «تفسيره» (١٣ / ٣٦٠): «وهذا ضعيف، يضعفه أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يدخر لأهله قوت سنتهم، وكانت الصحابة يفعلون ذلك، وهم القدوة وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين».

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨ / ٣٦٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٢٩٣)

مقتصرًا على ذكر ابن آدم والنمل والفأر، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٨٨) عن سفيان.

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤ / ١٩١) عن النقاش، وذكره المصنف في «تفسيره» (٢ / ٨٨٦) عن

ابن بحر والنقاش، واستغربه، وشنع على قائله العز بن عبد السلام في «تفسيره» (٢ / ٥١٧) فقال:

«وذكر النقاش شيئاً لا يحل ذكره ولبس ما قال».

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم: من أين معاشنا في المدينة؟ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما في صدوركم من ذلك؛ لأنهم لما نُدبوا إلى الهجرة قالوا: بأي شيء نعيش؟ ومن أي شيء نأكل إذا فارقنا ديارنا؟

(٦١ - ٦٢) - ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾: يُوسِّعُ عَلَى مَن يَشَاءُ ﴿مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: وَيُضَيِّقُ عَلَى مَن يَشَاءُ، فَيُعْطِيهِ بِقَدْرِ الكِفَايَةِ عَلَى مَا يَرَى سُبْحَانَهُ فِيهِ المَصْلَحَةَ، والهَاءُ يَعُودُ إِلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ (٢)، لَكِنَّ التَّقْسِيمَ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

ويَحْتَمِلُ أَنَّ الهَاءَ يَعُودُ إِلَى المَبْسُوطِ لَهُ الرِّزْقُ بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ؛ أَي: وَيَقْدِرُ لَهُ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ، ثُمَّ اكَتْفَى بِذِكْرِ أَحَدِ الضَّدِّينَ (٣).

(١) من قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾... إلى قوله:... ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: ليس في (ف).

(٢) أي: ويقدر الرزق لمن يشاء.

(٣) أي: يبسط لمن يشاء ويقدر له ذلك، ويضيق على من يشاء، ويقدر له ذلك، فاكتفى بذكر أحد

الضدين. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٧) واستغربه.

وذكر في «البرهان» (ص: ٢٠٠) وجهاً آخر على عود الضمير إلى المَبْسُوطِ لَهُ الرِّزْقُ، وهو أن يبقى ﴿وَيَقْدِرُ﴾ على معنى: التضييق، ويكون تقدير الآية: يبسط الرزق لمن يشاء من عباده أحياناً ويقدر له أحياناً.

وهو ما عبر عنه الزمخشري في «الكشاف» (٣ / ٤٦٢) بقوله: «يُرِيدُ تَعَاقُبَ الْأَمْرَيْنِ عَلَى وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ المَصْلَحَةِ».

(٦٣) - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولَنَّ اللَّهُ﴾؛
أي: هم مُقَرَّبُونَ بذلك، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على قيامِ حُجَّتِي وصدقِ لَهْجَتِي.
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يَلْزُمُهُمْ بإقرارهم.

(٦٤) - ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ سريعُ الانقضاءِ قَريبُ الانفصالِ^(١).
﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ التي جعلها الله للجزاء ﴿لَهِىَ الْحَيَوانِ﴾: الحياةُ الدائمةُ التي لا موتَ فيها ولا زوالَ ولا انتقالَ، و﴿الْحَيَوانِ﴾: الحياةُ.
الزَّجَاجُ: تقديرُهُ: هي^(٢) دارُ الحيوانِ؛ أي: الحياةُ^(٣).
وقيل: ﴿الْحَيَوانِ﴾: الحيُّ، وجعلَ الدَّارَ الْآخِرَةَ حَيًّا على المُبالِغَةِ بالوصفِ بالحياةِ^(٤).
ابنُ عيسى: ﴿الْحَيَوانِ﴾ ضدُّ المَوْتانِ^(٥)، والتقديرُ: لَهي ذاتُ الحيوانِ الدائمِ البقاءِ، فحذَفَ المُضَافُ.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ طِيبَ حَيَاةِ الْآخِرَةِ لَرَغَبُوا فِيهَا.

(١) في (ن): «الانتقال».

(٢) في (ف): «لهي».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٣)، وفيه: «معناه: هي دار الحياة الدائمة».

(٤) أورده أبو علي الفارسي في «الحجة» (٤/ ١٣٣) احتمالاً، وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٥) ذكره الفارابي في «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣٨٧).

(٦٥) - ﴿فَادَارِكُوا فِي الْفَلَكِ دَعْوَا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَادَارِكُوا فِي الْفَلَكِ﴾؛ أي: ركبوا البحر فأصابتهم شدة خافوا منها الهلاك
﴿دَعْوَا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يدعون لكشف الضر عنهم إلا الله.
﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾: خلَّصهم من البحر إلى البر فأمِنوا، ﴿إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ﴾:
عادوا إلى الشرك بالله.

(٦٦) - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قيل: اللام لام (كي) (١).

وقيل: لام الأمر على وجه التهديد.

وقيل: لام العاقبة، وهو الأظهر.

﴿وَلِيَتَمَنَّعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأوثان وليتواذوا عليه.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم.

(٦٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَ الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ

وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: أهل مكة ﴿أَنَا جَعَلْنَا﴾ بلدهم ﴿حَرَمًا﴾: ممنوعاً مضموناً

من أن يدخل لغارة أو قتل أو ظلم، ﴿آمِنًا﴾ يأمن ساكنوه، ﴿وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ

حَوْلِهِمْ﴾: يُخْتَلَسُونَ قتلاً وسيياً.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٨٧)، واستغربه.

﴿فَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو الصَّنَمُ وَالشَّيْطَانُ ﴿وَبِعَمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ يُشْرِكُونَ بِهَا
غَيْرَهُ؟ استفهامٌ تعجيبٌ.

(٦٨) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: يجعل له شريكاً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾: محمّد
ﷺ ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾: أليس جهنم مأواهم ومنزلهم؟
استفهامٌ تقريرٌ في مقابلة: لثوئهم^(١) من العجّة، فالثناء أحسن الوجهين^(٢).

(٦٩) - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾؛ أي: جاهدوا أعداء الله من المشركين.

وقيل: هو عامٌّ في الأمر والنهي، والرّدّ على المُلحدين، وجهاد الشَّيْطَانِ
ووساوسه، وجهاد النفسِ أكبره.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبيل الرّشاد.

وقيل: لنعصمَنَّهُم.

وقيل: لنؤفّقَنَّهُم.

(١) في (ف) جعل تحتها نقطة وفوقها ثلاث نقط في كلمة واحدة يعني: «لنبوئهم» «لثوئهم».

(٢) لتشابه اللفظ، وإلا فمعنى القراءتين متقارب، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/٣١٨)، و«الحجة»

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: الذين هَدَيْنَاهُمْ سُبُلَنَا جَاهَدُوا فِيْنَا^(١).

وقيل: ﴿سُبُلَنَا﴾: طرقَ الْجَنَّةِ^(٢).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾: ناصرُهُم ومُعِينُهُم.

وقيل: مع الْمُحْسِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ.

وقيل: مع النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.

وقيل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا﴾؛ أي: يَعْمَلُونَ بما يَعْلَمُونَ ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ إلى

ما لا يَعْلَمُونَ^(٣).

وقيل: نُخْلِصُ نِيَّاتِهِمْ فِي طَاعَاتِهِمْ^(٤).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «طاعتهم».

سُورَةُ الرَّومِ



سُورَةُ الرُّومِ

سُتُونِ آيَةٍ^(١)، مَكِّيَّةٌ.

قال الحسن: مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿فَسَبَّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُظْهِرُونَ﴾ [الرُّوم: ١٧-١٨] فَإِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) - ﴿الْم ١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدَتِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾.

﴿الْم ١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدَتِ الْأَرْضِ ﴿٣﴾ فِي سَبَبِ النُّزُولِ: أَنَّهُ بَعَثَ كِسْرَى جَيْشًا إِلَى الرُّومِ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُسَمَّى شَهْرَبْرَازَ، فَسَارَ إِلَى الرُّومِ بِأَهْلِ فَارِسَ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ، وَقَتَلَهُمْ وَخَرَّبَ مَدَائِنَهُمْ، وَقَطَعَ زَيْتُونَهُمْ، وَكَانَ قَيْصَرُ بَعَثَ

(١) «ستون آية»: ليست في (ف)، وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٥)، وفيه: «وهي خمسون

وتسع آيات في المدني الأخير والمكي، وستون آية في عدد الباقيين، اختلافها أربع آيات...».

(٢) لم أجد من الحسن صريحاً، لكن روى عنه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٨٤) في قوله تعالى:

﴿فَسَبَّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الغداة ﴿وَلَهُ

الْحَمْدُ فِي السَّنَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾ قال: العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قال: الظهر». قال الزمخشري في

«الكشاف» (٣/ ٤٧٢): «فإن قلت: لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أن هذه الآية مدنية؟ قلت: لأنه

كان يقول: فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم».

رجلاً يُدعى بخنس، فالتقى مع شَهْرَبَرَاذَ بِأذْرَعَاتٍ وَبُصْرَى، وهو أدنى الشَّامِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، فَغَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومِ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَهُمْ بِمَكَّةَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَكْرَهُ أَنْ يَظْهَرَ الْأُمِّيُونَ مِنَ الْمَجُوسِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الرُّومِ، وَخَرَجَ كَفَّارٌ مَكَّةَ وَشَمِتُوا، فَلَقُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَالنَّصَارَى أَهْلُ كِتَابٍ، وَنَحْنُ أُمِّيُونَ وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الرُّومِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُونَا لَنُظْهَرَنَّ عَلَيْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ.

فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْكُفَّارِ فَقَالَ: فَرِحْتُمْ بِظُهُورِ إِخْوَانِكُمْ عَلَى إِخْوَانِنَا فَلَا تَفْرَحُوا، وَلَا يُقَرُّ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَيُظْهَرَنَّ الرُّومُ، أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيْنَا، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبِي بْنُ خَلْفِ الْجَمْحِيِّ فَقَالَ: كَذَبْتَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْتَ أَكْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ. فَقَالَ: اجْعَلْ بَيْنَنَا أَجْلاً أَنَا حَبْكُ عَلَيْهِ - أَي: أُرَاهُنْكَ - عَلَى عَشْرِ قَلَائِصَ مِنِّي وَعَشْرِ قَلَائِصَ مِنْكَ؛ فَإِنْ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ غَرِمْتُ، وَإِنْ ظَهَرَتِ فَارِسُ غَرِمْتُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَجَعَلُوا الْأَجَلَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْقِمَارِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا هَكَذَا ذَكَرْتُ، إِنَّمَا الْبِضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ، فَزَايِدُهُ فِي الْخَطْرِ وَمَادَّةُ فِي الْأَجْلِ»، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَلَقَنِي أُبَيًّا فَقَالَ: لَعَلَّكَ نَدِمْتَ. قَالَ: لَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَالَ أَرَايْدُكَ فِي الْخَطْرِ وَأَمَادَكَ فِي الْأَجْلِ، فَاجْعَلْهَا مِئَةَ قَلُوصٍ وَمِئَةَ قَلُوصٍ إِلَى سَبْعِ^(١) سِنِينَ. قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ^(٢).

(١) فِي (ف): «تَسْع».

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨/٤٥٠ - ٤٥١) عَنْ عِكْرَمَةَ. وَهُوَ مَرْسَلٌ، وَقَدْ رَوَى نَحْوَهُ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٤٩٥)، وَابْنُ بَخْرِي فِي =

فلما خشيَ أبيُّ بنُ خلفٍ أن يخرجَ أبو بكرٍ من مكّةَ أتاه فلزمه وقال: إنني أخافُ أن تخرجَ من مكّةَ، فأقمَ لي كفيلاً، فكفلَ له ابنُه عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ، فلما أرادَ ابنُ خلفٍ^(١) أن يخرجَ إلى أُحدٍ أتاه عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ فلزمه وقال: لا والله لا أدعَكَ حتّى تُعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً ثمَّ خرجَ إلى أُحدٍ، ثمَّ رجعَ ابنُ خلفٍ فماتَ بمكّةَ من جراحتِهِ التي جرّحه رسولُ الله ﷺ حينَ بارزَه، وظهرتِ الرُّومُ على فارسَ يومَ الحديبيةِ، وذلكَ عندَ رأسِ سبعِ سنينَ من مُناحيبتهم^(٢).

وقيل: ظهرتِ الرُّومُ يومَ بدرٍ، فقمرَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وأخذَ مالَ الخطرِ من ورثةِ أبيِّ، وجاءَ به إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «تصدَّقْ به»^(٣).

= «خلق أفعال العباد» (١١٥)، والترمذي (٣١٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٤٤٧/١٨ - ٤٤٨)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٣٠ - ٣٣١). قال الترمذي: «حسن غريب»، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وقد روي في هذه القصة أحاديث وأثار كثيرة يطول ذكرها، جمعها السيوطي في «الدر المنثور» (٤٧٩/٦ - ٤٨٣).

(١) في (ف): «أراد أبي».

(٢) من أول خبر عكرمة إلى هنا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠٢/٢١ - ١٠٦) مع زيادات عليه وعزاه للمفسرين، ولعله جمعه مما روي في القصة من أخبار.

وكون ظهور الروم على فارس كان يوم الحديبية رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٩٤) عن الشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤٥٤/١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٨٧/٩) عن قتادة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠٦/٢١ - ١٠٧)، والبعوي في «تفسيره» (٢٦٠/٦)، عن الشعبي. ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما ذكر ابن كثير (٢٩٨/٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفيه: فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارس، وربطوا خيولهم =

قوله ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ أي: في أقرب مكانٍ لهم من فارس.

وقيل: أقربها من مكة. وتقديره: في أدنى أرضهم.

فالتقى الجيشان ببيت المقدس.

وقيل: بأذرعٍ وبُصرى، كما سبق.

وقيل: بأرذُنَّ وفلسطين.

وقيل: بالجزيرة.

وقيل: بطرف الشام.

﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿مَنْ بَعْدَ غَلَبِهِمْ﴾ مصدرٌ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ؛ أي: بعد

أَنْ غَلَبُوا.

الفرَاءُ: يُرِيدُ: بعد غَلَبَتِهِمْ، فَحُذِفَ التَّاءُ كـ (إِقَامِ الصَّلَاةِ) (١).

الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ: (الغَلْبَةُ) و(الغَلْبُ) مصدران، وكذلك (الغَلْبُ) بالسُّكُونِ (٢).

﴿سَيُغْلِبُونَ﴾: يَتَهَرُونَ، وَقُرِئَ فِي الشَّوَاذِ: (غَلَبَتِ الرُّومُ) بِالْفَتْحِ، (سَيُغْلِبُونَ)

بِالضَّمِّ (٣)، وَجَاءَ إنْكَارُهُ عَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ (٤).

= بالمدائن، وبنوا الرومية، فجاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: «هذا السحت تصدَّق به». وفيه مؤمل بن إسماعيل وهو صدوق سيء الحفظ، كما في «التقريب».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفرء (٢/ ٣١٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٧).

(٣) نسبت لعليّ وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم ومعاوية بن قرة وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفرء (٢/ ٣١٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧)، و«البحر» (١٧/ ١٥٤).

(٤) روى ابن وهب في «جامعه - التفسير» (ص: ١٠٦)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٣٩) وصححه =

(٤ - ٥) - ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۗ﴾.

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ الْبَضْعُ: مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ.

وقيل: مِنَ الْاِثْنَيْنِ إِلَى التَّسْعَةِ.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾؛ أَي: مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلِبَ وَمِنْ بَعْدِ أَنْ تَغْلِبَ، وَالتَّقْدِيرُ: قَبْلَ الْغَلْبَةِ وَبَعْدَ الْغَلْبَةِ.

وقيل: قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ.

فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَبُيِّنَ عَلَى الضَّمِّ؛ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ مَنْوِيَّةٌ، وَالظَّرْفِيَّةَ مُقَدَّرَةٌ، وَالْمَعْنَى: لِلَّهِ الْأَمْرُ فِي الْحَالَتَيْنِ، وَلَوْ شَاءَ إِلَّا يَكُونُ غَلْبَةً فَعَلَّ.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: يَوْمَ تَغْلِبُ الرُّومُ فَارِسَ ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ

يَوْمَ بَدْرٍ.

وقيل: يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْغَنِيمَةِ وَالظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ، وَالْأَسْرِ

وَالْفِدَاءِ.

وقيل: بِقَمَرِهِمْ وَغَلَبَتِهِمْ فِي رِهَانِهِمْ.

وقيل: بِغَلْبَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُشْرِكِينَ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ إِحْدَى

آيَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ.

وقيل: فَرَحُ طِبَاعٍ لَا فَرَحُ اخْتِيَارٍ.

وقيل: تَمَّ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ:

= عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَيَأْتِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: (الْمَ، غَلَبَتْ الرُّومَ)، وَإِنَّمَا هِيَ:

﴿الْمَ ۙ غَلَبَتْ الرُّومُ﴾.»

﴿يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: أوليائه، فيكونُ الباءُ مُتَّصِلًا بـ ﴿يَنْصُرُ﴾^(١)،
وعلى الأوَّلِ مُتَّصِلٌ بـ ﴿يَفْرَحُ﴾.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في الانتقامِ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ في التَّمْكِينِ وَالنَّصْرِ
لِلْمُؤْمِنِينَ.

(٦) - ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ أي: وَعَدَ وَعْدَهُ فَلَا يُخْلِفُهُ، وهو نصبٌ على
المصدرِ، وفي الوعدِ قولان:

أحدهما: ﴿سَيَعْلَبُونَ﴾ هو الوعدُ.

والثاني: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ هو الوعدُ.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحَّةٌ وعده.

(٧) - ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: يعلمون ما يُشاهدونه فعلَ الحيواناتِ.

﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾؛ أي: لا يستدلُّون بما يُشاهدونه على ما غابَ عنهم

فعلَ العاقلِ المُمَيِّزِ.

الفراءُ: يعرفون التِّجَارَاتِ وَالتَّصَرُّفَ فِيهَا وَلَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ^(٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٢).

وقيل: يعلمون أمرَ معاشِهِم وزرعاتِهِم وبنائِهِم وأنهارِهِم.
 وقيل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: باطلاً، وكلُّ أمورِ الدُّنْيَا باطلٌ سوى
 ما أُريدَ به وجهُ الله. حكاه القفال.

(٨) - ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ
 مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾.

﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ قيل: هذا مُتَّصِلٌ بما قبله على تقدير: أولم يتفكروا
 في خلقِ أَنفُسِهِم ليخرُجوا عن الغفلة.

وقيل: أولم يتفكروا فيعلموا أَنَّهُم يعلمون ظاهراً من الحياة، ثم استأنف فقال:
 ﴿مَّا خَلَقَ﴾.

وقيل: ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ مُتَّصِلٌ بما بعده، ومثله ﴿ثُمَّ نُنْفَكُّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ
 مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، ومثله ﴿وَوَظَّنُوا مَا لَهُم مِّن مَّحِصٍ﴾ [فصلت: ٤٨]، فيكون ﴿فِي﴾
 بمعنى: الباء كأنه قال: أولم يتفكروا بقلوبهم فيعلموا ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ﴾، أو: فيقولوا:
 ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ﴾^(١).

وقيل: أولم يتفكروا بقلوبهم أن ما خلق الله.

و﴿مَا﴾ نفيٌّ بالاجتماع؛ أي: لم يخلقِ الله ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: لم يخلقهما عبثاً، ولكن ليعتبرَ بهما عباده ويستدلُّوا على
 وحدانيته وقدرته.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩١)، واستغربه.

وقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق.

وقيل: بالحكمة والغرض الصحيح.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إذا بلغ ذلك الأجل أفناهما.

وقيل: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في الابتداء، وهو: الوقت الذي عيَّنه لخلقهما؛ أي:

خلقهما على مقدار معلوم في وقت معلوم^(١).

﴿وإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث والجزاء ﴿لَكَافِرُونَ﴾: جاحدون.

(٩) - ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم كانوا أشدَّ

منهم قوةً وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم﴾؛ أي: ألا ينظرون

حال مسيرهم في ذهابهم ومجيئهم إلى مصارع من كان قبلهم من الأمم

الخالية وآثارهم نظرت تفكير واعتبار؟ ثم ابتداء فقال: ﴿كانوا أشدَّ منهم قوةً﴾؛

أي: الأمم الماضية كانوا أشدَّ قوةً من قريش.

﴿وأناروا الأرض﴾: قلبوا وجه الأرض لاستنباط المياه، واستخراج المعادن،

وإلقاء البذور فيها للزراعة.

وقيل: ﴿وأناروا الأرض﴾: حرثوها، والإثارة: تحريك الشيء حتى يرتفع ترابه.

﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

أحدها: من العُمَرِ؛ أي: بقُوا هم فيها أكثرَ من بقاءِ هؤلاءِ، والتَّقديرُ: ممَّا عُمِّروا فيها^(١).

والثَّاني: من العُمَرَى؛ أي: سكنوا فيها^(٢).

والثَّالثُ: من العِمارة^(٣).

﴿وَجَاءَ نَحْمٌ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمُعجزاتِ ﴿فَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾؛ أي: فكفروا فأهلكهم الله عدلاً منه لا ظلماً.

﴿وَلَكِنْ﴾: بل ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الظلمُ يأتي على ثلاثة أوجهٍ: وضعُ الشَّيءِ غيرَ موضِعِهِ، والتَّفصانُ، وأخذُ الشَّيءِ قبلَ وقته. والآيةُ تحتَمَلُ^(٤) المعانيَ الثلاثةَ.

(١٠) - ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا

يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾: كفروا ﴿السُّوْأَىٰ﴾: العذابُ، وقيل: جهنمُ.

و﴿السُّوْأَىٰ﴾: فُعَلَى تَأْنِيثُ الْأَفْعَلِ، كَالْحُسْنَى وَالْفُضْلَى.

وقيل: ﴿السُّوْأَىٰ﴾ مصدرٌ كالرُّجْعَى.

ومحلُّها رفعٌ فيمَنْ نَصَبَ ﴿عَقِبَةَ﴾، ونصبٌ فيمَنْ رَفَعَ^(٥).

(١) في (ف): «والتقدير وعمرها فيها». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩١)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩١)، واستغربه.

(٤) في (ف): «محتملة».

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويرفع العاقبة، والباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)،

و«التيسير» (ص: ١٧٤).

والإساءة: فعلُ السَّيِّئَةِ والسُّوْءِ والسُّوْأَى، والسَّيِّئَةُ: كُلُّ قَبِيحٍ مِنْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ.
 ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: بأن، وقيل: لأن، فحذِفَ
 الجارُ.

وقيل: ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بدلٌ من ﴿السُّوْأَى﴾^(١)؛ أي: عاقبته أن طبع الله
 على قلوبهم وسمعهم فكذبوا بآياتِ الله.
 ويحتملُ أن يكونَ بيانًا لقوله: ﴿أَسْتَوْأَى﴾ أي: هو أن كذبوا بآياتِ الله.

(١١) - ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.
 ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: يُنْشِئُهُمْ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: يُحْيِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

(١٢) - ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.
 ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: يتحيرون ويأسون من الرَّحْمَةِ وَمِنْ
 شَفَاعَةِ مَنْ كَانُوا يَرْجُونَ شَفَاعَتَهُ.
 وَالْإِبْلَاسُ: الْيَأْسُ، وَالْإِبْلَاسُ: الْحَيْرَةُ وَانْقِطَاعُ الْحِجَّةِ، وَالْإِبْلَاسُ: التَّنَدُّمُ.

(١٣) - ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾.
 ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ قيل:
 الضَّمِيرُ لِلْكَفَّارِ فِي ﴿كَانُوا﴾؛ أي: يكفرون بالهتهم ويُنكرونهم.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٢)، واستغربه.

وقيل: الضمير للأصنام، من قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦].

و(كان)^(١) في الآية زيادة. وقيل: هو بمعنى: صار. وقيل: معناه: ويكونون، وجاء بلفظ الماضي كأكثر ألفاظ القيامة.

(١٤ - ١٥) - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾: حيثُ ﴿يُنْفِرُونَ﴾ قيل: الضمير للأصنام والكفار.

وقيل: للخلق جميعاً؛ فأخذ ذات اليمين وأخذ ذات الشمال، ثم فصل فقال:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: في رياض وأنواع من الزهر والأشجار ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسْرُونَ فيتنعمون ويتلذذون بسماع الغناء.

ابن عباس رضي الله عنهما: يُكْرَمُونَ^(٢)، تقول: حَبَرَهُ: أكرمته، وخصَّ الرّوضة بالذكر لأنَّ العربَ يُعْجِبُهَا^(٣) ذلك، وكثُرَ ذِكْرُهَا فِي الشُّعْرِ.

(١) في (ف): «وكانوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٤٧١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ١٢١).

(٣) في النسختين: «تعجبها»، والوجه المثبت.

(١٦) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالقرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: البعث ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: مُعَذَّبُونَ، والإحضارُ يُستعملُ في المكروه؛ أي: أحضرهم الله في النار.

وقيل: مُدْخِلُونَ.

وقيل: نازِلُونَ.

وقيل: مُقِيمُونَ.

(١٧) - ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ﴾؛ أي: نزهوه عمَّا لا يليقُ به، وقيل: صلُّوا له.

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغربُ والعشاءُ، وقيل: المغربُ وحده.

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاةُ الفجرِ.

وقدَّمَ المغربَ لأنَّه أقربُ إلى الليلِ، والليلُ مُقدَّمٌ على النهارِ.

(١٨) - ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾ يعني: العصرَ ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يعني:

الظُّهْرَ، تقولُ: أظْهَرَ إِذَا دَخَلَ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ.

وَاتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا دَاخِلَةٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

رضي الله عنهما: ما ذكر الله الصَّلواتِ الخمسَ جملةً إلا في هذه الآية^(١).

وقيل: كلُّها داخلةٌ إلا العشاءَ الآخرةَ؛ فإنَّها مذكورةٌ في (النُّور): ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ [النور: ٥٨]^(٢).

ومعنى ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: هو محمودٌ عند سُكَّانِ أَرْضِهِ وسمائه كقوله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١].

وقيل: الملائكةُ تُسَبِّحُه في السَّماءِ، وبنو آدَمَ تُسَبِّحُه في الأرضِ.

و﴿سُبْحَانَ﴾ نصبٌ على المصدرِ.

وقيل: على الإغراءِ.

وقيل: على النداءِ.

والمساءُ: بدءُ الظَّلامِ بعد مغيبِ الشَّمسِ.

والعِشيُّ: آخرُ النَّهارِ عند ميلِ الشَّمسِ للمغيبِ، من عَشَى العَيْنِ، وهو نُقصانُ

نورها.

ابنُ عيسى: إنَّما خصَّ العِشيَّ والإظهارَ بالحمدِ لأنَّها أحوالٌ تُذكَّرُ بإحسانِ الله،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٤٧٤)، بلفظ: «جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة

﴿فَسَبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الفجر ﴿وَعِشِيًّا﴾ العصر ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ الظهر».

(٢) وهذا أيضاً مروى عن ابن عباس، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٠)، والطبري في «تفسيره»

(١٨ / ٤٧٤)، عن أبي رزين قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل تجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم، ﴿فَسَبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الفجر، ﴿وَعِشِيًّا﴾ العصر، ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ الظهر، قال: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾.

وذلك أن انقضاء إحصانٍ أوَّلٍ^(١) إلى إحصانٍ ثانٍ يقتضي الحمدَ عند تمامِ الأوَّلِ، من قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] ^(٢).

وقيل: لأنَّ الإنسانَ يتقلَّبُ في النَّهارِ في أحوالٍ تُوجِبُ حمدَ الله عليها، وفي اللَّيلِ على خلوةٍ تُوجِبُ تنزيهَ الله من الأسواءِ [فيها]، حكاه الماورديُّ ^(٣).

ويحتملُ معنَى آخَرَ وهو: أَنَّ التَّسْبِيحَ يَدُلُّ على رَفْعِ الصَّوْتِ، كقولِ الشَّاعرِ:

قَبَحَ الإلهُ وجوهَ تَغْلِبَ كَلِّمَا شَبَحَ الحَجِيجُ وكَبَّرُوا إهْلَالَ^(٤)

فكان اتِّصالُهُ بالصَّلواتِ التي يُجَهَّرُ فيها بالقراءةِ أحسنَ، وليس في لفظِ الحمدِ ما يدلُّ على رَفْعِ الصَّوْتِ، فكان بالظُّهرِ والعصرِ أولى^(٥)، والله أعلمُ.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سرَّه أن يُكَالَ له بالقفيزِ الأوْفى فليقلْ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]» ^(٦).

(١) ضبطت في (ف) بتنوين الجر، ووجه ذلك أن كلمة (أول) أريد بها الوصف من غير تقدير (من كذا)، فهي بمعنى: سابق. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٤/١٣٢).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/٤٢١) دون نسبة.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٤/٣٠٣)، وما بين معكوفتين منه، والظاهر أن (الأسواء) هنا جمع (السوء) فقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/١١١٢) أنه يجمع على ذلك، وانظر: «الفاثق» للزمخشري (١/٤٤٣).

(٤) البيت لجريير. انظر: «ديوانه» (١/٥٣)، و«الحماسة البصرية» (٢/٣٠٥). قال ابن حبيب شارح الديوان: «الشَّبَحُ: رفع الأيدي بالدعاء، والإهلال: رفع الصوت».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٨٩٢)، واستغربه.

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/١٣٦ - ١٣٧) من حديث أنس. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف»

(ص: ١٢٩): «في إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط».

(١٩) - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ﴾.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: الإنسان من النطفة، والدجاج من البيضة، والنخلة من النواة، والمؤمن من الكافر ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ على الضد من ذلك كله، ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها.

وقيل: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾: يكثر أهلها فيعمرونها.

﴿وَكَذَلِكَ﴾؛ أي: كإخراج الحي من الميت وإحياء الأرض ﴿نُخْرِجُوكَ﴾ من قبوركم بإخراج الله، وقد سبق بيان هذه الآية^(١).

(٢٠) - ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾؛ أي: خلقكم في أصل الإنشاء من تراب؛ لأنهم بنو آدم، وأدم خلق من تراب، وإذا كان الأصل تراباً فالفرع كذلك. وقيل: تقديره: خلق أباكم من تراب، فحذف المضاف.

﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ آدميون عقلاء ناطقون ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾: تتصرفون فيما فيه قوام معاشكم.

وقيل: هذا تقريب بين كونه تراباً وكونهم بشراً ينتشرون، وليس ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الزمان^(٢).

(١) في سورة (آل عمران) الآية [٢٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٢)، واستغربه.

(٢١) - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ قيل: المرادُ به آدمٌ وحواءُ؛ لأنها خُلِقَتْ من ضِلَعِهِ .

وقيل: أي: النساءُ خُلِقْنَ من نُطْفِ الرِّجَالِ .

وقيل: ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [النحل: ٧٢] و[الشورى: ١١]؛ أي: من بعضكم،

كقوله: ﴿ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: بعضكم بعضًا .

وقيل: من جنسكم .

وقيل: من أمثالكم .

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾: يوَدُّ الرجلُ زوجته^(١) والمرأةُ زوجها .

﴿ وَرَحْمَةً ﴾: يَعْطِفُ كُلُّ واحدٍ منهما على صاحبه .

وفي التفسير: أن المودةَ والرَّحْمَةَ بين الزَّوْجَيْنِ من الله، وأنَّ الفِرْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ،

حكاه الزَّجَّاجُ^(٢) .

وقيل: هي المصاهرةُ والمُخَاتَنَةُ .

وقيل: مودةٌ للكبيرِ ورحمةٌ على الصَّغِيرِ^(٣) .

الحسنُ: المودةُ: الجِماعُ، والرَّحْمَةُ: الولدُ^(٤) .

(١) في (ف): «زوجته» .

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ١٨٢) . الفِرْكَ: بُغْضُ أحدِ الزَّوْجَيْنِ لِلآخَرِ .

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٣)، واستغربه .

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه - التفسير» (٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣٠٩٠)، وذكره

المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٣)، وعده من العجائب .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن قوام الدنيا بوقوع التناسل فيها.

(٢٢) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ لِسَانِكُمْ وَالْوَنَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ لِسَانِكُمْ وَالْوَنَانِكُمْ﴾ ليقع التعارف والتفاهم، ويتميز الأشخاص بعضها عن^(١) بعض، وفيه قولان: أحدهما: اختلاف الألسن، وهي اللغات.

وعن وهب: إن جميع الألسنة^(٢) اثنان وسبعون لساناً؛ منها في ولدٍ سامٍ تسعة عشر لساناً، وفي ولدٍ حامٍ سبعة عشر لساناً، وفي ولدٍ يافثٍ ستة وثلاثون لساناً^(٣). والثاني: اختلاف النعمة والصوت^(٤).

وفي ﴿الْوَنَانِكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: البياض، والسواد، والأدمة، والشقرة، وغيرها.

والثاني: خلقهم جميعاً على صورةٍ واحدة، وفرق بينهم بأموارٍ لطيفةٍ من صنعه، حتى لا يلتبس أحدٌ على الناسٍ من غيره مع كثرتهم، بل يُعرف كلُّ واحدٍ بما خصَّه الله به، ولو جهد الناس أن يقفوا على ما به بان كلُّ واحدٍ من الآخر لم يقفوا على كنه ذلك، وهم كلُّهم بنو أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ.

(١) في (ف): «من».

(٢) في (ف): «الألسن».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٠٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٣)، واستغربه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾: لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَمَنْ كَسَرَ فَلَأَنَّهُمُ الْمَخْصُوصُونَ بِمَعْرِفَةِ الدَّقَاتِقِ ^(١).

(٢٣) - ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾؛ أي: خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِلنَّوْمِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ؛ فَإِنَّ النَّوْمَ قَدْ يَكُونُ بِالنَّهَارِ، وَطَلَبَ الْعَيْشِ قَدْ يَكُونُ بِاللَّيْلِ؛ أَي: خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلنَّوْمِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ جَمِيعًا، هَذَا ظَاهِرُ الْآيَةِ. وَجَمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا وَتَقْدِيرُهُ: مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ بِالنَّهَارِ اعْتِبَارًا بِسَائِرِ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، قَالُوا: وَإِنْ وَقَعَ النَّوْمُ بِالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُ الرِّزْقِ بِاللَّيْلِ فَنَادِرٌ، وَالْحَكْمُ لِلْأَغْلَبِ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ أَي: يَنْتَفِعُونَ بِسَمْعِهِمْ.

(٢٤) - ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ التَّقْدِيرَ: أَنَّ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ، فَحُذِفَ (أَنَّ)، كَمَا حَذَفَهُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ: أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعْيِ وَأَنَّ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي ^(٢)

(١) قرأ حفص بكسر اللام، على أنها جمع (عالم)، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦-٥٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

(٢) لطرفة بن العبد، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«الكتاب» (٣/٩٩). و(أحضر) يروى بالرفع =

وكذلك هو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه^(١).

والثاني: أن التقدير: ومن آياته آية يُريكم بها البرق، كما قال الشاعر:

فما الدهر إلا تارتانٍ فمنهما
أموتٌ وأخرى أبتغي العيش أكدح^(٢)
أي: فمنهما تارةٌ أموتٌ.

والثالث: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: ويُريكم البرق من آياته^(٣).

ويحتمل أن الكلام تامٌّ على قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، ثم استأنف فقال:
﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ كما تقول: فلان يعلم أشياء؛ منها الفقه، ومنها الكلام، ومنها
اللغة، ومنها...، وتسكت، تُريد: ومنها الشعرُ أو غيره، وسكوئك يدلُّ على كثرة ذلك
عنده؛ أي: فيها كثرةٌ يطول تفصيلها^(٤)، والله أعلم.

والمعنى: يُريكم البرق ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر ﴿وطمعًا﴾ للمقيم في المطر.

وقيل: طمعًا أن يكونَ مطرًا، وخوفًا أن يكونَ حُلبًا، قال الشاعر^(٥):

لا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا حُلْبًا
إِنَّ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ^(٦)

= والنصب كما قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٤٦٠).

(١) أي قرأ: (أن يريكم)، ذكرها عنه الواحدي في «البيسط» (١٨/ ٣٧).

(٢) البيت لابن مقبل في «ديوانه» (ص: ٣٨)، و«الكتاب» (٢/ ٣٤٦)، و«الحيوان» (٣/ ٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣، ٨٩٤)، واستغربه.

(٥) «الشاعر»: ليس في (ف).

(٦) البيت لأبي الأسود الدؤلي في «الشعر والشعراء» (٢/ ٧١٩)، و«الجلس الصالح» (ص: ٥٨٧).

ولأنس بن زميم الليثي في «تهذيب اللغة» (٣/ ٨٧)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ١٦٣).

والعربُ تقولُ: إذا توالَّتْ أربعونَ بَرْقَةً مَطَرَتْ^(١)، قال المُنْتَبِي:

وقد أَرَدُ المِياهَ بغيرِ هادٍ سوى عَدِّي لها بَرَقَ الغمامُ^(٢)

وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ من الصَّواعِقِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطرِ.

وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ من البَرَدِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطرِ.

ويحتملُ ﴿خَوْفًا﴾ من السَّيلِ والطُّوفانِ والغرقِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطرِ النَّافعِ.

وزهبَ الزَّجاجُ وغيره من المُحَقِّقِينَ إلى أن نَصَبَهُما على المفعولِ له^(٣)، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ من شرطِ المفعولِ له أن يكونَ فاعلُ المصدرِ فاعلُ الفعلِ النَّاصِبِ له، كما تقولُ: ضربتهُ تَأْدِيبًا له، ففاعلُ التَّأْدِيبِ هو فاعلُ الضَّرْبِ، ولا تحتمِلُ الآيةُ ذلك؛ لأنَّ الإِراءَةَ من الله، والخوفَ والطَّمَعِ من المُخاطَبِينَ، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: تقديرُه: إخافةٌ وإطماعًا؛ كما جاء: فعلتهُ رَغْمًا للشَّيطانِ؛ أي: إرغامًا له.

ولو جُعِلَ (خَوْفًا) و(طَمَعًا) مصدرين واقعين موقعَ الحالِ كقولِه: ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا﴾ [البقرة: ٢٦٠] لم يَمْتَنِعْ، والله أعلم.

﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: مطرًا ﴿فِيحْيِي بِهِ﴾: بالمطرِ ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٨٩٤)، و«تفسير السمعاني» (٤/ ٢٠٥)، وفي «شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٣٢٠): «ذكر ابن الأعرابي في «النوادر»: أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين بركةً، فإذا كملت السبعون وثقوا بأنه برق ماطر، فرحلوا يطلبون موقع الغيث».

(٢) انظر: «ديوان المتنبي» (٤/ ٢٧٣). وعده برق الغمام: إشارة إلى ما كانت العرب تفعله. انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٢).

(٢٥) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ثُمَّ عَادَ إِلَى عَدِّ الْآيَاتِ؛ أَي: مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ ثَبَاتُهُمَا قَائِمِينَ بِلَا عَمَدٍ بِأَمْرِهِ لِهَمَا بِالْقِيَامِ.

وقيل: بفعله، وَذَكَرَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ لِلْمُبَالَغَةِ.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ قِيلَ: هِيَ النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ، وَالِدَّاعِي إِسْرَافِيلُ.

وقيل: ﴿دَعَاكُمْ﴾ تَوَسَّعٌ؛ إِذْ لَيْسَ خُرُوجُهُمْ بِفَعْلِهِمْ فَيُدْعَوْنَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فَعْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الدُّعَاءِ تَوَسُّعًا، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ يُحْيِيهِمْ بِهَذَا الدُّعَاءِ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: حَالٌ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ؛ أَي: دَعَاكُمْ وَأَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ.

وقيل: دَعْوَةٌ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَكُونُ صِفَةً لِلدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَهَا مِنَ الْأَرْضِ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مِنْ قُبُورِكُمْ^(١).

والأكثرُ على أَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالخُرُوجِ، تَقْدِيرُهُ: إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ، وَزَيْفَهُ

المُبَرَّدُ وقال: ما بعدَ (إِذَا) لا يَعْمَلُ فِيما قبلَهُ^(٢).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ١٤٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٤)، واستغربه، قال: «الغريب: ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه متصل بقوله: ﴿تَخْرُجُونَ﴾؛ أَي: إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ، وَهَذَا مَمْتَنَعٌ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَ (إِذَا) لا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ».

(٢٦) - ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَانُونَ﴾.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَانُونَ﴾؛ أي: ومن آياته أن كلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ ﴿قَانُونَ﴾ مُنْقَادُونَ، وعن النَّبِيِّ ﷺ: «مُطِيعُونَ»^(١)، فتكون طاعة إرادة لا طاعة عبادة؛ أي: خلقهم على ما أَرَادَ.

وقيل: قائمون في القيامة.

وقيل: مُقَرَّبُونَ بِالْعِبَادَةِ.

وقيل: مُصَلُّونَ، فيكون المراد به: المؤمنون.

(٢٧) - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ أي: يُنْشِئُهُمْ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ لِلْبَعْثِ ﴿وَهُوَ﴾؛

أي: الإعادة ﴿أَهْوَبُ﴾ أسهل، وقيل: أيسر. وقيل: أسرع.

﴿عَلَيْهِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الخلق؛ لأنَّه بمعنى المخلوق؛ أي: لا يحتاجُ إلى

تربيةٍ ورضاعٍ وتغيُّرٍ من حالٍ إلى حالٍ.

وقيل: إلى الميِّتِ، وهو القولُ الأوَّلُ.

وقيل: يعودُ إلى الله و﴿أَهْوَبُ﴾ بمعنى: هَيِّنٌ، كقولهِ: ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:

٢٤]، و: اللهُ أَكْبَرُ.

وقيل: ﴿أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ عندكم؛ لأنَّ الإعادةَ عندكم أسهلُّ من الإنشاءِ.

(١) لم أفق عليه مرفوعاً، وقد ذكر المصنف هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَانُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، ولم يذكره عن النبي ﷺ.

وقيل: ﴿أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ مما تتوهمون.

وقيل: ﴿أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ مثلاً.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: مُتَّصِلٌ بما قبله على ما ذكرتُ.

والثاني: مُتَّصِلٌ بما بعده من قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

والثالث: المثل: الوصف؛ أي: وله الوصف الأرفع؛ ليس كمثله شيء^(١).

وقيل: هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل: الإحياء والإماتة وسائر أوصافه التي لا يُشارِكُه فيها أحدٌ.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(٢٨) - ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ

فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ عن حمزة بن حبيب الزيات: أن العرب كانت

تقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك،

فأنزل الله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾^(٢)؛ أي: ضرب الله لكم معاشر المشركين ﴿مَثَلًا مِّنْ

أَنفُسِكُمْ﴾ لذاته ولما جعلتم شريكاً له، سبحانه يُقَرِّبُ الأمر في فهم ذلك عليكم

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٨٨/١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٩١٠)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٢٣٣):

«رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حماد بن شعيب، وهو ضعيف».

وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/٤١٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/١٠) دون نسبة.

﴿هَلْ لَكُمْ﴾ معاشرَ الأحرارِ ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: عبيدكم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ ﴿فَأَنْتُمْ﴾ معاشرَ الأحرارِ والعبيدِ ﴿فِيهِ﴾: في ذلك الرِّزْقِ ﴿سَوَاءٌ﴾: شَرَعٌ^(١) يحكُمُ مَمَالِيكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ كَحُكْمِكُمْ، وَيَتَصَرَّفُونَ فِيهَا تَصَرُّفَكُمْ ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: تخافونَ معاشرَ السَّادَةِ عبيدكم فيها، فلا تُمضونَ فيها حكماً دونَ إذنيهم خوفاً من لائمةٍ تلحقكم من جهتهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: كما يخافُ بعضُ الأحرارِ بعضاً فيما هو مشتركٌ بينهم.

وقيل: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يرثوكم بعد موتكم.

أي: فلا ترضوا لي ما لا ترضون به لأنفسكم.

وقيل: معناه: هل يرضى أحدكم أن يكونَ عبده شريكه في ماله وولده حتى يكونَ هو ومملوكه في ذلك سواءً يخافه كما يخافُ غيره من شريكٍ لو كان^(٢)؟
﴿كَذَلِكَ نَفِّصِلُ الْآيَاتِ﴾: نُبَيِّنُ كَمَا بَيَّنَّتْ هَذَا الْمَثَلُ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتدبرون في ضربِ الأمثالِ.

(٢٩) - ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ

مِنْ نَصِيرِينَ﴾.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: ما تميلُ إليه أنفُسُهُمْ ﴿بِغَيْرِ

عِلْمٍ﴾ أتاَهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَلَا مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِصَوَابِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، بَلِ تَقْلِيدٌ وَإِلْفٌ.

(١) قوله: «شَرَعٌ»؛ أي: سواءً، وهو بفتح أوله وثانيه، وقيل: يحرك ثانية ويسكن والفتح أعلى، ويستوي فيه الواحد والثنية والجمع لكونه مصدرًا. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٣٠)، و«أدب

الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٣٢١)، و«حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج ١/ ١٣١٣).

(٢) وظاهر هذا القول أنه كالأول وتلخيص له.

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: فلا يقدرُ أحدٌ على أن يهديهم؛ لإضلالِ الله إياهم،
﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرِينَ﴾: ناصرٌ يمنعهم؛ لا من الأصنام التي عبدوها، ولا من غيرها.

(٣٠) - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ أي: أقبل.

وقيل: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾: أقمِ قصدك. وقيل: دينك. وقيل: عملك.
الخطابُ للنبي ﷺ والمرادُ به هو وأُمَّته؛ كقوله: ﴿بِأَيِّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾
[الطلاق: ١]، بدليلِ قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾.

﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ حالٌ لـ (الدين)؛ أي: للدين الحنيفيِّ.
وقيل: حالٌ من المُخاطبِ، والمعنى: مائلاً عن الأديانِ.
وقيل: مُستقيماً، وقد سبق.

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: دينَ الله الذي فطرَ عليه الخلق؛ لأنَّ الله
خلقَ المُكَلَّفِينَ العُقلاءَ خَلْقَةً مَتَى خُلُّوا وَإِيَّاهَا أَدَّتْهُمْ إِلَى الإِقْرَارِ بِصَانِعِ وَاحِدٍ قَدِيرٍ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ.

وقيل: هي من قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].
والفِطْرَةُ: المِلَّةُ، والفِطْرَةُ: العهدُ الذي أُخِذَ عَلَى آدَمَ، ومنه: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ
عَلَى الفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبُوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ^(١) يَهُودَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ»^(٢).

(١) في (ف): «اللذين».

(٢) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّهَا﴾: خلقهم على ذلك في الابتداء.

وقيل: ﴿عَلَيَّهَا﴾ بمعنى: لها، واللَّامُ و(على) يتقاربان في مواضع^(١): بعثك لهذا وعلى هذا.

و﴿فَطَرَتْ﴾ نصبٌ على المصدرِ، ويدلُّ على فعله ما قبله وما بعده.

وقيل: نصبٌ على الإغراء؛ أي: الزموا واتبعوا فطرة الله.

﴿لَا تُبَدِّلْ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾؛ أي: لا تُبدِّلوا دينَ الله، فهو نهْيٌ.

وقيل: لا يقدرُ أحدٌ أن يُغيِّرَ هذه الخِلقةَ.

وقيل: لا تبديلَ لخلقِ الله للناسِ للدينِ المستقيمِ.

وقيل: ﴿لَا تُبَدِّلْ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾؛ أي: لا يقدرُ أحدٌ أن يخلقَ كخلقِ الله.

وقيل: هو نهْيٌ عن الخِصاءِ، والوجاءِ، وبتكِ الأذانِ.

أبو بكرِ الورَّاقُ: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ﴾: الفقرَ والفاقةَ، ولا تبديلَ لذلك^(٢).

﴿ذَلِكَ أَلَيْسَ أَلَيْسَ﴾: إشارةٌ إلى الإسلامِ، و﴿أَلَيْسَ﴾: المُستقيمُ.

وقيل: القضاءُ المُستقيمُ.

وقيل: ﴿ذَلِكَ أَلَيْسَ﴾: الحسابُ، حكاه الماوردي^(٣)، وهو بعيدٌ في هذه الآية.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتفكرون، فيعلمون^(٤) أنَّ لهم خالقاً مُدبراً.

(١) في (ن): «المواضع». وانظر: «الجنى الداني» للمراي (ص: ٤٨٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ١٥٦).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢ / ٨٩٤)، وفيه: ذلك الحساب البين، ونسبه لمقاتل بن حيان والذي قبله.

لابن عباس.

(٤) في (ن): «فيعلموا».

(٣١) - ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .
 ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه، مُشْتَقٌّ من نابَ ينوبُ؛ إذا رجعَ مرَّةً بعد أُخْرَى،
 ومنه: التَّوبَةُ^(١).

ابن عيسى: مُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ، مِنَ النَّابِ؛ لِأَنَّهُ قَاطِعٌ.
 وهو نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ كما سَبَقَ، أَوْ مِنَ الْمُقَدَّرِ فِي:
 ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾، وهو: الزَّمُوا وَاتَّبِعُوا، أَوْ مِمَّا بَعْدَهُ، وهو ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ .
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أَدْوَاهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى شَرَائِطِهَا، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ .

(٣٢) - ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ .
 ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدلٌ ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .
 وقيل: متَّصِلٌ بما بَعْدَهُ؛ أَي: كُلُّ حِزْبٍ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا^(٢).
 وقيل: تَقْدِيرُهُ: مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا، وَالْوَاوُ مُقَدَّرٌ^(٣).
 ومعنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: أَوْقَعُوا فِيهِ الْاِخْتِلَافَ؛ فَصَارَ بَعْضُهُمْ يَعْبُدُ صَنَمًا،
 وَبَعْضُهُمْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَبَعْضُهُمْ يَعْبُدُ غَيْرَهُمَا^(٤).
 وقيل: هم اليهود والنصارى.

(١) في (ن): «التوبة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٥)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «وبعضهم غيرها».

وجاء مرفوعاً: أَنَّهُمُ الْخَوَارِجُ^(١).

وقيل: هم أهل البدع.

ومعنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: تركوا دينهم الذي وجبَ عليهم العملُ به.

﴿وَكَانُوا شِيعَةً﴾: جماعاتٍ مُختلفين.

وأصلُ الشَّيعةِ: المُعاونةُ، تقولُ: شَيَّعَ نَارَكَ؛ أي: ضَعَّ عليها حطباً دِقاقاً تحثُّ الحطبَ الغِلاظَ.

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: جماعةٍ ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مُعَجَّبُونَ مسرورونَ يظنونَ أَنَّهُمُ على الحقِّ.

وقيل: ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ من الذين فرَّقوا دينهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كما ذكرتُ.

(٣٣) - ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَاؤُهُمْ مُنِيْبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ

بِرِّيْبِهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾: المُشركينَ ﴿ضُرٌّ﴾: سوءٌ، ﴿دَعَاؤُهُمْ مُنِيْبِينَ إِلَيْهِ﴾: تائبين

مُقبِلين بالدُّعاءِ إليه، وتركوا الأصنامَ لعلمهم أَنَّهُ لا فَرجَ عندها.

﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾: عافيةً من الضَّرِّ النَّازلِ بهم، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾؛ أي:

وجدتَ فريقاً منهم ﴿بِرِّيْبِهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في العبادة.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٢٩/٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٤٣)، من

حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعاً، وذكره ابن كثير عند تفسير الآية (١٥٩) من سورة

الأنعام عن أبي أمامة موقوفاً ثم قال: «وروي عنه مرفوعاً ولا يصح».

قلت: الموقوف رواه عن أبي أمامة عبدُ بن حميد وأبو الشيخ وابن مردويه لكن بلفظ: «هم الحرورية».

انظر: «الدر المشثور» (٤٠٢/٣). والحرورية من ألقاب الخوارج، كما في «مقالات الإسلاميين»

(١١١/١)، سموا بذلك لانحيازهم إلى حروراء، وهي قرية قريبة من الكوفة.

وقيل: ﴿النَّاسَ﴾ عامٌّ في المؤمنين والمشركين، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ هم المشركون.

(٣٤) - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: يفعلون ذلك ليكونوا كفارًا؛ أي: أَدَّى الأوَّل إلى

الثاني.

وقيل: اللَّامُ لِامُ التَّهْدِيدِ في صيغة الأمر.

وقيل: لِامُ العاقبة.

ثمَّ خاطبهم فقال: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾؛ أي: بكُفْرِكُمْ قليلاً، أمرٌ وعيدٌ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرِكُمْ.

وقيل: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ ماضٍ، وهذا فيمَن قرأ: (يعلمون) بالياء^(١) أحسن^(٢)، وهو

شاذٌّ^(٣).

(٣٥) - ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا﴾؛ أي: أنزلنا ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: رسولا، وقيل: برهانًا، وقيل: كتابًا.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: يوضِّحُ عُذْرَهُمْ؛ فَمَنْ حَمَلَهُ على (رسول)

فالتكلمُ ظاهرٌ لا كلامَ فيه، وَمَنْ حَمَلَهُ على (الكتابِ) فهو كقولنا: ﴿كُتِبْنَا يَنْطِقُ﴾

[الجائية: ٢٩]، وَمَنْ حَمَلَهُ على البرهانِ فكأنه قال: سلطانًا يتسلطون به على تصويبِ

ما ذهبوا إليه، فيكونُ التَّكَلُّمُ مجازًا كقولِ الشَّاعِرِ:

(١) نسبت هذه القراءة لأبي العالية. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١١٧).

(٢) في (ن): «وذلك أحسن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٥)، واستغربه.

وَعَظَّتْكَ أَجْدَاكَ صُمْتُ وَنَعَتَكَ أَرْمَنَةً خُفْتُ
وَأَرْتَكَ قَبْرَكَ فِي الْقُبُورِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ^(١)

(٣٦) - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَيْئَةً بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾؛ أي: المُشْرِكِينَ ﴿رَحْمَةً﴾: نِعْمَةً ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: بَطَرُوا بِسَبِيحِهَا، ﴿وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَيْئَةً﴾: شِدَّةٌ ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾: بِشُؤْمِ عَمَلِهِمْ ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: يِيَأْسُونَ؛ أي: يبطرون عند النعمة وييأسون عند الشدة، ولا يشكرون في الأولى، ولا يحتسبون في الثانية؛ فعل المؤمنين.

وقيل: النَّاسُ: أهل مَكَّةَ، والرَّحْمَةُ: المَطَرُ والخِصْبُ، والسَّيِّئَةُ: الجَدْبُ والقَحْطُ، وهذا من الفرح المذموم، من قوله: ﴿لَا تَفْرَحَنَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. و﴿إِذَا﴾ جوابُ الشرطِ كالفاء^(٢).

(٣٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: كلاهما من الله، فلا يجب أن يستبعد منه أحدهما عقيب الآخر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) انظر: «ديوان أبي العتاهية» (ص: ٩٢)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٣)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي (ص: ٣٢٠).

(٣٨) - ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ خَاطَبَ مَنْ بَسَطَ عَلَيْهِ الرِّزْقَ بِأَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ مِنَ الْمَالِ وَصَرَفَهُ إِلَى مَنْ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي رَحْمٍ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَجِبُ عَلَيْكَ نَفَقَتُهُ .

وقيل: هو الذي يجبُ عليك نفقته إذا كان فقيراً، ولهذا قال: ﴿ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ بِالْمُؤَاسَاةِ، وَالْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ .

وقيل: الخطابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَذُو الْقُرْبَى: بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ؛ يُعْطَوْنَ حُقُوقَهُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالْفِيءِ .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾؛ أَي: إِتْيَاءَ حَقُوقِهِمْ ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ مِنَ الْبَخْلِ .

وقيل: خَيْرٌ لَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ؛ يُضَاعَفُ لَهُمْ أَضْعَافًا .

وقيل: خَيْرٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ إِخْرَاجَ الزَّكَاةِ يَزِيدُ فِي الْمَالِ .

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾: الْبَاقُونَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

(٣٩) - ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ الْيَتِيمِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيحُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّكُوعٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ .

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ الْيَتِيمِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾؛ أَي: إِذَا أُعْطِيتُمْ طَلِبًا لِلْمُكَافَاةِ

وَالِاسْتِكْثَارِ ﴿ فَلَا يَرِيحُوا عِنْدَ اللَّهِ ﴾: لَا يَزْدَادُ وَلَا يُضَاعَفُ لَكُمْ ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ .

ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُمَا رِبَوَانِ: حَلَالٌ وَحَرَامٌ، فَمَا تَعَايَيْتُمْ بَيْنَكُمْ

حلال^(١)، وهو ما نُهيَ عنه النَّبِيُّ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في قوله: ﴿وَلَا تَمْنُنَ تَسْتَكْبِرُ﴾ [المدثر: ٦]؛ لَأَنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وقيل: هو أن تُعْطِيَ مَنْ خَدَمَكَ شَيْئًا مِنْ رِيحِ مَالِكَ^(٢) جِزَاءً مِنْ خِدْمَتِهِ.

وقيل: هو الرِّبَا الحَرَامُ.

وقوله: ﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: في حِكْمِهِ، بل يَمْحَقُهُ وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهُ.

﴿وَمَاءَ الْيَثْمِ مِنْ ذَكَوْرٍ﴾ قيل: هي المَفْرُوضَةُ.

ابنُ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: الصَّدَقَةُ^(٣).

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: ثَوَابِهِ، وقيل: طَاعَتِهِ.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾: الَّذِينَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الثَّوَابُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ

مُوسِرٌ: صَاحِبُ يَسَارٍ، وَرَجُلٌ مُقْوٍ: صَاحِبُ قُوَّةٍ.

الْفَرَاءُ: هُمُ أَصْحَابُ الْمُضَاعَفَةِ، كَمَا تَقُولُ: هُوَ مُسْمِنٌ؛ أَي: صَاحِبُ إِبِلٍ سِمَانٍ،

وَمُعْطِشٌ: صَاحِبُ إِبِلٍ عَطِشٍ^(٤).

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١٦)، وروى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما

الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٧-٥٠٨) قال: «﴿وَمَاءَ الْيَثْمِ مِنْ رَبِّ الْيَثْمِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ

اللَّهِ﴾: هي الهبة، يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه، فذلك الذي لا يربو عند الله؛ لا

يؤجر فيه صاحبه، ولا إثم عليه، ﴿﴿وَمَاءَ الْيَثْمِ مِنْ ذَكَوْرٍ﴾ قال: هي الصدقة ﴿﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾».

(٢) في (ن): «ريح لك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٧-٥٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩٢)، وقد تقدم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٥).

وقيل: ﴿الْمُضْعِفُونَ﴾ يعني: الْمُضْعِفُونَ؛ أي: ضَعَفُوا ثوابهم وجعلوه أضعافاً مُضْعَفَةً بإخراج الزكاة والصَّدَقَةِ، وهذا أظهر؛ لأنَّ (أَضَعَفَ) يأتي على وجهين: أحدهما: (أَضَعَفَ): صار أصحابه ضَعَفَاءَ، وهذا لا وجه له في الآية. والثاني: (أَضَعَفَ) بمعنى: ضَعَّفَ وضاعَفَ؛ أي: جعل الشيء مثليه أو أمثاله. و﴿مَا﴾ فيهما يصلح أن تكون شرطاً، ويصلح أن تكون موصولة؛ فإن جعلته للشرط فمحلُّه نصبٌ، وإن جعلته للموصول فمحلُّه رفعٌ، والضَّميرُ العائدُ محذوفٌ. وعدَلَّ عن الخطابِ فقال: ﴿فَأُولَئِكَ﴾، ولم يقل: فأنتم؛ ليكون أعمَّ؛ أي: من فعل هذا فسيبُّه سبيلُ المُخاطَبين.

(٤٠) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: هو الخالقُ وحده، والرَّازِقُ وحده، والمُمِيتُ وحده، والمُحْيِي وحده.

﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾؛ أي: أصنامكم التي زعمتم أنهم شركاءُ الله.

﴿مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ، وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ﴾ مِنْ شَيْءٍ؛ أي: شيئاً، و﴿مِنْ﴾ صلةٌ.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾: تبرأ وارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن أن يكون له شريك.

وقيل: نزَّهوه عن ذلك.

(٤١) - ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾: القتل، وقطع الطريق، والجذب، والقحط ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾؛ أي: في جميع الأرض، كما تقول: هو معروف في البر والبحر؛ أي: في الدنيا.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ من الشرك والكفر والعصيان.

المؤرَّج: البر: الفيافي، والبحر: الأمصار^(١).

الزجاج: كل بلد ذي ماء جارٍ فهو بحر^(٢).

وقيل: البر: البادية، والبحر: القرى.

وقيل: البر: ظهر الأرض، والبحر: هو المعروف.

وقيل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾: هو قتل قابيل أخاه هابيل ﴿وَالْبَحْرِ﴾: غضب

السفينة، من قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ١٧٩].

وقيل: ظهر القحط في البر والبحر؛ لأن المطر إذا قل في الأرض قل النبات، وإذا قل في البحر قل اللؤلؤ والجوهر.

وقيل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾؛ أي: جزاء الفساد، وهو العذاب ﴿فِي الْبَرِّ﴾: أهل العمدة

كعاد، ﴿وَالْبَحْرِ﴾: أهل القرى المهلكة.

وقيل: البر: القرى، والبحر: الجزائر.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، وقد ذكر نحوه عن عكرمة وقتادة. انظر: «النكت

والعيون» (٤/ ٣١٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٨)، وفيه: «أي: في مدن البحر؛ أي: في المدن التي على

الأنهار، وكل ذي ماء فهو بحر».

وقيل: البرُّ: النَّفْسُ، والبحرُّ: القلبُ.

وقيل: البرُّ: اللِّسَانُ، والبحرُّ: القلبُ، حكاهما الماورديُّ واستبعدَهُما^(١).

﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: ليدوقوا العقوبةَ على ذلك فينزعجوا ويتعظوا فيرجعوا^(٢) ويتوبوا، وإنما قال: ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ لأنه كان في الدنيا، وتماؤه مُعدٌّ لهم في الأخرى.

(٤٢) - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمدٌ لمُشركي قريشٍ: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلَ﴾ فإنكم سترون تلك الآثار، وتعرفوا أحوالهم، واحذروا أن يحلَّ بكم مثل ما حلَّ بهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾.

(٤٣) - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلَ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِن اللَّهِ يَوْمَئِذٍ

يَصَّدَعُونَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: أقمِ قصدك واجعله جهتك.

وقيل: استقم عليه واعمل به.

وقيل: وجهٌ وجهك نحوه.

﴿مِن قَبْلَ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ يعني: القيامةَ ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ، مِن اللَّهِ﴾؛ أي: لا يردُّه الله.

(١) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٣١٨)، و«عدهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦) من العجائب.

(٢) «فيرجعوا» من (ف).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديره: يومٌ من الله لا مردَّ له.
﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ﴾: يتفرَّقون، وأصله من الصَّدَع وهو الشَّقُّ؛ أي: فريقٌ في
الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعيرِ، ويحتملُ: يتفرَّقون كالفرَّاشِ المبتوثِ.

(٤٤) - ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ. وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.
﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: جزاءُ كفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾:
يُوطَّئُونَ لأنفسِهِمْ في الآخرةِ قرارًا في الجنَّةِ ومسكنًا.
وقيل: فلا نفْسِهِمْ يُسَوِّونَ المضاجعَ في القبورِ على ما يأمَنون به من عذابِ الله
فيها، وأصلُ المهدِ: إصلاحُ المضجعِ، ثم صيِّرَ لإصلاحِ الأمورِ.

(٤٥) - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.
﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قيل: اللامُ متَّصِلٌ بقوله: ﴿يَصَّدَعُونَ﴾.
﴿مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾؛ أي: فضلًا من فضله، وقيل: ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباءِ؛ أي: بفضلِهِ.
﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فيشوبهم بالمؤمنين، بل يُفَرِّقُ بينهم.

(٤٦) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ۗ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ۗ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ۗ﴾؛ أي: من آياتِ قدرته ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالمطرِ تتقدَّمه
وتُطْمَعُ فيه.

وقيل: تُبَشِّرُ بصحَّةِ الأبدانِ وخِصْبِ الزَّمانِ.

وكل ما في القرآن من الرِّيحِ بلفظ الجمع فهو الرَّحْمَةُ، وأجمعوا على الجمع في هذه الواحدة؛ لقوله: ﴿مَبْشَرَتٍ﴾ إلا شاذاً^(١).

﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: ليرزقكم خصباً وسعةً.

وقيل: ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: من البرد والطيب.

وتقديره: ليشركم وليذيقكم، وقيل: وليذيقكم مُرْسَلَهَا^(٢). وقيل: الواو زيادةٌ.

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ في البحار ﴿بِأَمْرِهِ﴾: بالرياح التي تسيّر بها السفن، والرياح بأمر الله، فهي جاريةٌ بأمره.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: لتطلبوا الرِّيحَ في التَّجَارَةِ^(٣) في البحر.

وقيل: بالذهاب إلى الجهاد في البحر.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: واصل لكم نعمه لتشكروه.

والرِّيحُ: جسمٌ رقيقٌ يجري في الجوِّ.

وقيل: هواءٌ متحركٌ.

وقيل: تموجُ الهواءِ بتأثير الكواكب، وهذا من كلام الأوائل.

(٤٧) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا^ط

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا﴾؛ أي:

(١) فالواو استثناء فيه على هذا.

(٢) حكي عن طلحة أنه مفرد. انظر: «الكامل» للشكري (ص: ٤٩٤).

(٣) في (ف): «الريح والتجارة».

فَكَفَرَ بِهِمْ قَوْمٌ وَأَمَنَ بِهِمْ قَوْمٌ، فَأَهْلَكْنَا الْكَفَّارَ وَنَصَرْنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ﴾.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: تقديره: وكان الانتقام حقا.

وقيل: وكان نصر المؤمنين حقا.

وفي الآية تسلية للنبي ﷺ، وبشارة للمؤمنين؛ فَإِنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ.

(٤٨) - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ إِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: فتُهيج الرياح السحاب من حيث أراد الله،

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾: فيسط الله السحاب ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: في الهواء ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مسيرة يوم

أو أيام، من ناحية الجنوب، أو ناحية الشمال، أو ناحية الدبور، أو ناحية الصبا.

﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾: قطعاً يركب بعضه بعضاً.

والكسفة: القطعة من السحاب تغطي ما فوقها، من (كسفت الشمس).

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فتثير سحاباً ويجعله كسفاً فيسطه في السماء.

الصَّحَّاكُ: يجعله كسفاً في سماءٍ دون سماءٍ^(١).

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر.

وقيل: البرق، وهو غريب^(٢).

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٤)

بلفظ: «كسفاً من السماء: جانباً من السماء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، وعده من العجائب، وقد تقدم في سورة (النور).

﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ﴾: وسطه.

﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾: بالمطر ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لمجيء الخصب وزوال القحط.

(٤٩) - ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِيتٍ﴾.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ الْمَطْرُ﴾: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾.

الأخفش: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ تأكيد؛ كقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] (١).

قطرب: من قبل الإنزال من قبل المطر. وحكماهما الزجاج أيضا (٢).

المبرد: الثاني للسحاب؛ لأنهم لما رأوا السحاب كانوا راجين المطر (٣).

ابن عيسى: من قبل الإرسال (٤).

صاحب «النظم»: من قبل النبات، قال: ولم يتقدم ذكره، وكذلك:

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا﴾ [الروم: ٥١]؛ أي: النبات؛ لأن المطر يدل عليه (٥)، وهذا قول

جميع المفسرين.

وكنت سئلت عن هذه الآية فاستخرجت لها عشرة أوجه سوى ما حكيت

عن الأئمة، منها: أن الهاء يعود إلى الاستبشار، وتقديره: من قبل الإنزال من قبل

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٧٦).

(٢) أي: قول الأخفش وقطرب منسويين إليهما. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٩).

(٣) في (ف): «للمطر».

(٤) هذا القول وقول المبرد الذي قبله ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، وأبو حيان في

«البحر المحيط» (٨/ ٤٠٠).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، واستغربه.

الاستبشار؛ لأنه قرنه بالإبلاس، ولأنه من عليهم بالمطر وبالاستبشار^(١)، والله أعلم.
وأضربت عن إيراد التسعة الباقية لأن في الاستبشار مقنعا ومعنى^(٢).
﴿لَمَلْسَيْنِ﴾: آيسين، وقيل: ساكتين مُنْقَطِعِينَ.

(٥٠) - ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيٍ
الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات والأشجار وأنواع الثمار
﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد أن صارت ترابا لا نبات بها ولا ثمار.
﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ﴾؛ أي: إن ذلك الذي قدير على إحياء الأرض بعد موتها
قادر على إحياء الموتى بعد موتهم.
﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإمامة والإحياء ﴿قَدِيرٌ﴾: قادر بذاته.

(٥١) - ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.
﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾؛ أي: الزرع بعد اخضراره فخافوا هلاكه،
والمطر وإحياء الأرض دليلان على النبات والزرع، فصار كتقدم الذكر.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٦)، واستغربه، وقال: «وهذا الوجه أحسن ما قيل في

الآية»، ونقله أبو حيان في «البحر المحيط» (٨ / ٤٠٠) عن المصنف.

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٦، ٨٩٧): «العجيب: يحتمل أن يحمل على الإرسال

وعلى الرياح وعلى الإثابة وعلى السحاب وعلى البسط وعلى الكشف، وكذلك ما بعده».

وقيل: يعودُ إلى ﴿ءَاثَرَ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾؛ لأنه النَّبَاتُ^(١).

وقيل: يعودُ إلى السَّحَابِ؛ لأنَّ السَّحَابَ الأصْفَرَ لا يُمَطَّرُ^(٢).

﴿لَطَلُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعدَ الاستبشارِ ﴿يَكْفُرُونَ﴾، اللَّفْظُ للماضي والمعنى الاستقبالُ؛ لأنه جوابُ الشَّرْطِ، واللَّامُ جوابُ القسمِ، ودلَّ على القسمِ لامُ توطئةِ القسمِ في ﴿لَئِنْ﴾، والمعنى: إنَّهم كانوا إذا استبطؤوا الرِّزْقَ جحدوا نِعَمَ الله. وقيل: إذا استبطؤوا الرِّزْقَ سألوا الله المطرَ، فإن حُسِبَ عنهم كفروا.

(٥٢) - ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾؛ أي: هؤلاء في حُكْمِ الموتى، فلا تَطْمَعُ في قَبُولِهِمْ

منك.

﴿وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: هم لا يَنْتَفِعُونَ بما يسمعون، فهم صُمٌّ، وإنَّما قال: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ والأصمُّ لا يسمعُ مُقْبِلًا ولا مُدْبِرًا؛ لأنه حالةُ الإقبالِ يَفْهَمُ بالرَّمْزِ وبالإشارة، فإذا وَلَّى فلا يسمعُ ولا يَفْهَمُ بالإشارة^(٣). وقيل: إذا وَلَّى هؤلاء مُدْبِرِينَ.

(٥٣) - ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ سَمِعُ الْإِمْنَ يُؤْمِنُ بِتَيْنَانَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾؛ أي: هم في حُكْمِ الْعُمَى في قلةِ الانتفاعِ بالمرثيات.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «الإشارة».

وقيل: أرادَ بالعميِّ: عميِّ القلوبِ؛ أي: لا يُمكنُك أن تهدي الأعمى إلى طريقٍ قد ضلَّ عنه ليسلكَ بإشارةٍ منك له إليه مع ذهابِ بصرِه.

﴿إِنْ تُسْمِعْ﴾؛ أي: ما تسمعُ مواظبَ القرآنِ ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: المؤمنين ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: خاضعون لله بالطاعة.

(٥٤) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: خلقكم من النطفِ؛ أي: حالِ ضعفيِّ. قتادة: ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾: من نطفة^(١).

وقيل: خلقكم وأنتم ضعفاءٌ في أوَّلِ خلقه إياكم.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ حالِ الشَّبابِ وبلوغِ الأشدِّ.

وقيل: حينَ ركبَ فيه الرُّوحَ لتمامِ خلقه؛ فإنَّ ذلكَ بالإضافةِ إلى كونه نطفةً حالِ قوَّة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ وهي حالُ الهرمِ يصيرُ الإنسانُ فيه إلى مثلِ ما كانَ عليه في حالِ طفولته^(٢).

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: من صِغَرٍ وكِبَرٍ، وِضَعْفٍ وقوَّةٍ، وشبابٍ وشَيْبٍ، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم ﴿الْقَدِيرُ﴾ على تغييرها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/٣٠٩٤).

(٢) في (ن): «الطفولية».

(٥٥) - ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استَقَلُّوا مَدَّةَ الدُّنْيَا لَمَّا عَايَنُوا الآخِرَةَ؛ أي: يحلفُ المُشْرِكُونَ المُنْكَرُونَ للبعثِ إِذَا بُعِثُوا يَوْمَ القِيَامَةِ: إِنَّهُمْ مَا لَبِثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَاعَةً.

وقيل: مَا لَبِثُوا فِي قُبُورِهِمْ، وَذَلِكَ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يُصْرَفُونَ عَنِ الصِّدْقِ إِلَى الكَذِبِ، فَكَانُوا يَحْلِفُونَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

وقيل: كَانُوا يُكْذِبُونَ بِالقِيَامَةِ.

وقيل: إِنَّمَا أَقْسَمُوا لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ كَذَلِكَ، وَلَا يَجْرِي فِي القِيَامَةِ كَذِبٌ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ^(١).

(٥٦) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَئِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَقِيلَ: المَلَائِكَةُ.

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: حَكَمَ اللهُ.

وقيل: عِلْمِهِ.

وقيل: اللُّوحُ المَحْفُوظُ.

(١) قال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/١٩٠): «وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز

أن فيها كذب لما هم فيه، والقرآن يدل على غير ذلك».

وقيل: فيما كتَبَ اللهُ لكم في سابقِ علمِهِ.

وقيل: في القرآن، وهو قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] (١).

قتادة: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: أوتوا العلمَ في كتابِ اللهِ والإيمانَ: لقد لبثتم (٢).

﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قالوا لهم توبيخاً.

وقيل: ولكنكم كُنتُمْ لا تعلمون هذه، فحلفتُمْ على جهلٍ.

وقيل: ولكنكم كُنتُمْ لا تعلمون أَنَّهُ يكونُ وأنكم مبعوثونَ، فكُنتُمْ به تُكذِّبونَ.

(٥٧) - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ﴾ ثم اعتذروا وسألوا الرجعة إلى الدنيا

لاستدراكِ الفائتِ فلا يُجابون، وهو قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي: لا يُدعون

إلى التَّوبَةِ.

النَّقَاشُ: لا يُعَاتَبُونَ على سيئاتِهِمْ (٣).

وقيل: لا يُسْتَتَابُونَ.

وقيل: لا يُطَلَّبُ منهم العُتْبَى.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، واستغربه.

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٦٧)، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت

والعيون» (٤/ ٣٢٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، وعده من العجائب.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٢٧) بلفظ مغاير، ولعله وهم أو خطأ من الناسخ.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٤).

(٥٨) - ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يُنبِّهُهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَعَلَى صَدَقِ الرَّسُولِ.

﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾: إِنْ جِئْتَ هَؤُلَاءِ الْمُعَانِدِينَ بِمُعْجِزَةٍ أَوْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَثَلٌ، ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ وَالْمُسْلِمِينَ^(١): ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ﴾: مَا أَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ، بَلْ أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ.

(٥٩) - ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أَي: كَمَا طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ وَخَتَمَ عَلَيْهَا جِزَاءً لِكُذِّبِهِمْ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ وَلَا تَمْيِيزَ. وَقِيلَ: هَذَا فِيمَنْ أَخْبَرَ أَنََّّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

(٦٠) - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ عَلَى أَذَاهُمْ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ إِيَّاكَ بِالنَّصْرِ ﴿حَقٌّ﴾: كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾؛ أَي: وَلَا يَحْمِلَنَّكَ عِنَادُهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَكَ خِفَةٌ وَعَجَلَةٌ لَشِدَّةِ غَضَبٍ يَعْتَرِيكَ، فَيَمْنَعُكَ عَنْ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَا تَأْخُذْ بِكَ الْعَجَلَةُ فِي أَمْرِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعَاقِبُهُمْ. وَقِيلَ: لَا يَسْتَنْزِلَنَّكَ.

وَقِيلَ: لَا يَسْتَخْفِنَنَّ حِلْمَكَ وَرَأْيَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ.

(١) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ، وَلَوْ كَانَتْ «لِلْمُسْلِمِينَ» فَكَانَتْ أَظْهَرَ.

سُورَةُ الْقِيَامَاتِ



سُورَةُ لُقْمَانَ

أربعٌ وثلاثون آيةً^(١)، مكيّةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ نزلنَ بالمدينة، وهُنَّ: ﴿وَلَوْ أَتَمَّافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقَلَمٌ﴾ [لقمان: ٢٧-٢٩]، وسيأتي ذكرُها.
الحسنُ: مكيّةٌ إلا آيةً، وهي: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [لقمان: ٤]، فإنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ مَدِينَتَانِ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) - ﴿الرَّحْمٰنُ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿

﴿الرَّحْمٰنُ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿ سَبَقَ نَظَائِرُهُ.

وقيل: تلك الحروفُ علاماتُ كتابِ الحكمةِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ.

و﴿الْحَكِيمِ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الْمُتَضَمِّنُ لِلْحِكْمَةِ.

وقيل: (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى: مُفْعَلٌ؛ أَي: الْمَمْنُوعُ مِنَ الْبُطْلَانِ^(٣).

(١) «أربعٌ وثلاثون آيةً»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٢٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ٤٢٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٩)، وعده من العجائب.

ابن عيسى: جاز أن يُقال للكتاب: حكيم، وإنما هو حكمة؛ لأنه يُظهر الحق من الباطل كما يُظهر [ه] الحكيم بقوله^(١).

(٣) - ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ قرئ بالرفع والنصب^(٢)؛ فالنصب على الحال، والرفع على أن ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿ءَايَاتِ الْكِتَابِ﴾ خبره، و﴿هُدًى﴾ خبرٌ بعد خبر، وإن شئت قلت: هو هُدًى ورحمة، فيكون خبر مبتدأ محذوف.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: للمؤمنين^(٣)، والإحسان: النفع الذي يستحق عليه الحمد.

(٤) - ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الواجبة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾: بالدار الآخرة ﴿هُم يُوقِنُونَ﴾، كرر ﴿هُم﴾ لِمَا حِيلَ بين المبتدأ والخبر بأجنبي.

(٥) - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿هُم﴾ يجوز أن يكون ابتداءً، ويجوز أن يكون عمادًا.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٦)، وما بين معكوفتين منه. واقتصر منه المصنف في

«غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩) على قوله: «الغريب: جاز أن يُقال للكتاب: حكيم».

(٢) قرأ حمزة بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٣) في (ف): «المؤمنين».

(٦) - ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي ﴾ : يختارُ .

وقيل : يشتري بماله كتبًا فيها ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ .

وفي سبب النزول : أنها نزلت في النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، كان يخرج إلى فارس ويشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشًا ، ويقول لهم : إنَّ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ ، وأنا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ رُسْتَمَ وَأَسْفَنْدِيَارَ وَأَخْبَارِ الْأَكَاسِرَةِ ، ويستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ، فنزلت فيه هذه الآية^(١) .

وقيل : نزلت في أَبِي بِنِ خَلْفٍ ، حكاه القفال .

مجاهدٌ : نزلت في شراء القيان والمغنيات^(٢) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحلُّ تعليمُ المغنياتِ ، ولا بيعهنَّ ، وأثمانهنَّ حرامٌ ، وفي مثلِ هذا نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ ، وما من رجلٍ يرفعُ صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين ؛ أحدهما

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٨٦/٢١) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل»

(٣/٤٣٢)، ورواه بنحوه البيهقي في «الشعب» (٥٩١٤) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن

أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما . وهذا إسناد ساقط .

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/٣٩٩) من طريق آخر عن ابن عباس دون ذكر الآية، وفيه شيخ لم

يسم .

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١١٣٨) .

على هذا المنكب، والآخرُ على هذا المنكب، ولا يزالان يضربان^(١) بأرجلِهما حتَّى يكونَ هو الذي يسكُتُ^(٢).

ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: نزلت في رجلٍ اشترى جاريةً تُغنيهِ ليلاً ونهاراً^(٣).
= وتقديره: يشتري ذاتَ لهو.

الحسنُ: هو كلُّ ما يُلهي عن الله وعن دينه^(٤).

ابنُ جرَّيجٍ: هو الطُّبْلُ^(٥).

(١) في (ف): «ولا يزالون يضربانه».

(٢) رواه الترمذي (١٢٨٢) و(٣١٩٥)، والحاثر بن أبي أسامة (٨٩٢ - بغية الباحث)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٨٤/٢١)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وضعفه الترمذي، وفي إسناده عبيد الله بن زحر الإفريقي وهو ضعيف، وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف جداً. وليس في رواية الترمذي: «وما من رجلٍ يرفعُ صوتَه بالغناء...».

ورواه الطبراني في «الكبير» (٧٧٤٩) من طريق الوليد بن الوليد - وهو العنسي الدمشقي - عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن يحيى بن الحارث الذماري، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة به. والوليد بن الوليد قال عنه الدارقطني: «منكر الحديث».

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٣١٥/٦) من طريق مسلمة بن علي عن يحيى بن الحارث به، ونقل عن يحيى بن معين قوله: مسلمة بن علي ليس بشيء. وعن النسائي: متروك الحديث.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩٠/٢١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢٧٨/٥) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه ذكره كتفسير للآية لأنه سبب نزول، ولفظه: «الرجل يشتري الجارية المغنية تغنيه ليلاً أو نهاراً». ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٥٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحو ما ذكره النحاس.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣٢٨/٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨٩/٢١)، وروى الطبري في «تفسيره» (٥٣٩/١٨) من طريق =

قتادة: كُلُّ لَهْوٍ وَلَعِبٍ^(١).

عطاء: هو التُّرَهَاتُ البَسَائِسُ^(٢).

قال أبو القاسم الكعبي^(٣) في «تفسيره»: رَخَّصَ جماعةٌ من فُفَّهَاءِ المدينةِ في السَّمَاعِ إذا لم يَكُنْ فُحْشًا ولا كَذِبًا، قال: وَرَخَّصَ قَوْمٌ فِي ضَرْبِ العُودِ^(٤)، وَكَرِهَ ذلكَ أهلُ العِراقِ وأكثَرُ علماءِ الأَمصارِ.

وقيل: اللُّهُوُّ: الشُّرْكُ، والحديثُ: الخَبْرُ عن حِوَادِثِ الزَّمَنِ.

وأصلُ اللُّهُوِّ: الأَخْذُ فيما يَصْرَفُ الهَمَّ من غيرِ الحَقِّ.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فاعل (يُضِلُّ) هو المُشْتَرِي، ويجوزُ أن يكونَ اللُّهُوُّ، وَمَنْ فَتَحَ البَاءَ^(٥) فهو المُشْتَرِي لا غيرُ.

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينِ الله. وقيل: قراءةِ القرآنِ واستماعِهِ.

= ابن جريج عن مجاهد قال: «اللَّهُو: الطبل»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٩)،

واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨ / ٤٠٩) عن مجاهد وابن جريج.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ١٩١)، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٥)، والطبري في

«تفسيره» (١٨ / ٥٣٣) عن قتادة قال: «أما والله لعله أن لا يكون أنفق فيه مالا، وبحسب المرء من

الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ١٩١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٢٨)، وابن

الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ٤٣٠) بلفظ: «الباطل».

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الحنفي، ويعرف بالكعبي، من متكلمي المعتزلة البغداديين، رئيس

أهل زمانه، توفي (٣٢٩هـ)، من كتبه: «المقالات وعيون المسائل والجوابات» وكتاب «الغرر والنوادر»

وكتاب «كيفية الاستدلال بالشاهد على الغائب» وله: «التفسير الكبير» للقرآن العظيم. انظر: «سير

أعلام النبلاء» للذهبي (١٤ / ٣١٣) و(١٥ / ٢٥٥) و«طبقات المفسرين» للداودي (١ / ٢٣٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٨٩٩ - ٩٠٠)، وعده من العجائب.

(٥) هما ابن كثير وأبو عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧).

﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: جهلاً منه.

وقيل: لم يعلم عاقبة ذلك.

وقيل: أي: مثل هذا لا يُسمّى عالمًا.

وقيل: ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صفةٌ للمُضِلِّ لا للمُضِلِّ؛ أي: ليُضِلَّ تقليدًا وتوهّمًا أنّه على علم، حكاة القفال^(١).

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾؛ أي: السَّبِيلَ ﴿هُزُؤًا﴾: سُخْرِيَّةٌ يَسْخُرُ مِنْهَا وَمَمَّنَ اعْتَقَدَهَا؛ النَّصَبُ بِالْعَطْفِ عَلَى ﴿يُضِلُّ﴾، وَالرَّفْعُ بِالْعَطْفِ عَلَى ﴿يَشْتَرِي﴾^(٢).

﴿أَوْلَيْكَ﴾؛ أي: الموصوفون بهذه الصِّفَةِ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يُخْزِيهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ.

(٧) - ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَتْ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: الْقُرْآنُ ﴿وَآلَىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: أَعْرَضَ عَنْ تَدْبِيرِهَا مُتَكَبِّرًا

رَافِعًا نَفْسَهُ عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْإِصْغَاءِ إِلَى الْقُرْآنِ.

﴿كَانَتْ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: حَالَانِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَآلَى﴾؛ أي: أَعْرَضَ

إِعْرَاضَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَمَا عَرَّضَ مَنْ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرٌ: صَمَمٌ، لَا يَقْرَعُ مَسَامِعَهُ صَوْتٌ.

﴿فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٠٠)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع. انظر: «السبعة»

(ص: ٥١٢)، و«التيسير» (١٧٦).

(٨ - ٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ولم يشترُوا لهو الحديث ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ؛ أي: وعد ذلك وعد الله^(١)، ﴿حَقًّا﴾ حال للوعد، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(١٠) - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ الباءُ للحال، والعمدُ^(٢): جمعُ عمادٍ^(٣).
﴿تَرَوْنَهَا﴾ الهاءُ يعودُ إلى السماء؛ أي: أنتم ترونها كذلك بغيرِ عمدٍ.
وقيل: الضميرُ يعودُ إلى العمدِ؛ أي: بغيرِ عمدٍ مرئية، وتلك العمدُ قدرةُ الله، وقد سبق.

ثم رجعَ من الغيبةِ إلى الخطابِ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي﴾: جبلاً ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهةً أن تميدَ، وقيل: لئلا تميدَ بكم، ومعنى ماد: مال، ومادهم: مال عليهم بالعطاءِ، ومنه: المائدةُ.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: ونشرَ في الأرضِ من كلِّ دابةٍ من أنواعِ الدوابِّ بالنَّاسِ الحاجةُ إليها في مطاعِمِهِم ومراكِبِهِم ومنافعِهِم؛ إذ لا تخلو دابةٌ من منفعةٍ^(٤) وخاصيةٍ.

(١) أي: يعرب (وعد) مفعولاً مطلقاً، وهو مصدر مبين للنوع.

(٢) في (ف): «وعمد».

(٣) قال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ٤٠٣): «اتفقوا على قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أنه

بفتح العين والميم؛ لأنه جمع عماد».

(٤) في (ن): «صفة».

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ : صنفٍ ﴿كَرِيمٍ﴾ : حسنِ البنية،
مُوتِقٍ^(١) المنظرِ.

وقيل: ﴿كَرِيمٍ﴾ : مُكْرَمٍ^(٢) على العباد؛ لحاجتهم إليه.

(١١) - ﴿هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿﴾.

﴿هَذَا خَلَقُ اللَّهِ﴾؛ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾؛ أي: أروني ما^(٣) خلقه الأوثان.

و﴿مَآذًا﴾ منصوبٌ بـ﴿خَلَقَ﴾، والجملة الفعلية قامت مقام المفعولين.
وإن شئت قلت: (ما) رفعٌ بالابتداء و(ذا) خبره، والفعل صلته، والتقدير: خلقه، والجملة الإسمية قامت مقام المفعولين.
﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ : خطأً وجهلٍ.

(١٢) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ

كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ﴾ هو لقمان بن باعور، وكان حكيماً ولم يكن نبياً.

عكرمة والشعبيُّ قالا: كان نبياً^(٤).

(١) أي: أنيق. انظر: «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» للعسكري (ص: ٨٥).

(٢) في (ف): «يكرم».

(٣) في (ن): «ماذا».

(٤) رواه عن عكرمة الطبري في «تفسيره» (٥٤٩/١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩٨/٢١)، وذكره =

وقيل: كان عبدًا صالحًا.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان خيَّاطًا^(١).

وعن خالد الربيعي قال: كان عبدًا حبشيًّا نجارًا^(٢).

وفي «معاني الزَّجَّاجِ»: نَجَّادًا؛ بِالذَّالِ^(٣).

وقيل: كان راعيًا.

مُجاهد: كان لقمان عبدًا أسود، عظيم الشَّفَتَيْنِ، مُتَشَقِّقُ الْقَدَمَيْنِ^(٤).

الفراء: كان حبشيًّا، مجدوع الأنف، ذا مشفرٍ^(٥).

وقيل: كان نوبيًّا.

وقيل: كان تَلَمَّذًا لِأَلْفِ نَبِيٍّ، وَتَلَمَّذَ لَهُ أَلْفُ نَبِيٍّ^(٦).

-
- = الماوردي في «النكت والعيون» (٣٣١ / ٤) عن عكرمة والشعبي، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٣ / ٤٤٢) عن عكرمة والشعبي والسدي، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ٤٣٠): «هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف إلا أن هذا مما انفرد به عكرمة». وقال الثعلبي: «واتفق العلماء أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبياً، تفرد بهذا القول».
- (١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٦٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٢٠٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٣١)، والواحدي في «الوسيط» (١٨ / ٩٩).
- (٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٧١)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢ / ٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨ / ٥٤٨).
- (٣) في المطبوع من «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ١٩٥): «نَجَّارًا» بالراء، وقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٨ / ٤١٢) مثل ما ذكر المصنف والنجد: مَنْ يَنْجِدُ الْبُيُوتَ وَالْفُرُشَ وَالْبَسَطَ، كَمَا فِي «تاج العروس» (٩ / ٢٠٣).
- (٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩١)، والطبري في «تفسيره» (١٨ / ٥٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٠)، واستغربه.
- (٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٢٧).
- (٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠١)، وعده من العجائب.

﴿الْحِكْمَةُ﴾: الْعَقْلُ، وَالْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالْإِصَابَةُ فِي الْأُمُورِ، وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ.

وَفِي التَّفْسِيرِ: فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ مَوْلَاهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَهُ، فَدَعَاهُ فَقَالَ: اذْبَحْ شَاةً وَائْتِنِي بِأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ مِنْهَا، فَذَبَحَ شَاةً وَأَتَاهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْبَحْ شَاةً وَائْتِنِي بِأَخْبَثِ مُضْغَتَيْنِ مِنْهَا، فَذَبَحَ شَاةً وَأَتَاهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّهُمَا أَطْيَبُ شَيْءٍ إِذَا طَابَا، وَأَخْبَثُ شَيْءٍ إِذَا خُبِنَا^(١).

وَذَكَرَ الرَّجَّاجُ: أَنَّ إِنْسَانًا وَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ: أَلَسْتَ الَّذِي كُنْتُ تَرَعِي مَعِي فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: بَلَى، فَقَالَ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَالصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِينِي^(٢).

وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: قَالَ لَهُ دَاوُدُ يَوْمًا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ فِي يَدَيَّ غَيْرِي، فَتَفَكَّرَ دَاوُدُ فِيهِ، فَصَعِقَ صَعَقَةً^(٣).

وَفِي الْحِكْمِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْهُ كَثْرَةٌ، وَأَبْلَغُهَا مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنْ أَشْكُرُ لِلَّهِ﴾ الرَّجَّاجُ: لِأَنَّ يَشْكُرُ اللَّهُ، قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿إِنْ﴾ الْمُفْسَّرَةَ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَيِ اشْكُرْ لِلَّهِ، وَتَقْدِيرُهُ: قَلْنَا لَهُ: اشْكُرْ لِلَّهِ^(٤).

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (٢٧١)، وَيَحْيَى بْنُ سَلَامٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢ / ٦٧٢)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨ / ٥٤٨)، عَنْ خَالِدِ الرَّبْعِيِّ.

(٢) انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ» (٤ / ١٩٥)، وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨ / ٥٤٨) عَنْ عَمْرٍو بْنِ قَيْسٍ.

(٣) ذَكَرَهُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤ / ٢١٣)، وَأَبُو حَيَّانٍ فِي «الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ» (٨ / ٤١٢).

(٤) انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ» (٤ / ١٩٥)، وَذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢ / ٩٠١)، وَاسْتَغْرَبَهُ.

وقيل: بدلُ من ﴿الْحِكْمَةَ﴾.

﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنَّ الشَّاكِرَ يَسْتَحِقُّ الْمَزِيدَ، من قوله: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]؛ أي: تعودُ منفعةُ شكره إليه.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾؛ أي: وَمَنْ كَفَرَ لَمْ يَضُرَّ اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ وَشَكَرِهِمْ ﴿حَمِيدٌ﴾: محمودٌ في صنعه.

وقيل: مُسْتَحَمِدٌ إِلَى خَلْقِهِ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ.

(١٣) - ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: مَوْضِعُ ﴿إِذْ﴾ نَصَبٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾؛ لأنَّ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ حِكْمَةٌ^(١).

وقيل: واذكُرْ إِذْ قَالَ ﴿لِابْنِهِ﴾، واسمُه: أَنْعَمُ. وقيل: مِسْكَمُ. وقيل: ماثانُ.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى﴾ تصغيرُ تَقْرِيبٍ ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: مع الله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: وَضَعُ الْعِبَادَةِ غَيْرَ مَوْضِعِهَا، وَلَا ذَنْبَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

قيل: كان ابنه كافراً فأسلم.

وعن بعضِ القُرَّاءِ الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ والابتداءُ بِالْيَمِينِ، وليس

بِالْبَعِيدِ^(٢).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

(١٤) - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ في سبب النزول: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سَبَقَ فِي (العنكبوت) (١).

وفصل الله به بين حكاية وصية لقمان لابنه؛ لأنَّ كلامَ لقمانَ في هذا المعنى. وقيل: تقديره: إنَّ الشُّرْكَ لظلمٌ عظيمٌ، ونحنُ قد وصَّينا الإنسانَ بوالديه حُسْنًا، وأمَرناهُ ألاَّ يُطِيعَهُمَا فِي الشُّرْكِ (٢).

وجاء في كلامَ لقمانَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ لَكَ فَلَمْ يُوصِنِي بِكَ، وَلَمْ يَرْضَكَ لِي فَوْصَاكَ بِي (٣).

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾: ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ.

وقيل: شِدَّةً عَلَى شِدَّةٍ.

وقيل: جُهْدًا عَلَى جُهْدٍ.

وقيل: ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ عَلَى حَسَبِ زِيَادَتِهِ فِي بَطْنِهَا، وَثِقَلِهِ عَلَيْهَا.

وفي الوهن ثلاث لغاتٍ: وَهْنٌ يَهْنُ مِثْلُ: وَعَدَّ يَعْدُ، وَوَهْنٌ يَوْهِنُ مِثْلُ: وَجَلَّ يَوْجَلُّ، وَوَهْنٌ يَهْنُ مِثْلُ: وَرِثَ يَرِثُ.

(١) عند تفسير الآية (٨) منها.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

(٣) رواه الشجري في «الأمالي الخميسية» (٢/ ١٦٨) عن عبد الله بن وهب السهمي.

ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٠٤)

عن الحماني من قول زيد بن علي بن الحسين لابنه يحيى.

وقيل: ﴿وَهَاتَا عَلَى وَهْنٍ﴾ صفةٌ للولد؛ أي: نُطفةٌ ثمَّ علقَةٌ.. إلى آخرِ الخِلْقَةِ.

وقيل: ضَعْفُ الوالِدَةِ على ضَعْفِ الوَلِدِ.

وقيل: ضَعْفُ نُطفَةِ الأبِ على ضَعْفِ نُطفَةِ الأمِّ.

﴿وَفَصَلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾؛ أي: فَطَامَهُ بعدِ الوِلَادَةِ في انْقِضَاءِ حَوْلَيْنِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُهَا ضَعْفًا.

﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ لِيَشْكُرْ لِي وَيَشْكُرِ الوَالِدَيْنِ، وَتَقْدِيرُهُ: وَصَيَّنَاهُ بِأَنْ اشْكُرْ، فَحُذِفَ الجَارُ.

المُبْرَدُ: محلُّه جَرٌّ بالبَدَلِ من (والِدَيْهِ) بَدَلِ الاِشْتِمَالِ^(١).

وقيل: وَقُلْنَا لَهُ: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾: مَصِيرُكَ إِلَيَّ، وَحِسَابُكَ عَلَيَّ.

(١٥) - ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾؛ أي: أَطِعْهُمَا فِيمَا يَأْمُرَانِكَ بِهِ كُلَّهُ، وَإِنْ حَمَلَاكَ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ لِي شَرِيكًا لَمْ يَحْضُرْ لَكَ العِلْمُ بِأَنَّهُ لِي شَرِيكٌ - لِأَنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ لَا يَكُونُ - فَلَا تُطِعْهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ، ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾؛ أي: أَحْسِنْ مُصَاحَبَتَهُمَا.

و﴿مَعْرُوفًا﴾ صِفَةٌ مُصَدِّرٌ مَحْذُوفٍ؛ أي: مُصَاحِبَةٌ أَوْ صَحَابًا مَعْرُوفًا

يُسْتَحْسَنُ.

(١) ذكره البيضاوي بلا نسبة في «تفسيره» (٤/٢١٤).

وقيل: وصاحبهما في أمور الدنيا بالمعروف لمثلهما، وقال ﷺ: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين»^(١).

﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ في سبب النزول: أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، فقالوا لأبي بكر: آمنت وصدقت محمداً؟ فقال: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله يقول لسعد: ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: أبا بكر رضي الله عنه^(٢).

وقيل: أتبع محمداً ﷺ.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ بعد الموت.

ويحتمل أن الكلام تم على قوله: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، كقوله: ﴿وَحَرَّارِكُمْ وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، ثم ابتداء فقال على وجه التهديد: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ بالموت، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ بالبعث، ﴿فَأَنبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أجازيكم عليه^(٣).

وقيل: أنبئكم ذلك في كتاب الحفظة.

ثم عاد إلى عظة لقمان ابنه فقال:

(١٦) - ﴿يَبْنِيٰ إِنَّمَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بلفظ: «رضا الرب في رضا الوالد،

وسخط الرب في سخط الوالد».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١) واستغربه.

﴿يَبْحَثُ إِنَّمَا إِنْ تَكُ﴾: إِنْ الْقِصَّةَ وَالْأَمْرَ وَالشَّأْنَ، وَذَلِكَ فَيَمِّنَ رَفَعٌ ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾،
وَمَنْ نَصَبَ^(١) جَعَلَهَا كِنَايَةً عَنِ الْخَصْلَةِ أَوْ الْفَعْلَةِ.

وقيل: عن السَّيِّئَةِ.

ومِثْقَالُ الشَّيْءِ: مَا يُسَاوِيهِ فِي الْوِزْنِ، وَكَثُرَ فِي الْكَلَامِ فَصَارَ عِبَارَةً عَنِ مَقْدَارِ
الدَّيْنَارِ، وَأَنَّهُ مَنْ رَفَعَهُ لِإِضَافَتِهِ إِلَى مُؤَنَّثٍ، وَقَدْ سَبَقَ.

﴿مِنْ خَرْدَلٍ﴾: هُوَ: الْحَبُّ الْمَعْرُوفُ؛ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الصَّغْرِ.

﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾: فِي أَحْفَى مَوْضِعٍ وَأَشَدِّهِ.

﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ﴾: فِي أَجْوَافِ السَّمَاوَاتِ.

﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: أَجْوَافِهَا.

﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾: يُحْضِرُهَا اللَّهُ فَيُجَازِي عَلَيْهَا.

وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا الصَّخْرَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْأَرْضُ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى:
السَّجِّينَ، وَليست من الأرض^(٢).

وقيل: المُرَادُ بِهَا الْجِبَلُ، وَالْمُرَادُ بِالْأَرْضِ: الْمِهَادُ مِنْهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ

مِهَادًا^(٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٦-٧].

وَذَكَرَ أَنَّ آخَرَ مَا قَالَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ

أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾، ثُمَّ تَفَطَّرَ مِنْ هَيْبَةِ هَذِهِ الْمَوْعِظَةِ فَمَاتَ،
وَكَانَ آخِرَ كَلَامِهِ.

(١) قرأ بالرفع نافع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) قاله الفراء في «معاني القرآن» (٢/٣٢٨)، وذكره الواحدي في «البيسط» (٢٣/٣٢٢) عن الكلبي،

ولا أدري من هم أكثر المفسرين الذين قصدهم، وهذه خرافة أثبت العلم خطأها.

وقيل: المُرَادُ بِهَا الرِّزْقُ^(١)؛ أي: إن كان للإنسان رزقٌ مثقالَ حَبَّةٍ من خردلٍ في هذه المواضع جاء بها الله حتى يُخْرِجَهَا ويسوقها إلى مَنْ هي رزقٌ له.
﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراج ذلك ﴿خَيْرٌ﴾: عالمٌ بمكانه.

(١٧) - ﴿يَبْنِيْ أَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا مَّعْرُوفٍ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

﴿يَبْنِيْ أَقْرِبَ الصَّلَاةِ﴾: حافظٌ عليها لمواقبتها وما شرع فيها.
﴿وَأَمْرًا مَّعْرُوفٍ﴾ ما رأيتَه من معروفٍ حسنٍ في العقولِ قد تُرِكَ، فأمرٌ به.
﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وما رأيتَه من شيءٍ تُنْكِرُهُ^(٢) يُؤْتَى، فإنه عنه وامنع منه.
﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ في ذاتِ الله إذا أمرتَ بالمعروفِ ونهيتَ عن المنكرِ.
وقيل: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من شدائدِ الدنيا من الأمراضِ والفقْرِ والهَمِّ والغمِّ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾؛ أي: الصَّبْرَ، وقيل: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي أوصيتك به.
﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: ممَّا عزمَ الله على عباده؛ أي: أمرهم به أمرًا حتمًا.
والعزمُ: تَوَطُّيْنُ النَّفْسِ على الفعلِ.
وقيل: ﴿عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: ضبطُ الأمورِ وإصلاحها.
المُؤرَّجُ: العزمُ: الحزمُ بلغة هُذَيْلٍ^(٣).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، واستغربه.

(٢) بعدها في (ن): «أن».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٦).

المُبرِّدُ: الحَزْمُ: العَزْمُ، قَلْبُ العَيْنِ حاءٌ^(١)، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما أصلٌ برأسه مُطرِدٌ في جميعِ أحواله، والحزمُ: الحذرُ، والعزمُ، الثَّباتُ، وقد سبقَ ذِكرُه.

(١٨) - ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾.
 ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تُعْرِضْ بوجهك عَمَّنْ يُقْبَلُ عليك استخفافاً به،
 والصَّعْرُ: الميلُ في العُنُقِ، وصَعَّرَ وصاعَرَ لُغْتَانِ، كَصَعَّفَ وَضَاعَفَ.
 ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: خِيلاءً وكِبْرًا، مصدرٌ وَقَعَ مَوْجَعُ الحَالِ.
 وقيل: ﴿مَرَحًا﴾؛ أي: في معصية.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ﴾: مُتَكَبِّرٌ، وقيل: مَنَانٍ.
 والاختيالُ: أن يرى لنفسه طَوْلاً على غيرِه فيشْمَخَ بأنفه.
 ﴿فَخُورٍ﴾: يُعَدِّدُ مناقبه تطاوُّلاً.

(١٩) - ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.
 ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ القَصْدُ: التَّوَسُّطُ بين العُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، قال الشَّاعرُ:
 كلا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ دَمِيمٌ^(٢)

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨ / ٤١٦).

(٢) عجز بيت لم ينسب لقائل، وقبله:

تَسَامَحٌ وَلَا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ وَأَبْقِ فَلَمْ يَسْتَوْفِ قَطُّ كَرِيمٌ
 وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَأَقْصِدْ كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ دَمِيمٌ

انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٩٧)، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (٤ / ٣٨٥)، و«معجم الأدباء» لياقوت

المُورِّجُ: معنى ﴿اقْصِدْ﴾: أَسْرِعْ بَلُغَةَ هُدَيْلٍ^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كانوا يُنْهَوْنَ عن خَبَبِ الْيَهُودِ وَدَبِيبِ النَّصَارَى، وَلَكِنْ مَشِيًّا بَيْنَ ذَلِكَ^(٢).

وعن النَّبِيِّ ﷺ: «سُرْعَةُ الْمَشْيِ تُذْهِبُ بِهَاءَ الْمُؤْمِنِ»^(٣).

وقيل: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: انظُرْ فِي مَشْيِكَ مَوْضِعَ قَدَمِكَ.

﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: أَنْقِضْ مِنْهُ، وَالغَضُّ: التَّقْصَانُ، وَقَدْ سَبَقَ.

﴿إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾: أَقْبَحَهَا.

وقيل: أَثْقَلَهَا عَلَى السَّمْعِ عِنْدَ النَّاسِ.

عكرمة: ﴿أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾: شَرَّ الْأَصْوَاتِ^(٤).

الحسن: أَشَدَّ الْأَصْوَاتِ^(٥).

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (١١١ / ٢).

(٢) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (٧١٧ / ٢)، وأبو حيان في «البحر» (٤١٦ / ٨).

(٣) رواه ابن معين في «تاريخه» (٢٥٦ / ٣)، وابن حبان في «المجروحين» (٨٢ / ٢)، والثعلبي في

«تفسيره» (٢١٧ / ٢١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه عمرو بن صهبان، قال ابن معين:

أحاديث عمرو بن صهبان لا تساوي فلسًا.

ورواه الماليني في «الأربعين في شيوخ الصوفية» (ص: ١٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»

(١٠ / ٢٩٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣ / ٦٣٢):

حديث منكر جدًا.

ورواه ابن بشران في «أماليه» (ص: ١٥٨) عن أنس رضي الله عنه. وروي عن غيرهم وأسانيدها

جميعا ضعيفة جدًا. وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٥٦٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٢١٩)، والماوردي في

«النكت والعيون» (٤ / ٣٤١).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٥٦٥) لكن =

وقيل: أبعَدَ الأصواتِ؛ لأنَّ أوَّلَهُ زفيرٌ وآخره شهيقٌ.
وعن سُفيانَ: صياحُ كُلِّ شيءٍ تسيبُحُه، إلَّا الحمارَ؛ فإنَّه يصيحُ لرؤية الشَّيطانِ^(١).
﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ قيل: الصَّوْتُ في معنى الجمع؛ لأنَّه مصدرٌ.
وقيل: بل الحميرُ في معنى الواحد؛ لأنَّه اسمٌ للجمع.
وقيل: أرادَ بذكرِ الحميرِ التَّزْهيدَ في رفعِ الصَّوْتِ على النَّاسِ، كما تقولُ: الشَّرُّه
من فعلِ الكلابِ.

وقيل: لا يمتنعُ أن يكونَ في الأصواتِ ما هو أنكرُ من صوتِ الحمارِ، فيصيرُ
تقديرُ الآيةِ: إنَّ من أنكرِ الأصواتِ لَصَوْتُ الحميرِ، فحُذِفَ (من) فارتفعَ الصَّوْتُ.
ورُويَ عن النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يُبغِضُ ثلاثةَ أصواتٍ: نهقةَ الحميرِ، ونباحَ الكلبِ،
والدَّاعيةَ بالحربِ»^(٢)؛ يعني: النَّاتحةَ.

وقيل: ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ هي: العطسةُ المُنكرةُ، حكاها أفضى القضاةِ الماورديُّ^(٣).
ولا أرى له وجهًا، ولعل هذا القائل جعلَ الحميرَ فعيلًا من قولهم: طَعَنَهُ
حمراءُ؛ أي: شديدةً، ومن قولهم: حَمَارَةٌ القَيْظِ: شدَّته، والحمارُ سُمِّيَ حِمَارًا
لشدَّته، ثمَّ لا تخصيصَ له بالعطسةِ دونَ غيرها من الأصواتِ.

= عن الحسن بن مسلم لا ابن أبي الحسن البصري الذي يقصد عند الإطلاق عادة.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣١٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٢١٩).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٢٢١) من طريق عنبة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن
أم سعد عن النبي ﷺ. وهذا إسناد موضوع، عنبة بن عبد الرحمن متهم بالوضع، ومحمد بن زاذان
متروك.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٤١) عن جعفر الصادق، وذكره المصنف في «غرائب

التفسير» (٢ / ٩٠٢)، وعده من العجائب.

(٢٠) - ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ﴾: مَكَّنَكُمْ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا فِي السَّمَاءِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ، وَالْبَحَارِ، وَالنَّبَاتِ، وَالْأَشْجَارِ، وَالذُّوَابِ، وَالرِّيْحِ، وَالسَّحَابِ.

وقيل: معنى ﴿سَخَّرَهَا﴾: ذَلَّلَهَا.

وقيل: سَهَّلَهَا، وَالْوَجْهُ هُوَ الْأَوَّلُ.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾: تَمَّمَ حَتَّى فَضَّلَ.

قُرِيءَ: ﴿نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ﴾^(١) وَالْمُرَادُ بِهَا الْإِسْلَامُ.

عن ابن عباس رضي الله عنه^(٢)؛ أي: ظاهراً على اللسانِ وباطناً على الجوارح بالطاعة.

وقيل: في القلوبِ بالاعتقادِ والنيةِ.

ويجوزُ أن يكونَ واحدةً في اللفظِ جمعاً في المعنى، كقوله: ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقرئَ ﴿نِعْمَةً﴾ بالجمع^(٣)؛ لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ لَا تُحْصَى كَثْرَةً.

ومعنى ﴿ظَاهِرَةً﴾: يراها النَّاسُ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَالخَدَمِ وَالْأَوْلَادِ، وَ﴿بَاطِنَةً﴾: الخَلْقُ وَالْعِلْمُ، وَالقُوَّةُ، وَسَائِرُ مَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ.

(١) قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، والباقون: ﴿نعمه﴾. انظر:

«السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٥٦٧) هكذا قراءة وتفسيراً.

(٣) قرأ بها أبو عمرو وعاصم في رواية حفص، وقد تقدمت قريباً.

وقيل: ﴿ظَهْرَةَ﴾: ما يعلمُ العبدُ من نفسه ﴿وَبَاطِنَةً﴾: ما يعلمه الله ولا يعلمُ العبدُ.

والهاء في ﴿نِعْمَهُ﴾ تعودُ إلى الله.

وقيل: إلى ما في السَّمَاوَاتِ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت في النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ (١).

وقيل: في يهوديٍّ خاصمَ النَّبِيَّ ﷺ فأخذته صاعقة فأهلكته (٢).

أي: ومع هذه النعمِ منهم مَنْ يُجَادِلُ في توحيدِ الله ويميلُ إلى الشُّرْكِ والتَّعْطِيلِ بغيرِ علمٍ وعقلٍ ﴿وَلَا هُدًى﴾: سَنَّةُ نَبِيِّ ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل تقليدًا وإلفًا، وهو قوله:

(٢١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا

الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا الشَّيْطَانُ

يَدْعُوهُمْ﴾ بوسوسته وتخييله وجوبِ اتِّبَاعِ الْأَبَاءِ ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: إلى ما يؤولُ إليه = يتبعونه (٣)؟ استفهامٌ إنكارٍ وتعجيبٍ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦ / ٤٥٩) عن ابن جريج، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره»

(٢) (٢ / ٦٧٨) عن الكلبي، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣ / ١١٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٤٣).

(٣) قوله: «يتبعونه» جواب الشرط؛ أي: ﴿أُولَئِكَ كَانُوا الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يتبعونه.

(٢٢) - ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَرِيقَةُ الْأُمُورِ﴾.

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يُخْلِصُ عَمَلَهُ لِلَّهِ، وَ﴿إِلَى﴾ بِمَعْنَى: اللَّامِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَقُلْ أَطَعْتُ اللَّهَ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقيل: انقَادَ لِأَمْرِهِ وَاسْتَسَلَّمَ.

وقيل: يَقْصِدُ بِطَاعَتِهِ إِلَى اللَّهِ.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فِي عَمَلِهِ مُخْلِصٌ فِي نِيَّتِهِ.

﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾: تَمَسَّكَ وَتَعَلَّقَ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وقيل: الْقُرْآنَ وَالْإِسْلَامَ.

و(الْعُرْوَةُ): مَا يُعَلَّقُ بِهِ الشَّيْءُ. وَ﴿الْوُثْقَى﴾: تَأْنِيثُ الْأَوْثِقِ. وَالشَّيْءُ الْوُثْقَى: مَا يَأْمَنُ صَاحِبُهُ مِنَ السُّقُوطِ.

﴿وَإِلَى اللَّهِ عَرِيقَةُ الْأُمُورِ﴾: مَصِيرُ الْأُمُورِ فِي أَوَّخِرِهَا إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ الْمُجَازِي عَلَيْهَا.

(٢٣) - ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا، وَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ وَلَمْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ، ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهَا﴾ فَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهُ تَبِعَةٌ.

﴿وَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: نُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِضَمَائِرِ الْقُلُوبِ.

وقيل: بِمَا فِي ضَمِيرِكَ مِنَ الْحُزَنِ عَلَى كُفْرِهِمْ.

(٢٤) - ﴿نَمَّعْتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ .

﴿نَمَّعْتَهُمْ قَلِيلًا﴾: نُبْقِيهِمْ فِي الدُّنْيَا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا مَدَّةَ أَعْمَارِهِمْ إِلَىٰ حُلُولِ أَجَالِهِمْ، ﴿ثُمَّ نَضَّطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شَدِيدِ الْآلَامِ، كَثِيرِ الْأَجْزَاءِ لَا يَتَنَاهَىٰ .

(٢٥ - ٢٦) - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ .

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾؛ أَي: مَعَ كُفْرِهِمْ مُقَرُّونَ بِأَنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ اللَّهُ (١) .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَىٰ انْقِطَاعِ حُجَّتِهِمْ .

وقيل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لِمَن خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، لَا لِمَن لَا يَخْلُقُ وَهُمْ يُخْلِقُونَ .

وقيل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى الْعِلْمِ وَالْهُدَايَةِ .

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا فِي تَرْكِ عِبَادَةِ اللَّهِ مِنَ الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

وقيل: لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ .

وقيل: هُوَ مُتَّصِلٌ بِمَا بَعْدَهُ تَقْدِيرُهُ: لَا يَعْلَمُونَ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، كَمَا

تَقُولُ: لَا تَعْلَمُ لَزِيدٍ مَا فِي الدَّارِ .

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ﴾ عَنِ إِيْمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ ﴿الْحَمِيدُ﴾: الْمَحْمُودُ لَا يَنْقَطِعُ حَمْدُهُ

بِكُفْرِهِمْ .

(١) فِي (ن): «بَأَنَّ اللَّهَ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» .

(٢٧) - ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ في سبب النزول: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله بمكة: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحناف اليهود وقالوا: يا محمد، بلغنا عنك أنك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] أفعنيتنا أم قومك؟ فقال: كلاً قد عنيت، فقالوا: ألسنت تتلو فيما جاءك أننا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهو في علم الله قليل، وقد أتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتُم». قالوا: يا محمد، كيف ترعُم هذا وأنت تقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟ فكيف يجتمع هذا؟ علم قليل وخير كثير، فأنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾^(١)؛ أي: لو بريت أشجار الأرض أقلاماً ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾: يزيد فيه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد نفاذ ما فيه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ سوى بحار الدنيا؛ لأن قوله: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ للعموم، وفيه الألف واللام للجنس؛ أي: فيصير الكل مداً، كقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقيل: ﴿يَمُدُّهُ﴾: يجعله مداً أسود يكتب به^(٢).

قال أبو عبيدة: البحر هاهنا: الماء العذب؛ لأن الملح لا يثبت الأقسام^(٣).

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦) عن المفسرين، ولعله مجموع من عدة أخبار، فقد

روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥٧٣/١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وعطاء بن يسار.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٠٢/٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١٢٨/٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٠٢/٢)، وعده من

قال القفال: قول أبي عبيدة: البحر المِلْحُ لا يُنْبِتُ الأَقْلَامَ، يُوجِبُ أَنَّهُ جَعَلَ
المعنى: والبحر يمدُّه من بعده سبعة أبحرٍ فأُنْبِتَتْ أَقْلَامًا، قول أبي عبيدة ضعيفٌ لأنَّ الله
سبحانه أراد التَّكْثِيرَ والمُبَالَغَةَ، وليس فيما ذكر أبو عبيدة كثيرٌ مُبَالَغَةٍ.

وعُدُّ القفالِ عنه حَسَنٌ، كأنه جعل هذه الآية مُشْتَمِلَةً على ذكرِ الأَقْلَامِ فَحَسَبُ،
كما أن ما في الكهفِ للمِدادِ فَحَسَبُ؛ اكتفاءً بذكرِ أحدهما عن الآخرِ، كما اكتفى
بذكرِ الأَقْلَامِ والمِدادِ عن القِرطاسِ أو ما يُكْتَبُ عليه، أو عن الكِتَبَةِ؛ لأنَّ تقديرَ
الآية: لو جُعِلَتِ الأشجارُ أَقْلَامًا، والبحرُ بعدَ المَدَدِ^(١) مِدادًا، والسَّمَاوَاتُ والأَرْضُ
قِرطاسًا، والملائكةُ والجنُّ والإنسُ كُتَّابًا، ثمَّ كُتِّبُوا به منه عليه، لِنَفَدَتِ هذه الأشياءُ
وأعيتِ الكِتَبَةُ قَبْلَ أن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي، والله أعلمُ.

﴿مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ واختلَفُوا في معنى ﴿كَلِمَتُ اللَّهِ﴾؛ فقيل: المرادُ بها:
العلمُ، وسُمِّيَ علمُه كَلِمَاتٍ لَأَنَّهُ لا يُمَكِّنُ كِتَابَتَهُ إِلَّا إذا كانت كَلِمَاتٍ.

وقيل: معنى ﴿كَلِمَتُ﴾: أسماءُ ما خلقه الله، وما^(٢) يخلقه في الآخرة؛ لَأَنَّهَا غَيْرُ
مُتَنَاهِيَةٍ، والأَقْلَامُ والبحارُ مُتَنَاهِيَةٌ.

وقيل: نَعَمُ اللهُ على خَلْقِهِ.

وقيل: ما قضاها اللهُ في اللُّوحِ المحفوظِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: منيعٌ في مُلكِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ في خَلْقِهِ.

قُرِئَ ﴿وَالْبَحْرُ﴾ بالرَّفْعِ على الابتداءِ، وبالنَّصْبِ^(٣) على العطفِ، أو بفعلٍ يَدُلُّ
عليه ما بعده.

(١) في (ن): «المداد».

(٢) في (ف): «ولما».

(٣) قرأ أبو عمرو بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢٨) - ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ : إلا كخلق نفس واحدة، وبعث نفس واحدة، يقول لها: كُنْ فيكون، لا حاجة إلى آله ولا إلى استعانة.
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لكلام من أنكر البعث ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بأحوال الأحياء والأموات.

(٢٩) - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ؛ أي: كل ذلك يجري إلى وقته المُسمى له ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

(٣٠) - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ .
﴿ ذَلِكَ ﴾ ؛ أي: ذلك الذي خلق وصنع ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ : بسبب أنه هو الله حقاً.

وقيل: فَعَلَّ ذلك لتعلموا أن الله هو الحق.

﴿ وَأَنْ مَا تُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ ^(١) ؛ أي: ما تدعون من الأصنام وتُسمونه ^(٢) آلهة، وقيل: تجعلونهم آلهة. وقيل: تعبدونهم.

(١) قوله: ﴿ تدعون ﴾ هكذا جاءت في النسختين بالفاء، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) في (ف): «وتسمونهم».

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل شيء ﴿الْكَبِيرُ﴾: كل شيءٍ دونه.

(٣١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ الباءُ للحال؛ أي: مُنعمًا بها عليكم.

وقيل: ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾؛ أي: بالرَّيح؛ لأنَّ الرِّيحَ من نِعَمِ اللَّهِ^(١).

﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾: عجائبِ قُدْرَتِهِ فِي الْبَحْرِ إِذَا رَكِبْتُمُوهَا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: للمؤمنين؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ نِصْفَانِ:

نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفٌ شُكْرٌ.

وقيل: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ مادامَ فِيهَا، ﴿شَكُورٍ﴾ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا.

(٣٢) - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ

فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ﴾؛ أي: علاهُمُ فَعَطَّاهُمُ كَالْجِبَالِ.

وقيل: كَالسَّحَابِ.

﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ يُخْلِصُونَ لَهُ الدُّعَاءَ وَالطَّاعَةَ، وَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا

سِوَاهُ.

﴿فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾: خَلَّصَهُمْ ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٣)، واستغربه.

أحدهما: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾: مُقْمِمٌ عَلَى طَاعَةِ (١) اللَّهِ، وَمِنْهُمْ جَاحِدٌ، فَحُذِفَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾ بَعْدَهُ.

وَالثَّانِي: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾: جَاحِدٌ.

فِي كَوْنِ الْاِقْتِصَادِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ مَدْحًا، وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي دَمًا.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِنَايِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غَدَّارٌ بَدِينِهِ أَسْوَأَ غَدْرِ، وَقِيلَ: جَاحِدٌ، ﴿كَفُورٍ﴾ لِرَبِّهِ.

(٣٣) - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْقَارِبِكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدَ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْقَارِبِكُمْ﴾: خَافُوهُ وَاسْتَتَرُوا عَن عِقَابِكُمْ بِطَاعَتِكُمْ لَهُ ﴿وَأَخْشَوْا﴾: وَخَافُوا ﴿يَوْمًا﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿لَا يَجْزِي﴾؛ أَي: فِيهِ، فَحُذِفَ الْجَارُ ثُمَّ حُذِفَ الْهَاءُ، وَالْمَعْنَى: لَا يَقْضِي، وَلَا يُغْنِي، وَلَا يَحْمِلُ، وَقَدْ سَبَقَ.

﴿وَالِدَ عَن وَلَدِهِ﴾ خُصَّ الْوَالِدُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَحْرَصُ الْأَشْيَاءِ عَلَى دَفْعِ الْمَضَرَّةِ عَنِ الْوَالِدِ.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ قَوْلُهُ: ﴿مَوْلُودٌ﴾ عَطْفٌ عَلَى الْوَالِدِ، وَ(هُوَ) مُبْتَدَأٌ، وَ﴿جَازٍ عَن وَالِدِهِ﴾ خَبْرُهُ، وَالْجَمْلَةُ صِفَةٌ لـ ﴿مَوْلُودٌ﴾.

وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ ﴿عَن﴾ مِّنْ صِلَةِ ﴿يَجْزِي﴾، وَ﴿هُوَ جَازٍ﴾ صِفْتُهُ؛ أَي: فِي الدُّنْيَا (٢).

(١) فِي (ف): «عِبَادَةٌ».

(٢) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/ ٩٠٤)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: السَّاعَةَ.

وقيل: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾^(١) من الثَّوَابِ والعِقَابِ.

﴿فَلَا تُغْنَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾؛ أي: زِينَتُهَا وَعَضَارَتُهَا^(٢)، وقيل: آمَالُهَا.

وقيل: لا تشغلنكم عن طاعة الله.

﴿وَلَا يُغْنِيَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِأَنْ

يُرْجِيَكُمْ الثَّوْبَةَ والمَغْفِرَةَ، والمعنى: لا يُغفلنكم عن طاعة الله، تقول: (ما غرَّكَ به؟) و(ما أغفلَكَ عنه؟) بمعنى.

(٣٤) - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ

مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ في سببِ النُّزُولِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْوَارِثِ بْنِ

عَمْرِو بْنِ حَارِثَةَ بْنِ مُحَارِبٍ، مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ وَوَقْتِهَا، وَقَالَ: إِنَّ أَرْضَنَا قَدْ أَجْدَبَتْ فَمَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ؟ وَتَرَكْتُ أَمْرَ أُنِي حُبْلَى فَمَاذَا تَلْدُ؟ وَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ وُلِدْتُ فَبأيِّ أَرْضٍ أَمُوتُ؟ وَقَدْ عَلِمْتُ مَا عَمِلْتُ الْيَوْمَ فَمَا أَعْمَلُ غَدًا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٣).

(١) في (ف): «وقيل ما وعد».

(٢) الغضارة: سعة العيش ولبنه وخصبه وبهجهته. انظر: «تاج العروس» مادة: (غ ض ر) (١٣/٢٤٠).

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/٥٣٠)، وسمى الرجل: الوارث

من بني مازن.

وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/٤٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/٢٥٢ - ٢٥٣) دون

عزو، واسم صاحب القصة عندهما كما هنا: الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب. =

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلا الله: لا يعلم متى تقوم الساعةُ إلا الله، ولا يعلم ما تغيب الأرحامُ إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا تعلم نفسٌ بأبي أرضٍ تموتُ إلا الله، ولا يعلم متى ينزل الغيثُ إلا الله»^(١).

قوله: ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾؛ أي: علم قيام الساعة.

﴿وَيُنزَلُ الْغَيْثُ﴾؛ أي: ويعلم متى ينزل الغيث، وظاهر القرآن يدلُّ على أنَّ الله يُنزلُ الغيث، وليس فيه تعرُّضٌ لعلمٍ وقتِ نزولِ الغيث، إلا أن يُضمَّرَ (أن)، فيصيرُ التَّقْدِيرُ: علمُ الساعةِ وإنزالِ الغيثِ^(٢).

وكذلك قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ يُضمَّرُ (أن)، فيصيرُ التَّقْدِيرُ: وعلمُ ما في الأرحامِ مِنَ الذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: ما تعملُ في المُسْتَقْبَلِ من خيرٍ أو شرٍّ.

= وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧)، واسم الرجل فيه: الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب.

وذكره الواحدي أيضاً في «البيسط» (١٢٨ / ١٨) وعزاه لمجاهد ومقاتل، واسم الرجل في مطبوعه: الوارث بن عمرو المجازي. ولعله محرف عن: المحاربي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥٨٥ / ١٨) عن مجاهد ولم يسمه.

فهذا الخبر مع الاختلاف في اسم صاحب القصة لم يرو بسند متصل إلى النبي ﷺ، وإنما هي مراسيل عن عكرمة ومجاهد ومقاتل.

(١) رواه البخاري (٧٣٧٩).

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٤): «قوله: ﴿وَيُنزَلُ الْغَيْثُ﴾ عطف على خبر ﴿إِنَّ﴾،

الغريب: عطف على الساعة بإضمامار (أن)، أي: علم الساعة وإنزال الغيث.

إِنْ جَعَلْتَ ﴿مَاذَا﴾ فِي حَكْمِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَحَلُّهُ نَصْبٌ بِـ ﴿تَكْسِبُ﴾، وَإِنْ جَعَلْتَهُ كَلِمَتَيْنِ فـ (ما) رَفْعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ(ذا) خَبْرُهُ، وَالْفِعْلُ صَلُّتُهُ، وَالضَّمِيرُ مُقَدَّرٌ.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فِي حَضَرٍ أَوْ سَفَرٍ، بَرًّا أَوْ بَحْرٍ.

وَقِيلَ: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مِنْ قَدَمٍ إِلَى قَدَمٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ قَدَمٍ تَقَعُ عَلَى أَرْضٍ غَيْرِ

الْأُولَى فِي الْمَشْيِ.

وَقِيلَ: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ﴾: بِأَيِّ قَدَمٍ، وَالْأَرْضُ: الْقَدَمُ.

وَقِيلَ: فِي أَيِّ خَطْوَةٍ.

وَقِيلَ: بِأَيِّ قَدَمٍ مِنَ الشَّقَاوَةِ أَوْ السَّعَادَةِ، حَكَاهُ النَّقَّاشُ^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ ﴿خَيْرٌ﴾ بِهَا، فَمَنْ ادَّعَى عِلْمَ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ

الْخَمْسَةِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ.

(١) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/ ٩٠٤) دُونَ نِسْبَةٍ، وَاسْتَغْرَبَهُ.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سورة الم السجدة

ثلاثون آية^(١)، مكية.

ويقال لها: تنزيل السجدة.

ويقال لها: سورة الجرز^(٢).

مكية إلا خمس آيات، من قوله: ﴿نَجَّافِي جُنُوبِهِمْ﴾.

الكلبي ومقاتل: إلا ثلاث آيات، من قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ

فَاسِقًا﴾^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) - ﴿الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ﴾ تَنْزِيْلُ الْكِتٰبِ لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿

﴿الرَّحْمٰنُ﴾ سَبَقَ ﴿تَنْزِيْلُ الْكِتٰبِ لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ﴾ تَقْدِيْرُهُ: تَنْزِيْلُ

(١) «ثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٧)، وفيه: «وهي عشرون

وتسع آيات في البصري، وثلاثون آية في عدد الباقيين، اختلافها آيتان...».

(٢) لم أقف على تسميتها بسورة الجرذ عند غير المصنف، وذكر كثير من المفسرين أن من أسمائها: سورة

المضاجع؛ لوقوع لفظ المضاجع في قوله تعالى: ﴿نَجَّافِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٥٢)، وذكره الداني في «البيان في عد آي

القرآن» (ص: ٢٠٧) عن ابن عباس وعطاء، وفي «تفسير مقاتل» (٣ / ٤٤٧) أنها مكية إلا قوله

تعالى: ﴿نَجَّافِي جُنُوبِهِمْ﴾ الآية، وفيه: «وقال غير مقاتل: فيها ثلاث آيات مدنيات...».

الكتاب من ربِّ العالمين، لا كما يزعمُ الكفارُ أنَّه من تقوُّلِ محمَّدٍ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكَّ فيه أنَّ الأمرَ كذلك.

وقيل: نفْيٌ في معنى النهي؛ أي: لا ترتابوا فيه.

وقيل: معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا كهانة ولا سحر ولا شعر فيه.

(٣) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل أيقولون ﴿أَفْتَرَنَاهُ﴾: اختلقه محمَّدٌ، فتكون ﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة.

وقيل: هي المتصلة، وتقديره: أَيْصَدِّقُونَ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ؟
وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى الواو^(١).

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ ﴿بَلْ﴾ ردُّ لقولهم: ﴿أَفْتَرَنَاهُ﴾؛ أي: ليس كما زعموا، و﴿هُوَ﴾ ضميرُ القرآن، وقيل: ضميرُ الكتاب؛ أي: هو الحقُّ ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ لم يفتريه محمَّدٌ.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾؛ أي: أهل الفترة من العرب، و﴿مَّا﴾ للنفي؛ أي: لم يأتهم مُنذِرٌ قبلك؛ كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، والمعنى: لتُنذِرَ قَوْمَكَ مِنَ الْعَذَابِ.

وقيل: ﴿مَّا﴾ بمعنى: الذي، وهو بدلٌ من القوم، فيكون المعنى: أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ ولم يُنذِرْ هؤلاء، فهم غافلون، والوجهُ هو الأوَّل.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٥)، واستغربه، وقال: «وجميع حروف العطف قد

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى الرَّشَادِ بِإِنذَارِكَ، وَيُرْتَدِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ.

(٤) - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾
سَبَقَ.

﴿مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾: سِوَى اللَّهِ ﴿مِنَ وَّلِيٍّ﴾ يَتَوَلَّى أَمْرَكُمْ وَيَقُومُ بِمَصَالِحِكُمْ
﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ إِنْ وَافَيْتُمُوهُ كَافِرِينَ.

وَقِيلَ: ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ مِمَّا زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَكُمْ شَفْعَاءُ.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أَفَلَا تَتَعَطَّوْنَ بِمَوَاعِظِ اللَّهِ.

(٥) - ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾؛ أَي: أَقَامَ لِذَلِكَ مُدَبِّرَاتٍ كَقَوْلِهِ: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النَّازِعَاتِ: ٥]، وَهَمَّ: الْمَلَائِكَةُ فِي الْأَصْحَحِّ.

وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿يُدَبِّرُ﴾: يُوْحِي.

وَقِيلَ: يَقْضِي؛ أَي: يَقْضِي مَا يُرِيدُ أَنْ يَقْضِيَهُ^(١) فِي السَّمَاءِ، فَيَكُونُ ﴿مِنَ﴾
بِمَعْنَى: فِي، فَيَنْزِلُ بِهِ الْمَلَكُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَفْعَلُ مَا أَمَرَ، ثُمَّ يَصْعَدُ إِلَى مَكَانِهِ مَسِيرَةً

(١) فِي (ف): «أَنْ يَقْضِيَهُ».

خمس مئة سنةٍ نُزولًا، وخمس مئة سنةٍ صعودًا، وهو قوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ أي: من أيام الدنيا.

وقيل: مقدارُه ألف سنةٍ لو صعدَ فيها غيرُ المَلَكِ.

قيل (١): الهاءُ في ﴿إِلَيْهِ﴾ يرجعُ إلى الله سبحانه؛ أي: إلى حيثُ أمرَ الله، كقول إبراهيمَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصفات: ٩٩]؛ أي: إلى حيثُ أمرَ ربِّي.

وقيل: يرجعُ إلى السَّماءِ، وجاز لأنَّ تأنيثها غيرُ حقيقيٍّ.

وقيل: يُدبِّرُ الله الأمرَ فيظهرُ في اللوحِ المحفوظِ، فينزُلُ به المَلَكُ، ثمَّ يعرُجُ إليه في ذلك اليومِ.

وقيل: يقضي قضاءَ ألفِ سنةٍ، فينزُلُ به المَلَكُ، ثمَّ يعرُجُ لألفِ آخرٍ إذا مضى الألفُ.

وقيل: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعودُ إلى قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: مقدارُ كلِّ يومٍ ألفُ سنةٍ.

وقيل: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿يُدبِّرُ﴾ (٢).

وقيل: ﴿كَانَ﴾ هاهنا زيادةٌ. ويحتملُ أن يكون بمعنى المستقبلِ كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ.

وقيل: كان مقدارُ العروجِ.

وقيل: ﴿يَعْرُجُ﴾ بمعنى: ينزِلُ.

(١) في (ن): «وقيل».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٥)، واستغربه.

وقيل: ﴿يَرْجِعُ﴾ بمعنى: يَرْجِعُ، وتقديره: يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، ثم يموتونَ ثُمَّ يُبْعَثُونَ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ.

وقيل: قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ كقولِ القائلِ: فلانٌ يملكُ مِنَ المشرقِ إلى المغربِ.

وقال صاحبُ «النَّظْمِ»: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يعني: الشَّمْسَ ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ طُلُوعًا ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ غُرُوبًا، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنْ حَيْثُ طَلَعَتْ.

قال: ومعنى ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ للسَّائِرِ الْمُجِدِّ؛ لِأَنَّ مَسِيرَهَا مِنَ المشرقِ إِلَى المغربِ خمسُ مئةِ سَنَةٍ، ومثله: مِنَ المغربِ إِلَى المشرقِ^(١).

وقوله في الأخرى: ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] يأتي في موضعه إن شاء الله.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرينَ إلى أنَّ هذا يجوزُ أن يكونَ كعادةِ العربِ في وصفِ اليومِ المكروهِ بالطولِ، واليومِ المحبوبِ بالقصرِ.

(٦) - ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾: السِّرُّ ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: العَلَانِيَّةُ.

وقيل: الغيبُ: الآخرةُ، والشَّهادةُ: الدُّنْيَا.

وقيل: الغيبُ: ما غابَ عن الخلقِ، والشَّهادةُ: ما ظهرَ لهم.

وقيل: الغيبُ: ما سُبُوِّجَدُ، والشَّهادةُ: الموجودَةُ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٦)، وعده من العجائب.

والغيبُ: خَفَاءُ الشَّيْءِ عَنِ الْإِدْرَاكِ، وَالشَّهَادَةُ: ظُهُورُهُ لِلْإِدْرَاكِ.
﴿الْعَزِيزُ﴾ عَلَى أَعْدَائِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ عَلَى أَوْلِيَائِهِ.

(٧) - ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾.
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ مَنْ سَكَّنَهُ ^(١) فَلَهُ وَجُوهٌ:
أَحَدُهَا: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ «كُلِّ شَيْءٍ»، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: الَّذِي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ
شَيْءٍ .

وقيل: معناه: أَتَقَنَّ.

وقيل: عَلِمَ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: هُوَ يُحْسِنُ هَذَا؛ أَي: يَعْلَمُ ^(٢).
وقيل: ﴿أَحْسَنَ﴾ بِمَعْنَى: أَعْطَى، فَيَصِيرُ تَقْدِيرُهُ: أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَاجَتَهُ ثُمَّ
هُدَى ^(٣)، وَقَدْ سَبَقَ فِي (طه).

وقيل: ﴿خَلَقَهُ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ؛ أَي: خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقًا.
وَمَنْ قَرَأَ: ﴿خَلَقَهُ﴾ بِالْفَتْحِ، فَالتَّقْدِيرُ: جَمِيعُ مَخْلُوقِ اللَّهِ حَسَنٌ مُتَقَنَّ.
﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ طِينٍ﴾: مِنْ تَرَابٍ مُبْتَلٍ بِالْمَاءِ.

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والباقون: ﴿خَلَقَهُ﴾ بِالْفَتْحِ وَسِتَاتِي. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، وعده من العجائب.

(٨) - ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: أولاد آدم ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾: من نُطفَةٍ مُتَزَعَةٍ كَالْفُضالَةِ^(١) ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ هو المنيُّ، وهو بدلٌ من (السُّلالَةِ).

وقيل: معناه: سُلالَةٍ سُلِّتْ من جملة ماء^(٢).

﴿مَهِينٍ﴾: مُمْتَهَنٍ مُحْتَقِرٍ، (فَعِيلٌ) بمعنى: مفعولٍ.

(٩) - ﴿ثُمَّ رَسَوْنَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ رَسَوْنَهُ﴾ يعني: الإنسان، وقيل: النَّسْلُ؛ أي: خلقه مُعتدلاً في الشَّكْلِ.

وقيل: مُعتدلاً في الطَّبعِ.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ الرُّوحُ: ما يمتازُ به الحيُّ من الميِّتِ، والإضافةُ للتَّشريفِ؛ كبيتِ الله، وناقَةِ الله.

وقيل: ﴿مِنْ رُوحِهِ﴾؛ أي: ريحِه التي يحييا بها الإنسانُ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وتعلموا^(٣).

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكرون قليلاً، وقد سبق^(٤).

(١) «الفضالة» كالفضلة: البقية. انظر: «القاموس» مادة: (ف ض ل).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، واستغربه.

(٣) «وتعلموا» من (ف).

(٤) في تفسير الآية (١٠) من سورة (الأعراف)، وتقدم بتفصيل أوسع في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا

(١٠) - ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَذُنَا لَمْ نَسْمَعْ لَهَا شَيْئًا وَآبْنَا نَحْنُ الْمَوْتَى﴾. ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾: بَلِينَا وَهَلَكْتُ أَجْسَادُنَا فِيهَا، وَصَارَتْ تَرَابًا، وَذَهَبْنَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ كَمَا يَضِلُّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ.

﴿آءِذَا ضَلَلْنَا﴾: خَمَدْنَا فَلَمْ يُوجَدْ لَنَا لَحْمٌ وَلَا عَظْمٌ، قَالَ أَبُو عبيدة^(١).
وقيل: ﴿ضَلَلْنَا﴾: خَمَدْنَا فَلَمْ يُوجَدْ لَنَا لَحْمٌ وَلَا عَظْمٌ، قَالَ أَبُو عبيدة^(١).
وقرى بالصَّادِ^(٢)، والمعنى: أَتْنَا.

﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بِالْبَعْثِ وَالشُّورِ ﴿كَفَرُونَ﴾: جَاحِدُونَ.
وقيل: بسبب إنكارهم البعث كافرين.

(١١) - ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.
﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾: يُحْصِي آجَالَكُمْ، وَيَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ، وَهُوَ مِنْ تَوْفِيَةِ الْعَدَدِ؛ أَي: يَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْكُلِّ فَلَا يُنْقِصُ أَحَدًا مِنْكُمْ.

وقيل: من الوفاء، ولا منافاة بين قوله: ﴿تُوفِّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨]، و﴿تُوفِّيَهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، و﴿اللَّهُ يَتُوفَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، و﴿يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ رُسُلُ اللَّهِ، وَهُمْ هَاهُنَا أَعْوَانُ مَلَكَ الْمَوْتِ، وَمَلَكَ

(١) انظر: «معجاز القرآن» (١٣١/٢).

(٢) قيدها بعضهم بفتح اللام وآخرون بكسرها، ونسبت لعلي وابن عباس والحسن وأبان بن سعيد بن العاص وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣٣١/٢)، و«المحتسب» (١٧٣/٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٠٠/٣)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦١٨)، و«المحرر الوجيز» (٣٦٠/٤)، و«زاد المسير» (٤٣٩/٣)، و«البحر» (٢٥٣/١٧ - ٢٥٤).

الموت يقبض بأمر الله، والدنيا بين يدي ملك الموت كالطَّبَقِ يختار منها ما عِلِمَ أَنَّهُ قد استوفى أجله.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

(١٢) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ حَيَاءً وَذُلًّا؛ أي: ينكسون رؤوسهم من الخزي.

﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يقولون: رَبَّنَا ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾؛ أي: زالت الآن الشُّكُوكُ فِي البعثِ والنُّشُورِ فتيقنًا.

وقيل: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ ما كنا لا نُصَدِّقُ به.

وقيل: ﴿رَبَّنَا﴾ لك الحجة علينا فقد ﴿أَبْصَرْنَا﴾ رسلَكَ ﴿وَسَمِعْنَا﴾ كلامهم.

﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ لَكِنَّا نَسْأَلُ الرَّجْعَةَ، فَارْجِعْنَا إِلَى الدُّنْيَا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾؛ أي: نَعْمَلْ عَلَى طَاعَتِكَ ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن.

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا.

(١٣) - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ

الْحِنَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿هُدًى﴾: ما يهتدون به إلى النَّجَاةِ.

وقيل: لأكرهناهم على الإيمان.

وقيل: ﴿هُدًى﴾: الرجعة التي سألوها.

وقيل: ﴿هُدًى﴾: طريق الجنة.

﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: سبق وعيدي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: من كفار الجن والإنس، ويجوز أن يكون ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ تفسير القول.

قال الحسن: لو آمن إلا واحد لمأها الله من ذلك الواحد^(١).

(١٤) - ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَذُوقُوا﴾؛ أي: العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾؛ أي: تركتم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾: تركناكم فيها فلم ننظر إليكم.

وقيل: جازيناكم على نسيانكم.

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر وتكذيب الرسل.

(١٥) - ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾: وعظوا بها ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ خوفًا من عذاب الله ولقائه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٠٦)، ولم أقف عليه عند غيره، وفي العبارة شيء، والله أعلم.

وقيل: ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾: إذا دُعوا إلى الصَّلواتِ الخمسِ بالأذانِ أجابوا.

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: نَزَّهوا اللهَ ويُثَنونَ عليه بما يحمِدونه، فالْبَاءُ لِلْسَّبِّ.

وقيل: حامدين، والْبَاءُ لِلْحَالِ.

وقيل: إذا سَجَدوا قالوا: سبحانَ اللهَ وبِحمده.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمانِ به والسُّجودِ له، ولا يأنفون.

(١٦) - ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ﴾.

﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ في سببِ النزولِ: قال مالكُ بنُ دينارٍ: سألتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه عن هذه الآية: فيمَن نزلتْ؟ فقال: كان أناسٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُصَلُّونَ من صلاةِ المغربِ إلى صلاةِ العشاءِ الآخرة، فأنزلَ اللهُ فيهم هذه الآية^(١).

الحسنُ ومجاهدٌ: نزلتْ في المُتَهَجِّدين^(٢).

وقيل: فيمَن صلى العشاءَ الآخرةَ وصلاةَ الصُّبحِ في الجماعةِ^(٣).

(١) رواه بإسناد صحيح أبو داود (١٣٢١) و(١٣٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/٦١٠).

(٢) رواه أبو داود عن الحسن عقب الحديث (١٣٢١) بلفظ: «قيام الليل». ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/٦١٢) عن مجاهد، وقد صح مرفوعًا عن النبي عليه السلام تفسيرها بقيام العبد من الليل. رواه الترمذي (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/٦١٤)، من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٣) روى مسلم (٦٥٦) من حديث عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى العشاءَ في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصُّبحَ في جماعة فكأنما صلى الليل كله».

ومعنى ﴿تَجَافَى جُنُوبَهُمْ﴾: ترتفع أضلاعهم ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الفُرُشِ، ومواضع النوم.

والمَضَجَعُ: موضع النوم.

وقيل: عن النوم، والمَضَجَعُ: النومُ أيضًا، تقول إذا وَضَعَ جنبه: ضَجَعَ ضَجْعًا وُضِجُوا.

والتَّجَافَى: التَّنَحَّى إلى جهة الارتفاع.

وقيل: ﴿تَجَافَى جُنُوبَهُمْ﴾ لذكر الله بالدُّعَاءِ، وهو قوله:

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: للخوفِ وللطَّمَعِ، فهو مفعولٌ له.

وقيل: حال؛ أي: خائفينَ طامعينَ، كقوله: ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقيل: مصدرٌ؛ أي: يخافونَ خَوْفًا ويطمعونَ طَمَعًا^(١).

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: يتصدَّقونَ، وقيل: يُزَكُّونَ.

وقيل: يُنْفِقُونَ على عيالهم.

(١٧) - ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ يُرِيدُ: مِنَ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ، وقيل: مِنَ الْمُجَاهِدِينَ^(٢).

﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: لا يعلم أحدٌ ما يُعطي الله عباده المؤمنين ممَّا

تقرُّ به عيونهم مِنَ السُّرُورِ وَالنِّعَمِ؛ لِأَنَّهُ لَا نِهَآيَةَ لَهُ وَلَا انْقِطَاعَ، ومثله قوله ﷺ حكايةً

عن الله سبحانه: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، واستغربه.

(٢) كذا في النسختين، ولم أقف عليه.

خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بَلَهَ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ»، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»^(١).

وفي بعض التفسير ذكر بيان شيء مما أعد لهم، وذلك بعيداً؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾، والنبي ﷺ يقول: «ولا خطر على قلب بشر».

﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: للجزاء على أعمالهم في الدنيا.

قوله: ﴿مَّا أُخْفِيَ﴾ ﴿مَّا﴾ بمعنى: أي شيء، ومحله رفع بالابتداء فيمن قرأ: ﴿أُخْفِيَ﴾ بفتح الياء، ونصب فيمن قرأ: ﴿أُخْفِيَ﴾ بسكون الياء^(٢)، و﴿تَعْلَمُ﴾ مُعَلَّقٌ. وقيل: ﴿مَّا﴾ بمعنى: الذي، فيكون العلم بمعنى المعرفة^(٣)، أو يكون المفعول الثاني مُقَدَّرًا^(٤)، والوجه هو الأوَّل.

(١٨) - ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ في سبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الوليد بن عتبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحدُّ منك سناناً، وأبسطُّ منك لساناً، وأملأُ منك للكتيبة^(٥)، فقال له عليُّ

(١) رواه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ حمزة: (أخفي) بسكون الياء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٣) فينصب ﴿مَّا﴾ على أنها مفعول به، ولا يحتاج على هذا القول إلى مفعول ثانٍ.

(٤) وتكون ﴿تَعْلَمُ﴾ على أصل معناها، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٧)، واستغربه.

(٥) في (ف): «وأملأ للكتيبة منك».

رضي الله عنه: اسكُتْ؛ فَإِنَّمَا أَنْتَ فَاسِقٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾^(١) يعني: عليًا ﴿كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا﴾ يعني: الوليد بن عُقبَةَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَا يَسْتَوِينَ﴾؛ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ^(٢).

وَجُمِعَ لاطِّرَادِ الْحَكْمِ فِيهِ، وَلِأَنَّهُ غَيْرُ مَصْمُودٍ بِهِمَا^(٣)، وَدَخَلَ ﴿كَانَ﴾ لِأَنَّهُ يَحْكِي حَالَ الْقِيَامَةِ؛ أَي: أَفَمَنْ كَانَ بِهِذِهِ الصِّفَةِ فِي الدُّنْيَا.

(١٩ - ٢٠) - ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَبِهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ يَا وُونَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَنْتَقِلُونَ عَنْهَا ﴿نُزُلًا﴾: مَنْزِلًا.

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والآجري في «الشريعة» (١٥٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (١١٨/٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٢١/١٣)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، وهذا إسناد ساقط. ورواه الأصفهاني في «الأغاني» (١٥٣/٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٩)، من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، وهو ضعيف. وأورده عن ابن عباس أيضاً السمرقندي والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي في تفاسيرهم، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦٢٥/١٨)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥٥٣/٦)، عن عطاء بن يسار مرسلًا.

(٢) في (ف): «العقبى».

(٣) أي: لم يُنصب هذا الحكم لعلي رضي الله عنه وعقبته دون غيرهما، والظاهر أنه يجب أن يقال: غير مصمود لهما؛ فقد قال الفراء في «معاني القرآن» (٣٣٢/٢): «وإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهاباً مذهب الجمع، تقول في الكلام: ما جعل الله المسلم كالكافر فلا تسوينَ بينهم أو بينهما، وكلُّ صواب»

الحسنُ وعطاءٌ: هو ما يُعَدُّ لِلنَّازِلِ (١).

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ قال الحسنُ: يرفعهم لهبُ جهنم حتى يصيروا في أعلاها وكادَ يقذفهم، فيضربهم الزبانيةُ فيرجعوا في أسفلها (٢).

قال القفالُ: ليس أنهم يقصدون ولا يطمعون، ولكن هو كما تقول: كلما أرادَ الحائطُ أن يقعَ دعمتهُ.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ وتقولون: لا جنَّةَ ولا نارَ.

(٢١) - ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.
﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾؛ أي: قبل العذابِ الأكبرِ.

والعذابُ الأدنى؛ قيل: القتلُ والسَّبيُّ.

وقيل: الجذبُ والقحطُ.

وقيل: المصائبُ والأمراضُ.

وقيل: الحدودُ.

(١) ذكره بهذا اللفظ دون نسبة الراغب في «المفردات» مادة: (ن ز ل) (ص: ٨٠٠)، والبغوي في

«تفسيره» (٢١٢/٥)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٤٧١) عن الحسن بلفظ: «عطاء نزوله».

(٢) رواه نعيم في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٣٣٩) من طريق رجل عن الحسن، وذكره يحيى

بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٦٠)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٢٧).

وقيل: عذاب القبر^(١)، وهو ضعيفٌ في هذه الآية؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ فإنَّ الرجوعَ بعد الموتِ إلى الإيمانِ غيرُ مقبولٍ.

وقيل: يومٌ بدرٍ.

والعذابُ الأكبرُ: النَّارُ.

وقيل: العذابُ الأدنى: غلاءُ الأسعارِ، والعذابُ الأكبرُ: خروجُ المهديِّ بالسَّيفِ، حكاة النَّقَّاشِ وغيره^(٢).

الحسنُ: ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: الشَّدَائِدِ ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: الاستِصالِ؛ فإنَّه لا يكونُ في هذه الأُمَّةِ^(٣).

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعلَّ مَنْ بقيَ ولم يُقتلْ ﴿يَرْجِعُونَ﴾.

وقيل: لعلَّ المُعذَّبِينَ بالعذابِ الأدنى سوى القتلِ يرجعون فيتوبونَ.

(٢٢) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾؛ أي: بالقرآنِ ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتدبَّرَ فيها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾؛ أي: لا ندعُ الانتقامَ ممَّن أشركَ بالله تمييزاً بين المُطيعِ والعاصي.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٧)، واستغربه. ولم أقف على تفسير ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾

بالاستِصالِ عن الحسنِ ولا عن غيره، وروى الطبري في «تفسيره» (١٨ / ٦٢٩ و ٦٣٣) من طريق

قتادة عن الحسن: ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: مصيبات الدنيا ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ يوم القيامة.

ورواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣ / ٢٨) بلفظ: ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: عقوبات الدنيا.

(٢٣) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَمَ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التَّوْرَةَ ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَمَ﴾: شكٌّ ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾؛ اختلفَ المُفسِّرونَ فيه:

فقيل: من لقاءِ موسى عليه السَّلامُ الكتابَ، وهذا ظاهرٌ.

وقيل: من لقاءك موسى ليلة الإسراء؛ فإنَّ ابنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى بِنَ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَةٍ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى بِنَ مَرْيَمَ رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَمْرَةِ وَالْبِيَاضِ، سَبَطَ الرَّأْسِ»^(١).

وقيل: من لقاءِ موسى إِيَّاكَ.

وقيل: تقديرُه: آتينا موسى الكتابَ فليَقِيَ من قومِه شدائدَ، فلا تَكُنْ في شكٍّ من لقاءِ مثله من قومِكَ^(٢).

وقيل: من لقاءِ موسى ربَّه، حكاة النَّقَّاشِ في «تفسيره»، وهذا مع قولِه: ﴿لَنْ تَرَنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣] بعيدٌ؛ لِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: لَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، وَلَعَلَّ النَّقَّاشَ أَرَادَ: فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَمَ مِنْ لِقَاءِ مُوسَى رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ؛ أَي: سَيْلِقَاهُ.

وقال صاحبُ «النَّظْمِ»: هذا اعتراضٌ، وهو يرجعُ إلى أوائلِ السُّورةِ، وتقديرُه: ولقد آتينا موسى الكتابَ وجعلناه هُدًى، وقولُه: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَمَ مِنْ لِقَائِهِ﴾ مُتَّصِلٌ

(١) رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٨)، واستغربه.

بقوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]؛ أي: فلا تكن أنت في مرية من لقاءه^(١).
 ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: الكتاب، وقيل: موسى.

(٢٤) - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً﴾: هم علماءهم، وقيل: أنبيأؤهم.

﴿يَهْدُونَ﴾: يدلونهم على الطريق المستقيم.

﴿بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: بأمرنا إياهم بذلك.

وقيل: ﴿بِأَمْرِنَا﴾: بديننا.

﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾: حين صبروا على الطاعة وعن المعصية.

﴿وَقَرَأَ﴾: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾^(٢)؛ أي: لصبرهم.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾: التوراة، وقيل: بالآيات التسع.

﴿يُوقِنُونَ﴾: يعلمونها علماً لا يخالجه شك.

(٢٥) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: يحكم بين

الأنبياء وأممهم فيما اختلفوا.

وقيل: يفصل بين المؤمنين والمُشركين، فيظهر المحق من المبطّل.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٠٨)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

وقيل: ﴿يَفْصِلُ﴾: يُفَرِّقُ بَيْنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْمَنَازِلِ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَالْكَافِرُونَ فِي النَّارِ.

(٢٦) - ﴿أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ فاعل ﴿يَهْدِ﴾ مُقَدَّرٌ؛ أَي: أَوْلَمْ يَهْدِ إِهْلَاكُنَا الْقُرُونِ الْمَاضِيَةَ الَّذِينَ يَمْشُونَ هُؤْلَاءِ^(١) فِي مَسَاكِنِهِمْ، وَالْمَعْنَى: لِمَ لَا يَعْتَبِرُونَ بِأَهْلَاكِهِمْ، وَهُمْ يَمْشُونَ فِي دِيَارِهِمْ، وَيَرُونَ مَا حَلَّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: لِدَلَالَاتٍ وَمَوَاعِظَ وَزَوَاجِرَ ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ مَا يُوعِظُونَ فَيُرْتَدِعُوا؟

و﴿كَمْ﴾ فِي الْآيَةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلَ ﴿يَهْدِ﴾ وَلَا مَفْعُولَهُ؛ لِأَنَّ ﴿كَمْ﴾ لِلْإِسْتِفْهَامِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لَا يَعْمَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ، بَلْ يَعْمَلُ فِيهِ مَا بَعْدَهُ، وَمَحَلُّهُ فِي الْآيَةِ نَصْبٌ بِ﴿أَهْلَكْنَا﴾. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﴿يَهْدِ﴾ بِمَعْنَى: يُعَلِّمُ، وَيُدْرِي، وَيُرِي، فَيَكُونُ الْفَاعِلُ مُضْمَرًا يَعُودُ إِلَى اللَّهِ، كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (نَهْدِ) بِالنُّونِ^(٢)، ثُمَّ يَكُونُ مُعَلَّقًا. وَاللَّامُ فِي ﴿لَهُمْ﴾ زِيَادَةٌ.

(١) كَذَا فِي النَّسَخَتَيْنِ، وَالْمُرَادُ: يَمْشِي هُؤْلَاءِ.

(٢) نَسَبَتْ لِعَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَالسَّلْمِيِّ. انظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١١٩). وَهِيَ رَوَايَةٌ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ وَقَتَادَةَ وَأَبِي زَيْدٍ عَنِ يَعْقُوبَ كَمَا فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ» (١٤ / ١١٠).

وَذَكَرَ الْمَصْنِفُ هَذَا الْقَوْلَ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢ / ٩٠٨)، وَاسْتَعْرَبَهُ، وَفِيهِ: «الْغَرِيبُ: فَاعِلُهُ (اللَّهُ) بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ يَعْقُوبَ: (نَهْدِ) بِالنُّونِ، وَ(كَمْ) نَصْبٌ بِ(أَهْلَكْنَا) وَلَا تَرْتَفِعُ بِالْفِعْلِ أَلْبَتَّةَ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ لَا يَعْمَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ». وَقَالَ قَبْلَهُ: «فَاعِلُ ﴿يَهْدِ﴾: أَهْلَكْنَا، وَدَلَّ عَلَيْهِ فِعْلُهُ». كَذَا وَقَعَ، وَلَعَلَّهُ: (إِهْلَاكُنَا).

(٢٧) - ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ الماء: ماء المطر.

وقيل: ماء الأنهار.

والأرض الجرُّ: اليابسة التي لا نبات بها، من قولهم: رجل جَرُوزٌ: يأكل كلَّ شيءٍ، وسيفٌ جُرَّازٌ: يقطع كلَّ شيءٍ.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾: بالماء، ويحتمل: بالمكان^(١).

﴿زَرْعًا﴾: نباتًا، وقيل: نباتًا وأشجارًا.

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنفُسُهُمْ﴾: التبن، والورق، والحشيش.

﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾: الحبَّ والتَّمْر، وحرَّ البقل.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾: بأعينهم، فيستدلُّوا به على قدرته على إحياء الموتى.

وقيل: الأرض الجرُّ: اسمٌ موضع بعينه.

وقيل: هي اليمن.

وقيل: هي ما لا يصل إليه ماء النَّهر، فيسوقُ الله إليه المطرَ.

وقيل: لا يكفيه المطرُ، فيسوقُ الله إليه السَّيلَ.

ويحتمل: أنها التي انقطع نباتها في الشَّتاء، فإذا أصابها مطرُ الرَّبيع نبت.

(١) في (ف): «المكان».

(٢٨ - ٢٩) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الفراء: فتح مكة^(١)؛ وذلك أن المؤمنين كانوا يعدون المشركين ذلك، فقالوا استهزاء: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ﴾ فأنزل الله:

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ في أكثر التفاسير: أنها نزلت في قوم قتلهم خالد بن الوليد يوم فتح مكة^(٢)، فيكون خاصاً في ذلك القوم؛ لأن أكثر أهل مكة آمنوا فنفعهم إيمانهم.

وقيل: المراد بالفتح: الفصل والقضاء يوم القيامة؛ لأنهم كانوا يستهزئون بذكره، ويُنكرونه فأنزل الله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لأنهم مضطرون فلا يستحقون به ثواباً.

الزجاج: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يوشك أن يكون لنا يوم نستريح فيه،

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٣).

(٢) ذكر المفسرون قصة مفادها: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة تحصن بنو جذيمة على أعلى جبل، فأرسل إليهم خالد بن الوليد يستنزلهم، فقالوا: قد أسلمنا، قال: فانزلوا إن أسلمتم، فنزلوا فوضع فيهم السيف فقتلهم؛ لأنهم كانوا قتلوا عوقاً أبا عبد الرحمن بن عوف وجداً لخالد قبل ذلك. وليس في هذا شيء يصح، وخالد رضي الله عنه منزه عن أن يقتل قوماً بعد أن أعلنوا إسلامهم، أو يتعامل بإحسان الجاهلية بعد إذ أكرمهم الله بالإسلام، ويرده أيضاً ما رواه البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي جَذِيمَةَ، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحْسِنُوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فجعل خالد يُقتل منهم ويأسر...» الحديث. فهم قالوا: صَبَأْنَا، ولم يقولوا: أسلمنا، فقتلوا؛ لأن ما أشهروه هو الكفر في الظاهر، لا الإسلام كما في ذلك الخبر.

فقال المُشركون: متى هذا الفتحُ؟ فأعلمَ الله أنَّ الراحةَ في الجنَّةِ في الآخرةِ^(١).

(٣٠) - ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ .

﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴾ : عن مُشركي قريشٍ بمكَّةَ .

والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ في (براءة)^(٢) .

وقيل: معناه: تغافلُ عن قولهم: متى هذا الفتحُ؟

وقيل: أعرَضَ عنهم بالهجرةِ .

﴿ وَأَنْتَظِرُ ﴾ أمرنا بالجهادِ .

وقيل: ﴿ انتظر ﴾ نصرنا .

وقيل: ﴿ انتظر ﴾ هلاكهم .

وقيل: ﴿ انتظر ﴾ الفرصةَ فيهم .

﴿ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ الفرصةَ فيك .

وقيل: ﴿ مُنْتَظِرُونَ ﴾ الموتَ .

وقيل: ﴿ مُنْتَظِرُونَ ﴾ موتَكَ .

وقيل: ﴿ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ لأنَّ الفتحَ مُتَيْقِنٌ، فيقعُ بهم وقوعَ المُنتظرِ . والله

أَعْلَمُ .

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ٢١٢) .

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢ / ٦٩٦) عن قتادة، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ»

(ص: ٦٢٢) عن ابن عباس .

سُورَةُ الْأَنْجَابِ

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

ثلاثٌ وسبعون آيةً^(١)، مدنيّةٌ بالإجماع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿﴾ في سببِ التَّزْوِيلِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي

أبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعمور السُّلَمِيُّ، قَدِمُوا الْمَدِينَةَ بَعْدَ قِتَالِ أَحَدٍ فَنَزَلُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ، وَقَدْ أَعْطَاهُم النَّبِيُّ ﷺ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يُكَلِّمُوهُ، فَقَامَ مَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَطُعْمَةُ بْنُ أَبِي رِيقٍ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ عَمْرُ ابْنُ الْخَطَّابِ: ارْفُضْ ذَكَرَ آلِهَتِنَا اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، وَقُلْ: إِنَّ لَهَا شَفَاعَةً وَشُفَعَةً لِمَنْ عِبَدَهَا، وَنَدْعُكَ وَرَبَّكَ.

وَشَقَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُمْ، فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ائْتِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي

قَتْلِهِمْ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْطَيْتُهُمُ الْأَمَانَ»، فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اخْرُجُوا فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضِبِهِ. وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٢).

(١) «ثلاثٌ وسبعون آيةً»: ليس في (ف).

(٢) ذكره دون سند مقاتل في «تفسيره» (٣/٥٠٠)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/٣٣٤)، والماتريدي =

والمعنى: اتَّقِ الله في نقضِ العهدِ.

الزَّجَّاجُ: اثْبُتْ على تقوى الله وِدْمٌ عليها^(١).

وقيل: معناه: اتَّقِ الله وحده.

وقيل: الخطابُ للنبيِّ والمرادُ به أمته، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

بالجمع.

﴿وَلَا تُطْعِ الْكُفْرِينَ﴾ من أهلِ مَكَّةَ ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ من أهلِ المدينة، فيما يسألونك

من الرِّفْقِ بهم، ولا في غيره.

وقيل: ولا تُطْعِمهم في إبعادِ الفقراءِ عنك ليُجالسوك.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكونُ قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ بخلقه قبل خلقه.

(٢) - ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني: أمره؛ ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾، ونهيه؛ ﴿وَلَا تُطْعِ

الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

وقيل: واتَّبِعْ أحكامَ الله التي يُوحىها إليك دون أحكامِ الجاهليَّةِ من الظُّهارِ

والتَّبَنِّيِّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: لم يزلُ عالمًا بأعمالهم وأعمالكم.

= في «تأويلات أهل السنة» (٣٤٧/٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٣١٤/٢١)، والواحدي في «أسباب

النزول» (ص: ٣٥١). وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٢): «هكذا ذكره الثعلبي

والواحدي بغير سند».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/٢١٣).

(٣) - ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ : فَوَضَّ أَمُورَكَ إِلَيْهِ، وَلَا تَخَفِ الْكُفَّارَ ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ :
حَسْبُكَ بِاللَّهِ قَائِمًا بِأَمُورِكَ .

(٤) - ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ في سببِ النُّزُولِ : أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي جَمِيلِ
ابْنِ مَعْمَرِ الْفِهْرِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا لَيِّبًا، حَافِظًا لِمَا يَسْمَعُ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا حَفِظَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءَ إِلَّا وَلَهُ قَلْبَانِ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ لِي قَلْبَيْنِ ؛ أَعْقِلُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَفْضَلَ مِنْ
عَقْلِ مُحَمَّدٍ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ وَهَزِمَ الْمُشْرِكُونَ وَفِيهِمْ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ تَلَقَّاهُ أَبُو سَفْيَانَ
وَهُوَ مُعَلَّقٌ إِحْدَى نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ وَالْأُخْرَى فِي رِجْلِهِ، فَقَالَ : يَا مَعْمَرُ مَا حَالُ النَّاسِ ؟
قَالَ : انْهَزْمُوا . قَالَ : فَمَا بِالْأُحْدَى نَعْلَيْكَ فِي يَدِكَ وَالْأُخْرَى فِي رِجْلِكَ ؟ فَقَالَ :
مَا شَعَرْتُ إِلَّا أَنَّهُمَا فِي رِجْلِي، فَعَرَفُوا يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ قَلْبَانِ لَمَّا نَسِيَ نَعْلَهُ
فِي يَدِهِ^(١) .

(١) انظر : «تفسير مقاتل» (٣/٤٧١ - ٤٧٢)، و«تأويلات أهل السنة» (٨/٣٤٩)، و«تفسير الثعلبي»
(٨/٦)، و«النكت والعيون» (٤/٣٧٠ - ٣٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥١)،
و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية، وهو جميل بن معمر بن حبيب بن
وهب بن حذافة بن جمح القرشي، وهو من مسلمة الفتح. انظر: «الاستيعاب» (١/٢٤٧)،
و«أسد الغابة» (١/٤٣٣)، و«الإصابة» (١/٥٠٠).

قال الزَّجَّاجُ: قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فَسَهَا كَمَا يسهو الرَّجُلُ فِي صَلَاتِهِ، وَخَطَرْتُ عَلَى بَالِهِ كَلِمَةً، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ؛ قَلْبًا مَعَكُمْ، وَقَلْبًا مَعَ أَصْحَابِهِ^(١).

قال الزَّجَّاجُ: وجاء في التَّفْسِيرِ أَيْضًا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَطَلٍ كَانَتْ تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ ذَا الْقَلْبَيْنِ، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْهُ مَا ذَكَرَ عَنْ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ^(٢).

وقيل: جميلُ بنُ أُسَيْدٍ^(٣).

وقيل: الحارثُ بنُ فِهْرٍ.

وقيل: مَعْمَرُ بنُ أُسَيْدٍ.

وقيل: هذا تكذيبٌ للمُنافقين في قولهم للمؤمنين: آمنا بالله ونحنُ معكم، ثم إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم؛ أي: لا يجتمعُ قلبان؛ قلبٌ مؤمنٌ وقلبٌ كافرٌ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣)، والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١٠)، والترمذي (٣١٩٩) وحسنه، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٥٥)، والضياء في «المختارة» (٩/ ٥٣٩-٥٤٢)، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس: رأيت قول الله: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين؛ قلباً معكم، وقلباً معهم. وعند ابن خزيمة: وقلباً مع أصحابه. فأُنزل الله: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فتعقبه الذهبي بقوله: «قابوس ضعيف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣).

(٣) رواه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٠٥) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ومحمد بن مروان هو السدي الصغير كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

الحسنُ: كان رجلٌ يقول: لي نفسٌ تأمرني، ونفسٌ تنهاني، فنزلت هذه الآية^(١).
 وذهب جماعةٌ من المفسرين إلى أن هذا نهى عن التَّبَيُّ، وتسمية زيد ابن رسول الله ﷺ؛ فإنَّ المولد إذا استقرت النطفة في الرحم صار له قلبٌ، فلا يجوز أن يصير له قلبٌ آخرٌ بالنطفة الداخلة عليه بالوطء الثاني، فإذا لم يجز ذلك فهو كصاحب^(٢) القلب، فلا يكون لرجلٍ واحدٍ قلبانٍ ولا أبوانٍ ولا أُمَّانٍ، فانتظمت الآية على هذه الثلاثة، وهو قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾، ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ أَلْسِنَةً تَبْطِغُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ حكاة القفال، وقال: حكى الشافعي رحمه الله هذا التأويل عن بعض المفسرين، وهو قول الزهريِّ ومقاتلِ بنِ حيان^(٣).

وقيل: مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿وَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾؛ فإن طاعتها لا تجتمع مع الإيمان في قلبٍ واحدٍ، كما تقول: سيفانٍ لا يجتمعان في غمِدٍ واحدٍ.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٧ / ١٩).

(٢) في (ف): «لصاحب».

(٣) انظر: «تفسير الشافعي» (٣ / ١١٨٢)، و«أحكام القرآن للشافعي» جمع البيهقي (٢ / ١٥٦)، وفيه: «عن الشافعي أنه قال: زعم بعض أهل التفسير: أن قول الله جل ثناؤه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: ما جعل لرجلٍ من أبوين في الإسلام. قال الشافعي: واستدل بسباق الآية: قوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الشيخ (يعني: البيهقي): قد روينا هذا عن مقاتل بن حيان وروي عن الزهري».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٠)، والطبري في «تفسيره» (٩ / ١٩) عن الزهري بلفظ: «بلغنا أنه كان في شأن زيد بن حارثة، ضرب له مثلاً، يقول: ليس ابنُ رجلٍ آخر ابْنِكَ»، لكن قال النحاس في «معاني القرآن» (٥ / ٣١٩): «قول ضعيف لا يصح في اللغة، وهو من منقطعات الزهري»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١٠)، وعده من العجائب.

وقيل: أَعَلَّمَ اللهُ بِذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ سِوَاءَ فِيمَا تُعَلِّمُ بِهِ الْأَشْيَاءَ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ قَلْبًا يَعْلَمُ بِهِ الْبِوَاطِنَ وَالْغُيُوبَ وَحَرَمَهُ آخَرَ، بَلْ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ قَلْبًا وَاحِدًا، فَهَمَّ فِي الْاِسْتِدْلَالِ وَالْمَعْرِفَةِ سِوَاءً؛ لِيُكْذِّبُوا مَنْ ادَّعَى الْغُيُوبَ وَعَلِمَ الْغَيْبِ مِنَ السَّحْرَةِ وَالْكَهْنَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وقيل: هَذَا رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ لِمُحَمَّدٍ قَلْبَيْنِ، فَلِهَذَا عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ غَيْرُهُ؛ يَقْصِدُونَ بِهَذَا الْكَلَامِ تَشْكِيكَ الصَّعْفَةِ فِي بُبُوتِهِ، وَيُوهَمُونَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِمَا عَجَزَ عَنْهُ غَيْرُهُ لِأَنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾، وَهُوَ دَاخِلُهُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْقَلْبُ وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَحْشَاءِ^(١).

وَدَخَلَ ﴿مِنْ﴾ لِعُمُومِ النَّفْيِ.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ نَزَلَتْ فِي أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ وَامْرَأَتِهِ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وَسَيَّاتِي فِي سُورَةِ (الْمُجَادِلَةِ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكَانَ مِنْ طَلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لَامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، فَردَّ اللَّهُ ذَلِكَ، وَأَوْجَبَ الْكُفَّارَةَ عَلَى مَنْ قَالَ ذَلِكَ، وَالْمَرْأَةُ زَوْجَتُهُ كَمَا كَانَتْ.

و﴿الَّلَّائِي﴾ فِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ؛ بِيَاءٍ بَعْدَ الْهَمْزَةِ، وَبِالْهَمْزَةِ وَحْدَهَا، وَبِتَلْيِينِ الْهَمْزَةِ^(٢)، قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

(١) ذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/ ٩٠٩)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

(٢) قَرَأَ قَالُونَ وَقَبِلَ بِالْهَمْزِ مِنْ غَيْرِ يَاءٍ، وَوَرَشَ بِيَاءٍ مُخْتَلَسَةً بَدَلًا مِنَ الْهَمْزَةِ وَإِذَا وَقَفَ صَبْرًا يَاءٌ سَاكِنَةٌ، وَالبزري وأبو عمرو بِيَاءٍ سَاكِنَةً بَدَلًا مِنَ الْهَمْزَةِ فِي الْحَالِينِ، وَالباقون بِالْهَمْزِ وَيَاءٍ بَعْدَهَا فِي الْحَالِينِ. انظُرْ: «السَّبْعَةُ» (ص: ٥١٨)، وَ«التَّيْسِيرُ» (ص: ١٧٧ - ١٧٨).

(٣) «الشَّاعِرُ»: لَيْسَ فِي (ف).

مَنْ اللَّاءِ لَمْ يَحْجُبْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلًا^(١)
 وَفِي الظَّهَارِ لَغَاتٌ: ظَاهِرٌ، وَتَظَاهَرَ، وَتَظَهَّرَ^(٢)، وَاشْتِاقَهُ مَنْ (الظَّهْرِ) فِي
 قَوْلِهِمْ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جَمْعُ دَعِيَ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي
 الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رَأَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَتَى أَدْيِيًا شُجَاعًا ذَا كَفَايَةٍ ادَّعَاهُ ابْنًا فُنُسِبَ إِلَيْهِ، وَإِذَا
 مَاتَ وَرِثَهُ أَسْوَةٌ بِسَائِرِ أَوْلَادِهِ، فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَفِي سَبَبِ التَّنْزِيلِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي زَيْدِ بْنِ الْحَارِثَةِ، وَكَانَ مِنْ بَطْنِ مَنْ كَنَانَةٌ،
 سُبِّيَ فِي صِغَرِهِ فَصَارَ عَبْدًا لِحَدِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَوَهَبَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ
 عَبْدًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْتَقَهُ وَتَبَّأَهُ قَبْلَ الْوَحْيِ، فَلَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ
 جَحْشٍ وَكَانَتْ تَحْتَ زَيْدٍ، قَالَ الْمَنَافِقُونَ: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ امْرَأَةَ ابْنِهِ وَهُوَ يَنْهَى النَّاسَ
 عَنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ^(٣).

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة كما في «مجاز القرآن» (١ / ١٢٠).

ولهذيل الأشجعي كما في «المتع في صناعة الشعر» (ص: ٣٣٥).

وللحارث بن ربيعة كما في «ربيع الأبرار» (٢ / ٢٩٨).

وللعرجي - وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان - كما في «التمهيد» لابن عبد البر

(٢٠ / ٢٢٧)، وهو في «ديوان العرجي» (ص: ٧٤).

وتمثلت به عائشة بنت طلحة كما في «العقد الفريد» (٧ / ١١٨).

(٢) قرأ عاصم: ﴿تظاهرون﴾ بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء، وابن عامر بفتح التاء

والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها، وحمزة والكسائي كذلك إلا أنهما يخففان الظاء، والباقون بفتح

التاء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣ / ٤٧٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٣١٩)، والواحدي في «أسباب

النزول» (ص: ٣٥٢).

﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: لا حقيقة له كما يقول النَّائِمُ والهاذي، يوجد على الفم ولا حقيقة له؛ لأنَّ الابن يكون بالولادة، وكذلك الأمُّ لا تكون إلا بالولادة.
 ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾؛ أي: الله يقول ما يجب أن يُقال.
 وقيل: معناه: ما يقوله الله في هذا وغيره هو الحقُّ الواجبُ الذي من عدلٍ عنه كان مُبطلًا.

﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾: الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْفَلَاحِ.

(٥) - ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾: انسبواهم إلى آبائهم.

في سببِ النزولِ: عن ابنِ عمر رضي الله عنهما: أنه كان يقول: ما كنا ندعو زيدَ بنَ حارثةَ إلا زيدَ بنَ محمدٍ، حتى نزلَ في القرآنِ: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾^(١).
 ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: أصدقُ في القولِ وأعدلُ، من (القِسْطِ) - وهو العدلُ - مصدرُ فعلٍ لا يُستعملُ إلا بزيادةِ الألفِ، ولفظُ التَّفْضِيلِ فيه كقوله:
 ﴿وَإَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] ^(٢).

وصار هذا ناسخًا لما كانوا عليه من التَّبَنِّي.

(١) رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٢) فيقال: أحسن إسقاطًا، من الفعل (أقسط) بمعنى: عدل، أما الفعل (قسط) بمعنى: عدل، فهو غير مستعمل في رأي المصنف، وقد تقدم كلام للمصنف على هذا والتعليق عليه في تفسير قوله تعالى:

﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾؛ أي: فهم إخوانكم في الدين.
 ﴿وَمَوْلَايَكُمْ﴾؛ أي: وبنو الأعمام؛ فَإِنَّ لِلدِّينِ لُحْمَةً كُلُّحِمَةِ النَّسَبِ.
 وقيل: ﴿مواليكم﴾ إذا كانوا مُعْتَقِينَ.

وقيل: ﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَايَكُمْ﴾ في الدين، فسُمُّوهم بأسماء العرب؛
 عبد الله، وعبد الرحمن؛ أي: من كان له أبٌ نُسِبَ إلى أبيه، ومن لم يكن له أبٌ
 نُسِبَ إلى مواليه، ومن فقدهما نُسِبَ إلى عبودية الله وأديانهم وصناعاتهم.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾؛ أي: سهوتم فنسبتم إلى غير أبيه.
 الزَّجَاجُ: يجوزُ أن يكون المراد: لا جناح عليك أن تقول له: يا بُنَيَّ^(١).

﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ أي: ولكنَّ الجناح عليكم فيما تعمدت قلوبكم،
 فقصدتم النسبة إلى غير الأبِ وخالفتم أمر الله.

وقيل: ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ قبل النهي، و﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعد النهي.
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمُخْطِئِ ﴿رَحِيمًا﴾ في رُخصته.

(٦) - ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ
 مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ معنى ﴿أَوْلَىٰ﴾: أحقُّ؛ أي: حُكْمُهُ أَنْفَدُ
 عليهم من حُكْمِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ.

وقيل: أحقُّ بتدبير المؤمنين في أمور دينهم.

وقيل: أولى بهم من بعضهم لبعض، كقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]؛ أي: بعضكم على بعض.

وذكر النقاش في «تفسيره»: أن سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج قال قوم: نستأذنُ آبَاءنا وأُمَّهَاتنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية^(١). قال القفال رحمه الله: لآية وجه آخر، وهو: ما روى معمر عن الزهري عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أن النبي ﷺ كان يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فأیما رجل مات وترك ديناً فإليّ، وإن ترك ما لاهو لورثته»^(٢). ﴿وَأَزْوَاجَهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾؛ أي: مُنْزَلَاتُ مَنْزِلَةِ الْأُمَّهَاتِ فِي التَّحْرِيمِ وَالْحُرْمَةِ، وليس يريد في الإرث ولزوم النّفقة.

واختلفوا فيمن طلقها النبي ﷺ في حياته.

وفي بعض المصاحف: (وهو لهم أب)^(٣).

وروي أن عمر رضي الله عنه مرّ بـغلام وهو يقرأ: (وهو لهم أب) فقال للغلام: حُكّه من المصحف، قال: هذا مصحف أبيّ، فقال: ما هذا يا أبيّ؟ قال: كنت أشدّ اشتغلاً منك بالقرآن^(٤).

وكذلك قرأ ابن عباس رضي الله عنهما^(٥).

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٣٩٩)، ومسلم (١٦١٩)، وليس عند مسلم ذكر الآية.

(٣) رويت عن أبي وابن عباس رضي الله عنهم كما سيأتي، وعن ابن مسعود رضي الله عنه كما في «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٣٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٧)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢ / ٧٠٨).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٥٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤٢٠)، وصححه

الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله «بل طلحة ساقط».

وذكرت الأئمة أن سورة (الأحزاب) كانت تُعادل سورة (البقرة)، وفيها آية الرجم^(١). ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: وذوو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾؛ أي: في التوارث، وكانوا يتوارثون بالهجرة والإسلام والحلف والمؤاخاة، من قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَدَعَةٍ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، فنسخ ذلك بهذه الآية، وقد سبق^(٢).

وقوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يريد^(٣) آية الموارث.

وقيل: في حكم الله.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ المؤمنون في هذه الآية الأنصار؛ وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فتكون ﴿مِنَ﴾ للتفضيل^(٤).

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: وأولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض ممن لم يؤمن ولم يهاجر، فتكون ﴿مِنَ﴾ للتبيين^(٥). وقيل: صلة^(٦).

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ في حياتكم، أو وصية بالثلث.

وذهب الحسن إلى أن هذا في النسب وإن كان من أهل الشرك جوز أن يوصي لهم^(٧)، وزيفه أكثر المفسرين.

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٢٠)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند»

(٢١٢٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧١١٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قوله.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْلِيَائِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وانظر: «الناسخ والمنسوخ»

لابن سلام (ص: ٢٢٤)، وللنحاس (ص: ٣٣٣ و٤٧٤).

(٣) في (ف): «يعني».

(٤) يعني أنها متصلة باسم التفضيل ﴿أَوْلَىٰ﴾.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، وعده من العجائب.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٨) بلفظ: «إلا أن يكون لك ذو قرابة ليس على دينك فتوصي =

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾: في القرآن.

وقيل: في اللوح المحفوظ.

وقيل: في التوراة.

﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوبًا؛ لأنَّ في التوراة: إذا نزلَ رجلٌ بقومٍ من أهلِ دينه فعليهم أن

يُكْرِمُوهُ وَيُؤَاسِوهُ، وميراثه لذوي قرابته.

(٧) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ القفال: مسطورًا حينَ أخذنا^(١).

الزجاج: واذكرُ إذ أخذنا من النبيين^(٢).

﴿مِيثَاقَهُمْ﴾: عهدَهم على تبليغِ الرِّسالةِ، والوفاءِ بها، وتصديقِ بعضهم

بعضًا، وتبشيرِ بعضهم ببعضٍ.

﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قَدَّمَ نبيِّنا تعظيمًا وتبجيلًا.

وقيل: لأنَّ الواو لا يوجبُ ترتيبًا، ولأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «كنتُ أوَّلَهم في الخلقِ

وآخرَهم في البعثِ»^(٣).

= له بالشيء من مالك، فهو وليك في النسب، وليس وليك في الدين».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٣) عن قتادة مرسلًا، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره»

(٩/ ٣١١٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦٦٢)، وتمام في «فوائده» (١٠٠٣)، والثعلبي

في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٢) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله

وقيل: خصَّهما بالذكرِ لأنَّ نوحًا أوَّلهم بعد الغرقِ، ومحمدًا ﷺ آخرهم.
﴿وَابْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ خصَّهم بالذكرِ لأنَّهم كانوا أصحابَ الشرائعِ
من بينهم، وغيرهم من الأنبياء فيها تبعٌ لهم.
﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: مُؤكِّدًا باليمينِ، وأعاد ذكرَ الميثاقِ لانضمامِ
الوصفِ إليه.

(٨) - ﴿لَسْتَ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.
﴿لَسْتَ لَ الصَّادِقِينَ﴾: الأنبياء ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾؛ أي: عمَّا قالوه لقومهم.
ويحتملُ أنَّ الصَّدقَ بمعنى: التَّصديق؛ أي: عن تصديق قومهم إيَّاهم، كما جاء
في الأخرى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، والسُّؤالُ توبيخٌ
لمن كذَّبهم^(١).
وقيل: ليس هناك سؤالٌ، إنَّما المرادُ: أن يُحاسبَ الصَّادقُ والكاذبُ، فيُجازى
كلُّ بما كسب^(٢).

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في القبرِ والقيامةِ.
ولامٌ ﴿لَسْتَ لَ﴾ مُتَّصِلٌ بالأخذِ.

= عنه. قال ابن كثير في «تفسيره» (٦ / ٣٤٢): « سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي

عروبة عن قتادة مرسلًا، وهو أشبهه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا. »

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١١)، وعده من العجائب.

(٩) - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ : ما منَّ به عليكم .

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من المشركين؛ يعني: الأحزاب، وهم قريش و غطفان، وظاهرهم أهل الكتاب من بني قُريظة والنَّضير، فحاصروا المسلمين أيام الخندق. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الصَّبا؛ قَلَعَتْ خِيَامَهُمْ، وَأَكْفَأَتْ قُدُورَهُمْ، فلم يُمكنهم القَرَارُ في مواضعهم، وكانت تلك الرِّيحُ مُعْجِزَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ إِلَّا مَقْدَارٌ يَسِيرٌ يَرَى فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ رِيحًا بَارِدَةً شَغَلَتْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَقَلَعَتْ أَحْبَبَتَهُمْ وَأَبْنَيْتَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُ عَسْكَرِهِ مِنْ ذَلِكَ فِي عَافِيَةٍ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من حفر الخندق؛ إِنْ قُرِئَتْ بِالتَّاءِ، وَبِمَا يَعْمَلُ الْمُشْرِكُونَ وَجُنُودَهُمْ مِنَ الْمُحَارَبَةِ؛ إِنْ قُرِئَتْ بِالْيَاءِ^(١). ﴿بَصِيرًا﴾ : عَالِمًا.

(١٠) - ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ .

﴿إِذْ جَاءَكُمْ﴾ بدل من: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ﴾ .

﴿مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾؛ أي: من جوانب مكة والمدينة، وصفهم بالكثرة والانشغال عليهم.

(١) قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: عدلت عن مقرّها، وقيل: شخصت طامحةً من الفزع.
الفراء: مالت عن كل شيء إلا إلى عدوّها^(١)، تنظر إليها متحيّرةً لشدّة الأمر
وصعوبته عليكم.

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾؛ فَإِنَّ الرِّئَةَ تَتَفَخُّ عِنْدَ الْخَوْفِ، فِيرْتَفِعُ الْقَلْبُ
حَتَّى يَكَادُ يَبْلُغُ الْحَنْجَرَةَ.

وقيل: اضطرب الفؤاد فلم يستقرّ مكانه، بل بلغ بحركته إلى الحلق والحنجرة.
وقيل: ﴿بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ مجازٌ أبلغ من الحقيقة.

﴿وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾؛ أي: ظنونًا مختلفةً؛ فالمخلصُ يظنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ وَعَدَهُ
فِي إِعْلَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالضَّعِيفُ يظنُّ غَيْرَ ذَلِكَ لِمَا يَرَى مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ،
وَالْمُنَافِقُ يَقُولُ: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

(١١) - ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اختبروا فظهر المخلص من المنافق.

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: حركوا تحريكًا بليغًا بالفتنة والتّمحيص، فثبتوا على

إيمانهم.

والزّلزلة: شدّة الحركة.

(١٢) - ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ عطفٌ على الأولى.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌ وضعفٌ في المُعتقِدِ.

قيل: هو وصفٌ للمنافقين بالواو، كما قال الشاعر^(١):

إلى المَلِكِ القَرَمِ وابْنِ الهُمَامِ وليثِ الكَتِيبَةِ فِي المَزْدَحَمِ^(٢)

وقيل: هم قومٌ كان المنافقون يستميلونهم بإدخالِ الشُّبُهَةِ عليهم.

﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال المُفسِّرون: نزلت في مُعتَبِ بْنِ قُشَيْرٍ؛

وذلك أن النَّبِيَّ ﷺ حين أمر بحفرِ الخندقِ عرَضَتْ صَخْرَةٌ سَقَّتْ على مَنْ كان يليها،

فلَمَّا رأى رسولُ الله ﷺ ذلك نزلَ في الخندقِ، وأخذَ مِعْوَلًا من سلمانَ رضي الله

عنه، فضربَ تلك الصَّخْرَةَ ثلاثَ ضرباتٍ، فخرجَ مع كُلِّ ضربةٍ كهَيْئَةِ البرقِ، فقال

سلمانُ رضي الله عنه: لقد رأيتُ أمرًا عظيمًا، فقال ﷺ: «كذا وقد رأيتَ ذلك؟»

قال: نعم، والذي أنزلَ عليك القرآنَ، فقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «لقد رأيتُ في

الصَّربَةِ الأولى أبيضَ المدائنِ، وفي الثانيةِ قُصورَ اليمنِ، وفي الثالثةِ مدائنَ الرُّومِ،

وليفتحَنَّ اللهُ هذه على أمتي».

فلما حصرهم الأحزابُ واشتدَّ عليهم المجالُ قال مُعتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ: يَعدُّنا أن

يُفتحَ علينا قُصورُ الرُّومِ والفرسِ واليمنِ، ولا يستطيعُ أحدُنا أن يذهبَ إلى الخلاءِ،

﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٣)؛ أي: باطلاً.

(١) «الشاعر»: ليس في (ف).

(٢) تقدم عند تفسير الآية (٢٤) من سورة هود.

(٣) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٢٢٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي =

(١٣) - ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٌ إِن يُّرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ يثرب: هو (١) المدينة.
وقيل: أرض، والمدينة في ناحية منها.

وروي عن البراء رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من قال للمدينة: يثرب؛ فليستغفر الله، هي طابة» ثلاث مرات (٢).

﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾: لا مكان لكم تقومون فيه؛ فإن الأحزاب قد ضيقوا عليكم بالحصر.
وقيل: لا موضع تقيمون فيه؛ أي: ليس هذا موضع قرار.

﴿ فَارْجِعُوا ﴾ إلى منازلكم بالمدينة، أمر وهم بترك رسول الله ﷺ، وذلك أن النبي ﷺ كان قد خرج إلى سلع لقتال القوم.

= (٣/٤٣٥). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٣٩/١٩ - ٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٤١٨ - ٤٢٠)، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وكثير متروك. وليس فيه تسمية القائل. ورواه الطبري دون تسمية القائل أيضًا عن قتادة وابن زيد. وقصة تبشير النبي ﷺ بمدائن كسرى وقيصر وقعت عند كسر الصخرة التي عرضت لهم أثناء حفر الخندق أخرجها النسائي في «المجتبى» (٣١٧٦) من طريق أبي سكينه - رجل من المحررين - عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. ورواها الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١) كذا في النسختين، والأظهر: يثرب هي المدينة، وما ذكره المصنف تبع فيه السمعاني في «تفسيره» (٤/٢٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥١٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٦٨٨)، وضعف إسناده ابن كثير في «تفسيره» (٦/٣٤٨). وروى البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

وقيل: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ على دين محمد ﷺ، ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى الشرك تسلّموا من هذه الشدائد.

وقيل: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ على القتال، ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى الأمان. ﴿وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ يجوز أن يعود الضمير إلى الطائفة، ويجوز أن يعود إلى المنافقين.

السُّدِّيُّ: هو أوس بن قِظِيٍّ، وأبو عرابة بن أوس^(١).

الضَّحَّاكُ: رجع ثمانون رجلاً بغير إذن^(٢).

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غيرُ حصينةٍ نخافُ عليها من العدوِّ والسَّرِقِ، تقول: عَوْرَ المكانُ يَعَوْرُ عَوْرًا: صارَ عَوْرَةً، والعَوْرَةُ: كلُّ ما خِيفَ عليه أو كُرِهَ انكشافُه، وكذلك العورةُ من الإنسان، فكذَّبهم اللهُ وقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: هي حصينةٌ. وقيل: ما هي بعورة؛ لأنَّ الله يحفظها^(٣).

وقيل: زعموا أنَّ بها عدوًّا من جملةِ العسكِرِ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ، فلم يجدْ بها عدوًّا، حكاها القفال^(٤).

﴿إِنْ يُرِيدُونَ﴾: ما يُريدون بهذا القولِ ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتالِ.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦ / ٥٧٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٣٨٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١٢) عن القفال، واستغربه.

(٤) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٤٤) عن قتادة بلفظ: «﴿وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا

عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ وإنها مما يلي العدو، وإننا نخاف عليها السراق، فبعث النبي ﷺ، فلا يجد بها عدوًّا».

(١٤) - ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: دَخَلَتِ المدينةُ، وقيل: البيوتُ.

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: جوانبها؛ أي: من أيِّ جانبٍ دَخَلَتْ.

﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّهَا﴾؛ أي: ثمَّ سألوهم أن يُشْرِكُوا ويرتدُّوا لأشْرَكُوا، وَمَنْ قرأ بالمد^(١): لَأَعْطَوْهَا فِي مُقَابَلَةِ السُّؤَالِ.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾؛ أي: بالإجابةِ ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾: قليلاً؛ أي: أسرعوا الإجابةَ^(٢).

وقيل: ما تَلَبَّثُوا بالمدينةِ أو البيوتِ بعد ذلك ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ حتَّى يَأْتِيَهُم اللهُ بالعذابِ.

(١٥) - ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الْأَذْبَنَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الْأَذْبَنَ﴾ يعني: بني حارثة يومَ أُحُدٍ، حين فِشَلُوا ثُمَّ تَابُوا وعاهدوا أن لا يعودوا لمثله.

وقيل: عاهدوا قبل مجيء الأحزابِ وحلفوا لا ينهزمون.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾؛ أي: مسؤولاً عنه مُجَازِي عليه.

وقيل: ﴿مَسْئُولًا﴾: مُطَالَبًا، تقول: سألتُ فلانًا حَقِّي؛ إذا طالبتَه به.

(١) ابن كثير ونافع وابن عامر بالقصر، والباقون بالمد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٢)، واستغربه.

(١٦) - ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ لأنَّ الحذرَ لا يُغني عن الأجل، والموتُ ضدُّ الحياة، والقتلُ نقضُ ^(١) البنية التي تصحُّ معها الحياة. وقيل: يجوزُ أن يعيشَ بعدَ الفرار؛ لقوله: ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: حياةً يسيرةً في أيامٍ قلائل.

(١٧) - ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ

مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ .

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: من عذابِ الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ في الدنيا.

وقيل: من عذابِ الآخرة.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾: ظهورًا على عدوِّكم.

وقيل: خيرًا في الدنيا والآخرة.

ويحتملُ أن تقفَ على قوله: ﴿سُوءًا﴾، ثمَّ تبتدئِ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾؛ لأنَّه

لا يحسنُ عطفُ الرَّحمةِ على العِصمة؛ لأنَّها تُستعملُ في دفعِ المكروه، ويكونُ التَّقديرُ: أو أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً فَمَنْ يَحْرِمُكُمْ ثَوَابَهُ؟

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾: حافظًا ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: ناصرًا.

(١٨) - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾؛ أي: منكم من يُعَوِّقُ عن نُصرةِ رسولِ الله ﷺ؛ أي:

(١) في (ف): «ضد»، وانظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ١٠٦).

يَمْنَعُ وَيُعَسِّرُ الْأَمْرَ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ، تَقُولُ: عَاقَ يَعُوقُ؛ إِذَا مَنَعَ، وَعَوَّقَ؛ أَي: عَسَّرَ
وَبَالَغَ فِي الْمَنَعِ.

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ فِي الْكُفْرِ ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: أَقْبَلُوا إِلَيْنَا، وَدَعَا عَسْكَرَ مُحَمَّدٍ،
وَاتْرَكُوا شَهْوَ الْقِتَالِ مَعَهُ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةُ رَأْسٍ.

﴿وَهَلُمَّ﴾ مَعْنَاهُ: تَعَالَى، لَا يُشْنَى وَلَا يُجْمَعُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلُ نَجْدٍ يُؤنَّثُونَ
وَيُثَنُّونَ وَيَجْمَعُونَ.

الْخَلِيلُ: أَصْلُهُ: هَالَمٌ^(١)، الْقَرَاءُ: هَلَّ أُمَّ^(٢).

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ كَلَامِهِمْ، وَالْمَعْنَى: لَا يَأْتِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ إِلَّا
قَلِيلًا، لَا يُقَاوِمُونَ الْأَحْزَابَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ اللَّهِ؛ أَي: يُعَوِّقُونَ النَّاسَ وَيَتَخَلَّفُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فِي أَكْثَرِ
الْأَحْوَالِ^(٣).

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إِلَّا رِيَاءً وَسُمْعَةً.

وَقِيلَ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: كَارِهِينَ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يُعْنُونَ إِلَّا غَنَاءَ قَلِيلًا.

وَقِيلَ: صِفَةُ مُصَدِّرٍ مَحْذُوفٍ؛ إِلَّا إِيَّانَا قَلِيلًا.

(١) ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ فِي «مَعَانِي الْقُرْآنِ» (٢/ ٥١٤)، وَابْنُ جَنِيٍّ فِي «الْخِصَائِصِ» (٣/ ٣٧).

(٢) انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَاءِ (١/ ٢٠٣).

(٣) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/ ٩١٣)، وَاسْتَغْرَبَهُ.

وقيل: إِنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى أَصْلِ الاستثناءِ، وكان مرفوعاً على البدل^(١)، كقراءة ابن عامرٍ: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٦٦]^(٢).

(١٩) - ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

قوله: ﴿أَشْحَةً﴾: جمعٌ شحيح، وهو: البخيل؛ أي: يبخلون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالظفر والغنيمة، وبالنفقة في سبيل الله؛ أي: هم جُبْنَاءُ عند اللقاء، أَشْحَاءُ عند العطاء. وهي حالٌ عن ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾، وقيل: من ﴿الْقَائِلِينَ﴾، وقيل: من الضمير في: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾.

وقيل: صفةٌ لقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ فيمن جعله في محل رفع.

وقيل: ﴿أَشْحَةً﴾ نصبٌ على الدَّمِّ.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾؛ أي: خوف القتال، وقيل: خوفهم منكم.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قيل: نَظَرَ رجاءٍ، وقيل: كأنهم ينظرون إليك.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم يمينا وشمالاً.

﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: دَوْرَانًا كدَوْرَانِ عَيْنِ الذي يُغْشَى عليه، وفي

مُصْحَفِ أَبِي: (كدَوْرَانِ الذي يُغْشَى عليه)^(٣).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه.

(٢) انظر: «السبعة» (٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه، ولم أقف على القراءة عن غير المؤلف.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾: زَالَ ذَلِكَ ^(١) الْخَوْفُ وَأَمِنُوا ﴿سَلَفُوكُمْ بِالْسِنَةِ حِدَادٍ﴾: أَكْثَرُوا مَعَكُمْ الْكَلَامَ بِالْسِنَةِ ذَرِيَّةٍ يَطْلُبُونَ الْغَنِيمَةَ: أَعْطَوْنَا أَعْطُونَا؛ إِحَاحًا مِنْهُمْ.

وقيل: معنى ﴿سَلَفُوكُمْ﴾: يَطْعَنُونَ فِيكُمْ بِالْمَعَائِبِ كَذِبًا وَزُورًا، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: صَلَقَتِ الْمَرْأَةُ وَسَلَقَتْ: صَخِبَتْ.

وقيل: جَادَلُوكُمْ.

وقيل: ﴿إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ﴾: مَدْحُوكُمْ وَأَحْسَنُوا الْقَوْلَ فِيكُمْ خِلَافَ الْحَالَةِ الْأُولَى، مِنْ قَوْلِهِمْ: خَطِيبٌ مَسْلَقٌ وَسَلَّاقٌ.

﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ كَرَّرَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مُطْلَقٌ، وَالثَّانِي مُقَيَّدٌ بِالْخَيْرِ.

وَالْخَيْرُ: ثَوَابُ اللَّهِ.

وقيل: الْغَنِيمَةُ. وقيل: الدِّينُ. وقيل: الْمَالُ. وقيل: الْكَلَامُ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾؛ أَي: مَنْ كَانَ هَذِهِ صِفَتُهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.

﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: أَبْطَلَ مَا أَظْهَرُوا لِفَسَادِ مَا أَضْمَرُوا.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾؛ أَي: إِحْبَاطُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هَيْئًا.

(٢٠) - ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي

الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَسْبَابِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾؛ أَي: لَجَبْنِهِمْ يَظُنُّونَ قُرَيْشًا وَغُظْفَانَ وَمَنْ كَانَ

(١) «ذلك»: ليس في (ف).

معهم لم ينصرفوا بعد أن كانوا قد انصرفوا، غير أنهم كانوا لم يتباعدا بعد في المسير.

﴿وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾: ولو رجع الأحزاب بعد انصرافهم ﴿يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ﴾: يتمنى المنافقون لجبنهم لو كانوا في البوادي من العرب؛ ليأمنوا على أنفسهم، ويعتزلوا مما فيه المؤمنون من القتال.

﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾: عن أخباركم من تلقاهم من القادمين من جانب المدينة، وعلى هذا ﴿يَسْأَلُونَ﴾ متصلاً بقوله: ﴿يُودُوا﴾.

وقيل: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ استئناف؛ أي: منهم من كان في أطراف المدينة لم يحضروا الخندق، يسألون الناس عن أنباء العسكر متوقعين غلبة المشركين محمداً ﷺ^(١).

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ من غير نيّة ولا بصيرة.

(٢١) - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَبِيرًا﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ثم عاتب هؤلاء فقال: لقد كان لكم قدوة برسول الله ﷺ حين خرج للحرب مع ما قاساه من البرد والجوع، وحفر الخندق وغيرها، فهلاً اقتديتم به.

﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾؛ أي: ثواب الله ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: نعيم اليوم الآخر.

وقيل: لمن يخاف الله ويخاف اليوم الآخر.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٤)، واستغربه.

﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ.

أي: هؤلاء هم الذين يقتدون به دون من لا يرجو ولا يذكر.

وذهب جماعة إلى أن ﴿لَمَنْ﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ﴾، وَفِيهِ ضَعْفٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْبَدَلُ مِنْ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ.

وقيل: صفة لـ ﴿أَسْوَةٌ﴾، وَهُوَ الْأَظْهَرُ.

وقيل: هذا أمرٌ للمؤمنين بالاتِّسَاءِ، وَقِيلَ: مَدْحٌ لَهُمْ.

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾؛ أَي: وَعَدَنَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢١٤]، وَوَعَدَ رَسُولَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ: «سَيَشْتَدُّ بِكُمْ الْأَمْرُ بِاجْتِمَاعِ الْأَحْزَابِ عَلَيْكُمْ، وَالْعَاقِبَةُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ»^(١).

وقيل: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا عَلَيْكُمْ، وَهُمْ يَصِيرُونَ

إِلَيْكُمْ بَعْدَ تِسْعِ أَوْ عَشْرِ»، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٢)؛ أَي: ظَهَرَ صِدْقُ خَبَرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٣)، وَهَذَا فِي مُقَابَلَةِ

قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

(١) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٩) بلا سند ولا عزو.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧١٠)، والواحد في «البيسط» (١٨/ ٢١٦)، عن الكلبي.

(٣) في (ف): «أي ظهر صدق خبرهما».

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَسْلِيمًا﴾ لِأَمْرِهِ؛ لَعَلِمِهِمْ أَنَّهُ كَمَا صَدَقَ فِي الْبَلَاءِ
صَدَقَ فِي النُّصْرَةِ وَالثَّوَابِ.

وَاخْتَلَفَ فِي فَاعِلِ ﴿زَادَهُمْ﴾ فَقِيلَ: مَا رَأَوْا.

وَقِيلَ: نَظَرُهم.

وَقِيلَ: مَجِيئُهُم.

وَقِيلَ: مَا نَزَلَ بِهِم مِنَ الشَّدَائِدِ.

وَقِيلَ: اجْتِمَاعُ الْأَحْزَابِ عَلَيْهِم.

وَقِيلَ: ﴿تَسْلِيمًا﴾ بِمَعْنَى: إِسْلَامٍ؛ أَي: إِلَّا إِيمَانًا وَإِسْلَامًا.

وَقِيلَ: إِلَّا إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَسْلِيمًا لِرَسُولِهِ.

(٢٣) - ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ

يَنْظُرُونَ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فِي سَبَبِ النَّزُولِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَمِّي أَنَسِ بْنِ
النَّضْرِ، قَالَ: وَبِهِ سُمِّيَتْ أَنَسًا، غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِ لَمَّا قَدِمَ، وَقَالَ: غَبْتُ عَنْ
أَوَّلِ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ لَيَنْ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لَيَرَيْنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ
يَوْمَ أَحَدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَأَعْتَذِرُ
إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ؛ يَعْنِي: الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ مَشَىٰ بَسِيْفَهُ فَلَقِيَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: أَيُّ
سَعْدُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ! فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَجَدْنَاهُ بَيْنَ الْقَتْلَىٰ بِهِ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً مِنْ بَيْنِ

طعِنٍ وَضَرْبٍ وَرَمِيٍّ، وَقَدْ مَثَلُوا^(١) بِهِ، فَمَا عَرَفْنَاهُ حَتَّى عَرَفْتَهُ أَخْتَهُ بِنَانِهِ، وَنَزَلَتْ: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٢).

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ فِي سَبَبِ النَّزُولِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أُصِيبَتْ يَدُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ الْجَنَّةَ»^(٣).

وَمَرَّ طَلْحَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «هَذَا مَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»^(٤).

وَقِيلَ: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ نَزَلَتْ فِي مُبَايَعَتِهِمْ لَيْلَةَ الْعُقَيْبَةِ.

وَقِيلَ: ﴿مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ بِنَدْرِ نَدْرُوهُ بِأَنْ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوْ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُنْصَرَ.

الْفَرَاءُ: ﴿مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ نَزَلَتْ فِي حَمْزَةٍ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٥).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ بَلْ هُوَ^(٦) عَازِمٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَهُ إِذَا اتَّفَقَ لَهُ الْمَشْهُدُ.

(١) مثل ومثل بالقتيل: جُدع أنفه وقطع أطرافه وشوّهه. انظر: «تاج العروس» مادة: (م ث ل) (٣٨٥/٣٠).

(٢) رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٧٦ / ٢١)، وقول النبي ﷺ: «أوجب طلحة» دون سبب النزول: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤١٧)، والترمذي (٣٧٣٨)، عن الزبير رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، ورواه الدوري في «مسند سعد» (٩٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٣٧٤٠)، وابن ماجه (١٢٦)، عن معاوية رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث معاوية إلا من هذا الوجه».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣٤٠ / ٢)، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤٨٤ / ٣) دون سند، وذكره الواحدي في «البيسط» (٢١٨ / ١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في (ف): ﴿بَدِيلًا﴾ وهو.

وقيل: ﴿فَضَى نَحْبَهُ﴾ مات؛ أي: مات حَتَفَ أُنْفِهِ ثَابِتًا عَلَى عَهْدِهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾ الموتَ نَاوِيًا الصِّدْقَ.

وقيل: ﴿نَحْبَهُ﴾ أَجَلَهُ.

وقيل: ﴿نَحْبَهُ﴾ عَهْدَهُ.

وذكرَ القفَّالُ أَنَّ النَّحْبَ يَأْتِي عَلَى وَجْهِ:

أحدها: النَّذْرُ؛ أي، قضى نذره.

ومنها: الخطرُ؛ أي: فرغَ من خطرِ الحياة؛ لأنَّ الحَيَّ عَلَى خطرٍ ما عاشَ.

ومنها: السَّيْرُ السَّرِيعُ؛ أي: سارَ بِسُرْعَةٍ إِلَى أَجَلِهِ.

ومنها: النَّوْبَةُ؛ أي: قضى نوبته.

ومنها: النَّفْسُ؛ أي: فرغَ من أنفاسِهِ.

ومنها: النَّصَبُ؛ أي: فرغَ من نَصَبِ العيشِ وَجُهدِهِ.

قال: وهذا كُلُّهُ يَعُودُ إِلَى معاني الموتِ وانقضاءِ الحياةِ.

(٢٤) - ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ قيل: اللَّامُ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿عَاهِدُوا﴾ لِيَجْزِيَ.

وقيل: ﴿مَا بَدَلُوا﴾ لِيَجْزِيَ.

وقيل: ﴿وَعَدْنَا اللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢] لِيَجْزِيَ اللَّهُ.

وقيل: ﴿أَبْتَلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١] ليجزي^(١).

وقيل: أمر بالوفاء ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: على صدقهم.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾؛ أي: الكاذبين ﴿إِنْ شَاءَ﴾، في الاستثناء قولان:

أحدهما: أن من المنافقين من تاب من نفاقه فاستحق أن يتوب عليه.

والثاني: يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَا يُؤَفَّقُهُم لِلتَّوْبَةِ مِنْ نِفَاقِهِمْ إِنْ شَاءَ، فالاستثناء

من التوفيق لا من العذاب.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَجِيمًا﴾ بعباده.

(٢٥) - ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْأَخْيَارِ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ

قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْأَخْيَارِ﴾: مالا.

وقيل: ظفراً، وسمّاه ﴿خَيْرًا﴾ بزعمهم^(٢).

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجت يوم الأحزاب أستروح

الأخبار، فإذا أنا برجل يقول:

لَبْتُ رُوَيْدًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا جَمَلٌ^(٣)

فإذا أسيد بن حضير، وإذا امرأة تسوق بعيراً، فقلت: ما الخبر؟ فقالت: ردّ الله الذين

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١٥)، واستغربه.

(٣) الرجز لحمل بن سعدان بن حارثة الكلبي، وفد على النبي ﷺ، وعقد له لواء، وتمثل بقوله سعد بن

معاذ يوم الخندق. انظر: «الاستيعاب» (١ / ٣٧٦).

كفروا بغیظهم لم ينالوا خيراً، ورسولُ الله لم يمُتْ، فأنزلَ اللهُ على لسانها الآية^(١).
﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بريح الصَّبَا والملائكة، وكَبَّرَ الملائكةُ في عسكرِهم،
فلَمَّا سمعوا التَّكْبِيرَ قالوا: قد بدأ مُحَمَّدٌ بالسَّحْرِ، فانصَرَفُوا لا يَلُوُونَ على شيءٍ
﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

(٢٦) - ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم: بنو قُرَيْظَةَ، ظاهرُوا أبا سفيانَ
والمُشْرِكِينَ على رسولِ اللهِ ﷺ والمسلمين، وكانت بنو قُرَيْظَةَ قد عاهدوا رسولَ اللهِ
ﷺ على التَّكْفِيفِ^(٢)، فنقضُوا العهدَ لَمَّا رأوا كثرةَ الأحزابِ، ولم يشكُّوا أَنَّهُمْ
يَغْلِبُونَ الْمُؤْمِنِينَ، فلَمَّا انهزمَ الأحزابُ جاء جبريلُ عليه السَّلَامُ وقال: يا مُحَمَّدُ اُنزِعْ
لَأَمْتِكَ والملائكةُ لم يَضَعُوا سلاحهم منذ أربعينَ ليلةً؟ ثم قال له: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤١ / ٤) بإسناد الأموي عن أبيه عن الحسن بن عمارة عن حبيب بن
أبي ثابت، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩١٥ / ٢)، واستغربه، وذكر نحوه الواقدي في
«مغازيه» (٥٨٣ / ٢) وفيه: «وكانت عائشة زوج النبي ﷺ خرجت في نسوة تستروح الخبر - ولم
يضرب الحجاب يومئذ - حتى إذا كانت بمنقطع الحرة وهي هابطة من بني حارثة إلى الوادي، لقيت
هند بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله بن عمرو بن حرام تسوق بعيراً لها، عليه زوجها عمرو بن
الجموح، وابنها خلاد ابن عمرو، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر. فقالت عائشة: عندك
الخبر، فما وراءك؟ فقالت هند: خيراً، أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جليل، واتخذ الله من
المؤمنين شهداء، ورد الله الذين كفروا بغیظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال...».

(٢) تكاف القوم عن بعضهم؛ أي: امتنع بعضهم عن بعض. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» مادة:

تسير إلى بني قريظة؛ فإني قد قطعْتُ أوتادَهُم، وفتحتُ أبوابَهُم، وتركتُهُم في زلزالٍ وبَلْبَالٍ، واستلأَمَ رسولُ اللهِ ﷺ، ودعا عليًّا رضي اللهُ عنه فأعطاه لواءه، وأمرَ بلائاً فنادى: **أَنْ لَا تُصَلُّوا العَصْرَ إِلَّا ببني قُريظة، فحاصرَهُم إحدى وعشرين ليلةً، ثمَّ نزلوا على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ رضي اللهُ عنه فيهم، فحكمَ سعدٌ أن يُقتَلَ مقاتلتُهُم، ويُسبَى ذراريَهُم، ويُقسَمَ أموالُهُم، ويكونَ عقارُهُم للمُهاجرين، وقالَ للأَنْصارِ: إِنَّكُمْ ذَوو عَقارٍ وليسَ للمُهاجرينَ عَقارٌ، فكَبَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ: قَضَى فيهِم بِحُكْمِ اللهِ فَوْقَ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ، فُقُتِلَ مِنْهُم أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ، وَسُيِّبَ سَبْعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ^(١).**

والمعنى: **أَنْزَلَ اللهُ الَّذِينَ أَعَانُوا الْأَحْزَابَ مِنَ الْيَهُودِ ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾:**

حُصُونِهِمْ.

وَالصَّيْصِيَّةُ: الْفَرْنُ، وَشَوْكَةُ الدِّيَكَةِ، وَشَوْكَةُ الْحَائِكِ، وَالصَّيْصِيَّةُ: الْأَصْلُ أَيْضًا.

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧٢ / ١٩) عن قتادة. وروى البخاري قطعاً منه مفرقة: فقد روى البخاري (٤١١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: «فإلى أين؟» قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم». وروى البخاري (٤١٢١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأَنْصار: «قوموا إلى سيدكم، أو خيركم». فقال: «هؤلاء نزلوا على حكمك». فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: «قضيت بحكم الله» وربما قال: «بحكم الملك».

وروى البخاري (٤١١٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم.

ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾؛ أي: من أصولهم؛ أي: فجَدَّ اللهُ أصولهم.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف.

﴿فَرِيقًا تَقَاتَلُوا﴾: الرِّجَالُ ﴿وَتَأْسَرُوا فَرِيقًا﴾: النِّسَاءَ وَالذَّرَارِي.

(٢٧) - ﴿وَأَوْزَكْتُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدِيرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرًا﴾.

﴿وَأَوْزَكْتُمْ أَرْضَهُمْ﴾: مزارعهم ﴿وَيَدِيرَهُمْ﴾: بلادهم وحصونهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾:

المواشي والذهب والفضة والأثاث ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا﴾: لم تقاتلوا عليها:

قيل: هي خيبر.

وقيل: مكة.

وقيل: فارس والروم.

وقيل: جميع ما يظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: قادرًا بذاته.

(٢٨) - ﴿يَتَأَيَّمُ النَّبِيُّ قُلًّا لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتَن تَرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ

أُمْتِعْنِ وَأَسْرِحْنِ سَرًا جَمِيلًا﴾.

﴿يَتَأَيَّمُ النَّبِيُّ قُلًّا لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتَن تَرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: السَّعَةَ فِي الدُّنْيَا، وَكَثْرَةَ

الْمَالِ ﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعْنِ وَأَسْرِحْنِ سَرًا جَمِيلًا﴾.

كان أزواجُ النَّبِيِّ ﷺ سألنه من عَرَضِ الدُّنْيَا، وَأَذَيْنَه بزيادةِ النَّفَقَةِ وبالغَيْرَةِ، فَهَجَرَهُنَّ وَأَلَى الْأَى يَقْرَبَهُنَّ شَهْرًا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَأَمَرَ اللهُ بِتَخْيِيرِ نِسَائِهِ حَسْمًا لِمَادَّةِ أَذَاهُنَّ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِنَّ فَاخْتَرَنَهُ.

قوله: ﴿فَنَعَالَيَكُ أُمَّتَعُكُنَّ﴾ أُعْطِيكُنَّ مَا عِنْدِي، فِيهِ أَقْوَالٌ:

قال بعضهم: إِنَّمَا قَالَ: ﴿أُمَّتَعُكُنَّ﴾ لِأَنَّ قَوْلَهُنَّ لَوْ قُلْنَ: نُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا = كَانَ طَلَاقًا، فَيَكُونُ بَعْدَهُ الْمَتْعَةُ ثُمَّ التَّسْرِيحُ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْهُ ﷺ كَقَوْلِ الرَّجُلِ لَامْرَأَتِهِ: اخْتَارِي، فَقَالَتْ: اخْتَرْتُ نَفْسِي، وَقَعَ الطَّلَاقُ.

وقال بعضهم: هَذَا تَخْيِيرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَبَيْنَ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا، فَإِنْ اخْتَرْنَ الدُّنْيَا طَلَّقَهُنَّ حِينَئِذٍ، وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ عَلَى هَذَا: فَتَعَالَيْنَ أُطَلِّقُكُنَّ، وَأُمَّتَعُكُنَّ، وَأُسْرِحُكُنَّ. وقال بعضهم: ﴿أُمَّتَعُكُنَّ وَأُسْرِحُكُنَّ﴾ بِالطَّلَاقِ، وَجَازَ تَقْدِيمُ الْمَتْعَةِ لِأَنَّهَا مِنْ بَابِ الْأَمْوَالِ، وَتَقْدِيمُ حَقُوقِ الْأَمْوَالِ جَائِزٌ.

وَمَنْ قَالَ: يَقَعُ الطَّلَاقُ بِمُجَرَّدِ قَوْلِهِ: اخْتَارِي^(١)؛ فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْآيَةِ دَلِيلٌ.

قوله: ﴿سَرَلَمًا جَمِيلًا﴾؛ أَي: لَا ضَرَارَ فِيهِ وَلَا مُشَاجِرَةً.

(٢٩) - ﴿وَلِإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ

أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلِإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾؛ أَي: تَتَلَنَّ مِنْ صُحْبَتِي مَا تُرِيدْنَ مِنْ رِضَا اللهِ، وَقِيلَ: جَنَّتَهُ.

(١) ذكر ذلك عن الحسن، وروي عن عليّ وزيد. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٥/٢٠٩).

(٣٠) - ﴿يُنْسَاءُ النَّبِيَّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿يُنْسَاءُ النَّبِيَّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾: معصية ظاهرة.

وقيل: نشوز وسوء خلق.

وقيل: زنى بين.

﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾؛ أي: ضعفى عذاب غيرهن من النساء تعظيماً
لهن، كما جعل حد الحر ضعفى حد المملوك.

قيل: هو في الدنيا.

وقيل: هو في الآخرة.

وقيل: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

وقيل: جعل العذاب ضعفين كما جعل الأجر مرتين.

قال أبو عبيدة: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: ثلاثة أعذبة^(١)، وأنكره الزجاج^(٢) وقطرب،
وغيرهما من المفسرين، وقالوا: ضعف الشيء مثله، ولا يكون أن يعطى على
الطاعة أجرين وعلى المعصية ثلاثة أعذبة^(٣).

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٦ - ١٣٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٥)، وعده
من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٥٠)، وذكر الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩١) عن أبي
عمرو البصري: أنه قد جعل (يضعف) بمنزلة المثلين، و(يضاعف) ثلاثة أمثال، ولذلك اختار في
القراءة: (يضعف).

ويحتملُ أن أبا عبيدة لم يقل: (ثلاثة أعذبة) من حيث ردَّ عليه المُفسِّرون؛ لأنَّ ذلك في غاية البُعدِ، فإنَّ الضَّعْفَ الواحدَ يُنبئُ حينئذٍ عن واحدٍ ونصفٍ ضرورةً، وهذا لا يقوله أحدٌ، بل من وجهٍ آخرَ، وهو أنَّ الدرهمَ إذا ضاعفته مرَّةً صار درهمين، وإذا ضاعفته مرَّتين صار ثلاثة دراهمَ، فصارَ معنى قوله: ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾^(١) يُجعلُ لها العذابُ ومثليه.

وما ذهبَ إليه بعضُ الفقهاءِ أنَّ الرَّجَلَ إذا قال: (أوصيتُ لزيدٍ بضعفِ نصيبِ عمرو)، ونصيبِ عمرو درهمٌ، يلزمه درهمانِ، ثمَّ إن قال: (بضعفي نصيبِ عمرو) قال: يلزمه ثلاثة دراهمَ؛ استدلالاً بقولِ أبي عبيدة = فشيءٌ لا وجهَ له في العربية؛ لأنَّ أبا عبيدة ذهبَ إلى ذلك لوجودِ لفظِ التَّضْعِيفِ أو المُضاعِفَةِ، وليس كذلك الوصيَّةُ. والله أعلمُ^(٢).

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾؛ أي: تضعيفُ العذابِ على الله سهلٌ.

وقيل: ﴿يَسِيرًا﴾؛ أي: لا اعتراض عليه.

(٣١) - ﴿وَمَنْ يَقْتَتِمْنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا

رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَقْتَتِمْنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: وَمَنْ يَدُمُّ مِنْكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

(١) هكذا جاءت هنا في النسختين: ﴿يُضَعَّفُ﴾ بالياء وفتح العين على ما لم يسمَّ فاعله وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ ابن عامر وابن كثير: ﴿نُضَعَّفُ﴾ بضم النون وتشديد العين ﴿العذاب﴾ بالنصب، وباقي السبعة: ﴿يُضَاعَفُ﴾ بالياء وألف بعد الضاد وفتح العين على ما لم يسمَّ فاعله. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١٦)، واستغربه.

وقيل: وَمَنْ يُطِيعُ.

وقيل: وَمَنْ يَخْضَعُ.

﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾: طاعة ﴿تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مثل ثواب غيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: جليل القدر، وهو الجنة.

وقيل: وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكَ لَطَاعَةً^(١) النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما بينهن وبينه من أمور الزَّوجِيَّةِ، ويكونُ ذكرُ الله على وجهِ التَّعْظِيمِ كما سبقَ في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١].

(٣٢) - ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْقَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْقَيْتَنَّ﴾؛ أي: الله فضلكنَّ على سائر النساءِ بأن جعلكنَّ أزواجًا لنبِيِّه الذي هو أكرمُ خلقه عليه، وذلك التقوى فالزمنها. وقيل: إِنَّ التَّكْلِيفَ عَلَيْكُنَّ أَشَدُّ، كما أن ثوابكنَّ أكثرُ.

وقيل: تَمَّ الكلامُ على ﴿كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، ثم استأنفَ فقال: ﴿إِنْ أَنْقَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ﴾.

وإنَّما قال: ﴿كَأَحَدٍ﴾ ولم يُؤنَّثْ؛ لأنَّ لفظه للعموم، يقعُ للواحدِ والجمعِ والمُذَكَّرِ والمُؤنَّثِ.

وقيل: يقعُ على مَنْ يَعْقِلُ وعلى مَنْ لَا يَعْقِلُ أيضًا.

(١) في (ن): «بطاعة».

قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾؛ أي: في مخاطبة الأجنبي ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: نفاق.

وقيل: فُجورٌ.

وقيل: ميلٌ إلى المعصية.

وقيل: شهوةٌ.

وقيل: حبُّ الزنى.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: سديداً مستقيماً.

(٣٣) - ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ مَنْ فَتَحَ فَمِنْ (قَرَرْتُ) بالكسرِ (أَقَرُّ) بالفتح، وكان الأصل: اِقْرَرْنَ، فَنُقِلَتِ الْفَتْحَةُ إِلَى الْقَافِ، فَحُذِفَ الرَّاءُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وَالْأَلْفُ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ.

وَمَنْ كَسَرَ^(١) جَعَلَهُ مِنْ (قَرَرْتُ) بِالْفَتْحِ (أَقَرُّ) بِالْكَسْرِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ.

وقيل: هو أمرٌ من (وَقَرَّ يَقْرُ)، والمعنى: لا تخرُجَنَّ من بُيُوتِكُنَّ وَكُنَّ فِيهَا ذَوَاتِ وَقَارٍ وَسُكُونٍ.

(١) قرأ نافع وعاصم: ﴿وَقَرْنَ﴾ بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير»

﴿وَلَا تَبْرُجْ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قيل: التَّبْرُجُ: التَّبَخُّرُ فِي الْمَشْيِ
وَالانْكَسَارُ، وَأَصْلُ الْبُرُوجِ: الظُّهُورُ.
قَالَ الْمُؤَرِّجُ: لَا تَخْرُجَنَّ، بِلُغَةِ كِنَانَةَ.
وَقِيلَ: التَّبْرُجُ: التَّزْيِينُ، يُسْتَعْمَلُ فِي النِّسَاءِ (١) خَاصَّةً.
وَقِيلَ: التَّبْرُجُ: إِظْهَارُ الزِّيْنَةِ.
وَالتَّقْدِيرُ: لَا تَبْرُجَنَّ تَبْرُجًا مِثْلَ تَبْرُجِ النِّسَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى.
وَالجَاهِلِيَّةُ: مَا كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ مِمَّا لَمْ يَأْتِ بِهِ شَرْعٌ.
وَالأَوَّلُ وَالأُولَى: اسْمٌ لِلسَّابِقِ الْمُنْفَرِدِ تَأَخَّرَ عَنْهُ غَيْرُهُ (٢) أَوْ لَمْ يَتَأَخَّرْ.
وَاخْتَلَفُوا فِي زَمَانِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَقِيلَ: هُوَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثَمَانِي
مِئَةَ عَامٍ.

وَقِيلَ: مَا بَيْنَ نُوحٍ وَإِدْرِيسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
وَقِيلَ: مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى أَلْفَ سَنَةٍ (٣).
وَقِيلَ: هُوَ زَمَنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ دَرْعًا مِنَ اللَّوْلُؤِ مُفْرَجَ
الْجَانِبَيْنِ لَا ثَوْبَ عَلَيْهَا غَيْرُهَا تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ.
وَقِيلَ: كَانَتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى أُمُورٌ قَبِيحَةٌ، مِنْهَا: أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتِ تَجْمَعُ
زَوْجًا وَخِلْمًا؛ أَي: خِدْنًا، فَتَجْعَلُ لِلزَّوْجِ النِّصْفَ الْأَسْفَلَ، وَذَلِكَ مِمَّنُوعٌ عَنِ الْخِلْمِ،

(١) فِي (ف): «يُسْتَعْمَلُ لِلنِّسَاءِ».

(٢) فِي (ف): «غَيْرُهُ عَنْهُ».

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٩ / ٩٨)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٩ / ٣١٣٠).

ولللخلمِ النُّصْفَ الأعلى لا تمنعُ من تقبيلها وترشُفها، فعند ذلك يقولُ أحدُ الخلومِ
لزوجِ صاحِبته:

فهل لك في البدالِ أبا حروبٍ فأرضى بالأكارعِ والعُجوبِ^(١)
وقيل: الجاهليةُ الأولى: قبلَ الإسلامِ، والثانيةُ: حالٌ من عملٍ بعملِ أولئك في
الإسلامِ.

وقيل: الجاهليةُ الأولى: هي التي تقولُ لها: الجاهليةُ الجاهلاءُ.
ومعنى الأولى: القديمةُ.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ المفروضة، ﴿وَأَتِينَكَ الزَّكَاةَ﴾ الواجبة، ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ فيما يأمرُ وينهى.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ في سببِ النزولِ: عن أبي
سعيدٍ رضي الله عنه قال: نزلت في خمسة؛ في النبي ﷺ، وعليٍّ، وفاطمةَ، والحسنِ،
والحسينِ، رضي الله عنهم^(٢).

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمةُ
رضي الله عنها ببرمةٍ فيها خزيرةٌ، فدخلت بها عليه فقال لها: «ادْعِي لي زوجك
وابنيك». قالت: فجاء عليٌّ والحسنُ والحسينُ رضي الله عنهم، فدخلوا وجلسوا
يأكلون من تلك الخزيرة، وهو عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ على منامةٍ له، وكان تحته^(٣)

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٠٠)، والواحدي في «البيسط» (١٨/ ٢٣٩) وفيهما:
«أبا خبيب»، بدل «أبا حروب»، و«والعجوز» بدل: «والعجوب»، وذكره ابن الجوزي في «أخبار
النساء» (ص: ٤٧) عن الأصمعي، وفيه: «أبا زنيم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣١)، والثعلبي في
«تفسيره» (٨/ ٤٢).

(٣) في (ف): «لحفه».

كساءٌ خيرٌ، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم رجس الشيطان وطهرهم تطهيراً». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت^(١): وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ»^(٢).

ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ^(٣).

عكرمة: ليس الذي تذهبون إليه في الآية، إنما هي في أزواج النبي ﷺ، وكان عكرمة يُنادي بهذا في السوق^(٤).

والمحققون على أنها نزلت فيهم خمستهم وفي جميع نساء النبي ﷺ بدليل ما تقدم وما تأخر من الآيات، ولأن امرأة الرجل من أهل بيته بدليل قول الله في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

(١) في (ف): «وقلت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٥٠٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣١٣١)، ورواه الترمذي (٣٨٧١) مختصراً وقال «هذا حديث حسن صحيح: وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وفي الباب عن عمر بن أبي سلمة، وأنس بن مالك، وأبي الحمراء»، قلت: وفي الباب من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم (٢٤٢٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣١٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٤٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٠٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٤٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٥).

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى الْأَوَّلِ جَعَلَ هَذَا اعْتِرَاضًا، وَتَقْدِيرُهُ: وَأَطِيعَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَادْكُرَنَّ مَا يُتْلَى.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى النَّدَاءِ، وَأَجَازَ الزَّجَّاجُ نَصْبَهُ عَلَى الْمَدْحِ^(١).

(٣٤) - ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ فِي ﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾
قولان:

أحدهما: اذْكُرَنَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْتُكُمْ أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدَنَ نَزُولِ
الوحي، وَأَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

والثاني: أَمْرَهُنَّ أَنْ يَتَّعِظْنَ بِهِ، وَيَعْمَلْنَ بِمَوْجِبِهِ.

وفي ﴿الْحِكْمَةِ﴾ قولان:

أحدهما: أَنَّهَا الْكِتَابُ.

والثاني - وهو قول الجمهور - : أَنَّهَا السُّنَنُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ:

مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا^(٢)

فِيَّاهُ لَا يُقَالُ: تَلَوْتُ السُّنَّةَ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ٢٢٦).

(٢) أي: وحاملًا رمحًا، وهذا عجز بيت لعبد الله بن الزبير، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» (٦٨/٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١ / ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١ / ٢٧٧)، وتقدم عند تفسير الآية (٤٠) من الحج.

وقال أبو علي: التَّلَاوَةُ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ (١).
 ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا﴾؛ أي: ﴿لَطِيفًا﴾ باختيارِ كُنَّ لَهُ ﴿خَيْرًا﴾ بأحوالِ كُنَّ.

(٣٥) - ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ
 وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
 وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ فِي سَبَبِ النُّزُولِ: قَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ أَزْوَاجَ
 النَّبِيِّ ﷺ دَخَلَتْ نِسَاءُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ عَلَيْهِنَّ وَقُلْنَ: ذُكِرْتُنَّ وَلَمْ تُذَكَّرْ، وَلَوْ كَانَ فِينَا
 خَيْرٌ ذُكِرْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (٢).

قال مقاتل بن حيان: بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة مع
 زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء
 من القرآن؟ قلن: لا.

فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ النِّسَاءَ لَفِي خَبِيَّةٍ وَخَسَارٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:
 «وَمِمَّ ذَاكَ؟» قَالَتْ: لِأَنَّهُنَّ لَا يُذَكَّرْنَ بِخَيْرٍ كَمَا يُذَكَّرُ الرِّجَالُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ
 الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (٣)، وَهُمْ الَّذِينَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
 عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ﴾ [آل عمران: ١٩]، وَقِيلَ: الْمُتَذَلِّلِينَ.

(١) قال أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦ / ٤٩): «التالي: القارئ».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٠٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٤٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٦).

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: هم الذين كُتِبَ في قلوبهم الإيمانُ.

وقيل: المُصَدِّقون الله فيما وعدهم وأوعدهم.

﴿وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَتِ﴾: المُطِيعينَ لله في أمره ونهيه. وقيل: الدَّاعين.

﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾؛ أي: في إيمانهم وعهودهم. وقيل: في أخبارهم

وأفعالهم.

﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على أمرِ الله وعن نهيه. وقيل: الصَّابرين في البأساء

والصَّراءِ.

﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾: المُتَوَاضِعِينَ الخائفين. وقيل: المُصَلِّينَ.

﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾: الذين يُخْرِجونَ زكاةَ أموالهم. وقيل:

المُتَطَوِّعِينَ بإعطاءِ النوافلِ.

﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ يُريدُ صومَ شهرِ رمضانَ.

﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾؛ أي: عمَّا لا يحلُّ، وأرادَ: والحافظاتِها،

فحُذِفَ مِنَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ

والتَّكْبِيرِ، وَالدَّاكِرَاتِهِ.

وقيل: التَّالِينَ الْقُرْآنَ.

وقيل: المُصَلِّينَ.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لطاعاتهم.

(٣٦) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ في التفسير: أنها نزلت في زينب بنت جحش وأخيها، وذلك أن النبي ﷺ خطبها لزيد فكرهت ذلك وكرهه أخوها، فأنزل الله هذه الآية فرضيا به^(١).

وقال بعضهم: كانت هذه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها زيد بن حارثة، فكرهت ذلك فنزلت^(٢).

والمعنى: ما كان لأحد من أهل الإيمان حين حكم الكتاب أو السنة بأمر أن يختار غيره، ولا يجوز له أن يفعل إلا ما حكم الله به في القرآن أو حكم به رسوله في السنة.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ﴾ فخالف الكتاب ﴿وَرَسُولَهُ﴾ فخالف السنة، ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ عن الصواب والرشاد ﴿ضَلَالًا مُبِينًا﴾: غير خافٍ. والخيرة: التخيير، قاله الزجاج^(٣).

(١) روى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤ / ٣٩)، والدارقطني في «سننه» (٣٧٩٦)، من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩ / ٢٤٧): رواه الطبراني وفيه حفص بن سليمان وهو متروك وفيه توثيق لين. ورواه الطبري في «تفسيره» (١١٢ / ١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسنادين ضعيفين. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٥) عن قتادة مرسلاً، ورواه أبو عوانة في «المستخرج» (١١ / ٣١٨) عن أنس رضي الله عنه، وليس فيه ذكر أخيها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١١٤) عن ابن زيد، وهو معضل.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ٢٢٨).

الأخفُسُ: إرادة اختيارِ الشَّيْءِ على غيره من أمرهم^(١).

ومعنى ﴿قَضَى﴾: حَكَمَ، وقيل: أَحَكَمَ.

(٣٧) - ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق والتبني؛ يعني: زيدًا.

وقيل: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ﴾ دُكِرَ تعظيمًا وإجلالًا؛ كما يقول الرَّجُلُ لِعَبْدِهِ: أَعْتَقَكَ اللَّهُ وَأَعْتَقْتُكَ، ومثله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وكذلك ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢] في أحد وجوههما.

وأجمع المُفسِّرون على أنها نزلت في زينب بنت جحش، وكانت ابنة عمَّة النبي ﷺ، زوّجها منه بعد أن كانت تكره ذلك، فرضيت لنزول الآية على ما سبق في الآية الأولى، وكانا لا يتفقان لِمَا فيها من الكبر والحدة، فلَمَّا رآهما لا يتفقان وكثرت شكايَةُ زيدٍ منها ومن تكبرها عليه، خطر بباله ﷺ لأجل القرابة التي بينهما أن لو طلقها لتزوّجها النبي ﷺ، ويؤويها إلى نفسه كما يضمُّ القريبُ قريبه إلى نفسه، وكلما شكَا زيدٌ إليه قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني: زينب، ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في

(١) «من أمرهم»: ليس في (ف).

أمرها، ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾^(١) أي: وتُخْفَى فِي نَفْسِكَ نِكَاحَهَا أَنْ لَوْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ، وَهُوَ الَّذِي أَبَدَاهُ اللَّهُ، فَالْمُخْفَى الْمُبْدَى هُوَ النِّكَاحُ.

وقال بعضُ المُفسِّرين: إِنَّ زَيْنَبَ شَاوَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَجُلَيْنِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا أَحَدُهُمَا، مَعَاوِيَةَ، وَالثَّانِي: أَبُو الْجَهْمِ. فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا مَعَاوِيَةُ فَصُغْلُوكُ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَلَا يَرْفَعُ عَصَاهُ عَنْ أَهْلِهِ، وَلَكِنِّي أَرْوِّجُكَ مِنْ زَيْدٍ»، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَاهُ وَأَنَا أَيْمٌ قُرَيْشٍ وَابْنَةٌ عَمَّتِكَ. فَقَالَ ﷺ: «لَكِنِّي أَرْضَاهُ لِكَ»، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ، فَفُرِضَتْ^(٢).
ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا زَيْدٌ أَتَى النَّبِيُّ ﷺ مَنْزَلَ زَيْدٍ لِحَاجَةٍ فَرَأَى زَيْنَبَ فِي دَرَجٍ وَخِمَارٍ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ» وَخَرَجَ، فَلَمَّا عَادَ زَيْدٌ أَعْلَمْتَهُ زَيْنَبُ مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَلِمَ أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، وَفِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ: فَكَّرَتْ إِلَيْهِ فِي الْوَقْتِ، فَأَرَادَ أَنْ يَفَارِقَهَا^(٣).

(١) كَذَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ هَذِهِ الْقِصَّةَ، وَلَمْ أَقْفَ عَلَيْهَا بِهَذَا السِّيَاقِ، وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّهُ لَمَّا رَأَاهُمَا لَا يَتَّفِقَانِ وَكَثُرَتْ شِكَايَةُ زَيْدٍ مِنْهَا، خَطَرَ بِإِلَيْهِ ﷺ لِأَجْلِ الْقَرَابَةِ أَنْ لَوْ طَلَّقَهَا لَتَزَوَّجَهَا وَيُؤْوِيهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَلَا أَدْرِي أَهْوِ خَبَرَ أَمْ تَفْسِيرًا، وَفِي كِلَا الْحَالَيْنِ فَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَسَيَأْتِي قَرِيبًا ذِكْرُ مَا صَحَّ مِنْهَا.

(٢) لَعَلَّ الْمَصْنِفَ وَهَمَّ فِي هَذَا، فَالْمَعْرُوفُ أَنَّ هَذَا فِي فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ وَزَوَّجَهَا مِنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ (١٤٨٠) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا حَلَلْتَ فَأَذْنِي»، فَأَذْنَتْهُ، فَخَطَبَهَا مَعَاوِيَةُ، وَأَبُو جَهْمٍ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا مَعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرَبُّ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ» فَقَالَتْ بِيَدَيْهَا هَكَذَا: أَسَامَةَ، أَسَامَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتَهُ، فَاعْتَبَطَتْ.

(٣) قَالَ ابْنُ حَجْرٍ فِي «الْكَافِي الشَّافِ» (ص: ١٣٤): ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ مَعْنَاهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَوْلَهُ.

قلت: هو في «تفسير الثعلبي» (٤٥٢/٢١)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/١١٦)

عن ابن زيد.

وروي عن زينب أنها قالت: لما وقعت في قلب النبي ﷺ لم يستطعني زيد وما أمتنع منه غير ما يمنعه الله مني، فلا يقدر على ذلك، فأنى النبي ﷺ وقال: إن زينب فيها كبر، وأنا أريد طلاقها، فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وفي نفسه حب تزوجها أن لو طلقها، وهو قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، يعني: تزوجها ونكاحها؛ لأن الله قال: ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، وهو سبحانه لم يبد إلا تزوجها، ولو كان فيها غيره لأبداه^(١).

﴿وَتُخْفِي النَّاسَ﴾؛ أي: وتخشى أن يعيب الناس ما فعلت.

وقيل: تستحيي الناس.

وقيل: ﴿تُخْفِي﴾: تكرهه.

= وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً، أما السند فلانقطاعه مع ضعف ابن زيد نفسه، وأما المتن فلما فيه من أنه أبصرها بعدما أنكحها إيَّاه فوَعَتْ في نفسه، وللقاضي عياض في الرد على هذا الخبر في كتابه «الشفاء» كلام طويل، وقد نقل عن القشيري قوله: وكيف يقال: رآها فأعجبته، وهي بنت عمته، ولم يرل يراها منذ وُلِدَتْ، ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام؟ وهو زوجه لزيد، وإنما جعل الله تعالى طلاق زيد لها، وتزويج النبي ﷺ إياها؛ لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وقال أيضاً: وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن الحسين رضي الله عنهما.

قلت: سيأتي خبر علي بن الحسين قريباً.

(١) وهذا أيضاً لا يصح، فإن هذه رواية نوح بن أبي مريم رفع الحديث إلى زينب أنها قالت ذلك، كما ذكر القرطبي في «تفسيره» (١٤/١٨٩)، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة قال عنه ابن حجر في «التقريب»: كذبه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع.

وقيل: تخشى قاله النَّاسِ؛ أي^(١): يقولون: أمره بتطليقها ثم تزوجها.
وقيل: يقولون نكح امرأة ابنه.

﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ لو كان في ذلك ما تخشى.

وروى المُفسِّرون عن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما أنه قال: كان الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأنَّ زيداً يُطلقها^(٢)، فيكون المعنى على هذا:

(١) في (ن): «أن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/١١٦ - ١١٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/٤٥٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/٤٦٦).

وفصل القرطبي في «تفسيره» (١٤/١٩٠) هذا القول فقال: وروي عن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: «اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك» وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُرِدْ أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاة، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له بأن قال: ﴿أَمْسِكْ﴾ مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية؛ أي: في كل حال.

ثم قال: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين: كالزهري، والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه، فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته، قال الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» - وأسند إلى علي بن الحسين قوله -: فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر ودرًا من الدرر، أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن =

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ في بيان ما أخبرك الله به من تزوجها، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ فلا تكتُم ما أخبرك به؛ أي: هَلَّا أظهرت ذلك، وَلِمَ قُلْتَ له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ بعد ما أخبرك به، فأظهرت^(١) خلاف ما أضمرت، وكان أن تخشى الله في إظهار غير ما في القلبِ أولى من أن تخشى الناس.

قالت عائشة: لو كتَم رسولُ الله ﷺ شيئاً ممَّا أنزلَ عليه لكتَم هذه الآية^(٢).
وقال الحسن: ما أتت عليه أشدُّ منها^(٣).

وقال الفُصَّال: ليس في هذه القصَّة عتابٌ لرسولِ الله ﷺ، ولا إضافةٌ مكروهٍ إليه فيما كان منه، وذلك أنها إن وقعت بقلبه فلا لومَ عليه فيه؛ لأنَّه ليس من فعلِ العبدِ. ومعنى الآية: أن الله أخبره بإكرامه إيَّاه بإيصاله إلى محبَّته فقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: تقول هذا عاملاً بما يلزمك أن تعمله؛ لأنَّ من يقع في قلبه استحسانُ امرأةٍ غيره فلا لومَ عليه في ذلك ولا عيب، ولكن ينبغي له أن لا يُظهِرَ لذلك أمراً يخرجُ معه إلى مساءةِ زوجِ المرأة، ولا أن يسعى في إفسادِ ما بينهما بإغراءٍ وتضريبٍ وسعايةٍ وإكراهٍ على الفراق، فإذا لم تفعلْ هذا فقد جاهدتَ نفسك، وعلى الله ثوابك، ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ

= ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وأخذته خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾.

(١) في (ف): «وأظهرت».

(٢) رواه عن عائشة رضي الله عنها مسلم (١٧٧)، ورواه البخاري (٧٤٢٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩ / ٣١٣٦)، والطبراني في

«المعجم الكبير» (٢٤ / ٤٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٩١): «رواه الطبراني من طريق

رجال بعضها رجال الصحيح».

مُبْدِيهِ ﴿ وهو محبتك لأن تبين من زوجها فتزوجهها، فتقضيَ وطركَ منها بالوجه الذي أباحه الله لك، وهذا أيضًا مدحٌ له، ﴿ وَتَخَشَى النَّاسَ ﴾؛ أي: قاله الناس لو أظهر الله ما أخفيت فيزوجكها^(١)، بأن يقولوا: نكح امرأة ابنه، أو يقولوا: هويها فعلم بذلك زيدٌ فطلقها ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ أي: لو كان في ذلك ما تخشى بأن يكون فعلاً لك لكان الله عندك أحقَّ بأن تخشاهُ، فلم تكن لتفعله أصلاً، فمن لامك فهو جاهلٌ، فلا تكثرِ بلومه ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾؛ أي: فقد أكرمك بأن كرهتها إلى زيدٍ فطلقها فزوّجتها إيصالاً لك إلى محبتك، وتوسعةً عليك في الملاذِّ المُباحة لك^(٢).

﴿ لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ في نكاحِ أزواجِ المُتبنين إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴿.

قوله: ﴿ قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ﴾ كنايةٌ عن الطلاق؛ كما يقول الرجل لامرأته: لا حاجة لي فيك؛ يريدُ به طلاقاً، فتطلقُ.

وقيل: قضى محبته منها بغضتها إليه.

وقيل: فلما نال منها مُرادَه وملها فطلقها.

ومعنى قضاءِ الوطْرِ: إدراكُ الحاجةِ وبلوغُ المُرادِ منه.

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾؛ أي: ما قضاه الله كائنٌ، وقيل: وكان تزويجُ^(٣) زينب

كائنًا لا محالة.

(١) كذا في النسختين، والظاهر أنها ينبغي أن تكون: «فزوجهها».

(٢) وهذا كله مبني على أخبار لا تصح كما بينا، وقد ذكرنا الصحيح في القصة، فلا حاجة لمثل هذه التعليقات.

(٣) في (ن): «تزوج».

وقيل: وكان قضاء الله في تزويج الأعداء كائناً بخلاف أبناء الولادة وأبناء الرضاع.

وجاء في الحديث: أن زينب رضي الله عنها كانت تفتخر على سائر نساء النبي ﷺ وتقول: إن الله تولى إنكاحي^(١) من النبي ﷺ، وأنتن إنما زوجكن أولياؤكن^(٢).

قال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدُلُّ عليك بثلاث لا تُدَلُّ بها غيري؛ جدِّي وجدُّك واحدٌ، وأني أنكحنيك الله في السماء، وأن السِّفيرَ جبريل^(٣).

وقال يحيى بن سلام: دعا رسول الله ﷺ زيداً فقال له: أتت زينب فأخبرها أن الله سبحانه قد زوجَنيها، فانطلق زيدٌ واستفتح الباب، فقالت: من هذا؟ فقال: زيدٌ، قالت: وما حاجة زيدٍ إليّ وقد طلقني؟ فقال: رسول الله أرسلني، فقالت: مرحباً برسول رسول الله، ففتحت له فدخل عليها وهي تبكي، فقال زيدٌ: لا أبكى الله عينك، قد كنت نعمت المرأة، إن كنت لتبرين قسَمي، وتطيعين أمري، وتتبعين دعوتي^(٤)، وقد أبدلك الله خيراً مني، قالت: من لا أبا لك؟ قال: رسول الله ﷺ، فخرت ساجدة^(٥).

قال أنس رضي الله عنه: وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن^(٦).

(١) في (ف): «نكاحي».

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٤٦٤).

(٤) في «تفسير يحيى بن سلام»: «وتتبعين مسرتي».

(٥) ذكره بهذا السياق يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢ / ٧٢٢) عن الكلبي، ورواه ابن أبي شيبة في

«مصنفه» (٣٢٨٥٠) مختصراً عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي.

(٦) رواه مسلم (١٤٢٨).

وكانت زينبُ أوَّلَ امرأةٍ ماتتْ بعد موتِ النَّبِيِّ ﷺ من أزواجه، وأوَّلَ امرأةٍ حُمِلَتْ على نعشٍ؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه قال حين ماتت: واسوأُناه؛ تُحْمَلُ أمُّ المؤمنين مكشوفةً كما يُحْمَلُ الرَّجَالُ، فقالت أسماءُ بنتُ عميسٍ: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي كنتُ شاهدتُ في بلادِ الحبشة شيئاً فيه للمرأةِ صيانةٌ، فوصفتهُ له، فأمرَ بعمله، فلما رآه قال: نعم خِباءُ الظَّعِينَةِ^(١).

(٣٨) - ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: إثمٌ وضيقٌ.

﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾: أحلَّ له وأمره به، وهو نكاحُ زينبَ امرأةِ زيدٍ.

وقيل: ﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾: وَقَّتْ له من عددِ النساءِ.

وقيل: معناه: في التي وهبتْ نفسها للنَّبِيِّ.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: سنَّةُ الله في الأنبياءِ الذين مَضَوْا من قبله

في زوالِ الحرجِ منهم ومن أمَّتِهِمْ فيما أباحه وأحلَّه لهم من الملاذِّ والمناجِحِ.

الكلبيُّ ومقاتلٌ: أرادَ داودَ عليه السَّلامُ جمعَ الله بينه وبينَ المرأةِ التي هويها

حتى ولدتْ ولداً مثلَ سليمانَ عليه السَّلامُ^(٢).

وقيل: الإشارةُ بالسُّنَّةِ إلى النِّكاحِ؛ فإنَّه من سنَّةِ الأنبياءِ.

وقيل: إلى كثرةِ الأزواجِ، مثلَ قصَّةِ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلامُ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٤٠٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣ / ٤٩٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٤٦٦) عن الكلبي ومقاتل،

وسياطي الكلام على مثل هذه الروايات في تفسير سورة (ص).

و﴿سُنَّةٌ﴾ نصبٌ على المصدرِ من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّلِ، وقال الكوفيون: نصبٌ على القطع^(١).

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾: ماضيًا كائنًا.

(٣٩) - ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ

حَسِيبًا﴾.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: الذين كانوا يُبَلِّغُونَ، فحذفَ (كان) لأنَّ قوله: ﴿خَلَوْا﴾ يدلُّ عليه.

﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ هذه صفةُ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، ومحلُّه جرٌّ، والمعنى: لا يخشونَ قالةَ النَّاسِ ولائمتهم فيما أحلَّ اللهُ لهم وفرضَ عليهم. القفال: يجوزُ أن يكونَ وصفًا للنبيِّ عليه السَّلامُ في قوله: ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾، ويكونُ المرادُ به العمومُ^(٢).

قال: ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بالخبرِ، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا بـ(أعني).

وقيل: هذه الخشيةُ غيرُ تلك؛ لأنَّ تلكَ في الدِّينِ، وهذه استحياءٌ، وكانت في حقِّ نفسه عليه السَّلامُ.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: حافظًا لأعمالِ خلقه ومُحاسبهم عليها.

(١) يستعمل الفراء مصطلح القطع ويريد به الحال، ويستعمله ويريد به النصب بفعل محذوف، ويستعمله ويريد به الاستئناف، ولعل هذا هو المراد هنا. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٧/١) و(٢/٤٢٥) و(٢/٣٤٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩١٧)، واستغربه.

(٤٠) - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾؛ أي: من رجالكم البالغين، وليس المراد بالرجال الذكور؛ فإنه ﷺ كان أبا القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم، والحسن، والحسين، عليهما السلام، فإن النبي ﷺ قال: «كلُّ بني ابنة منسوبون إلى أبيهم إلا الحسن والحسين»، ورؤي: «إلا أولاد فاطمة، فإنني أنا أبوهم وعصبتهُم»^(١).

﴿وَلٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ قُرِئَ بالكسر والفتح^(٢)؛ فَمَنْ كَسَرَهُ جعله اسمَ الفاعل من خَتَمَ؛ أي: ختم به النبيين^(٣)، فليس بعده نبيٌّ، ومَنْ فَتَحَ جعله اسمًا؛ أي: آخر النبيين.

وقيل: الفتح والكسر لغتان في الاسم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فلعلِّمه بمصلحة عباده جعل محمدًا ﷺ آخر النبيين.

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٣١)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ: «كل ولد أب فإن عصبتهُم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة؛ فإنني أنا أبوهم وعصبتهُم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤ / ٢٢٤): «فيه بشر بن مهران، وهو متروك».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٢٣ / ٢٢) بلفظ: «لكل بني أنثى عصبه يتمون إليه إلا ولد فاطمة، فأنا وليهم، وأنا عصبتهُم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤ / ٢٢٤): «فيه شيبه بن نعام، وهو ضعيف».

(٢) قرأ عاصم: ﴿خَاتَمٌ﴾ بفتح التاء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) في (ف): «ختم النبيين».

وأفادَ دخولُ ﴿لَكِنْ﴾ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ليسَ بأبي أحدٍ من رجالِكُمْ، بل هو أبو الجميع كما في مصحفِ أبي: (وهو لهم أب) (١).

وقيل: الفائدةُ فيه نفْيُ الابنِ؛ لأنَّ منصبه يقتضي أنَّ ابنه لو عاشَ لكانَ نبيًّا، فلم يكنِ النبيُّ ﷺ حينئذٍ خاتمَ النَّبِيِّينَ، فلمَّا كانَ خاتمَ النَّبِيِّينَ عَلِمَ أَنَّهُ ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحدٍ من رجالِكُمْ.

(٤١) - ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ بالتَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ والتَّهْلِيلِ والتَّكْبِيرِ. وقيل: اذْكُرُوهُ؛ أي: أطيعُوهُ، والطَّاعُ لله ذاكِرُ اللهِ وَإِنْ كَانَ سَاكِتًا، ولا تكونوا كالمُنافقين الذين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

(٤٢) - ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾: أوَّلُ النَّهَارِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: آخرَ النَّهَارِ. وقيل: التَّسْبِيحُ: الصَّلَاةُ؛ أي: صلُّوا بالغداةِ والعشيِّ، وخُصِّصَتَا بالذِّكْرِ لأنَّ ملائكةَ اللَّيْلِ وملائكةَ النَّهَارِ مُجْتَمِعُونَ فِيهِمَا.

وقيل: ﴿بُكْرَةً﴾: صلاةُ الفجرِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: الظُّهْرُ والعصرُ والمغربُ والعشاءُ.

وقيل: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: دائِمًا.

(١) رواها عن أبي بن كعب رضي الله عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٦)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحاكم في «المستدرک» (٣٥٥٦)، ونسبت لابن مسعود في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥).

أبو عبيدة: الأصيل: العصر^(١).

غيره: الأصيل: العشي.

(٤٣) - ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: هو الذي يرحمكم معاشر المؤمنين ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾؛ أي: يستغفرون لكم بأمره، من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ الآيات [غافر: ٧-٩].

وقيل: نزلت هذه بعد نزول قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وسيأتي ذكره إن شاء الله.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾؛ أي: من الضلالة إلى الهدى، ومن الشرك إلى الإيمان.

وقيل: من ظلمات جهنم إلى نور الجنان.

وقيل: من الجهل إلى العلم.

والمعنى: ليستديموا الخروج من الظلمات إلى النور، لا أنهم حين يُصَلِّي اللهُ عليهم وملائكته في الظلمات.

وقيل: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يُثْنِي عَلَيْكُمْ، من قوله: ﴿أذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[البقرة: ١٥٢].

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٨) وفيه: «ما بين العصر إلى الليل».

أبو عبيدة: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يُبَارِكُ عَلَيْكُمْ^(١).

الفرّاء: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يَغْفِرُ لَكُمْ ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ تَسْتَغْفِرُ لَكُمْ^(٢).

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُهُ: وَسَبَّحُوهُ بَكَرَةً وَأَصِيلًا لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ.

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

(٤٤) - ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ﴾ أي: تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ دُخُولِ الْجَنَّةِ سَلَامٌ.

وقيل: تَحِيَّتُهُمْ مِنَ اللَّهِ السَّلَامَةُ لَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ، فَيَكُونُ مُضَافًا إِلَى الْمَفْعُولِ.

وقيل: تَحِيَّةٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ السَّلَامُ.

وقيل: تُحِيَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا دَخَلُوهَا حَيًّا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ السَّلَامِ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ تَحِيَّةٌ رَبِّهِمْ إِيَّاهُمْ بِالسَّلَامِ.

وقيل: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَ الْمَوْتَ سَلَامٌ؛ أَي: يُحِيَّتُهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَيَقُولُ: اللَّهُ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: ثَوَابًا عَظِيمَ الْقَدْرِ؛ يَعْنِي: الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا.

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢ / ١٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفرّاء (٢ / ٣٤٥).

(٤٥) - ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ لَأَمَّتِكَ وَعَلَيْهِمْ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَنَذِيرًا﴾

لِلْكَافِرِينَ.

(٤٦) - ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾: إِلَى تَوْحِيدِهِ ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بِأَمْرِهِ لَكَ بِالذُّعَاءِ.

وَقِيلَ: ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بِتَوْفِيقِهِ.

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ السِّرَاجَ الْقُرْآنُ، فَيَكُونُ لَهُ تَقْدِيرَانِ:

أَحَدُهُمَا: وَتَالِيًا سِرَاجًا.

وَالثَّانِي: وَذَا سِرَاجٍ مُنِيرٍ، ذَا كِتَابٍ بَيِّنٍ.

وَقِيلَ: (السِّرَاجُ الْمُنِيرُ) صِفَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَي: ضِيَاءٌ لِمَنْ اهْتَدَى بِهِ.

وَقِيلَ: السِّرَاجُ الْمُنِيرُ: الدَّالُّ الْمُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أُمُورَ دِينِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنُوا ذَلِكَ كِتَابُهُمْ

بِالسِّرَاجِ.

(٤٧) - ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾؛ أَي: يُعْطِيهِمُ الزِّيَادَةَ عَلَى مَا

يَسْتَحِقُّونَ.

(٤٨) - ﴿ وَلَا نُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَٱلْمُنٰفِقِينَ وَدَعَا۟ اٰذْنٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلٰى ٱللّٰهِ وَكَفٰى بِٱللّٰهِ وَكِيلًا ۙ ﴾ .

﴿ وَلَا نُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَٱلْمُنٰفِقِينَ ﴾ فيما يدعونك إليه من مُهادنة ﴿ وَدَعَا۟ اٰذْنٰهُمْ ﴾ الأذى بمعنى: الإيذاء، فيحتمل أن يكون مُضافاً إلى الفاعل؛ أي: لا تُبالِ بهم، ولا تخف من إيذائهم إياك، وقيل: تحمّل عنهم^(١).

ويحتمل أن يكون مُضافاً إلى المفعول؛ أي: دَعِ إِيْذَاءَكَ إِيَّاهُمْ، وإليه ذهب الحسن^(٢)، وقال: هي مكّية، ومثلها: ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فتكون منسوخةً، والأوّل أظهر.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلٰى ٱللّٰهِ ﴾: فوّض أمورك إليه؛ فإنّه^(٣) لك كافٍ، وهذا يُقوّي الوجه الأوّل.

﴿ وَكَفٰى بِٱللّٰهِ وَكِيلًا ۙ ﴾: حافظاً ومُعِيناً.

(٣٩) - ﴿ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمْسُوهُنَّ فَمَالِكُمْ عَلَيْهِنَّ مِن عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۙ ﴾ .

﴿ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ﴾؛ أي: إذا تزوّجتُم النساء المؤمنات.

﴿ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمْسُوهُنَّ ﴾: تُجامِعُوهُنَّ.

﴿ فَمَالِكُمْ عَلَيْهِنَّ مِن عِدَّةٍ ﴾: فليس عليهنّ أيام التّربّص بأنفسهنّ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، وذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٢١٩) بلا نسبة، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٥١).

(٣) في (ف): «وإنه».

﴿تَعَدُّوْنَهَا﴾ (اعتدَّ) يأتي على وجهين:

أحدهما: بمعنى: عدَّ، تقول: عدَّ الشَّيءَ واعتدَّه: أحصاه، ومنه: اعتدَّتِ المرأةُ، فيكونُ إسنادُه إلى الرِّجالِ في هذه الآيةِ لبيانِ أنَّ العِدَّةَ حقُّ الزَّوجِ استبراءً للرَّحمِ^(١).
والثاني: بمعنى: استوفى، كما تقول: زانَه وازدانَه، وكالَه واكتالَه، وعدَّه عليه واعتدَّه، فيكونُ المعنى: فما لكم عليهنَّ من عدَّةٍ تستوفونَّها.

﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ هذا لغيرِ المدخولِ بها غيرِ المفروضِ لها، إنَّ المفروضَ لها نصفٌ ما فُرِضَ^(٢).

وذهبَ بعضهم إلى أنَّ المتعةَ واجبةٌ لكلِّ مُطلَّقةٍ، وقد سبقَ في (البقرة).

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: طَلَّقُوهُنَّ لِلسَّنَةِ.

وقيل: أَخْرِجُوهُنَّ مِنْ مَنَازِلِكُمْ؛ إذ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ عِدَّةٌ.

(٥٠) - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

يَمِينُكَ مِمَّا آفَأَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾: مُهَوَّرُهُنَّ، وَسُمِّيَ

أَجْرًا لِأَنَّهُ الْعِوَضُ عَنِ الشَّيْءِ؛ أَي: تَزَوَّجْتَهُنَّ عَلَى مَهْرٍ مَفْرُوضٍ مَعْلُومٍ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩١٩)، واستغربه.

(٢) قوله: «أن المفروض لها نصف ما فرض»، كذا وقعت العبارة في النسختين، ولعل الصواب: «أما

المفروض لها فلها نصف ما فرض»، أو: «فإن المفروض لها لها نصف ما فرض».

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ في التفسير: كانت عنده صفيّة بنتُ حُييٍّ، وجويرية بنتُ الحارثِ، وكان ﷺ أعتقهما وتزوَّجهما، ومارية القبطية أهداها ملكُ إسكندر [ية] (١).

القفال: هي ما كان يصطفيه من الغنائم ممَّا يشاء من جارية وغيرها.

﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ﴾: بناتِ العباسِ وغيره من أولادِ عبدِ المطلبِ.

﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ من ولدِ بناتِ عبدِ المطلبِ.

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ من ولدِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ.

﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ هَاجَرْنَ دَارَ الشَّرِكِ كما هَاجَرَتْ، ووَحَدَ العَمَّ والخَالَ وجمعَ العَمَّاتِ والخَالَاتِ لأنَّ بني العَمِّ وبني الخَالَ كَثُرَ دَوْرُهَا في الكلامِ فَحَسُنَ الإيجازُ (٢) وعُرِفَ، ولم يكثرَ دَوْرُهَا معَ العَمَّةِ والخَالَةِ فجاءت على الأصلِ.

المُبرِّدُ: الواحدُ الذي يقومُ مقامَ الجمعِ لا يكونُ إلا مذكراً، نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، و﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً﴾ [الأنبياء: ٨]، قال: ولم يأتِ مثلُ ذلكِ في المؤنثِ (٣).

﴿وَأَمْرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ﴾ تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَأَمْرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أحلَّلنا له، فيكونُ بمعنى المستقبلِ؛ لأنَّ الشرطَ لا يكونُ في الماضي البتَّةَ.

(١) ما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، ومارية القبطية هي مارية بنتُ شمعونَ أهداها إلى رسول الله ﷺ المقوقسُ صاحبُ الإسكندريةَ، وأهدى معها أختها سيرينَ. رواه الحاكم في «المستدرک» (٦٨١٩) عن مصعب بن عبد الله الزبيري.

(٢) في (ف): «المجاز».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٠).

وَيُقَوِّيَ هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَجَاهِدٍ، فَإِنَّهُمَا قَالَا: لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ^(١).

قَالَ الْقَفَّالُ: مَعْنَى ﴿أَحَلَّلْنَا لَكَ﴾: إِدَامَةُ إِحْلَالٍ مَنِ كُنَّ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتِثْنَاءُ إِحْلَالٍ مَنِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ.

وَقُرِيءَ (أَنْ وَهَبَتْ) بِالْفَتْحِ^(٢)، وَ: (وَهَبَتْ) مِنْ غَيْرِ ﴿إِنْ﴾^(٣)، فَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَحْمُولٌ عَلَى الْأَوَّلِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْوَاهِبَةِ نَفْسَهَا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَجَاهِدٌ: لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، كَمَا ذَكَرْتُ^(٤).

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّهَا خَوْلَةٌ بِنْتُ حَكِيمٍ^(٥).

(١) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٣٤ / ١٩)، وَالطُّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكَلِ الْأَثَارِ» (٦٠٦٦)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (١٧١٧٢)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٣٥ / ١٩) عَنْ مَجَاهِدٍ بَلْفِظٍ: «﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا﴾: إِنْ تَهَبَ نَفْسَهَا».

(٢) انظُرْ: «الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١٢١) عَنِ الْحَسَنِ وَعَيْسَى وَسَلَّامٍ، وَ«الْمَحْتَسَبُ» (١٨٢ / ٢) عَنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَالْحَسَنِ وَسَلَّامٍ.

(٣) نَسَبَتْ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَّاءِ (٢ / ٣٤٥)، وَ«الْمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» (ص: ١٢١).

(٤) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢ / ٩١٩)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

(٥) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٥٥ / ٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَصَحَّ هَذَا عَنْ عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥١١٣) عَنْهُ قَالَ: «كَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّاتِيَّةِ وَهَبَتْ أَنْفُسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَمَا تَسْتَحِي الْمَرْأَةَ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ. قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٩ / ١٦٤): «هَذَا مَرْسَلٌ؛ لِأَنَّ عُرْوَةَ لَمْ يَدْرِكْ زَمَانَ الْقِصَّةِ، لَكِنَّ السِّيَاقَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ حَمَلُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا».

وقيل: ميمونة بنت الحارث^(١).

وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين، امرأة من الأنصار^(٢).

وقيل: هي أم شريك بنت جابر^(٣).

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ نَكَحَ وَاسْتَنْكَحَ بِمَعْنَى.

وقيل: طلبَ نكاحها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٥ / ١٩)، من طريق سعيد عن قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٢٦٦) و(٢٢٦٧) من قول عكرمة والزهري وقتادة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥٤ / ٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤٥٠ / ٤)، والقرطبي في

«تفسيره» (١٨٢ / ١٧)، عن الشعبي. وقولهم فيه: «من الأنصار» تعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية»

(٢٢٣ / ٨) بقوله: «وأما حكاية الماوردي عن الشعبي أن زينب بنت خزيمة أم المساكين أنصارية،

فليس بجيد؛ فإنها هلالية بلا خلاف».

قلت: وقد ذكره البغوي في «تفسيره» (٣٦٤ / ٦) عن الشعبي فقال: «الهلالية» على الصواب.

وقد روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣٥ / ١٩)، عن

الشعبي: «أنها امرأة من الأنصار وهبت نفسها للنبي، وهي ممن أرجأ».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١٥٥ / ٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٣)، والطبري في

«تفسيره» (١٣٦ / ١٩)، عن علي بن الحسين. وفي هذه المصادر: أنها من الأزد، وليس فيها: «بنت

جابر». وكونها بنت جابر رواه ابن سعد في «الطبقات» (١٥٥ / ٨) عن منير بن عبد الله الدوسي في

خبر طويل، وفيه أنه ﷺ قد قبلها. وروى النسائي في «الكبرى» (٨٨٧٩) عن هشام بن عروة، عن

أبيه، عن أم شريك: «أنها كانت فيمن وهبت نفسها للنبي ﷺ» قال الحافظ في «الإصابة» (٢٤٠ / ٨):

«ورجاله ثقات، ولم ينسبها».

وقد وقع في اسمها ونسبها، وهل قبلها النبي أم لم يقبلها؟ خلاف كثير. انظر: «الإصابة»

(٢٣٧ و ٢٣٨) ترجمة أم شريك الدوسية، وأم شريك العامرية القرشية، و«صفة الصفوة» لابن

الجوزي (٥٣ / ٢).

﴿خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ابنُ زيدٍ في جماعَةٍ: معناه: أنَّ الواهبةَ نفسَها لك خالصةٌ لا يحلُّ لأحدٍ من أمَّتِكَ أن يتزوَّجَها في حياتِكَ وبعد وفاتِكَ^(١).

قتادةٌ ومجاهدٌ: هو أن يتزوَّجَها بغيرِ مهرٍ، ولا يحلُّ لغيرِكَ^(٢).

وقيل: إنَّ النِّكاحَ بغيرِ وليٍّ ولا شهودٍ خالصةٌ للنَّبِيِّ.

وقيل: تملكُ نكاحَها بلفظِ الهبةِ، وليس ذلك لغيرِكَ.

وقيل: خلَّو الوطاءَ عن البدلِ خالصةٌ لك.

وقيل: ﴿خَالِصَةٌ﴾ صفةٌ للمرأة؛ أي: خصَّكَ اللهُ بها.

وقيل: ﴿خَالِصَةٌ﴾ ترجعُ^(٣) إلى جميعِ ما في الآية؛ أي: هذا الإكثارُ من النِّكاحِ

﴿خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وأنهم مقصرون على أربعِ نسوةٍ، وهذا القولُ

عن أبيِّ بنِ كعبٍ^(٤).

و﴿خَالِصَةٌ﴾ و(خاصَّةٌ) مصدرانِ يستوي فيهما لفظُ المذكَرِ والمؤنَّثِ؛

كالخاطبةِ والكاذبةِ واللَّاغيةِ بمعنى: الخطيئةِ والكذبِ واللَّغوِ.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ يُريدُ: شرائطَ صحَّةِ النِّكاحِ: من

حُضورِ الوليِّ، والشُّهودِ، والصِّدَاقِ، وأن يكونَ على عددٍ معلومٍ.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١٣٣/١٩) عن ابن زيد قال: «كان كل امرأة آتاهها مهرًا فقد أحلها الله

له، إلى أن وهب هؤلاء أنفسهن له، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر» ﴿خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ «إلا امرأة لها زوج».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣٢/١٩).

(٣) في (ف): «يرجع».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٤/١٩).

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ بالشَّرى وغيره من وجوه الإملاك.

وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ فقصرناهم على أربع.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضيقٌ وحظرٌ، ولائمٌ ﴿لِكَيْلَا﴾ مُتَّصِلٌ بما قبله؛ أي: قد خصصناك في باب النكاح بأشياء ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ في النكاح، فعلى هذا يكون قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ مُتَّصِلًا بالمؤمنين، والوصل أحسن من الوقف.

ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ إذا سألك المؤمنون عن فرض النكاح.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لَمَنْ قَامَ بِهِذِهِ الْأَحْكَامِ وَلَمْ يَتَعَدَّهَا ﴿رَحِيمًا﴾ حَيْثُ وَسَّعَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ.

(٥١) - ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِّنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مِنْ نَّشَاءٍ وَمِنْ ابْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عِيَّتَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَبْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

﴿تُرْجَى مِنْ نَّشَاءٍ مِّنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مِنْ نَّشَاءٍ﴾ في سبب النزول: أَنَّهَا نَزَلَتْ حِينَ غَارَ بَعْضُ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَدْيَنَهُ بِالْغَيْرَةِ وَطَلَبَ زِيَادَةَ النَّفَقَةِ، فَهَجَرَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ، وَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُخَيَّرَهُنَّ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ مَنْ اخْتَارَتِ الدُّنْيَا، وَيُمْسِكَ مَنْ اخْتَارَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَلَىٰ أَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُنْكَحُنَّ أَبَدًا، وَعَلَىٰ أَنَّهُ يُؤْوَىٰ مِنْ يَشَاءُ إِلَيْهِ، وَيُرْجَىٰ مِنْ يَشَاءُ مِنْهُنَّ وَيَرْضَيْنَ بِهِ؛

قَسَمَ لَهُنَّ، أَوْ لَمْ يَقْسِمْ، أَوْ فَضَّلَ بَعْضَهُنَّ عَلَى بَعْضٍ فِي النَّفَقَةِ وَالْقِسْمَةِ، وَيَكُونُ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، فَرَضِينَ بِذَلِكَ كُلَّهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ هَذَا كُلُّهُ يُسَوِّي بَيْنَهُنَّ فِي الْقَسْمِ (١).

رَوَتْ مُعَاذَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ يَسْتَأْذِنُنَا إِذَا كَانَ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مَنًّا، قَالَتْ مُعَاذَةُ: فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَقُولُ: إِنْ كَانَ ذَلِكَ إِلَيَّ لَمْ أُؤْثِرْ أَحَدًا عَلَى نَفْسِي (٢).

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: أَرَى رَبِّكَ يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكِ (٣).

وَالْإِيوَاءُ: الضَّمُّ وَالتَّقْرِيبُ.

وَالْإِرْجَاءُ: التَّأخِيرُ، يُهَمَزُ وَلَا يُهَمَزُ (٤).

وَكَانَتْ مَمَّنَ أَوْى: عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ، وَزَيْنَبُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ.

وَكَانَتْ مَمَّنَ أَرْجَى: أُمُّ حَبِيبَةَ، وَمَيْمُونَةُ، وَصَفِيَّةُ، وَسُودَةُ، وَجُؤَيْرِيَّةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٢/١٩) عن ابن زيد، وهو مرسل، وأوله عند مسلم (١٤٧٨) من

حديث جابر قال: «دخل أبو بكر على النبي ﷺ والناس على الباب جلوس...»، الحديث، وفيه قول

النبي ﷺ: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فذكر الحديث، وفيه: «فأنزل الله آية التخيير».

وقوله: «وهجرهن شهراً» هو من حديث عائشة عند البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٠٨٣).

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٩)، ومسلم (١٤٧٦).

(٣) رواه البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر: ﴿تُرْجَى﴾ بالهمز، وباقي السبعة بغير همز. انظر:

«السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿تُرْجَى مِنْ نَسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ نَسَاءٍ﴾؛ أي: تُطَلَّقُ مِنْ نَسَاءٍ، وَتُمْسِكُ مِنْ نَسَاءٍ^(١).

﴿وَمِنْ أِبْنَعَيْتٍ﴾: طَلَبْتَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾؛ أي: طَلَقْتَ بِالرَّجْعَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

الحسن: هذا في الابتداء؛ أي: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت، ومن طلبت ممن تركت ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾^(٢).

وقيل: هذا مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾؛ أي: تَرُدُّ نِكَاحَ مَنْ شِئْتَ، وَتَقْبَلُ نِكَاحَ مَنْ شِئْتَ.

مجاهد: عَزَلُ مَنْ شِئْتَ مِنْهُنَّ فَلَا تَأْتِيهَا، وَتَأْتِي مَنْ شِئْتَ فَلَا تَعْزِلُهَا ﴿وَمِنْ أِبْنَعَيْتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾^(٣).

قتادة: تُؤَخَّرُ عَنِ الْفِرَاشِ، وَتُؤْوَى إِلَى الْفِرَاشِ^(٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٤٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٤٩٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٤١٥)، كلاهما دون قوله: «ومن طلبت...».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣١٤٦).

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه-التفسير» (١٩ / ١٤٣) بلفظ: «كان هذا شيء جعله الله لنبيه وليس لأحد غيره، كان يدع المرأة من نسائه ما بدا له من غير طلاق، فإذا شاء راجعها ويتركها كذلك»، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٦٤) بلفظ: «كان النبي ﷺ موسعاً عليه في قسم أزواجه أن يقسم بينهن كيف شاء فذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] إذا علمن أن ذلك من الله»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٤٣) بلفظ: «هذه في نسائه، إن شاء أتى من شاء منهن، ولا جناح عليه».

﴿وَمِنْ ابْنَعَيْتَ﴾ يجوزُ أن يكونَ رفَعًا بالابتداءِ ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ خبرُهُ، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا، ويكونُ شرطًا ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ جزاؤه.

﴿ذَلِكَ أَذْفَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْسُهُنَّ وَلَا يَحْزَبَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾؛ أي: إنَّكَ إذا لم تجعلَ لواحدةٍ منهنَّ يومًا كُنَّ في ذلك سواءً؛ تُؤمِّلُ أن تُؤويها إلى فراشِكَ بدلًا عن صاحبتيها.

وقيل: هذا يرجعُ إلى قوله: ﴿وَمِنْ ابْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾؛ أي: إذا آويتَ المعزولةَ طابت سائرُ المعزولاتِ نفسًا، فلم ينقطع طمعهنَّ فيكَ.

وقيل: معناه: هذا الذي أبحثه لك من تركِ القَسَمِ وغيره إذا علمنَ أنه من قبلي ومن أمري طابت نفوسهنَّ بذلك منك؛ لعلمهنَّ بالثوابِ على طاعتهنَّ، وإذا كان من قبلك حزنٌ وحملنَ على مِيلِكَ إلى بعضهنَّ دون بعضٍ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فاجتهدوا في الإحسانِ إليهنَّ وطلبِ رضاهنَّ.
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمن عدلَ فيهنَّ ﴿حَلِيمًا﴾ عمن لا يعدلُ، فلا يُعجلُ بالجزاء.

﴿كُلُّهُنَّ﴾ رفعٌ تأكيدٌ للضميرِ في ﴿يَرْضَيْنَ﴾.

(٥٢) - ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ في هذه الآية أقوال:

عليُّ وابنُ عباسٍ رضي الله عنهما والضَّحَّاكُ: ذهبوا إلى أنَّها منسوخةٌ بالآيةِ

التي سبقتُ وهي: ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّدُ الْبَتَّاءَ مِنَ الْبَتِّ﴾^(١)، وإلى هذا ذهبَتْ عائشةُ رضي الله عنها، وقالت: ما مات رسولُ الله ﷺ حتى أحلَّ الله له النساءَ^(٢).

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: لم يمُت رسولُ الله ﷺ حتى أحلَّ الله له أن يتزوَّجَ من النساءِ مَنْ شاءَ إلا ذاتَ محرَّمٍ^(٣).

ولا يمتنعُ صحَّةُ هذا التَّأويلِ لتقدُّمِ الآيةِ النَّاسِخَةِ على المنسوخةِ؛ لأنَّ ذلك في التَّلاوةِ لا في التَّزْوِيلِ، كما قلنا: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤] في (البقرة).

والقولُ الثاني: أنَّها مُحْكَمَةٌ، وأنَّ الله سبحانه أحلَّ لنبِيِّه نساءَهُ التَّسْعَ وستَّةَ أصنافٍ أُخرى؛ بناتِ العمِّ، وبناتِ العمَّةِ، وبناتِ الخالِ، وبناتِ الخالَةِ، وامرأةَ مؤمنةٍ تهبُّ نفسها للنبِيِّ، وما شاءَ من الإمامِ، وحرَّم ما سوى ذلك من الكتائبِ، والعربيَّاتِ النَّسَبِ كما تقدَّم في الآيةِ الأولى، وهي: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ الآية.

والقولُ الثالثُ: قال الحسنُ: قصرَه اللهُ على التَّسْعِ اللَّاتِي اختَرَن اللهُ ورسولَه، وحرَّمَ عليه أن يتزوَّجَ سواهنَّ، وأباحَ له التَّسْرِيَّ ما شاءَ^(٤).

قوله ﴿مَنْ بَعْدُ﴾ قيل: من بعد هذه الصِّفَةِ.

(١) ذكره النحاس في «ناسخه» (ص: ٦٢٨) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وعلي بن الحسين والضحاك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢١)، واستغربه.

(٢) رواه الترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٣٢٠٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص: ٦٢٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٣/ ٥٣٩)، والطبري في

وقيل: من بعدِ المسلماتِ.

وقيل: من بعدِ ما قصَّ عليك.

وقيل: من بعدِ اللواتي عندك.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾؛ أي: ليس لك أن تستبدلَ بهنَّ غيرهن وإن وقع في قلبك حبُّهنَّ.

قيل: إنَّ التي أعجبه حسنُها أسماءُ بنتُ عميسٍ بعد قتلِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ عنها^(١).

وقيل: حَرَّمَ عليه أن يُبدلَ بعضَ نسائه بيهوديةٍ أو نصرانيةٍ، وفيه بُعدٌ.

وأبعدُ من هذا ما حكي عن ابنِ زيدٍ: أنَّ العربَ كانت تُبادِلُ بأزواجها، يقولُ أحدهم للآخر: خذْ زوجتي وأعطني زوجتك^(٢)، فنفى الله ذلك عنه ﷺ، وهذا يقتضي: ولا أن تُبادِلَ بهنَّ.

قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾؛ أي: الإماءُ، و﴿مَا﴾ محلُّه رفعٌ، وإن شئتَ قلتَ: نصبٌ^(٣).

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾: حافظًا غيرَ ساهٍ ولا غافلٍ.

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٠٣). ونسبه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٤) لابن عباس رضي الله عنهما. وضعفه ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٦٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٥٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤١٧).

(٣) النصب على الاستثناء، والرفع على البدل من ﴿النِّسَاءِ﴾؛ لأن الاستثناء تام منفي، فجاز فيه الوجهان.

(٥٣) - ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بيوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِبِينَ لِحَدِيثِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بيوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ في سبب النزول: أن النبي ﷺ لما بنى زينب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق، وذبح شاة، قال أنس رضي الله عنه: وبعثت أمي أم سليم بحيس في تور من حجارة، فأمرني النبي ﷺ أن أدعو أصحابه إلى الطعام، فدعوتهم، فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبي الله، قد دعوت حتى ما أرى أحداً أدعوه. فقال: «ارفعوا طعامكم» فرفعوا، وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر^(١) يتحدثون في البيت، فأطالوا المكث، وتأذى بهم رسول الله ﷺ، وكان شديد الحياء، فنزلت هذه الآية^(٢).

ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية^(٣).

(١) «نفر» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨). ولفظ المصنف من «تفسير الثعلبي» (٢١ / ٥١٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٥١٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤ / ٣٩٥)، وابن

الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ٤٧٨).

والمعنى: لا تدخلوا منازل النبي ﴿لَا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامِهِ﴾؛ أي: إلا أن يدعوكم إلى طعام يريد أن يطعمكموه، والتقدير: إلا بأن^(١) يؤذن، ولأن يؤذن لكم ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾: غير منتظرين إدراكه وما يراؤ أن يبلغه، وفيه ثلاث لغات: أنى الشيء أنى، وإنى، وأنىا.

و﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ حالٌ من ﴿لَكُمْ﴾، والمعنى: غير منتظرين إناه. وقُرئَ في الشواذ: (غير) بالجر^(٢)، وأجازَه الفراء^(٣)، وهو ضعيفٌ عند البصريين غير جائز؛ لأنه جرى على غير من له الفعل، فلا بد من إبراز الضمير وهو «أنتم»^(٤). ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: تفرقوا ولا تمكثوا بعد الفراغ من الطعام.

﴿وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾؛ أي: لا تستغلوا بعد الفراغ من الطعام بحديث يحدث بعضكم بعضاً ليؤنسَه به.

و﴿مُسْتَنْسِينَ﴾ نصبٌ بالعطفِ على ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾. الفراء: جرٌ بالعطفِ على ﴿نَظِيرِينَ﴾؛ أي: غير ناظرين وغير مُستأنسين^(٥). الزجاج: نصبٌ تقديره: لا تدخلوا مستأنسين^(٦).

(١) في (ن): «أن».

(٢) انظر: «الكامل» للهدلي (ص: ٦٢١) عن نصر بن علي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٧).

(٤) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٢٣٤): «ولا يجوز الخفض في (غير)؛ لأنها إذا كانت نعتاً للطعام لم يكن بد من إظهار الفاعل، لا يجوز إلا: غير ناظرين إناه أنتم».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٧).

(٦) لم أجدَه عن الزجاج صريحاً، ولكن الزجاج قدّر فعلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ أُنتَشِرُوا﴾، ثم قال: «وهذا كما قال»، وذكر الآية، فلعل المصنف نقل عنه لأجل هذا. انظر «معاني =

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤَدَّى النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيءُ مِنْكُمْ﴾؛ أي: إن في لُبِّكُمْ بعد الفراغ أَدَى لِلنَّبِيِّ، يَضِيقُ الْمَنْزِلُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ ﴿فَيَسْتَجِيءُ مِنْكُمْ﴾ أن يأمركم بالخروج من منزله.

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيءُ مِنْ أَحَدٍ﴾: لا يتركُ إِبَانَةَ الْحَقِّ، بل يأمركم بما فيه تعظيمُ نبيِّه بتركِ دخولِ بيته بغيرِ إذنه، وتركِ اللَّبِّثِ في منزله بعد الفراغ مما يدعوكم له. وقرئ بين يدي إسماعيل بن حكيم^(١) هذه الآية فقال: هذا أدبُ أدبِ الله به الثَّقَلَاءُ^(٢).

وعن الحسنِ والسُّدِّيِّ قالا: ذكرَ اللهُ الثَّقَلَاءَ في القرآنِ فقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾^(٣).

= القرآن (١٣٩/٥)، وهذا القول قاله السمرقندي في «تفسيره» (٧٠/٣)، وذكره دون عزو المصنف في «غرائب التفسير» (٩٢١/٢).

(١) في «تفسير الثعلبي» (٥٢٤/٢١): «إسماعيل بن أبي حكيم». ووهَّم البخاري من قال: إسماعيل بن حكيم، وهو إسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان بن عفان، وقيل: مولى الزبير بن العوام، مدني قرشي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان كاتب عمر بن عبد العزيز، وله به اختصاص، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر: «تهذيب الكمال» (٣/٦٣-٦٦)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/٣٧٠).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥٢٤/٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٢٢/٢)، واستغربه.

(٣) ذكره عنهما ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (ص: ١٥٦)، وعن الحسن ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/٤٢٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/٣٠١)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/٥٢٥) عن ابن عائشة، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي، أبو عبد الرحمن البصري، من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، توفي سنة (٢٢٨هـ). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣١٤٩) عن سليمان بن أرقم في قوله: ﴿وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ﴾ قال: «نزلت في الثَّقَلَاء».

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أثنًا. وقيل: صحف القرآن. وقيل: شيئًا مما يُنتفع به من طعام وآلة وأداة.

﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ذهب جلُّ المُفسِّرين إلى أنَّ سببَ نزولِ آيةِ الحجابِ قولُ عمرَ رضي الله عنه للنبيِّ ﷺ: لو حجَّبتِ أمهاتِ المؤمنين؛ فإنه يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ^(١).

وفي سببِ التُّزولِ: أنَّ رجلًا كان يأكلُ مع النبيِّ ﷺ وعائشةُ رضي الله عنها معهما، فأصابتُ يدُ الأعرابيِّ يدَ عائشةَ، فكرهه النبيُّ ﷺ ذلك^(٢).

وقيل: كان ذلك الرَّجلُ عمرَ رضي الله عنه، فأصابتُ أصبعُه أصبعَ عائشةَ رضي الله عنها فقال: حسّ - وهي كلمةٌ تستعملُ عندَ الوجدِ من^(٣) الشَّيءِ مثلُ (أوه) - لو أطاعُ ما رأيتُكُنَّ عينٌ، فنزلتْ آيةُ الحجابِ^(٤).

وقيل: نزلتْ في عرسِ زينبَ رضي الله عنها كما سبق.

فضربَ عليهنَّ رسولُ الله ﷺ الحجابَ، وأمرنَ أن يحتجبنَ من المؤمنين.

(١) رواه البخاري (٤٧٩٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١ / ٥٣١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٠) عن مجاهد.

(٣) في (ف): «عن».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦ / ٣٥٨) عن مجاهد مرسلًا، ووصله البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٥٥)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢٢٧)، و«الأوسط» (٢٩٤٧)، من طريق مجاهد عن عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٩٣): «رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير، وهو ثقة».

قوله: ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ يُرِيدُ: نَسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْآيَةِ ذِكْرُهُنَّ، لَكِنَّ لَفْظَ الْبُيُوتِ دَلَّتْ عَلَيْهِنَّ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ فِيهَا النَّسَاءُ.

وقيل: النَّسَاءُ عَامٌّ.

وذهب بعضهم: إِلَى أَنَّ الْبُيُوتَ هَاهُنَا النَّسَاءُ^(١)، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

مَالِي إِذَا نَزَعْتُهَا صَائِتٌ أَكْبَرُ غَيْرِنِي أَمْ يَيْتُ^(٢)

وهذا بعيدٌ، لَا يُقَالُ: (دَخَلْتُ الْبَيْتَ) إِذَا أَرَادُوا بِهِ الْمَرْأَةَ.

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ مِنْ خَوَاطِرِ الشَّيْطَانِ وَعَوَارِضِ الْفِتَنِ مِنْ مَيْلِ الرَّجَالِ إِلَى النَّسَاءِ وَالنِّسَاءِ إِلَى الرَّجَالِ طَبَعًا.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا هُوَ الْأَوَّلُ، وَتَقْدِيرُهُ: إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَ﴿كَانَ﴾ زِيَادَةٌ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ^(٣)، بَلْ أَفَادَ ﴿كَانَ﴾ أَنَّ هَذَا هُوَ حَكْمُ اللَّهِ السَّابِقُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: ﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بِمُخَالَفَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ فِي حَقِّ نِسَائِهِ.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾؛ أَي: بَعْدَ مَوْتِهِ، وَقِيلَ: بَعْدَ فِرَاقِهِ وَطَلَاقِهِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٢)، وعده من العجائب.

(٢) نسب الرجز لرؤية. انظر: «ملحق ديوان رؤية» (ص: ١٧١)، و«كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٤٢٥).

وهو بلا نسبة في: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٢٩٨)، و«أمالى القالي» (١/ ٢٠)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٣٨)، و«الصحاح» مادة: (ص أى)، وفيه: الصَّيْتُ عَلَى فَعِيلٍ: صَوْتُ الْفَرَخِ وَنَحْوَهُ. يُقَالُ: صَأَى الْفَرَخُ؛ إِذَا صَاحَ.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٠).

وفي سبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رجل من سادة قريش: لو توفّي رسول الله لتزوجت عائشة، فأنزل الله ما أنزل^(١).

أي: ما كان لكم أن تؤذوه في حياته ولا بعد مماته؛ لأن من فارق الدنيا وعنده أن امرأته لا تنكح زوجاً بعده كان ذلك أطيب لنفسه في تلك الحالة، وإنما حرّم لأنهن أمهات المؤمنين، والرجل لا ينكح أمه، ولأنهن أزواج النبي ﷺ في الجنة، والمرأة في الجنة لآخر أزواجها كما جاء في الحديث^(٢)، ولهذا لم تجب عليهن العدة بوفاة رسول الله ﷺ، ولزمت نفقاتهن في بيت المال.

وقيل: وجبت عليهن العدة؛ لأنها عبادة.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾؛ أي: إيذاء النبي ﷺ.

وقيل: نكاح نسائه من بعده، وإظهار هذه اللفظة في حال حياته. ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ في الإثم يستحق عليه الوعيد.

(٥٤) - ﴿إِنْ تَبَدُّوْا شَيْئًا أَوْ خِفُوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا﴾.

﴿إِنْ تَبَدُّوْا شَيْئًا﴾ فيه إيذاء النبي ﷺ ﴿أَوْ خِفُوْهُ﴾ في أنفسكم مما لو ظهر له لآذاه. ويحتمل أن بعضهم أضمّر نكاح بعض نسائه في قلبه، وبعضهم أظهر، فتوعّد بذلك الفريقان بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا﴾؛ أي: فاحذروا مخالفته.

(١) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/٦٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤١٨)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٦١) واللفظ له، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٧٢) عن قتادة. (٢) هو ما رواه الطبراني في «الأوسط» (٣١٣٠) عن أبي الدرداء: «أبما امرأة توفي عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهي لآخر أزواجها» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٧٠) «فيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط»، قلت: له شاهد رواه أبو يعلى، وقال عنه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٤/١١٥): «رجاله ثقات».

(٥٥) - ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْتَنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَقِينَ اللَّهََ إِنَّ اللَّهََ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ ثم استثنى مَنْ يَجُوزُ لَهُنَّ أَلَّا يَحْتَجِبْنَ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ جمهورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهِنَّ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ؛ أَي: عَلَيْهِنَّ الِاحْتِجَابُ عَنِ الْكُوفَرِ وَالْكَتَائِبَاتِ، وَالإِضَافَةُ إِشَارَةٌ إِلَى الْجَمَاعِ عَلَى الْإِيمَانِ.
وقيل: عامٌّ.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قيل: الإمام.

وقيل: عامٌّ فِي الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي سُورَةِ (النُّورِ).

وَلَمْ يَذَكَرِ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ لِإِمْكَانِ بَيْنِهِمْ، وَلَمْ يَذَكَرِ الْبُعُولَةَ لِأَنَّ الِاحْتِجَابَ لِأَجْلِهِمْ.

وَأَمَّا بَنُو الْبُعُولَةِ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: كَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا يَرِيَانِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ رُؤْيَتَهُنَّ لَهُمَا تَحَلُّ^(١).
وقيل: لَمْ يَذَكَرَا لِأَنَّهُمَا كَانَا يَوْمئِذٍ صَغِيرَيْنِ.

﴿وَأَتَقِينَ اللَّهََ﴾؛ أَي: عَقَابَ اللَّهِ مِنْ دُخُولِ الْأَجَانِبِ عَلَيْكُنَّ.

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٢٩١) بلفظ: «عن عمر بن دينار عن محمد بن علي، قال: كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين. قال ابن عباس: يرى أن رؤيتهن لهما حل».

وقيل: ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ في مجاوزة ما أمرتُ به.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ عالمًا.

وقيل: شاهدًا يشهدُ على كلِّ نفسٍ بما عملت.

(٥٦) - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ في سبب النزول: عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فقال ﷺ: «قولوا: اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللهم باركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ»^(١).

وروى بعضهم: «كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ»، وكذلك: «كما باركتَ على آلِ

إبراهيمَ»^(٢).

وفي رواية أبي^(٣) مسعودٍ رضي الله عنه: «كما باركتَ على آلِ إبراهيمَ في

العالمين»^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) في النسختين: «ابن»، والمثبت من «صحيح مسلم».

(٤) رواه مسلم (٤٠٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه عشرًا»^(١).

وقال مجاهدٌ: لَمَّا نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: ما أعطاك الله من خيرٍ إلا أشركتنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾^(٢).

سعيد بن جبيرة: صلاةُ الله المغفرةُ، وصلاةُ الملائكةِ الاستغفارُ، وصلاةُ المؤمنين الدعاءُ^(٣).

وقيل: صلاةُ الله الثناءُ، وصلاةُ الملائكةِ الدعاءُ.

وقيل: صلاةُ الله على النبيِّ إشاعةُ الخيرِ عنه.

وقيل: معنى صلِّ على محمدٍ: زدْ محمدًا بركةً ورحمةً.

وروي أنهم قالوا: رأيتَ يا رسولَ الله قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟ قال: «هذا من العلمِ الممكنون، ولولا أنتم سألتُموني عنه لَمَّا أحببتكم، إنَّ الله وكُلَّ بي ملكين، فلا أُذكرُ عند عبدٍ مسلمٍ فيصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان: غفرَ الله لك، وقال الله وملائكتهُ لذينك الملكين: آمين، ولا أُذكرُ عند عبدٍ

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ابن حبان في «صحيحه» (٩٠٦). ورواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه عن مجاهد عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/٦٢٢)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢)، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٢١/٤٧٦) عن أنس رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩١٨)، واستغربه.

(٣) لم أجد بهذا اللفظ، ورواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/٣١٣٩) بلفظ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ قال: يغفر لكم، وتستغفر لكم ملائكته.

مُسْلِمٌ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا قَالَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ: لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَقَالَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ لَذَيْنِكَ الْمَلَائِكِينَ: آمِينَ»^(١).

وذهبَ بعضُ المُفسِّرينَ إلى أَنَّهُ إِذَا صَلَّى عَلَيْهِ مَرَّةً فَقَدْ امْتَثَلَ وَأَدَّى الْفَرَضَ^(٢)، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ كُلَّمَا ذَكَرَهُ أَوْ ذُكِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: لَيْسَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُصَلُّونَ﴾ ضَمِيرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضْمَرُ مَعَ غَيْرِهِ كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وَقَدْ سَبَقَ، وَتَقْدِيرُهُ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ هُمْ وَهُوَ^(٣).

الْمُبْرَدُ: لَا يَجُوزُ (وَمَلَائِكَتُهُ) بِالرَّفْعِ، وَلَوْ كَانَ التَّقْدِيرُ: «إِنَّ اللَّهَ يُصَلِّي وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ» لَجَازَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُصَلُّونَ^(٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ سَلَامًا.

وَقِيلَ: أَمْرٌ وَأَنْ يَقُولُوا: صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّم.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: انْقَادُوا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَابْدُلُوا الْجَهْدَ فِيهِ، وَسَلِّمُوا الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ لَهُ.

(٥٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

مُهِينًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قِيلَ: يُؤْذُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٧٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥٥٠ / ٢١) من حديث الحسن رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٣ / ٧): «فيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٢٣ / ٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٢٢ / ٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٢٣ / ٢)، وللتنبية على هذا الخطأ قصة ذكرها الزجاجي في

«أماله» (ص: ٢٢٦).

وقيل: ذَكَرَ اللهُ تَعْظِيمًا كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقيل: معنى ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾: يَعصُونَ اللَّهَ.

وفي جميع التَّفاسير^(١): هم أصحابُ التَّصاوِيرِ، كَأَنَّهُمْ يُعَارِضُونَ اللَّهَ وَيَرُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ مِثْلَ خَلْقِهِ.

وأذى الرَّسُولِ مَا كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ فِي نِكَاحِ زَيْنَبَ وَفِي نِكَاحِ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ.

وقيل: الآيةُ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْمَعَاصِي الْكَبِيرَةِ.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسَّبِّ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ يُهِينُهُمْ مَعَ الْإِيلَامِ.

(٥٨) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا

بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ فِي سَبَبِ النَّزُولِ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ = أَنَّ عَمْرَ بْنَ رَضِي اللَّهِ عَنْهُمَا رَأَى جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ مُتَبَرِّجَةً، فَضَرَبَهَا وَكَرَّةً لِمَا رَأَى مِنْ زِينَتِهَا، فَذَهَبَتْ إِلَى أَهْلِهَا تَشْكُو عَمْرَ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فَأَذَوْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٢).

(١) كَذَا فِي النَّسَخَتَيْنِ، وَفِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/٩٢٣): «ذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ أَصْحَابُ التَّصَاوِيرِ»، وَاسْتَعْرَبَهُ؛ فَفِي نَسْبَتِهِ هُنَا لِجَمِيعِ التَّفَاسِيرِ إِشْكَالًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» (ص: ٣٦٢)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «زَادَ الْمَسِيرَ» (٣/٤٨٣) مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَهَذَا طَرِيقٌ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ سَاقِطٍ.

مُقاتلٌ: نزلت في عليّ رضي الله عنه، وذلك أنّ ناسًا من المُنافقين كانوا يؤذونه
ويُسمعونَه^(١).

الضَّحَّاكُ والكلبيُّ والسُّديُّ: نزلت في الزُّناة الذين كانوا يمشون في طرق
المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهنّ، فيرون المرأة فيدنون منها
فيغمزونها؛ فإن سكنت أتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا
الإماء، ولكن لم يكن يومئذ تُعرف الحرّة من الأمة، إنّما يخرجن في درع وخمار،
فشكون ذلك إلى أزواجهنّ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية^(٢).

وقيل: نزلت في قصّة عائشة وصفوان رضي الله عنهما^(٣).

﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا﴾: كذبًا عظيمًا ﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾: ظاهرًا.

(٥٩) - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ
ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: حرائر المؤمنين.

وقيل: أزواج المؤمنين.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾: يُغْطِينَ في بروزهنّ من البيوت أبدانهنّ بملاحيهنّ
وأرديتهنّ، بخلاف الأمة التي هي مكشوفة الرأس.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٠٧).

(٢) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٧٢) عن السدي، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٢٣)

المُبرَّدُ: الجلبابُ: ما يسترُ الكلَّ مثلُ الملحفةِ، تقولُ العربُ: تَجَلَّبَيْتُ اللَّيْلَ؛ أي: تَسْتَرْتُ بِهِ^(١).

ابنُ عيسى: هي الخمارُ؛ أي: المِقْنَعَةُ.

وفي أكثرِ التَّفاسِيرِ: الرِّدَاءُ، أمرُهُنَّ اللهُ بِسْتَرِ مواضعِ العورةِ من أبدانِهِنَّ.

وقيل: تسترُ بالإزارِ وجهها إلا عيناً واحدةً.

﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِفَنَ ﴿بِزِيَّهِنَّ أَنَّهُنَّ حَرَاترُ ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾: فلا يُؤْذِيهِنَّ أَهْلُ الرِّبَةِ.

وقيل: يُعْرِفَنَّ بِالْعِفَافِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَافِيًا ﴿لِمَا سَلَفَ مِنْ تَرْكِ الْجِلْبَابِ ﴿رَحِيمًا ﴿بِعِبَادِهِ.

(٦٠) - ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ

لِنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ ﴿هم الذين أظهروا الإيمانَ وأسروا الكفرَ ﴿وَالَّذِينَ فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿: شك، وقيل: زنى^(٢).

﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴿هم ثلاثة نفر، ﴿وَالْمُرْجِفُونَ ﴿: هم قومٌ من

المسلمين يُرْجِفُونَ بِالْأَخْبَارِ الكاذبةِ يسمعونها فيُذيعونها حبًّا منهم للفتنة.

وأصلُ الإرجافِ: تحريكُ القلوبِ، من قوله سبحانه: ﴿تَرْجِفُ الرَّاجِفَةُ ﴿

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٩/ ٥٨٧٠)، وفيه: «وقال المبرد: الجلباب كل ملحفة تستر من ثوب أو ملحفة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٨٠) و(٢٣٨١) عن عكرمة بلفظ: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿ قال: «الزُّنَاةُ».

[النازعات: ٦]؛ أي: إن لم يتته هؤلاء من أذى المؤمنين، والتضريب بينهم، وإلقاء الشكوك في قلوبهم، والإرجاف بأن فعل فلان كذا وفعلت فلانة كذا، وتوليد الأخبار التي لا أصل لها من عند أنفسهم.

وقيل: هم قومٌ واحدٌ، وهم المنافقون، وصِفُوا بهذه الأوصاف.

﴿لُغْرِيَتَكَ بِهِمْ﴾: لِنَسْلُطَنِكَ عَلَيْهِمْ، وَلِنَأْمُرَنَّكَ بِقِتَالِهِمْ كَمَا أَمْرَانِكَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

والإغراء: الدُّعَاءُ إِلَى تَنَاوُلِ الشَّيْءِ بِالتَّحْرِيزِ عَلَيْهِ.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾: فِي الْمَدِينَةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إِذَا أَمْرَانِكَ بِقِتَالِهِمْ وَقِتَالِهِمْ لَمْ يَطُلْ مَقَامُهُمْ مَعَكَ فِي الْمَدِينَةِ، بَلْ يُضْطَرُّونَ إِلَى الْجَلَاءِ عَنْهَا إِلَى بِلَادٍ أُخَرَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: زَمَانًا قَلِيلًا، أَوْ جَوَارًا قَلِيلًا.

وَالْقِلَّةُ: الدَّلَّةُ، وَالْقِلَّةُ: ضِدُّ الْكَثْرَةِ.

(٦١) - ﴿مَلْعُونِينَ أَيُّنَمَا تُقْفُوا أَخْذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا﴾.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ الزَّجَّاجُ: مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْمَعْنَى: لَا يُجَاوِرَنَّكَ إِلَّا وَهُمْ مَلْعُونُونَ^(١). هَذَا لَفْظُهُ.

ابن عيسى: يَجُوزُ: ﴿مَلْعُونِينَ﴾ عَلَى الدَّمِّ، وَعَلَى الصِّفَةِ لـ ﴿قَلِيلًا﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِلَّا أَذِلَّاءَ مَلْعُونِينَ. قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾. هَذَا لَفْظُهُ^(٢).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٣٦).

(٢) هذه الوجوه الثلاثة التي أجازها ابن عيسى أجازها الفراء من قبل، وسيذكرها المصنف عنه، وليس بينهما إلا اختلاف الاصطلاح، علماً أن الفراء استخدم مصطلح (الدم) في نصب ﴿مَلْعُونِينَ﴾. =

الْفَرَاءُ: ﴿مَلْعُونِيكَ﴾ منصوبةٌ على الشتم، وعلى الفعل؛ أي: لا يُجاورونك فيها إلا ملعونين^(١).

قال: وقد يجوزُ أن تُجعلَ القِلَّةُ من صفتهم، كأنك قلتَ: إِلَّا أَقْلَاءَ ملعونين^(٢).
وإنما حَكَيْتُ ألفاظهم لأنهم جميعاً أجازوا النَّصْبَ على الحالِ مِنَ الضَّمِيرِ في ﴿بُجَاوِرُونَكَ﴾، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ما قَبْلَ ﴿إِلَّا﴾ لا يعملُ فيما بعده، ولعلَّهم جعلوا في النِّيةِ مُقَدِّمًا على مثلِ ما يأتي في القرآنِ مِنَ التَّقْدِيمِ والتَّأخِيرِ.

وفيه وجهٌ رابعٌ لم يذكره، وهو: النَّصْبُ على أصلِ الاستثناء، وتقديره: إِلَّا قَلِيلٌ ملعونون، كقوله: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦]، ثُمَّ نُصِبَ فصارَ: إِلَّا قَلِيلًا ملعونين، كقراءةِ ابنِ عامرٍ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، وليس هذا هو الذي ذكره ابنُ عيسى على الصِّفَةِ لـ ﴿قَلِيلًا﴾؛ لأنَّه جعلَ نصبه: إِلَّا أَذْلَاءَ ملعونين، على الحالِ لا على الاستثناء^(٤).
وفي بعضِ التفسيرِ: أنَّه متَّصِلٌ بما بعده، وهذا خطأ؛ لأنَّ الشَّرْطَ لا يتقدَّمُ عليه ما بعده، ونصَّ الزَّجَّاجُ على امتناعه^(٥).

= انظر: «معاني القرآن» للفرأ (٢/ ٣٣٨).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفرأ (٢/ ٣٤٩). قوله: «على الشتم»؛ أي: مفعول به لفعل محذوف، وهو ما يعرف بالنصب على الذم كقوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾. وقوله: «على الفعل»؛ أي: على الحالِ مِنَ الضَّمِيرِ في ﴿بُجَاوِرُونَكَ﴾.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفرأ (٢/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣) واستغربه، وعبارته: «الغريب: الأصل في قوله:

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ الرفع لأنه استثناء من نفي، لكنه نصب على أصل الاستثناء كقراءة ابن عامر: (إِلَّا قَلِيلًا)، و﴿مَلْعُونِيكَ﴾ صفة لهم».

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٣٦): «لا يجوز أن يكون (ملعونين) منصوباً بما بعد (أيها)، لا =

ومعنى ﴿مَلْعُونَيْكَ﴾: مُبْعَدِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ.

وقيل: مُبْعَدِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ.

وقيل: ﴿مَلْعُونَيْكَ﴾ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿أَيْنَمَا نُقْفُوا﴾ ظَفَرَ بِهِمْ ﴿أُخِذُوا وَقْتَلُوا تَفْتِيلًا﴾ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَالتَّشْدِيدُ يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ.

(٦٢) - ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَحْدِلْسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾؛ أَي: سَنُّ الْأَخْذِ وَالْقَتْلِ فِي الْمُنَافِقِينَ وَالشَّاكِينَ وَالْمُرْجِسِينَ، كَمَا سَنَّ ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾: مَضَوْا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أَي: هَذِهِ سُنَّتُهُ فِي جَمِيعِ مَنْ تَقَدَّمَ.

﴿وَلَنْ يَحْدِلْسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا يُبَدِّلُ اللَّهُ سُنَّتَهُ بَلْ يُجْرِيهَا مُجْرَى وَاحِدًا فِي الْأُمَمِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَغْيِيرِ سُنَّةِ اللَّهِ وَتَبْدِيلِهَا.

(٦٣) - ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ

قَرِيبًا﴾.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾؛ أَي: الْكُفَّارُ ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ سَوْأَلٌ تَعَنُّتٍ وَإِنْكَارٍ.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بَعْلَمِهِ فَلَا أُطْلَعُ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا.

﴿وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ قيل: خطابٌ للنَّبِيِّ ﷺ على التَّعْظِيمِ لشأنِها؛ أي: فاعلم أنها كذلك.

وقيل: تقديرُه: قُلْ لِكُلِّ مَنْ سَأَلَكَ عَنْهَا: ﴿وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾؛ أي: عن قريبٍ تَكُونُ.

و﴿قَرِيبًا﴾ نصبٌ على الظَّرْفِ.

والمُرَادُ بـ﴿السَّاعَةَ﴾: ما يقعُ فيها من الثَّوَابِ والعِقَابِ.

ويجوزُ أن يكونَ نصبًا بخبرِ (كان)، وذُكِّرَ كما ذُكِّرَ في قولِه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقد سبق.

(٦٤ - ٦٥) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٦٤﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا

وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾؛ أي: خلقَ لهم نارًا ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾: في النارِ ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظُهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: ناصرًا يمنعُهم.

(٦٦) - ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ وجوهٌ مُنْكَرِي البعثِ تُصْرَفُ في جهاتِ النَّارِ زيادةً في العذابِ.

وقيل: ﴿تُقَلَّبُ﴾ لتَنْضِجِ بنارِ جهنَّمَ.

وقيل: ﴿تُقَلَّبُ﴾ فيها حالًا بعد حالٍ، ولَوْنَا بعد لَوْنٍ؛ فَتَسْوَدُّ مرَّةً، وتخضُرُّ أُخْرَى.

﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا اطَّعْنَا اللَّهَ وَأَطَّعْنَا الرَّسُولَ ﴾ ففتخلَّصَ من هذا العذاب؛ أي: تمنَّوا الإيمانَ حين لا ينفعُ التَّمنيُّ.

والألفُ في أواخرِ هذه الآياتِ لمُوافقةِ ما قبلها وما بعدها مُراعاةً للفواصلِ. ومَن ظنَّ أنَّه للتَّدكُّرِ فقد أساء؛ لأنَّ التَّدكُّرَ والغلطَ غيرُ جائزَيْنِ على الله سبحانه^(١).

(٦٧) - ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَّعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾. ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَّعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا ﴾: علماءنا وشيوخنا ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾؛ أي: قلَّدناهم من غيرِ حجَّةٍ وبيانٍ، فجازوا بنا عن قَصْدِ الحقِّ. و(سادة) جمعُ سيِّدٍ، و(سادات) جمعُ الجمعِ. وقيل: نزلت في المُطعمينَ يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشرَ رجلاً.

(٦٨) - ﴿ رَبَّنَا أَنهْم ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنهْم لَعْنَا كَبِيرَا ﴾. ﴿ رَبَّنَا أَنهْم ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾؛ أي: عَذَّبهم مثلي عذابٍ غيرهم بضلالهم وإضلالهم إيانا.

وقيل: عذابُ الدُّنيا وعذابُ الآخرةِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٤) عن ابن عيسى، فقال: «وما ذهب إليه ابن عيسى

أنها للتذكير، فقد أساء القول؛ لأنه عز اسمه غير موصوف بالغلط والتذكير».

وقال: «الغريب: من وصل وقف بغير ألف، قال: هذه الألفات بدل من الفتحة، وهكذا كان في خط

جمير، الفتحة ألف والضممة او والكسرة ياء، وعلى هذا وقع في القرآن في مواضع موقع الحركات».

﴿وَالْعَنَهُمْ﴾: وأبعدهم عن رحمتك ﴿لَعَنَّا كَبِيرًا﴾: دائماً، متواتراً، كثيراً لا ينقطع.

(٦٩) - ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجِيهًا﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ﴾؛ أي: احذروا أن تكونوا مؤذنين

للنبي ﷺ كما آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام.

﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ﴾: أظهر براءته ﴿مِمَّا قَالُوا﴾؛ أي: قالوه فيه ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي:

كان موسى عليه السلام عند الله ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاهٍ ومنزلةٍ، وكان محبوباً مقبولاً.

قيل: ﴿وَجِيهًا﴾: لم يُسأل شيئاً إلا أعطاه.

واختلف المُفسِّرون في الذي آذوا به موسى؛ فرَوَى جماعةٌ عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ مُوسَىٰ كَانَ رَجُلًا حَيِّيًا سَتِيْرًا، لَا يَكَادُ

يُرَىٰ مِنْ جَلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: لَا يَتَسْتَرُ هَذَا

التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجَلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُذْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبْرِئَهُ، وَإِنَّ

مُوسَىٰ خَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَىٰ حَجْرٍ ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ إِلَىٰ ثِيَابِهِ

لِيَأْخُذَهَا، عَدَا الْحَجْرُ بِثِيَابِهِ، فَأَخَذَ مُوسَىٰ عَصَاهُ وَتَبَعَ الْحَجْرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثُوبِي

حَجْرٌ، ثُوبِي حَجْرٌ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ النَّاسِ

خَلْقًا». قال: «فَقَامَ الْحَجْرُ، فَأَخَذَ ثُوبَهُ فَلْبَسَهُ، وَطَفِقَ يَضْرِبُ الْحَجْرَ ضَرْبًا بَعْصَاهُ،

فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجْرِ لِنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا

مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ﴾^(١).

وقيل: ادَّعَوْا عليه^(١) قَتَلَ أَخِيهِ هَارُونَ.

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنَّ مُوسَى وَهَارُونَ صَعِدَا الْجَبَلَ فَمَاتَ هَارُونُ، فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: أَنْتَ قَتَلْتَهُ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَحَمَلْتَهُ حَتَّى مَرُّوا بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَكَلَّمَتِ الْمَلَائِكَةُ بِمَوْتِهِ حَتَّى عَرَفَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَاتَ، فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَاَنْطَلَقُوا بِهِ فِدْفَنُوهُ، فَلَمْ يُطَلَّعْ عَلَى قَبْرِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا الرَّخَمُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ أَصَمًّا أَبْكُمْ، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ وَالتَّقَاتُ وَعَلَيْهِمَا الْعُهُدَةُ^(٢).
قال أبو العالِيَةِ: هو قَارُونُ، اسْتَأْجَرَ مُوسَى لِقَدْفٍ مُوسَى بِنَفْسِهَا عَلَى رَأْسِ الْمَلَأِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ، وَبَرَّأ مُوسَى، وَأَهْلَكَ قَارُونَ، كَمَا سَبَقَ فِي سُورَةِ (الْقَصَصِ)، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ^(٣).

(٧٠) - ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال أبو القاسم: رُوِيَ عَنْ ابْنِ الْمُبَارِكِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: اعْهَدْ إِلَيَّ، فَقَالَ: إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) فَارْعَاهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ^(٤).

(١) بعدها في (ن) كلمة: «غرامة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١ / ٥٧٩)، ورواه أحمد بن منيع في «مسنده» كما في «فتح الباري» (٨ / ٥٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣١٥٧). وإسناده قوي كما قال ابن حجر لكنه أضاف: «وما في الصحيح أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١ / ٥٨٠).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٦)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣ / ٩٠٢)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «الزهد» (٨٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ١٣٠).

﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ لا يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وقيل: قَصْدًا، سَدَّ يَسُدُّ سَدًّا، فهو سَدِيدٌ.

وقيل: قولوا في زينبَ وزيدٍ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: قولوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ^(١).

وقيل: ﴿سَدِيدًا﴾ صِدْقًا.

وقيل: عَدْلًا، صَوَابًا، مُسْتَقِيمًا.

(٧١) - ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا﴾.

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: يُوقِّعْكُمْ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وقيل: يُصَلِّحُهَا بِالْقَبُولِ وَالْإِثَابَةِ عَلَيْهَا.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ باستقامتكم في القول والعمل.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في فرائضه ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في سنته ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: ظَفَرَ

بِالثَّوَابِ وَنَجَا مِنَ الْعِقَابِ.

(٧٢) - ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس، ورواه الطبري في

«تفسيره» (١٩٦/١٩) عن عكرمة قوله.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ لِلْمُفَسِّرِينَ فِيهَا أَقْوَالٌ:

أحدها: أن الله لما خلق السماوات والأرض والجبال خاطبهن فأفهمهن خطابه، وقال: إني فرضت فريضةً وخلقت جنةً وناراً، ثواباً لمن أطاعني وعقاباً لمن عصاني. فقالت السماوات والأرض والجبال: نحن مُسَخَّرَاتٌ على ما خلقتنا، لا نحتمل فريضةً ولا نبتغي ثواباً ولا عقاباً. فلما خلق آدم عليه السلام عرض ذلك عليه فتحمله.

ومثله في القرآن: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، ومثلها: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤]، ومثلها: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ الآية [الحج: ١٨]، وكذلك قوله سبحانه: ﴿ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] ^(١).

تقديره: عرضنا قبول الأمانة، فيكون العرض بالقول والخطاب.

واختلفوا في الأمانة: ما هي؟

ابن عباس رضي الله عنهما: الفرائض التي أمر الله العباد بها ^(٢).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الأمانة ثلاث: الصوم، والصلاة، والاعتسالم من الجنابة» ^(٣).

وقيل: الأمانة: العقل، عرض عليهن أن يجعلهن عقلاء بشرط أن من عمل بمقتضى عقله أئيب، ومن عمل بخلافه عُوقِبَ.

(١) فخطاب الله سبحانه للنار في هذه الآية وخطابه للسماوات والأرض وغيرها يدل على فهم هذه الأشياء لخطابه سبحانه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩٧/١٩) عن سعيد بن جبير وابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٨٦) عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه يحيى بن

سلام في «تفسيره» (٧٤٢/٢) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: الأمانة: التقوى والقول السديد؛ لأن نسق الآية يقتضي ذلك. ويحتمل أن الأمانة التكليف، ولا يمتنع أن يكون للجماذ معرفة برّبها وإن كنا لا نعرف كيفية ذلك، ولا يُنكر العقل ذلك من قدرة الله، وليس إذا تعود الإنسان وقوع شيء على وجه يُنكر وقوعه على غير ذلك الوجه في مقدور الله.

ويجوز أن يكون الله سبحانه صيرها عاقلة في وقت، وأعلمها حال الأمانة وما فيها وعليها، وخيرها، فاستعفت، فأعادها الله جمادات كما هي الآن.

والثاني: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾: الفرائض على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال، وهم الملائكة الذين فيها، فيكون كقوله: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهل القرية.

والثالث: أن هذا من مجاز كلام العرب وتوسّعهم في الإخبار عن الجمادات بأنها سُئِلَتْ فأجابت، وأنها قالت ونطقت، وليس هناك سؤال ولا جواب، ولا قول ولا نطق، ومثل هذا في الشعر كثير، وكذلك قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

والرابع: أن التقدير: إننا لو عرضنا؛ كما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ الآية [الحشر: ٢١].

الخامس: عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فقبلنها.

﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾؛ أي: أبين الخيانة فيها.

﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: خفن من الخيانة فيها.

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾؛ أي: خان فيها؛ فتكون الأمانة على هذا الدلالة على

وحدانيّة الله وقدرته، وخيانة الإنسان كفره وإشراكه مع الله غيره.

السادس: الأمانة وعرضها هي ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده حين خروجه إلى الحج، قال آدم للسَّماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، وقال لقابيل فقال: نعم، فخان فيها بقتل ولده هابيل. والعرض على وجهين: عرض بالقول والخطاب، وهو الحقيقة، وعرض مجاز، تقول: عرضت الناقة على الحوض، تريد: عرضت الحوض على الناقة. والإباء أيضا قد يكون حقيقة نحو: دعوت زيدا فأبى، ومجازا نحو: سللت سيفي فأبى.

والحمل يكون بمعنى: الرفع، ويكون بمعنى: الخيانة، ويكون بمعنى: الجمالة، وهي الكفالة، وقد فسّر الآية بها.

﴿إِنَّهُ﴾: إن الإنسان، قيل: آدم.

وقيل: ابن آدم قابيل.

وقيل: عام في بني آدم.

﴿كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ بعواقب الأمور.

(٧٣) - ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ اللام متصلة بقوله: ﴿عَرَضْنَا﴾.

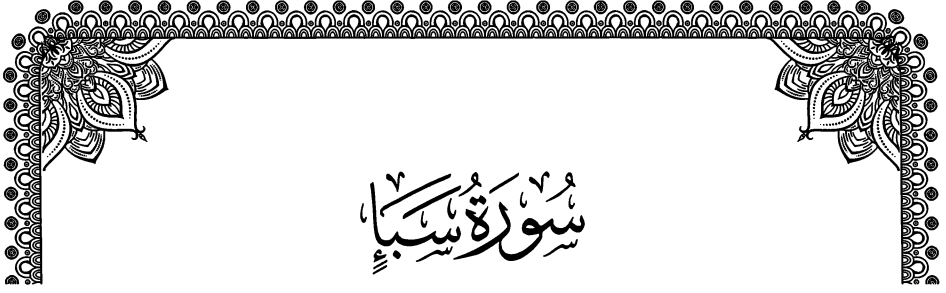
وقيل: متصلة بجميع ما في السورة.

وقيل: اللّامُ لامُ العاقبة.

وقيل: كان قبولُ الأمانةِ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ للمؤمنين والمؤمنات.

سُورَةُ سَبَأٍ



سُورَةُ سَبَأٍ

أربعٌ وخمسون آيةً^(١)، مكّيةٌ عند الجمهورِ.
مُجاهدٌ ومُقاتلٌ والكلبيُّ: مكّيةٌ إلا آيةً، وهي: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦].
الآية؛ فإنها نزلت بالمدينة^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

الْخَبِيرُ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشَّناءُ والشُّكْرُ والمدْحُ له ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
خَلَقًا وَمُلْكًا، فلهذا استحقَّ الحمدَ وحرَّضَ عليه.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ لاستدامةِ مُوجِبِ الحمدِ.

وقيل: يحمدهُ سرورًا به لا تعبُدًا، ومثله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾.

(١) «أربعٌ وخمسون آيةً»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٩) وفيه: «وهي

خمسون وخمس آيات في الشَّامي، وأربع في عدد الباقيين، اختلافها آية ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾؛ عدّها الشَّامي ولم يعدّها الباقون».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣١) عن الضحاك والكلبي، وزاد ابن الجوزي في «زاد

المسير» (٣/ ٤٨٩) نسبه لمقاتل.

[الزمر: ٧٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَمَا آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وأمثالها.

وفي «تفسير النقاش»: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾؛ أي: في السماوات والأرض؛ لأنَّ إحداهما خُلِقَتْ قبل الأخرى، وهذا تأويلٌ بعيدٌ؛ لأنَّه ليس في القرآن الأولى^(١).

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْحَيُّ﴾ بعبادته؛ أي: العالمُ بهم.

(٢) - ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من الأموات، والكنوز، والنامي، والحيوان ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: من الأرض من النامي والحيوان.

ويحتمل: ما يَلِجُ في الأرض من الأموات في الدنيا، وما يَخْرُجُ من الأرض من الأحياء في الأخرى.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من ملكٍ وكتابٍ وقضاءٍ، ومطرٍ ورحمةٍ وعذابٍ. ﴿وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا﴾: يصعدُ فيها من ملكٍ، وكلامٍ طيبٍ، وعملٍ صالحٍ، ودُعاءٍ بإخلاصٍ، وروحٍ طاهرةٍ، ونبيٍّ مُكْرَّمٍ بالمعراج، وكذلك فيما ينزلُ من السماء من شيطانٍ ماردٍ، من قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ [الجن: ٩، ٨].

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ لَمَنْ أَطَاعَ ﴿الْغَفُورُ﴾ لَمَنْ تَابَ.

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٩١) بلا نسبة في أربعة وجوه هو ثانيها، وذكره

المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥)، واستغربه.

(٣) - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنَدَهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ ﴾ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يُريدُ: المشركين، دون أهل الكتابِ .

وقيل: السامرة من اليهود يُنكرون البعث^(١) .

﴿ لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾؛ أي: لا نُبعثُ، إنكاراً لها .

﴿ قُلْ ﴾ يا مُحَمَّدُ: ﴿ بَلَىٰ ﴾ ردّاً لكلامهم وإثباتاً لِمَا بعده .

﴿ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ وأكّد يا مُحَمَّدُ الخبرَ باليمينِ جَرِيّاً على عادةِ الْمُخاطِبِينَ

من العربِ، ولأنَّ الكلامَ في نفسه صدقٌ .

وقيل: حلفَ أبو سفيانَ باللَّاتِ والعُزَّى لا بَعَثَ ولا نُشورَ، وأنَّ لا تأتينا السَّاعةُ،

فقيل: قل يا مُحَمَّدُ: ﴿ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾^(٢)، فقابلِ اليمينَ باليمينِ .

﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ الجرُّ وصفٌ لقوله: ﴿ وَرَبِّي ﴾ أو بدلٌ، وكذلك^(٣) مَنْ قرأ ﴿ عَلَامِ

الغيبِ ﴾، والرَّفْعُ على الابتداء^(٤)، ﴿ لَا يَعْزُبُ ﴾ خبره، أو: هو عالمُ الغيبِ^(٥) . وقيل:

بإضمارِ القولِ؛ أي: قال ذلك عالمُ الغيبِ، وفيه بُعدٌ .

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥)، واستغربه .

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٢٣) .

(٣) في (ف): «وكذا» .

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿ عَلَامِ ﴾ بصيغة المبالغة والجر، وقرأ نافع وابن عامر: ﴿ عالمٌ ﴾ بالرفع،

وباقى السبعة: ﴿ عالمٍ ﴾ بالكسر، وفيها جميعاً: ﴿ الغيبِ ﴾ بالإنفراد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)،

و«التيسير» (ص: ١٨٠) .

(٥) فهو خبر لمبتدأ محذوف .

ويحتمل أن يرتفع باتِّصاليه بقوله: ﴿وَهُوَ الرَّجِيمُ الْعَفُورُ﴾ عالم الغيب.
ويحتمل أيضاً أنه فاعل قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾، والمعنى: لتأتينكم
السَّاعَةُ، ولا يعلم ذلك إلا عالم الغيب^(١).
﴿لَا يَعْزُبُ﴾: لا يبعُدُ ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: وزنُ نملةٍ
صغيرةٍ.

وقيل: مثقالُ ذرَّةٍ: رأسُ نملةٍ صغيرةٍ.

وقيل: هي ما تقعُ في الكوَّةِ مع الشَّمسِ.

ابنُ الهَيْصَمِ: سبعونُ ذرَّةٌ وزنُ جناحِ ذبابٍ، وسبعونُ جناحِ ذبابٍ وزنُ حبةٍ^(٢).
﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾: من مثقالِ ذرَّةٍ ﴿وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ﴾: إلا
في اللُّوحِ المحفوظِ، وإنما كُتِبَ جرياً على عادةِ المُخاطَبِينَ لا مخافةَ نسيانٍ، وليُعْلَمَ
أنَّهُ لم يَقَعْ خللٌ وإن أتى عليه الدهرُ.

قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرُ﴾ ﴿وَلَا أَكْبَرُ﴾ رفعٌ بالعطفِ على: ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾،
ويكونُ ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكنْ، ويجوزُ أن يكونَ رفعاً بالابتداءِ، و﴿فِي كِتَابٍ﴾
خبرُهُ.

(٤) - ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ﴾.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٢٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٢٦)، واستغربه.

وقيل: بقوله: ﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾.

وقيل: بما في ﴿كُتِبَ ثَمِينٍ﴾ من معنى الفعل؛ أي: أثبت ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: حَسَنٌ.

وقيل: بلا مَنْ.

وقيل: يُتْبَعُ الكَرَامَةَ.

وقيل: كريمٌ على مَنْ يُعْطِيهِ اللهُ، وهو الجنة.

(٥) - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا ءَايَاتِنَا﴾: جاهدوا وبالغوا في ردِّ القرآن وتزهد النَّاسِ في قبوله.

وقيل: سَعَوْا في ديننا بالتكذيب.

وقيل: جاهدوا في إبطال الآيات.

﴿مُعْجِزِينَ﴾: مُسَابِقِينَ ظَانِّينَ أَن يَفُوتُونَا، و﴿مُعْجِزِينَ﴾^(١): مُثَبِّطِينَ عَنِ الْإِيمَانِ

مَنْ أَرَادَهُ.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ﴾: من سيِّءِ العذابِ، والرَّجْزُ: نفسُ العذابِ ﴿أَلِيمٌ﴾:

مؤلمٌ؛ أي: عذابٌ من عذابِ أليمٍ، ومَنْ رَفَعَ^(٢)؛ أي: عذابٌ أليمٌ من سيِّءِ العذابِ.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والباقون: ﴿مُعْجِزِينَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير»

(ص: ١٥٨).

(٢) قرأ بالرفع ابن كثير وحفص، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير»

(ص: ١٨٠).

(٦) - ﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿وَبَرَى الَّذِينَ﴾: ويعلمُ الذين.

قيل: محلُّه نصبٌ بالعطفِ على ﴿لِيَجْزِيَ﴾. وقيل: رفعٌ بالاستئناف.

﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: هم أهل الكتاب؛ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابه^(١) فيمن قال: الآيةُ مدنيَّةٌ.

وقيل: هم أمَّةُ محمدٍ ﷺ^(٢) فيمن قال: السُّورةُ كلُّها مكِّيَّةٌ.

﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الصِّدْقُ غَيْرُ الْبَاطِلِ، ﴿هُوَ﴾ عمادٌ، و﴿الْحَقُّ﴾ المفعولُ الثَّانِي، وفائدةُ دخولِ العمادِ: الإعلامُ بأنَّ ما بعدهُ خبرٌ عمَّا قبله لا صفةٌ.

﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: دينِ الله الإسلامِ وطاعتهِ.

(٧) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مُنْكَرِي الْبَعْثِ، يقولُ بعضهم لبعضٍ على وجهِ التَّعَجُّبِ والتَّعْجِيبِ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ يعنون: محمداً ﷺ.

﴿يُبَشِّرُكُمْ﴾: يُخْبِرُكُمْ بشيءٍ عَجَبٍ ﴿إِذَا مَرَقْتُمْ﴾: فَرَّقْتُمْ ﴿كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾: كلَّ تفریقٍ

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢ / ٣٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ٢١٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٢١٣) عن قتادة، ورجحه السمعاني في «تفسيره» (٤ / ٣١٧).

وَصَرْتُمْ تَرَابًا، أَوْ كَلْتَكُمْ^(١) دَوَابَّ الْأَرْضِ أَوْ طَيورُ الْهَوَاءِ وَصَرْتُمْ رُفَاتًا ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ﴾: يُجَدِّدُ خَلْقَكُمْ وَتُبْعَثُونَ.

وقيل: إِنَّكُمْ فِي جَمَلَةٍ مَخْلُوقِينَ يُجَدِّدُهُمُ اللَّهُ.

﴿إِذَا﴾ نَصَبٌ بِفِعْلِ يَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿جَدِيدٍ﴾؛ أَي: تُبْعَثُونَ إِذَا مُرِّقْتُمْ^(٢).

(٨) - ﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ

الْبَعِيدِ﴾.

﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ قَسَمُوا الْكَلَامَ فَقَالُوا: هُوَ إِمَّا عَاقِلٌ كَاذِبٌ، وَإِمَّا

مَجْنُونٌ هَازٍ.

﴿بَلِ﴾ هَذَا رَدٌّ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ أَي: تَرَكْتُمْ الْقِسْمَةَ الثَّلَاثَةَ، وَهِيَ: إِمَّا صَحِيحٌ

الْعَقْلِ صَادِقٌ.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾؛ أَي: هُمْ فِي ضَلَالٍ عَاجِلٍ فِي

الدُّنْيَا، وَعَذَابٍ آجِلٍ فِي الْعُقَبَى.

وقيل: خَاتِمَةٌ أَمْرِهِمُ الْعَذَابُ، وَفَاتِحَتُهُ الضَّلَالُ.

وقيل: فِي عَذَابٍ فِي الْآخِرَةِ وَضَلَالٍ عَنِ طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

(١) فِي (ن): «وَأَكَلْتَكُمْ».

(٢) وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَسِبَ ﴿إِذَا﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ لِاخْتِلَافِ الزَّمَانِينَ، وَلَا بِ﴿مُرِّقْتُمْ﴾ لِأَنَّ الْمُضَافَ

إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ فِي الْمُضَافِ، وَلَا بِ﴿جَدِيدٍ﴾ لِأَنَّ مَا بَعْدَ (إِنَّ) لَا يَعْمَلُ فِيهَا قَبْلَهُ. انظُر: «غَرَائِبُ

قال القفال: العذابُ والصَّلالُ في الدنيا، قال^(١): ومعنى العذابِ: العناء^(٢) والأذى، كما تقولُ: أنا في عذابٍ من هذا الأمرِ؛ أي: في مُقاساةٍ وشِدَّةٍ.
قال عبيدُ بنُ الأبرصِ:

طوُلُ الحِياةِ له تعذيبُ^(٣)

(٩) - ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ كيف هو مُحيطٌ بهم من كلِّ جهةٍ رموا بأبصارهم إليها، فهم محصورون كالموكَّلِ بهم في موضعٍ قد حُسِّوا فيه.

﴿إِن نَّشَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: هلا استدلُّوا بذلك على أنَّهم في سلطانِ الله يُجري عليهم قدرته كيف شاءَ وبما شاءَ من خَسْفٍ وحَصْبٍ بالحجارة وغيرهما.

وقيل: معناه: إن تمزَّقوا وتفرَّقوا لم تخرُجِ الأجزاء عن الأرضِ والسَّمَاءِ فهي في قبضتِنَا نُحْيِيها متى نشاءُ.

﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾: في خلقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْخَسْفِ وَالْإِسْقَاطِ

(١) في (ف): «وقيل».

(٢) في (ن): «الفناء»، وهو تحريف.

(٣) صدر البيت:

والمرءُ ما عاش في تكذيبِ

انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٨٤)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٦١).

﴿لَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: لدلالة على الإحياء لكل عبدٍ مُقِرٍّ بالعبودية، مُنِيبٍ إلى الله بالتفكير في آياته.

(١٠) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالِ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: النبوة، والزبور، والصوت البديع، والمُلك، والقوة، وتستخير الجبال والطير.

﴿يَجِبَالِ أَوِيٍّ مَعَهُ﴾ وقلنا: ﴿يَجِبَالِ أَوِيٍّ مَعَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: سيري معه، وكانت تسير معه حيث شاء إذا أراد مُعْجِزَةً له، والتأويب: سير النهار.

وقيل: سبّحي معه، من تأويب القاري، كما تقول: رجّع القارئ، وكان إذا قرأ الزبور صوتت معه الجبال، وأصغت له الطير.

وهب: ﴿أَوِيٍّ﴾: نُوحِي معه، ﴿وَالطَّيْرَ﴾ يُسَاعِدُكَ على ذلك.

قال: وكان إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها، وعطفت عليه الطير من فوقه، فصدى الجبال الذي يسمعه الناس من ذلك اليوم. حكاها الثعلبي^(١)، وفيه ضعف.

﴿وَالطَّيْرَ﴾ نصبٌ من ثلاثة أوجه:

أحدها: بالعطف على محلّ الجبال لما لم يُمكن عطفه على لفظه؛ لمكان الألف واللام.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٩٢٧)، وفيه: «.. الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك». وذكره المصنف

في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٧)، واستغربه.

والثاني: بمعنى: مع.

والثالث: وسخرنا له الطير.

وقرأ رَوْحٌ وزيدٌ عن يعقوبَ بالرفع^(١) عطفًا على لفظ ﴿يَجِبَالٌ﴾.

وقيل: بالعطفِ على الضميرِ في ﴿أَوِي﴾.

﴿وَالنَّالُ الْحَدِيدُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: جعلَ الحديدَ في يده كالشَّمعِ، يعملُ منه وبه ما يُريدُ.

والثاني: بقوّته وحرارة^(٢) كفه يُليّنه كما تُليّنه النارُ.

والثالث: سهّلنا عليه العملَ به فليّنّاه في يده.

وكان يعملُ في كلِّ يومٍ درعًا، فيبيعُها بستّةِ آلافِ درهمٍ، وكان يتصدّقُ بأربعةِ آلافٍ ويُنفقُ الباقي.

وقيل: لَمَّا ماتَ بقيَ منها في خزائنه ألفُ درعٍ.

(١١) - ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾ ﴿أَنْ﴾ هي المُفسّرة: أي: اعْمَلْ.

وقيل: هو بمعنى الخبر؛ أي: بأنْ تعملَ سابغاتٍ.

والسَّابِغَاتُ: الدُّرُوعُ التَّامَّةُ، مِنَ السَّبُوعِ، كما تُسَمَّى المُفَاضَّةُ؛ أي: أُفِيضْتُ

(١) هكذا ذكرها ابن مهران في «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٣٦١)، ونسبت للأعرج

وعبد الوارث عن أبي عمرو كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، وللأعرج وأبي

عبد الرحمن في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٢٩).

(٢) في (ن): «والثاني بحرارته وقوة».

على لابسها، وجاء في التفسير: **أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الدَّرْعَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ صَفَائِحَ مِنْ حَدِيدٍ**^(١).

﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: **السَّرْدُ: النَّسْجُ، وَهُوَ مَصْدَرٌ، وَالسَّرَادُ: الزَّرَادُ**^(٢)، والمسرودة: الدرْعُ، واشتقاقها من السَّرْدِ بمعنى: التَّابِعِ.

وقيل: **السَّرْدُ: الثَّقْبُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ المِثْقَبُ والإِشْفَى مِسْرَدًا، وَيَكُونُ المعنى: اجْعَلْ ثُقُوبَ طَرْفِي الحِلَقِ عَلَى قَدْرِ المَسَامِيرِ.**

وقيل: **لَا تُوسِّعُ الحِلَقُ فَيَنْفِذُ السَّهْمُ وَالمِثْقَبُ.**

وقيل: **السَّرْدُ: المَسْمَارُ.**

ابنُ الهَيْصَمِ: **الدَّرْعُ التي عملها داوُدُ كانت بغيرِ مَسْمَارٍ؛ لِأَنَّهَا كانت مُعْجَزَةً لَهُ، فَلَوْ كانت مُسَمَّرَةً لَمَا كانَ بَيْنَ داوُدَ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فَرْقٌ، مع ما أَنَا قد رأينا ما بقيَ مِنَ الدَّرْعِ التي عملها داوُدُ فكانت بلا مَسَامِيرَ، وتزولُ أيضًا فائدةُ قولِهِ: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الحَدِيدَ﴾**^(٣).

وقيل: **السَّرْدُ: الدَّرْعُ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ.**

﴿وَأَعْمَلُوا صَليحًا﴾ خطابٌ لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجُمِعَ لِأَنَّ المُرَادَ بِهِ هُوَ وَآلُهُ.

والعملُ الصَّالِحُ قيل: هُوَ الشُّكْرُ هَاهُنَا.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢٣/١٩)، عن قتادة.

(٢) في (ن): «والزراد».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٢٨)، واستغربه.

ابن عباس رضي الله عنهما: قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر^(١).

وحكي أن داود عليه السلام جعل العبادة والصلاة بينه وبين آله منقسمة، فلم يزل واحد منهم كان في الصلاة ليلاً ونهاراً.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم عليه أحسن جزاء وأتمه.

(١٢) - ﴿وَلِسَلِيمَانَ الرَّيْحِ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلِسَلِيمَانَ الرَّيْحِ﴾؛ أي: وسخرنا لسليمان الريح.

وقيل: وألنا له الحديد، وألنا لسليمان الريح.

وقرى بالرفع^(٢) على تقدير: وسليمان تسخير الريح.

الحسن: لما شغلت الخيل سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب الله، فعقر الخيل فأبدله الله خيراً منه، فسخر له الريح تجري بأمره رخاء^(٣).

ولم يسخر له الرياح جميعاً، إنما سخر له واحدة، ولهذا أجمع القراء السبعة على توحيدها^(٤).

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٤٣٧).

(٢) قرأ أبو حيوة بالجمع والرفع، وقرأ الأعرج بالإنفراد والرفع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣١٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨ / ٧٣). وقضية عقر الخيل مختلف فيها وهي مردودة عند بعضهم.

(٤) ولم يجمع عليه العشرة، فقد قرأ أبو جعفر بالجمع والنصب. انظر: «النشر» (٢ / ٢٢٣).

﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ غُدُوها إلى انتصافِ النَّهارِ مسيرةَ شهرٍ؛ أي: سيرُها من لُدُنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إلى زوالِها مسيرةَ دوَابِّ النَّاسِ في شهرٍ، ومسيرُها بالعِشِيِّ كذلك.

وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ: أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَارَ مِنْ أَرْضِ العِرَاقِ غادِيًا، فَقَالَ بِمَدِينَةِ مَرَوْ، وَصَلَّى العَصْرَ بِمَدِينَةِ بَلْخَ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى بِلادِ التُّرْكِ، ثُمَّ جازَهُمْ إِلَى أَرْضِ الصِّينِ، يَغْدُو عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ وَيَرُوحُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ عَطَفَ يَمَنَةً عَنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ عَلَى ساحِلِ البَحْرِ حَتَّى أَتَى أَرْضَ القَنْدَهَارِ، وَخَرَجَ مِنْهَا إِلَى مُكْرَانَ وَكِرْمَانَ، ثُمَّ جازَها حَتَّى أَتَى أَرْضَ فِارَسَ، فَنزَلَهَا أَيَّامًا، وَغدا مِنْهَا فَقَالَ بَكْسُكْرَ، ثُمَّ راحَ إِلَى الشَّامِ، وَكان مُسْتَفْرَهُ بِمَدِينَةِ تَدْمَرَ، وَتَدْمَرُ مِمَّا بناها الجِنُّ لَهُ^(١).

﴿وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ القَطْرِ﴾: وَأَذَبْنَا لَهُ عَيْنَ النُّحاسِ، أُسِلَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ كَمَا يَسِيلُ المَاءُ، وَكانت بأَرْضِ اليَمَنِ، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ النَّاسُ اليَوْمَ بِما أَخْرَجَ اللهُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكان يَنْبَعُ مِنْ مَعْدِنِهِ فَيَسِيلُ كالماءِ مِنْ غَيْرِ مُعالِجَةٍ، كَمَا أَلانَ لِأَبِيهِ الحَديدِ. قال الزَّجَّاجُ: هُوَ الصُّفْرُ^(٢).

وقيل: عينُ الرِّصاصِ.

وقيل: الحَديدُ.

﴿وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾؛ أي: وَسَخَّرْنَا لَهُ مِنَ الجِنِّ مَنْ يَعمَلُ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ رَفَعًا بِالابتداءِ.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ﴾: يَمِلُ وَيَعْدِلُ ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الَّذِي أَمَرْنَا مِنْ طاعةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٣٢ - ٣٤)، ولم يذكر له راويًا ولا سندًا.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٤٥).

السَّلَامُ ﴿نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، وذلك أَنَّ اللهَ وَكَّلَ بِهِمْ مَلَكًا بِيَدِهِ سَوْطٌ مِنْ نَارٍ، فَمَنْ زَاغَ عَنْ أَمْرِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَرْبَهُ ضَرْبَةً أَحْرَقَتْهُ.

وقيل: ﴿نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ فِي الآخِرَةِ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ.

(١٣) - ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَأَلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ

أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ لَهُ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾ قيل: المساجد. وقيل: القصور والمسكن.

﴿وَتَمَثِيلٍ﴾: جمع تمثال، وهو الصورة، وكانوا يصورون تماثيل العباد والملائكة

والأنبياء قائمين راعين ساجدين؛ ليقتردي بهم من وراءهم، ولم تكن يومئذ محرمة محظورة^(١).

(١) ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم دون عزو، منهم الفراء في «معاني القرآن» (٣٥٦/٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤٨٩/٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣٩١/٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٥٧٢/٣).

وهو قول مردود لا دليل عليه من الشرع، ولا خبر فيه يعتمد عليه، ثم كيف يرضى شرع نبي من أنبياء الله بصنع تماثيل للأنبياء والصالحين لأجل الاقتداء، مع أن هذا هو نفسه سبب ضلال كثير من الناس والأمم كما جاء في أصنام قوم نوح أن أصنامهم هي في الأصل لرجال صالحين صنعوها لهم بعد موتهم بوسوسة الشيطان ليذكروهم بها، فلما طال العهد بهم عبدوها من دون الله، وهو ما رواه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما وُدُّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمُراد، ثم لبني عُظَيْفٍ بالجوف، عند سبيل، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ عُبدت.

الحسنُ: يعني: النُّقُوشُ وصورَ الأشجارِ، وذلك مُباحٌ^(١).

وجاء في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّهم كانوا عملوا له أَسَدَيْنِ أَسْفَلَ كُرْسِيِّهِ وَنَسْرَيْنِ فَوْقَ كُرْسِيِّهِ، وَكَانَ كُرْسِيُّهُ عَظِيمًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْعَدَ الْكُرْسِيَّ بَسَطَ الْأَسَدُ ذِرَاعَهُ، فَكَانَ يَصْعَدُ عَلَيْهِ، وَإِذَا قَعَدَ عَلَيْهِ أَظْلَهُ النَّسْرَانِ بِأَجْنِحَتَيْهِمَا، فَلَمَّا مَاتَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ أَفْرِيدُونُ، وَقِيلَ: بُخْتَنْصَرُ لِيَصْعَدَ الْكُرْسِيَّ، وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَصْعَدُ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ضَرَبَ الْأَسَدُ عَلَى سَاقِهِ فَكُسِرَ سَاقُهُ، فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَهُ أَنْ يَدْنُوَ مِنْ ذَلِكَ الْكُرْسِيِّ^(٢).
قيل: كانت التَّمائيلُ من نُحاسٍ.

وقيل: من رِخامٍ وَشَبَّهِ.

﴿وَجَفَانٍ﴾: جمعُ جَفْنَةٍ؛ أي: صِحَافٍ ﴿كَالْجَوَابِ﴾: جمعُ جَابِيَةٍ، وهي: الحوضُ، يَأْكُلُ مِنْ كُلِّ جَفْنَةٍ مِنْهَا أَلْفُ رَجُلٍ، وَأَصْلُهُ: كَالْجَوَابِيِّ، فَحُذِفَ الْيَاءُ تَخْفِيفًا كَ﴿الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] و[الكهف: ١٧] و﴿الْمَنَادِ﴾ [الذاريات: ٤١]، وَهَذَا أَوْلَى بِالْحَذْفِ؛ فَإِنَّ الْجَمْعَ ثَقِيلٌ.

وَكَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ خَبَازٍ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ طَبَّاحٍ، وَكَانُوا يُصَلِّحُونَ الطَّعَامَ فِي تِلْكَ الْجِفَانِ لِكثْرَةِ الْقَوْمِ.

﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَثْنَا فَيْئُهَا مِنْهَا^(٣)، وَكَانَتْ مِنْ حِجَارَةٍ.

(١) ذَكَرَهُ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧٤٩ / ٢)، وَالْمَاورِدِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤٣٨ / ٤) بِلَفْظِ: «الْصُورُ، قَالَ: وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ مُحْرَمَةً»، وَابْنُ زَمَنِينَ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٠ / ٤) بِلَفْظِ: «قَالَ الْحَسَنُ: وَلَمْ تَكُنْ الصُّورُ يَوْمَئِذٍ مُحْرَمَةً»، وَذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٩٢٨ / ٢)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

(٢) ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٥٧٢ / ٣) مُخْتَصِرًا.

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣١٦٣ / ١٠)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣١٦٣ / ١٠)، وَذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ فِي «النُّكْتِ وَالْعَيُونِ» (٤٣٩ / ٤).

غيره: ﴿رَأْسِيَّتٍ﴾: ثابتات لا ينزلن عن أماكنهن لعظمتهن ولا يزلن.
وفي بعض التفاسير: أن تلك القُدور باقية في اليمن^(١).
﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾؛ أي: وقلنا لهم وأمرناهم: اشكروا يا آل داود شكراً،
فهو نصبٌ على المصدر.

وقيل: اعملوا من الطاعات شكراً، فهو مفعولٌ له، وهذا أحسنُ.
والمُرَادُ به: تقوى الله والعمل بطاعته.

وقيل: المُرَادُ به: الحمدُ.

وقيل: الصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ.

والقولُ الأوَّلُ يُعْمُ الكُلَّ.

﴿وَقِيلَ لِمَنْ عِبَادِي الشُّكْرُ﴾؛ أي: لا يقومُ بشكرنا إلا القليلُ من عبادنا، وهم
المؤمنون الموحِّدون.

(١٤) - ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتِهِمْ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾؛ أي: على سليمان عليه السلام ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾؛ أي:
الجنُّ، وقيل: آل داود ﴿عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ﴾ وهي الأرضة.
ابن زيد: دابَّةٌ تأكلُ العيدان يُقالُ لها: القادِحُ^(٢).

(١) في (ف): «باليمن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٢٤٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٤٤١).

والأَرْضُ: هي مُسْتَقَرُّ الخَلْقِ، أُضِيفَتْ إِلَيْهَا.

وقيل: الأَرْضُ: مصدرُ أَرْضَتِ الخَشْبَةُ فِيهَا مَأْرُوضَةٌ؛ أَي: مَأْكُولَةٌ، والأَرْضَةُ جمعُ أَرْضِيَّةٍ، مِثْلُ: كَفَّرَةٍ وَفَجْرَةٍ.

وقيل: دَابَّةُ الأَرْضِ هي الأَرْضُ^(١)، وفيه بُعْدٌ.

﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ حال^(٢)، والمِنْسَأَةُ: العَصَا، مُشْتَقَّةٌ مِنْ نَسَأْتُ البَعِيرِ؛ أَي: زَجَرْتُهُ وَطَرَدْتُهُ لِيُزِيدَ فِي السَّيْرِ، وَالهَمْزُ وَتَرَكُ الهَمْزِ لَغْتَانِ^(٣).

وفي «تفسير النِّقَاشِ»: المِنْسَأَةُ: عَتَبَةُ البَابِ^(٤).

وفي سببِ إِخْفَاءِ مَوْتِهِ أَقْوَالٌ:

قال بعضهم: كان سليمانُ عليه السَّلَامُ كَلَّمَا صَلَّى بَيْتَ المَقْدِسِ نَبَتَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَبَاتٌ، وَكان يَقُولُ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ وَلِمَ أَنْتَ؟ فيقولُ: لكذا وكذا، فيُقْلَعُ وَيُعْرَسُ فِي مَوْضِعٍ وَيَكْتَبُ اسْمُهُ وَمَنْفَعَتُهُ، فَصَلَّى يَوْمًا فَنَبَتَ نَبَاتٌ، فقال له: مَا اسْمُكَ؟ فقال: حَرْوُبٌ، قال: وَلِمَ أَنْتَ؟ قال: لخرابِ هذا المَسْجِدِ، فقال سليمانُ عليه السَّلَامُ: مَا كانَ اللهُ لِيُخْرِبَهُ وَأَنَا حَيٌّ، وَكانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَخْلُو السَّنَةَ وَالشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ فِي بَيْتِ

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، وعده من العجائب، ولم يذكر هنا ولا هناك قولاً غيره، وكذا أعربه أبو حيان في «البحر» (٨/ ٥٣٠) واقتصر عليه فقال: «و﴿تَأْكُلُ﴾ حال؛ أَي: أَكَلْتُ مِنْسَأَتَهُ، وَهي حالٌ مُصاحِبَةٌ».

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو بالألف بدلاً من الهمزة، وابن ذكوان بهمزة ساكنة، والباقون بهمزة مفتوحة، وحمزة إذا وقف جعلها بينَ يَينَ على أصله. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، وعده من العجائب.

المقدس، يُدخِلُ فيه طعامه وشرابه، ثمَّ إِنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ وَأَدْخَلَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَاتَّكَأَ عَلَى عِصَاهُ فَمَاتَ^(١).

وقيل: كان ذكرَ لملكِ الموتِ: إذا أُمِرْتُ بي فأعلمني، فأتاه فقال: يا سليمان، قد أُمِرْتُ بك، فدعا الشياطينَ فبنوا عليه صرحًا من قواريرٍ ليس له بابٌ، فقام يُصليُّ وابتكأ على عصاه، فقبضتُ روحه وهو مُتَّكئٌ على عصاه^(٢).

وقيل: كان لمُؤتمِّمِ بناءِ بيتِ المقدسِ، فلما حضره الموتُ قال لأهله: لا تخبروا الجنَّ بموتي ولا تبكوا عليَّ سنةً حتى يفرغوا من بنائه^(٣).

وفي «تفسير النقايش» عن جُوَيْرِ عن الصَّحَّاحِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما أَنَّهُ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَبِضَ وَهُوَ مُتَّكئٌ عَلَى عِصَاهُ فَقَدْ كَذَبَ، بَلْ قَبِضَهُ اللهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَمَكَّثُوا فِي الْعَذَابِ سَنَةً، فَبَعَثَ اللهُ الْأَرْضَةَ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ فَأَكَلَتْهُ فَحَرَّ الْبَابُ، وَهَذَا مُزَيَّفٌ^(٤).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٠٤) عن عكرمة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٢٤١) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، وفي إسناده إليهما مقال، وقد ارتاب به الطبري ولكنه لم يبين علَّةَ ارتيابه، وللأستاذ محمود شاكر بحث مفيد في هذا الأمر، فانظر «تفسير الطبري» (طبعة دار المعارف) (١ / ١٥٦ - ١٦٠).

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] عن الإسناد المذكور: فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه إسرئيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم.

قلت: وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣١٦٤) عن السدي قوله.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٢٤٣) عن ابن زيد. ووقع في (ف): «على العصا».

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣ / ٥٢٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٢٩) وقال: «والمفسرون عن آخرهم على أن سليمان

اتكأ على عصاه فمات، إلا النقايش» وساق عنه هذا الخبر.

مجاهدٌ: تحنطُ سليمانُ عليه السَّلامُ وتكفَّنُ، ثمَّ جلسَ على كرسيِّه، وجمعَ كَفَّيْهِ على طرفِ عصا، ثمَّ وضعها تحتَ ذقنِه، فماتَ وبقيَ كذلك سنةً إلى أن أكلتِ الأَرْضُةُ أسفلَ عصاه، فخرَّ ساقِطاً^(١).

وقيل: أرسلت الجنُّ الأَرْضُةَ على العصا حتَّى أكلتها.

وقيل: قالت الشَّيَاطِينُ للأَرْضُةِ بعدَ أكلِها: لو كنتِ تأكلينَ الطَّعامَ وتشرِبينَ الشَّرَابَ لأتيناكَ بأطيبِ طعامٍ وألذِّ شرابٍ، ولكن سننقلُ إليكِ الماءَ والطينَ حيثُ كنتِ^(٢).

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سقطَ سليمانُ عليه السَّلامُ.

وقيل: البابُ، على ما سبقَ، وهو مُزَيَّفٌ.

﴿تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا﴾ وفي قراءةِ ابنِ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: (حولاً كاملاً)^(٣) ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

تقول: تَبَيَّنَتْ الشَّيْءَ: عَلِمْتُهُ، وتَبَيَّنَ لِي الشَّيْءُ: ظَهَرَ، وقد فُسِّرَ بهما:

فقبيل^(٤): فلما خرَّ ظهرَ أمرُ الجنِّ أن لو كانوا، فيكونُ ﴿أَنْ﴾ مع ما بعده في محلِّ رفعٍ على البدلِ مِنَ الجنِّ وأمرِه.

وقيل: فلما خرَّ علمتِ الجنُّ أن لو كانوا، فيكونُ ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا﴾ في محلِّ نصبٍ،

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، ورواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠) وفي «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٣): «سنة» وفي «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٠) عن طلحة «هولاً»، وفي «تفسير الطبري» (١٩/ ٢٤١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣١٦٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنهما بلفظ: (فمكثوا يداً بون له من بعد موته حولاً كاملاً).

(٤) في (ن): «وقيل».

وذلك أن الجن كانوا يزعمون أن عندهم شيئاً من علم الغيب، فعلموا يومئذ أن الأمر بخلاف ذلك.

وقيل: كانوا يُظهرون للناس تمويهاً أنهم يعلمون الغيب، فلما بقوا في العذاب حولاً بعد موته علموا أن ذلك قد ظهر للناس.

قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانُوا) (١).

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنْ الْجَنُّ لَوْ كَانُوا) (٢).

وقرأ يعقوب: ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعله (٣)، وهو غير قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، فإنَّ ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا﴾ فيهما مفعول.

قال القفال حاكياً: قد دلَّت هذه الآية على أن الجنَّ لم يُسَخَّرُوا إلا لسليمان عليه السلام، وأنهم بعد موته تخلَّصوا من تلك الأعمال الشاقَّة، وإنما تهيَّأت لهم ذلك لأنَّ الله زاد في أجسامهم وقواهم، وغير خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون،

(١) ذكرها عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٤٤٢)، وهي في «المحتسب» (٢ / ١٨٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ورواها عبد الرزاق في «التفسير» (٢٤٠٥) عن معمر عن قتادة قال: وفي بعض الحروف: (تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ).

ومعناها كما قال ابن جني: تبينت الإنس أن الجن لو علموا بذلك ما لبثوا في العذاب. واستدل عليه بما سيأتي من قراءة ابن مسعود.

وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٦٥) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: (تبينت الإنس والجن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٥ / ٤٠٥)، و«المحتسب» (٢ / ١٨٦)، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٩ / ٢٩١٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه: (تبينت الإنس والجن لو كانوا يعلمون الغيب).

وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٣٠) القراءتين، واستغريهما.

(٣) هي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢ / ٣٥٠).

وكانوا بمنزلة الأسرى في يديه، ثم مات هؤلاء بعد سليمان عليه السلام، فجعل الله خلق الجن على ما كانوا عليه قبل ذلك من الدقة والضعف والخفاء، فصاروا لا يرون ولا يقدرُونَ على شيءٍ من هذه الأعمال، ولا على نقل الأجسام الثقال؛ لأن ذلك كان معجزةً لسليمان عليه السلام. والله أعلم.

(١٥) - ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ من صرفه جعله اسم أبي القبيلة أو الحي، ومن لم يصرفه^(١) جعله اسم القبيلة، وهم قبائل يتسبون إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. الحسن: سبأ اسم أرض^(٢).

فتادة: سبأ أرض باليمن يُقال لها: مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال^(٣). وفي أكثر التفاسير: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ: أجبل هو أم أرض أم امرأة؟ فقال ﷺ: «ليس بجبل ولا أرض ولا امرأة، وإنما هو رجل من العرب ولد رجالاً عشرة صار كل واحد أباً لقبيلة، تيامن منهم ستة، وتشاءم أربعة؛ فأما الذين تيامنوا فكندة، والأزد، والأشعريون، ومذحج، وأنمار الذين هم بحيلة، وخثعم، وأما الذين تشاءموا فعاملة، وجذام، ولخم، وغسان»^(٤).

(١) قرأ البيزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين، وقبل بإسكانها على نيّة الوقف، والباقون بخفضها مع التنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦٥).

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦٤).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٢٢) عن فروة بن مسيك رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه أبو =

﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾^(١) مَنْ جَمَعَ طَلَبَ الْمُوَافَقَةَ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ لَهُ مَسْكَنٌ، وَمَنْ فَتَحَ جَعَلَهُ مَصْدَرًا كَالسُّكْنَى، وَوَحَّدَ كَمَا تُوَحَّدُ الْمَصَادِرُ، وَمَنْ كَسَرَ^(٢) جَعَلَهُ اسْمَ الْمَكَانِ وَهُوَ مِمَّا شَدَّ كَالْمَسْجِدِ وَالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ، وَوَحَّدَ لِأَنَّهُ ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْبَلَدِ، أَوْ اكْتَفَى بِجَمْعِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ عَنِ جَمْعِ الْمُضَافِ كَقَوْلِهِ:

فِي حَلْقِكُمْ^(٣)

و:

فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ^(٤)

﴿ءَايَةٌ﴾: دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ وَاضِحَةٌ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ.

= داود (٣٩٨٨) مختصرًا.

(١) فِي (ف): «مَسَاكِنُهُمْ».

(٢) قَرَأَ حَفْصٌ وَحَمْزَةٌ: ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ بِاسْكَانِ السِّينِ وَفَتْحِ الْكَافِ، وَالْكَسَائِيُّ كَذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ يَكْسِرُ الْكَافَ، وَالْباقُونَ بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِ الْكَافِ وَأَلْفَ بَيْنَهُمَا عَلَى الْجَمْعِ. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٣) قِطْعَةٌ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ لِلْمَسِيْبِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةِ الْغَنَوِيِّ يَخَاطِبُ حَنْظَلَةَ بْنَ الْأَعْرَفِ الضَّبَائِيَّ كَمَا فِي «شَرْحِ كِتَابِ سَيَبَوِيهِ» لِأَبِي سَعِيدِ السِّيرَافِيِّ (١٠٢/٢)، وَدُونَ نِسْبَةٍ فِي «الْكِتَابِ» (٢٠٩/١)، وَ«مَجَازِ الْقُرْآنِ» (٧٩/١) وَ(٤٤/٢) ٤٤ (١٩٥)، وَ«مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْأَخْفَشِ (٢٤٩/١)، وَ«الْمَقْتَضِبِ» (١٧٢/٢)، وَ«الْأَصُولِ» لِابْنِ السَّرَاجِ (٣١٤/١)، وَتَمَامُهُ:

لَا تُنْكِرُوا الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا

(٤) قِطْعَةٌ مِنْ بَيْتِ فِي «الْكِتَابِ» (٢١٠/١)، وَ«الْمَقْتَضِبِ» (١٧٢/٢)، وَ«الْأَصُولِ» لِابْنِ السَّرَاجِ (٣١٣/١)، وَ«تَفْسِيرِ الثَّلَعْبِيِّ» (١٥١/١)، وَ«أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» مَادَّة: (خ م ص)، وَتَمَامُهُ:

كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ حَمِيصٌ

وقيل: في قَصَّتِهِمْ من حَالَتِي النُّعْمَةِ وَالنَّقْمَةِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ^(١)، ودَعَاءٌ إِلَى طَاعَتِهِ وَزَجْرٌ عَنِ مَعْصِيَتِهِ^(٢).

﴿جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ بدلٌ من ﴿ءَايَةٌ﴾؛ أي: عن يَمِينِ بِلَدِهِمْ وَشِمَالِهِ. وقيل: يَمِينٍ مِّنْ أَتَاهَا وَشِمَالِهِ، وَثَنَى الْجَنَّتَيْنِ لثَنِيَّةِ الْيَمِينِ وَالشُّمَالِ، وَالْمَعْنَى: الْأَشْجَارُ وَالْمِيَاهُ وَالْبَسَاتِينُ مُحِيطَةٌ بِهَا عَنِ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ. وقيل: كَانَتَا جَنَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ مَمْتَدَّتَيْنِ طَوَّلًا وَعَرْضًا. وقيل: كَانَتَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

وقيل: كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم فِي مَنْزِلِهِ جَنَّتَانِ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ. ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: مِنْهُمَا ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ عَلَى نِعْمِهِ ﴿بِلَدَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: كَثِيرَةُ الرَّبِيعِ وَالثَّمْرِ لَيْسَتْ بِسَبِيحَةٍ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٥٨]. وقيل: أَرَادَ: صِحَّةَ هَوَائِهَا، وَعُدُوبَةَ مَاثِيهَا، وَسَلَامَةَ تَرْبَتِهَا.

وقيل: لَمْ يَكُنْ يُرَى فِي بِلَدِهِمْ بَعُوضَةٌ وَلَا ذُبَابٌ وَلَا بُرْغُوثٌ وَلَا عَقْرَبٌ وَلَا حَيَّةٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّكْبُ لِيَأْتُونَ وَفِي ثِيَابِهِمُ الْقَمْلُ وَالذُّوَابُ، فَإِذَا^(٣) رَأَوْا بِيُوتَهُمْ تَمُوتُ الذُّوَابُ، وَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ لِيَدْخُلَ الْبَسْتَانَ وَيُمْسِكُ الْقُقَّةَ - وَقِيلَ: الْمِكْتَلُ - عَلَى رَأْسِهِ فَيَخْرُجُ حِينَ يَخْرُجُ وَقَدْ اِمْتَلَأَتْ الْقُقَّةُ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَاكِهِةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَنَاوَلَ مِنْهَا بِيَدِهِ شَيْئًا.

وَالتَّقْدِيرُ: بِلَدَتِكُمْ بِلَدَةٍ طَيِّبَةٍ وَرَبُّكُمْ رَبُّ عَفْوٍ يُضَعِّفُ الْحَسَنَاتِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

(١) «وعلى وحدانيته»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٣١).

(٣) في النسختين: «فكما»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢ / ٩٣١).

(١٦) - ﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

﴿فَاعْرَضُوا﴾ قال وَهَبٌ: بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً، فدعاهم إلى الله وذكرهم نعم الله وأنذروهم عقابه، فكذبوهم ولم يؤمنوا بهم وجحدوا نعم الله عليهم^(١).

﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ في العَرِمِ أربعة أقوال:

أحدها: أنه المُسَنَّةُ والسُّكْرُ، وكانت لهم مُسَنَّةٌ تحبس الماء، ولها ثلاثة أبوابٍ بعضها فوق بعضٍ، يجتمع الماء إليها من الشَّحْرِ، وهو وادٍ باليمن، فيسْقُونَ من الباب الأعلى، ثم من الثاني والثالث، فلا ينفد حتى يثوب الماء من السَّنَةِ القابِلةِ، وأضاف السَّيْلَ إلى العَرِمِ لأنه بخرابه جاء السَّيْلُ، والمعنى: أزلنا ما كانوا يحبسُونَ به ذلك الماء.

الثاني: العَرِمُ اسمٌ للوادي، وأضاف السَّيْلَ إليه لأنه جاء من قبلة ماءٍ أحمر، وكان سبب الخراب.

الثالث: العَرِمُ صفةُ السَّيْلِ^(٢)، من العُرامِ، وهو الشَّدَّةُ؛ أي: سيلاً لا يمتنع منه، فيكون من باب: مسجد الجامع، وصلاة الأولى، فيكون العَرِمُ: المطر الشديد^(٣).

الرابع: العَرِمُ الخُلْدُ، وهو: الجُرْدُ الأعمى، فنقَّب السُّكْرُ من أسفله، فسأل منه الماء، فخرَّب جناتهم، وملاها رملاً.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧٠ / ٢٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤٩ / ١٩) بلفظ: «لقد

بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم».

(٢) من قوله: «إليه لأنه جاء... إلى قوله: ... صفة السيل»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٣٢ / ٢)، واستغربه.

وقيل: غاص الماء في الأرض، فجفت جناتهم وخربت، وذهبت أنهارها.
﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ ذكر الجنتين ازدوجاً للكلام؛ فإنَّ الثَّانِيَتَيْنِ موصوفتان
بأشجارِ الباديةِ دونَ أشجارِ الجنانِ، فصار كقولهِ: ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُّوا﴾ [البقرة: ١٩٤]،
﴿وَجَزَّوُا سَيِّئَةً سَيِّئَةً﴾ [الشورى: ٤٠].

وقيل: التَّبدِيلُ: تغييرُ الصِّفَاتِ^(١) مع بقاءِ الدَّاتِ، وعلى هذا حملَ هذا القائلُ:
﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال النَّقَّاشُ في «تفسيره»: وقد طعنَ بعضُ أهلِ الإلحادِ في هذه الآيةِ فقال:
(وبدَّلناهم بجنتيهم خبتين)؛ لأنَّ الجنَّتينِ لا يكونُ فيهما حَمَطٌ ولا أثلٌ.

قال النَّقَّاشُ: وهذا جهلٌ عجيبٌ وغلطٌ بينٌ لا يخفى على صاحبِ نظرٍ ولا
خبيرٍ ولا لغةٍ؛ أمَّا الأخبارُ فمُتواترةٌ على خلافِ ما قال هذا الطَّاعنُ، وأمَّا النَّظَرُ فإنَّ
لهذه الآيةِ نظائرَ كثيرةً في القرآنِ، منها: ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُّوا﴾ [البقرة: ١٩٤]،
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ [النحل: ١٢٦]، كذلك ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦].
وأمَّا في اللُّغةِ فلو كان (خبَّتين) لقال: ذوي؛ لأنَّ الخبَّتَ مذكَّرٌ والجنَّةُ مؤنَّثٌ.
انتهى كلامه^(٢).

قوله: ﴿ذَوَاتِ أَكُلٍ خَطِيطٍ﴾ الأكلُ: الثَّمَرُ، يُخَفَّفُ وَيُنْقَلُ، والخمطُ: البريرُ^(٣)
عند بعضهم وهو ثمرُ الأراكِ، وعند بعضهم الخمطُ: الأراكُ، فمن جعله الثَّمَرُ

(١) في (ن): «التغيير للصفات».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، وعده من العجائب.

(٣) البرير: ثمر الأراك، أو أول ما يظهر منه، أو إذا اسود وبلغ فأكله الناس والدواب، وفيه حرارة على

اللسان. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (ب ر ر).

نَوْنٌ ﴿أَكْلٍ﴾ وَجَعَلَ ﴿خَمْطٍ﴾ بَدَلًا مِنْهُ، وَمَنْ جَعَلَهُ الشَّجَرُ أَضَافَ ﴿أَكْلٍ﴾ إِلَيْهِ^(١).

وقيل: الخَمْطُ: كُلُّ شَجَرَةٍ ذَاتِ شَوْكٍ، وَأَكْلُهَا: جَنَاهَا.

وقيل: كُلُّ نَبْتٍ أَخَذَ طَعْمَهُ مِنَ الْمَرَارَةِ حَتَّى لَا يُمَكِّنُ أَكْلَهُ فَهُوَ^(٢) خَمْطٌ.

﴿وَأَثَلٍ﴾ الْأَثَلُ: الطَّرْفَاءُ^(٣).

وقيل: شَبِيهٌ بِهَا إِلَّا أَنَّهُ أَعْظَمُ.

وقيل: شَجَرَةٌ حَطَبٌ لَا ثَمَرَ لَهَا.

﴿وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ قِيلَ: هُوَ السَّمْرَةُ، وَفِيهِ بُعْدٌ؛ فَإِنَّ السِّدْرَ شَجَرُ النَّبْتِ.

﴿قَلِيلٍ﴾ وَصَفٌ لِّ﴿شَيْءٍ﴾، وَإِنَّمَا وَصَفَهُ بِالْقَلِيلَةِ؛ لِأَنَّ السِّدْرَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْجَنَانِ،

فَأَرَادَ: وَفِيهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ مِنَ السِّدْرِ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الثَّمَارِ.

وقيل: الْقَلِيلُ وَصَفٌ لِجَمِيعِ مَا فِيهِمَا مِنَ الْخَمْطِ وَالْأَثَلِ وَالسِّدْرِ^(٤).

وقيل: مَعْنَى ﴿قَلِيلٍ﴾ هَاهُنَا: حَقِيرٌ^(٥).

(١) قرأ أبو عمرو: ﴿ذَوَاتِي أَكْلٍ خَمْطٍ﴾ بِالْإِضَافَةِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّوْنِ، وَخَفَّفَ الْكَافَ فِي ﴿أَكْلٍ﴾ نَافِعٌ

وَابْنُ كَثِيرٍ، وَثَقَلَ الْبَاقُونَ. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) «فهو»: ليس في (ف).

(٣) الطرفاء بالمد: شجر لا ثمر له، وهو نوع من الأثل. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي»

(١٩٨/٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، وعده من العجائب.

(١٧) - ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾؛ أي: جزيناهم ذلك بكفرهم، فهو مفعولٌ متقدّم^(١).
 ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ استفهامٌ جحدٌ؛ أي: وهل يُجْزَىٰ بمثلٍ ما فعلنا بهم إلا
 مَنْ كَفَرَ النِّعْمَةَ ولم يشكرها؟!
 وقيل: كفروا بالله.

وقال بعضهم: المؤمنُ يُجْزَى والكافرُ يُجْزَى؛ لأنَّ لفظَ المُفاعلةِ يقتضي
 المكافأةَ، والمُماثلةَ تكونُ^(٢) في السيئةِ، وأمَّا الحسناتُ فإنَّها مُضاعفةٌ أضعافاً.
 وقيل: الجزاءُ لفظٌ عامٌّ في المؤمنِ والكافرِ، والمُجازاةُ للكافرِ خاصٌّ^(٣).
 وقيل: الكافرُ يُجْزَى بالسيئاتِ، والمؤمنُ يُبدلُ اللهُ سيئاتِهِ حسناتٍ.
 قال القفالُ: ذهبَ جماعةٌ من أهلِ العلمِ والنَّظرِ في هذه الآيةِ إلى أنَّ المُجازاةَ
 بمعنى: التَّجْزِي؛ أي: لا يرتجعُ ما أنعمَ به^(٤) عليه إلا ممَّن يكفرُ ولا يشكرُ، كقوله:
 ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] قال: والكفورُ من كُفْرانِ النِّعْمَةِ^(٥).

(١٨) - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ^ط
 سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بين سبياً ﴿وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾؛ أي: بالتوسعةِ على

(١) في (ف): «مقدم».

(٢) في (ف): «فيكون».

(٣) قرأ حفص وحمة والكسائي ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾، قرأ الباقون: (وهو يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ). انظر:

«السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٤) «به»: ليس في (ف).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، واستغربه.

أهلها في النعم، وهي: الشَّامُ، والأُرْدُنُّ، وفلسطينُ، وبيت المقدسِ.

﴿قُرَى ظَهْرَةَ﴾ يظهرُ بعضها لبعضٍ لتقاربِها.

وقيل: ﴿ظَهْرَةَ﴾؛ أي: معروفةٌ يقصدها من أراد الشَّامَ، كما تقول: هذا شيءٌ ظاهرٌ؛ أي: معروفٌ.

وقيل: الظَّاهرةُ: كلُّ أرضٍ مُشرَفةٍ غليظةٍ كأنَّها على جبلٍ.

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾؛ أي: جعلنا هذه القرى على مقدارٍ معلومٍ يقيّلُ المسافرُ في قريةٍ ويروحُ في أُخرى.

وقيل: جعلنا مسيرهم بمقدارٍ حيثُ أرادوا أن يَحِلُّوا حلُّوا بقريةٍ.

﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمَأْ آمِنِينَ﴾؛ أي: متى شئتم، أمرٌ بإباحةٍ.

وقيل: إنَّ اللَّفْظَ لِلْأَمْرِ، والمعنى للماضي؛ أي: ساروا فيها آمنينَ من العدوِّ والجوعِ والعطشِ والسَّباعِ^(١).

(١٩) - ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ

مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾: بطروا النعمة، وجهلوا العاقبة، فسألوا الله تغييرَ

ما بهم من النعمة، بأن يُباعِدَ بين أسفارهم، فأجابهم إلى ما سألوه لأنفسهم.

وقيل: قالوا: مُرْنَا بِالْأَسْفَارِ الْبَعِيدَةِ الشَّاقَةِ.

وقيل: طلبوا ذلك ليتطاولوا على الفقراء.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، واستغربه.

وقيل: طلبوا ذلك للتجارة؛ فَإِنَّ السَّفَرَ إِذَا طَالَ كَانَ الرَّبْحُ فِيهِ أَكْثَرَ.

النَّقَاشُ: معناه: زد في عمارتها حتى تَبَعَدَ فيها أسفارنا^(١).

وقرأ يعقوبُ ﴿رَبُّنَا﴾ بِالرَّفْعِ ﴿بَاعَدَ﴾ بلفظ الماضي^(٢)، فهذا شكوى منهم لُبَعْدِ سفرهم وتمني قصره.

﴿وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيثُ عَدُوا النِّعْمَةَ نِقْمَةً، وَالإِحْسَانَ إِسَاءَةً.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾؛ أي: جعلنا ما حلَّ بهم ﴿أَحَادِيثَ﴾ يُضْرَبُ بهم المثلُ، فيُقَالُ:

تَفَرَّقُوا أَيدي سبأ، وصاروا أيادي سبأ^(٣)، ويُذكَرُ ما كانوا فيه وصاروا إليه.

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْزِقٍ﴾: فَرَقْنَاهُمْ فِي الْبِلَادِ كُلِّ تَفْرِيقٍ؛ أي: غاية ما يكونُ منَ

التَّفْرِيقِ وتبديد الشَّمْلِ، حَتَّى وَقَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى عُمانَ، وَبَعْضُهُمْ

إلى يثرب.

وقال بعضُ المُفَسِّرِينَ: لَمَّا جَرى عَلَيْهِمْ سَيْلُ العَرَمِ بَقِيَتْ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ عَاهَدُوا

الأنبياءَ بأن لا يعودوا إلى الكفرِ والمعصيةِ، ثمَّ لم يَفُوا بِالعهْدِ، فحِينَئِذٍ عُوِقِبُوا

بالتَّمْزِيقِ فِي الْبِلْدَانِ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: فيما ذَكَرَ ﴿لَايَتٍ﴾ لِمَواعظَ وَعِبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛

أي: مُؤْمِنٍ يَصْبِرُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَشْكُرُ عَلَى النِّعْمَةِ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٦).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٠).

(٣) أي: مذاهب سبأ وطرقها؛ أي: تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده. وقال الأزهري: العربُ لا تهمز (سبأ) في

هذا الموضوع؛ لأنه كثر في كلامهم، فاستثقلوا فيه الهمز وإن كانت (سبأ) في الأصل مهموزة. انظر:

«تهذيب اللغة» (١٣/ ٧٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤١٠)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٢٧٥).

(٢٠) - ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ﴾ (في) و(على) يتعاقبان في مثل هذا الموضع، والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوز أن يعود إلى أهل سبأ، ويجوز أن يكون عامًا فيمن كفر.

﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ظنَّ إبليس: ما ذكره الله في القرآن في غير موضع، منه قوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، و﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، و﴿لَا تَتَّبِعْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] الآيات.

فمن شدد ﴿صَدَقَ﴾ جعل ﴿ظَنَّهُ﴾ مفعولًا به، ومعناه: حقق ظنه فيهم، ومن خفف^(١) جاز أن يكون مصدرًا؛ أي: صدق إبليس ظنَّ ظنه^(٢)، هذا لفظ الزجاج، وفيه خللٌ، ويجوز أن يكون ظرفًا؛ أي: في ظنه. كلاهما عن الزجاج^(٣).

وفي «الحجّة»: ويجوز أن يكون مفعولًا به^(٤).

وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي: اتبعوه فصدق عليهم إبليس ظنه، والمعنى الذي أراد هذا القائل موجود في ترتيب الآية من غير تقديم، تقول: أكرم الأمير فلانًا فركب إليه، وركب الأمير إلى فلان فأكرمه؛ لأن التصديق وقع بالاتباع، والاتباع وقع بالتصديق.

وقوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو كقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾

(١) قرأ عاصم وحمة والكسائي بالتشديد، والباقون بالتخفيف، وكلاهما برفع ﴿إِبْلِيسُ﴾ ونصب الظن.

انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج: «ظننا ظنه».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥١-٢٥٢).

(٤) انظر: «الحجّة» (٦/ ٢٠).

[ص: ٨٣]، و﴿مَنْ﴾ يجوزُ أن يكونَ لليمانِ، ويجوزُ أن يكونَ للتَّبَعِيضِ، فيكونُ بعضُ المؤمنين يتَّبَعون وساوِسَه فيُذنبون ويتوبون.

(٢١) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْتِيهِمْ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾: لإبليس ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على الذين صارَ ظنُّه فيهم صدقاً ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾: جبرٍ وإكراهٍ، وقيل: حُجَّةٍ وبرهانٍ، بل دعاهم بوساوسِه فأتبعوه، وغرهم بما زينَ لهم فانخدعوا له.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ قيل: الاستثناءُ مُنْقَطِعٌ؛ أي: لكن ابتلينا المُكَلَّفِينَ بوساوسِه لنعلمَ. وقيل: مُتَّصِلٌ، وتقديرُه: ما خَلينا بينهم وبينَ وساوسِه إِلَّا لنعلمَ. ﴿مَنْ يَأْتِيهِمْ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾؛ أي: ليظهرَ المسلمُ مِنَ الكافرِ، والمُطِيعُ مِنَ العاصي، فيقعَ الثَّوابُ والعقابُ بعدَ ظهورِ الأفعالِ منهم، وإن كان اللهُ عالمًا بذلك.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عندكم، كما قلنا: ﴿وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ عندكم. وقيل: معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليكونَ إيمانُ المؤمنِ بها وشكُّ الشَّاكِّ فيها، كما تقول: ما عَلِمَ اللهُ هذا مِنِّي؛ أي: لم يكنْ مِنِّي.

وقيل: ليعلمَ أولياؤنا.

وقيل: معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لَنُمَيِّزَ.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ إيمانُ المؤمنِ وشكُّ الشَّاكِّ موجودين كما علمناه غيبًا. وهذا هو القولُ الأوَّلُ، وهذه الوجوهُ كُلُّها ذكرها القفالُ.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ﴾: حافظٌ؛ أي: عالمٌ رقيبٌ مُجازٍ.

(٢٢) - ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُم مِّنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾.

﴿قُلِ﴾ يا محمدٌ لمُشركي قومك: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: ادعيتهم أنهم آلهةٌ

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وهذا أمرٌ تهديدٍ.

وهي: الأصنامُ. وقيل: هم الملائكةُ، وذلك أن بني مُلَيْحٍ قالوا: الأصنامُ على

صورة الملائكة، والملائكة بناتُ الله، فنحنُ نعبدُها ليكنَ لنا شفعاء عندَ الله^(١).

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ

وَمَا لَهُم مِّنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ الشُّرْكُ: الشَّرْكََةُ، والظَّهِيرُ: المُعِينُ، واحدٌ وقع موقعَ الجمعِ.

والمعنى: لو كان لهم في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكٌ، أو كان لهم فيهما شركةٌ،

أو كان منهم مُظاهرةٌ في خلقها؛ لاستحقَّقوا بوجهٍ من هذه الوجوه أن يُعبدوا، وإذا لم

يُكُنْ^(٢) كذلك بطلَ زعمُهم، ثمَّ قال:

(٢٣) - ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ﴾؛ أي: ليس لهم شفاعَةٌ أيضًا كما زعموا ﴿إِلَّا لِمَن

أذِنَ لَهُ﴾ قيل: أذِنَ أن يُشْفَعَ له.

وقيل: ﴿لِمَن أذِنَ لَهُ﴾ أن يُشْفَعَ.

(١) انظر: «البيسط» للواحي (٢٠/٢٦).

(٢) في (ف): «يك».

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: كُشِفَ وَأَزِيلَ وَجُلِّيَ عنها الفزع. والمُفَزَّعُ^(١): الشُّجَاعُ، والفعلُ لله سبحانه بدليلٍ مَنْ قرأ: ﴿فَزَعٌ﴾ بثلاثِ فتحاتٍ^(٢).

وفي الضَّمِيرِ ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: أَنَّهُ يَعُودُ إِلَى الملائكةِ، وقد تقدَّم ذكرهم ضمناً وإن لم يكن صريحاً؛ فإنَّ بني مُلَيْح كانوا يعبدون الملائكةَ. وفي معناه أقوالٌ:

قال القفالُ: أَذِنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ ففزعوا حين وردَ على أسماعهم كلامُ الله بالإذنِ فيها^(٣)؛ فإنَّ ابنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَلَصلةً كَصَلِصلةِ السِّلْسِلَةِ على الصَّفوانِ فيرون أَنَّهُ أَمْرُ السَّاعَةِ^(٤).

وقيل: يفزعون أَن يلحقَ في تنفيذِ ما أُذِنَ لَهُمْ فيه تقصيرٌ في وضعِ الشَّفَاعَةِ غيرَ موضعها، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم الغشيةُ التي لحقتهم من الخشيةِ ﴿قَالُوا﴾ للملائكةِ

(١) كمعظمٌ: الشجاع والجبان، ضد. انظر: «القاموس» مادة: (ف ز ع).

(٢) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٥).

(٤) رواه المروزي في «الصلة» (٢١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٩) بلفظ: «إن الله إذا تكلم بالوحي سمع له أهل السماوات صوتاً كصوت الحديد إذا وقعت على الصفا، فيخرون سجداً، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾...».

وروى البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير».

وذكر البخاري قبل حديث (٧٤٨١) عن ابن مسعود رضي الله عنه معلقاً: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾».

فوقهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟﴾ أي: ما^(١) أمر الله به؟ فيقولون لهم: ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ وهو أن
أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

وجلّ المُفسِّرين على أن الله إذا أراد إحداث أمرٍ بوحىٍ أحدث في السماء صوتًا
يُشبه جرسَ السَّلاسلِ على الصَّفوانِ، فيفزعُ الملائكةُ لذلك، ويُغشى عليهم مخافةً
أن تكون القيامةُ، فإذا أزال الله الفزعَ عن قلوبهم سألوا جبريلَ ومن معه من الملائكةِ:
ماذا قال ربُّكم؟ فيقولون: قال الحقُّ؛ أي: لا يُخبرونهم، بل يقولون: قال ما وجب
عنده أن يقول، وهو العليُّ الكبيرُ.

وروي أن الحارث بن هشام قال لرسولِ الله ﷺ: كيف يأتيك الوحيُّ؟ قال:
«يأتيني في صلصلةٍ كصلصلةِ الجرسِ، فينصمُ عني حين ينصمُ وقد وعيته، ويأتيني
أحيانًا في مثلِ صورةِ الرَّجلِ فيكلمُني به كلامًا، وهو أهونُ عليَّ»^(٢).

ابن عباس رضي الله عنهما: انقطع الوحيُّ بعد عيسى، فلما تكلم الله بالوحيِّ
إلى محمَّدٍ ﷺ سمعتِ الملائكةُ صوتًا كصوتِ الحديدِ على الصِّفا فغشيَ عليهم،
فلما جليَّ عنهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ فقالوا: أوحى إليَّ محمَّدٌ ﷺ^(٣).

وقيل: إذا مرَّ المُعقَّباتُ بسائرِ الملائكةِ فزعوا أن يكونَ حدثُ أمرِ السَّاعةِ.

(١) في (ف): «ماذا».

(٢) رواه البخاري (٢) و(٣٢١٥)، ومسلم (٢٣٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٧٧/١٩ - ٢٧٨)،
واللفظ له.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧٩/١٩) بلفظ: «إن الله لما أراد أن يوحى إلي محمد دعا جبريل،
فلما تكلم ربنا بالوحي، كان صوته كصوت الحديد على الصفا؛ فلما سمع أهل السموات صوت
الحديد خروا سجدًا؛ فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رؤوسهم، فقالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟﴾
الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

والقول الثاني: أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ إِلَى النَّاسِ^(١)، وفيه قولان:

أحدهما: عند النَّزْعِ؛ أي: ﴿إِذَا فُزِعَ﴾ عنهم الشُّرْكُ وَالشُّكُّ ﴿قَالُوا﴾ - أي: الملائكةُ - للمُشْرِكِينَ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ﴾؟ ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾، فيُفَرِّقُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ. وقيل: هذا في القِيَامَةِ حِينَ كُشِفَ الْغَطَاءُ، فيُقَالُ لَهُمْ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ﴾ في الدُّنْيَا؟ ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، فلا يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ.

(٢٤) - ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ الأمطارَ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النَّبَاتَ وَالْأَشْجَارَ؟ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾؛ أي: إن^(٢) سكتوا هم، أو ردوا الجواب إليك، فقل أنت: ﴿اللَّهُ﴾؛ إذ ليس لهذا الكلام جوابٌ غيرُ هذا.

﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذا تعريضٌ في الكلام توصلاً إلى المقصودِ بلفظٍ غيرِ شنيعٍ، كما تقول لصاحبك: أحذنا كاذبٌ، فيكونُ أَلْطَفَ مَنْ أَنْ تَقُولَ: إِنَّكَ كَاذِبٌ.

وقيل: تقديره: إِنَّا لَعَلَى^(٣) هُدًى وَإِيَّاكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، كقوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْيَتْلُ وَالنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣] وقد سبق، فيكونُ ﴿أَوْ﴾ بمعنى: الواو، وهذا ضعيفٌ^(٤).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٥)، واستغربه.

(٢) في (ف): «إذا».

(٣) في (ن): «على».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٦)، واستغربه.

وقيل: تقديره: إِنَّا لَعَلَى هُدًى أَوْ إِيَّاكُمْ عَلَى هُدًى، وَإِنَّا فِي ضَلَالٍ أَوْ إِيَّاكُمْ فِي ضَلَالٍ.

التَّقَاتِيحُ: قل: اللهُ يَرِزُقُنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى هُدًى كُنَّا أَوْ فِي ضَلَالٍ، وهذا القول من حيث المعنى حسنٌ، لكنْ يدفعُه (إِنَّ) وَاللَّامُ^(١).

(٢٥) - ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: لا تُحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِنَا وَلَا تُحَاسِبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ؛ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا.

قال القفال: ويجوزُ أيضًا أن يكونَ هذا إطفاءً للخصمِ إلى الإصغاءِ، فأضافَ إلى أنفُسِهِمُ الجُرمَ، وأضافَ إليهِمُ العملَ جملةً.

(٢٦) - ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يومَ القيامةِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾: يحكمُ بيننا ويقضي من غيرِ ميلٍ ولا جورٍ، فيظهرُ المُحِقُّ مِنَ المُبْطِلِ، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾: القاضي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالقضاءِ.

(٢٧) - ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾؛ أي: أعلِّموني بأيِّ صفةٍ أَلْحَقْتُمُوهُمُ باللهِ وجعلتُمُوهُمُ شركاءَهُ؟!

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٣٦)، وعده من العجائب.

وقيل: هذا كقولِ القائلِ لغيره إذا أفسدَ شيئاً: أرني ما أفسدته.
﴿كَلَّا﴾ نهيٌّ ونفيٌّ ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ فلا يُشاركُه أحدٌ^(١) ﴿الْحَكِيمُ﴾
فلا يُشركُ معه أحدًا.

(٢٨) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: وما أرسلناك على ساقِ الأنبياءِ خاتماً لهم إلا لتكونَ رسولاً إلى بني آدمَ كافةً جميعاً من اليومِ إلى قيامِ السَّاعةِ، و﴿كَافَّةً﴾ حالٌ مُقدِّمٌ، والتَّقديرُ: للنَّاسِ كافةً؛ أي: جميعاً، فيكونُ حالاً من (النَّاسِ)^(٢).

وقيل: إلا كافاً للناسِ تكفُّهم عن الكفرِ، والهَاءُ للمبالغةِ.
وقيل: كافاً جامعاً، من قولهم: كَفَفْتُ الثَّوبَ؛ لأنَّ ذلك جمعٌ لِمَا تفرَّقَ منه.
﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنينِ ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرينِ.
﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

(٢٩ - ٣٠) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿أَقُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يُريدونَ قوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [سبأ: ٢٦].

(١) في (ف) زيادة: «وهو».

(٢) «أي: جميعاً، فيكونُ حالاً من الناس» من (ن).

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَفِدُّونَ﴾؛ أي: هذا مؤقَّتٌ بيومٍ، لا يُغَرِّتُكُمْ تَأْخُرُهُ؛ فَإِنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

(٣١) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفَّار قريشٍ، وقيل: قاله أبو جهلٍ.

﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التَّوراةَ.

وقيل: جميع كتبِ الله.

وذلك أنَّ مؤمني أهلِ الكتابِ قالوا للكفار: إنَّ محمَّدًا حقٌّ، ونحن نجدُ صفته في كتابنا، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وقيل: نزلت في اليهود، والكتابُ الذي بين يديه: الإنجيلُ^(١).

وقيل: الذي بين يديه: البعثُ والنُّشورُ والجنةُ والنارُ^(٢).

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في موضعِ المُحاسبةِ ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾؛ أي: يُراجِعون الكلامَ فيما بينهم بالعتابِ واللَّومِ واللَّعْنِ، وتبرُّؤِ بعضهم عن بعضٍ بعدما كانوا في الدُّنيا أُخْلَاءً.

ويَحْتَمِلُ أَنَّ الرَّجْعَ هُوَ مَا حَكَى اللهُ عَنْهُمْ فَقَالَ: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، وزاد: «أي: بين يديه بزعمه»، وعده من العجائب.

وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم القادة: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: لولا دُعاؤكم إيانا إلى الكفرِ لا تَبَعنا مُحَمَّدًا وصدَّقناه.

(٣٢) - ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا انْحُنْ صَدَدْنَا عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بِالْكِتَابِ مُبِينٍ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا انْحُنْ صَدَدْنَا عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم﴾ استفهامٌ إنكارٍ؛ أي: لم نصدِّكم عن قبول الهدى حين جاءكم، ﴿بِالْكِتَابِ مُبِينٍ﴾: بل أنتم بأنفسكم كفرتم؛ إذ لم يكن لنا عليكم من سلطانٍ.

(٣٣) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾؛ أي: يقول الأتباع للمتبوعين: بل مكرُّكم بنا في الليل والنهار، ومواصلتكم خديعتنا والاحتيال علينا في المنع عن الإيمان، حملنا على أن نكفر بالله ونجعل له شركاء، وكان ذلك مكرًّا منكم وخديعةً لا أصل له ولا حقيقة، وأضاف المكر إلى الليل والنهار كما تقول: نهار فلانٍ صائمٌ وليله قائمٌ.

وقيل: بل الليل والنهار مكرًّا بطول السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على حق،

وَيُقَوِّبُهُ قِرَاءَةً مِّنْ قِرَاءِ (مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ^(١) مِنَ الْكُرُورِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ [الحديد: ١٦] ^(٢).

وقيل: التَّابِعُ وَالمَتَّبِعُ صَادِقَانِ؛ فَإِنَّ قَوْلَ التَّابِعِ: «هَلَكْنَا بِاتِّبَاعِكُمْ» صِدْقٌ، وَالجَوَابُ: «لَمْ نُكْرِهِكُمْ» صِدْقٌ، وَقَوْلُهُمْ: «خَدَعْتُمُونَا» صِدْقٌ.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَخْفَوَهَا؛ لِأَنَّ النَّدَامَةَ فِي الْقَلْبِ.

وَالثَّانِي: أَظْهَرُوهَا، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ؛ أَي: ظَهَرَتْ آثَارُ النَّدَامَةِ عَلَى أَسْرَةِ وَجُوهِهِمْ ^(٣).

وَالثَّلَاثُ: تَعَاتَبُوا سِرًّا، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ [الأنبياء: ٣].

وقوله: ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾؛ أَي: الْجَحِيمَ.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَأَوْا﴾؛ أَي: لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَلَمَّا جَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَيَكُونُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ غَيْرَ هَؤُلَاءِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ التَّقْدِيرَ: وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ التَّابِعِينَ وَالمَتَّبِعِينَ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ، فَيَكُونُ عَطْفًا عَلَى ﴿أَسْرُوا﴾.

(١) وردت برفع (مكرو) وينصبه، فبالرفع نسبت لسعيد بن جبیر وأبي رزین وجعفر بن محمد، وينصبه لابن جبیر أيضاً وطلحة وراشد الذي نظر في مصاحف الحجاج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٣)، و«البحر» (١٧/ ٤٥٣). قال أبو حيان: «وراشد هذا من التابعين ممن صحح المصاحف بأمر الحجاج».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

(٣) ذكره الأنباري في «الأضداد» (ص: ٤٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هل يُجْزَى المُسِيءُ إِلَّا عَمَلَهُ؛ أي: هل يُقْضَى إِلَّا عَمَلَهُ، كَأَنَّ الْجَزَاءَ دَيْنٌ قُضِيَ.

ويجوزُ أن يكونَ تقديرُهُ: هل يُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَحُذِفَ الْجَارُ. وجوابُ ﴿لَمَّا﴾ محذوفٌ.

(٣٤) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾: بلدٌ مِنَ الْبِلْدَانِ ﴿مِّنْ نَّذِيرٍ﴾: نبيٌّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: مُتَنَعِمُوها: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: بزعمكم ﴿كَافِرُونَ﴾: جاحدون.

(٣٥) - ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ أي: أكرمنا الله بالمالِ والولدِ ثمَّ لا يُعَذِّبُنَا؛ لِأَنَّ مَنْ يُعَذِّبُ لا يُكْرِمُ.

(٣٦ - ٣٧) - ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦)

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الَّذِي صَبَّغُوا بِمَاعْمَلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: امتحانًا وابتلاءً لا كرامةً لِمَنْ يُعْطِيهِ وَلَا هَوَانًا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾؛ أي: لا تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا مَنْزِلَةً وَلَا دَرَجَةً، وَالزُّلْفَى: الدَّرَجَةُ وَالْمَنْزِلَةُ مِثْلُ الْقُرْبَى، فَيَكُونُ اسْمًا.

ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّلِ؛ أي: تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا ازْدِلَاقًا. ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُنْقَطِعًا؛ أي: لكنَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ قيل: الضَّعْفُ: المِثْلُ، فيكونُ مثلُ قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وَجُلُّ المُفَسِّرِينَ على أَنَّ التَّقْدِيرَ: لَنَجْزِيَنَّهُمْ على طَاعَتِهِمْ بالواحدةِ عشرةً إلى سبعِ مئةٍ فما فوقَها. ويجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُتَّصِلًا على تقديرِ: إِلَّا مَنْ تَابَ فَإِنَّ مَالَهُ وولَدَهُ يُقَرَّبَانِهِ إِلَيْنَا بَأَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ في سَبِيلِ اللهِ، واستَظْهَرَ بأولادِهِ في نُصْرَةِ دينِ اللهِ، فيكونُ الاستثناءُ من ضميرِ المُخاطَبِينَ.

قال الفراء: وإن شئت جعلته رفعًا؛ أي: ما هو إلا مَنْ ءَامَنَ^(١)، وهذا الكلامُ غيرُ مفهومٍ، إلا أن تجعلَ التَّقْدِيرَ: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقَرَّبُكُمْ إلا أموال مَنْ ءَامَنَ وأولادُهُ، فَحَذَفَ المُضَافُ وأَقِيمَ المُضَافُ إليه مُقَامَهُ. ﴿وَهُمْ فِي العُرْفَتِ﴾؛ أي: في الجَنَّاتِ ﴿ءَامُونَ﴾، وهذه جمعُ الكثرةِ كالمُسلِمَاتِ والمؤمناتِ والقانتاتِ. ويجوزُ أن يكونَ لكلِّ واحدٍ عُرْفَاتٌ. و(العُرْفَةُ) فيمن قرأ مُحَدَّةً^(٢) جاز أن يكونَ اسمًا للجنةِ، وجاز أن يكونَ اللامُ للجنسِ.

(٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾. ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا﴾: في ردِّ آياتنا وإبطالِ ديننا ﴿مُعْجِزِينَ﴾؛ أي: سابقين لأنبيائنا وأوليائنا ﴿أُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣).

(٢) هو حمزة، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«المبسوط» (ص: ٣٦٤).

(٣٩) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يريد المؤمنين، ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ وليس هذا تكراراً؛ فإن الآية الأولى للكفار، وهذه للمؤمنين.

وقيل: الأولى معناها: يُوسِّعُ على واحدٍ وَيُضَيِّقُ على آخر. والثانية معناها: يُوسِّعُ على مَنْ يَشَاءُ من عباده، وَإِنْ يَشَاءُ يُضَيِّقُ^(١) عليه من بعد التوسعة، فالأولى في شخصين، وهذه في شخصٍ واحدٍ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾^(٢)؟

وقيل: ﴿يقدر﴾ في الأولى من قوله: ﴿قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]؛ أي: ضيق، وهذه من القدرة التي هي الاستطاعة.

وقيل: وَيَقْدِرُ على أن يُخْلِيفَ عليه إذا أنفقَه في سبيلِ الله.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ قيل: يُخْلِيفُهُ في الآخرة أجراً.

وقيل: يُخْلِيفُهُ في الدنيا.

وقيل: فيهما جميعاً.

وقيل: معناها: وما أنفقتم من شيءٍ فالله أخلفكم ذلك؛ أي: أعطاكم ورزقكم؛

أي: فأنتم تُنْفِقُونَ من رزقه، كقوله: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]^(٣).

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾؛ أي: المُعْطِينَ، وجاز جمعُه؛ فإنَّ الرِّزْقَ قد يُسْتَعْمَلُ

لغيرِ الله كقوله: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨] و: رَزَقَ الجند.

(١) في (ن): «وإن شاء يضيق».

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٠١٨ - ١٠٢٣)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٠٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٩)، واستغربه.

(٤٠) - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ التَّابِعِينَ وَالمَتَّبِعِينَ ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ﴾ يعني: بني مُلَيْحٍ؛ لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ المَلَائِكَةَ، وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللهِ .
وقيل: يعني: المشركين .

﴿إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ وهذا توبيخٌ للعابدين كما سبق في قوله: ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [المائدة: ١١٦]؟

(٤١) - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ

مُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الملائكةُ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك أن يُعْبَدَ غَيْرُكَ مَعَكَ ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾؛ أي: أنتَ معبودنا، ونحنُ العابدون، والعابدُ لا يستحقُّ أن يُعْبَدَ .
وقيل: معناه: اتَّخَذْنَاكَ وُلِيًّا، وَاتَّخَذْنَا أَوْلِيَاءَ، فَأَنْتَ وَلِيُّنَا وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُكَ، وَنَحْنُ لَمْ نَتَّخِذْ هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءَ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَلايَةٌ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ؛ لِأَنَّ الوِلايَةَ تَكُونُ مِنَ الجَانِبِينَ .

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَنَّ إبليسَ والجنَّ كانوا يترءونَ لهم وَيُصَوِّرُونَ لهم أَنَا ملائكةُ اللهِ، وكانوا يعبدونَ الجنَّ على زعمِ أَنَّهُم المَلَائِكَةُ .

والثاني: أَنَّهُمْ عبدوا المَلَائِكَةَ بِأَمْرِ الجنِّ، فَلَمَّا عبدوهم بِأَمْرِهِمْ فكأنَّهُم عبدوا مَنْ أَمَرَهُمْ بِذلك .

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: أَكْثَرُ الْإِنْسِ ﴿بِهِمْ﴾: بِالْجَنِّ ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: مُصَدِّقُونَ.
وقيل: كلُّهم بالجنُّ مؤمنون.

(٤٢) - ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ مِمَّا كُنْتُمْ تَرْجُونَ مِنْ شَفَاعَتِهِمْ لَكُمْ
﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا.

وقيل: القولُ صلةٌ، وتقديرُه: ونُذِيقُكُمْ عَذَابَ النَّارِ، فهو أمرٌ في معنى الخبرِ،
كما قلنا في قوله: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨].

وقيل: تقولُ لهم الملائكةُ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾.

(٤٣) - ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيهُمُ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ بَعْدُ
ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِيهُمُ﴾؛ أَي: إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ مَعَ ظُهُورِ إِعْجَازِهِ
﴿قَالُوا﴾؛ أَي: الْمَشْرُكُونَ: ﴿مَا هَذَا﴾ يَعْنُونَ: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ
عَمَّا كَانْتُمْ بَعْدُ ءَابَاؤُكُمْ﴾ وَيَصِيرَ لَدَيْكُمْ سَيِّدَكُمْ.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ يَعْنُونَ: الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ﴾ كَذِبٌ مُضَافٌ إِلَى اللَّهِ،

وليس من عنده.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾؛ أي: للقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وعجزوا عن الإتيان بمثله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ لا يخفى، فمرةً جعلوه سحرًا، ومرةً جعلوه افتراءً على الله.

قال القفال: يجوزُ أن يكونَ الرَّمِي بالسَّحْرِ من قول الأتباع، والرَّمِي بالإفك من قول الرؤساء؛ لافتراقِ اللَّفْظَيْنِ، ويحتملُ أَنَّهُمْ كانوا يقولون: القرآنُ في نفسه سحرٌ عجيبٌ، لكنَّهُ من محمَّدٍ أَضَافَهُ إِلَى الله سبحانه.

(٤٤) - ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾.
 ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾؛ أي: من أين يقولون ما يقولون ولم يأتهم كتابٌ ولا رسولٌ، وإنما يحصلُ العلمُ من هذين الوجهين؟ فظهرَ كذبهم وافتراؤهم.

(٤٥) - ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ

نَكِيرٍ﴾.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: من قبل قومك ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾: ﴿مِعْشَارٌ﴾ على وزنِ مِرْبَاعٍ، وهو العُشْرُ.

وقيل: العُشْرُ جزءٌ من العَشْرَةِ، والعَشِيرُ جزءٌ من العُشْرِ، والمِعْشَارُ جزءٌ من العَشِيرِ، فيكونُ الواحدُ مِنَ الألفِ^(١).

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ العُشْرَ والعَشِيرَ والمِعْشَارَ فِي اللُّغَةِ واحِدٌ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٩)، واستغربه.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الضَّمِيرِ:

فقيل: ما بلغ قومك معشار ما آتينا من قبلهم من المال والقوة والعدة والكثرة.

وقيل: ما بلغ أولئك شكر معشار ما آتيناهم من النعمة.

وقيل: ﴿ما بلغوا﴾؛ أي: ما عملوا معشار ما أمروا به.

وقيل: ما بلغ أولئك معشار ما آتينا قومك من العلم والبيان والحجة والبرهان؛ فإن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس أمة أعلم من أمة محمد ﷺ، ولا كتاب أبين من كتابه^(١).

﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ قيل: إنما كَرَّرَ ﴿فَكَذَّبُوا﴾ لأنَّ الأوَّلَ لتكثير الكذب لا لتكذيب الغير، والكفار كانوا كذابين قبل مجيء الرُّسُلِ في إيجابِ الشُّركِ وإنكارِ البعثِ، فلمَّا جاءهم الرُّسُلُ كَذَّبُوهم؛ أي: نسبوهم إلى الكذبِ.

﴿فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: عقابي وتغيير حالهم.

وقيل: إنكارٍ عليهم.

وقيل: النكيرُ جزاءُ المنكرِ من الفعلِ.

الخليلُ: النكيرُ الاسمُ من الإنكارِ^(٢)، والمعنى: فما آمن هؤلاء من مثل ذلك.

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٥)، وروى عنه

الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٢) قوله: «ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم».

(٢) انظر: «العين» (٥/ ٣٥٥).

(٤٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفُرْدَى ثُمَّ نَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾: أذَكْرُكُمْ وَأَحْذَرُكُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ بِمَوْعِظَةٍ

واحدة.

وقيل: بكلمة واحدة، كقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقيل: هي كلمة التوحيد.

وقيل: طاعة الله.

وقيل: النصيحة.

وقيل: هو ما فسرها فقال: ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾: تقصّدوا، وليس من القيام على الرجل، وقيل: بأن تقوموا، ولأن تقوموا ﴿لِلَّهِ﴾: لوجه الله، والتماس القرب^(١) إليه، لا لعصبية، ولا تقليد لسلف، ولا لإلف جريتم عليه.

﴿مِثْلَى وَفُرْدَى﴾: مجتمعين ووحداناً، وأن يأخذ الرجل يد صاحبه فيخلوا ويتفكروا^(٢) فيما أتى به محمد ﷺ؛ لأن الناظر تنجلي له الشبهة؛ أحياناً مُنفرداً، وأحياناً يستعين بغيره فيما يحتمل أن يكون ذاهباً عن درك الصواب فيه.

﴿ثُمَّ نَنْفَكُوا﴾: تستعملوا^(٣) فركم بالتدبر بعقولكم، هل فيما يدعوكم إليه محمد ﷺ فساد؟ وهل في حاله ضعف عقل، واختلاف قول، وفعل مما يرى

في المجانين؟

(١) في (ف): «التقرب».

(٢) في (ن): «ويتفكروا».

(٣) في (ف): «فتستعملوا».

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ وَنَظَرْتُمْ فَمَا وَجَدْتُمْ بِهِ أَثَرَ جُنُونٍ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ صَادِقٌ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.
ثُمَّ نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الْجُنُونَ فَقَالَ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾:
جُنُونٍ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للاستفهام؛ أي: تتفكروا أي شيء بصاحبكم من آثار الجنون
وأماراته حتى يجوز أن يدعى مجنوناً؟
﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قُدَامَ عَذَابٍ شَدِيدٍ؛ إِمَّا
فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا فِي الآخِرَةِ.

(٤٧) - ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن ﴿مَا﴾ نفي؛ أي: لا أسألكم على الرسالة مالا وجُعلاً، ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾؛
أي: مالكم لكم من غير تعرضٍ.

الثاني: هو كالرَّجُلِ يَقُولُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ نُصْحَهُ: مَا أَعْطَيْتَنِي مِنْ أَجْرٍ فَخُذْهُ؛ أي:
النُّصْحُ مَجَّانٌ.

الثالث: الذي سألتكم أن تُعْطُونِيهِ نَفْعُهُ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ، وَهُوَ أَنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا
تَنْجُونَ بِهِ، لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا سِوَى هَذَا.

الرابع: قال الكلبي: هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]؛^(١) أي: الذي سألتكم من مودّة القربى فهو لكم؛ لأنهم قالوا:

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦ / ٣٠٩) عن الضحاك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(٢ / ٩٤٠) عن الكلبي، واستغربه.

يَحْتَسِبُ مُحَمَّدٌ عَلَىٰ حَبِّ قَرَابَتِهِ وَيَشْتَمُ آلَهُتَنَا، وَزَيْفٌ بَعْضُهُمْ هَذَا الْقَوْلَ.

﴿إِنْ أَجْرِي﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ هذا تأكيدٌ لقوله: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾^(١).

(٤٨) - ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمَ الْغُيُوبِ﴾.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: يأتي به.

وقيل: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يرمي بالإسلام في الآفاق.

ابن عيسى: القَذْفُ: إلقاءُ الشيء عن عِظَمِ شَأْنٍ^(٢).

وقيل: يقذف بالحق على الباطل، فحذف^(٣).

وقيل: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يوحى بالقرآن.

وقيل: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ في قلب من شاء وعلى لسان من شاء.

﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾؛ أي: هو علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء.

(٤٩) - ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِيهِ الْبَطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلام.

وقيل: الجهاد.

(١) قوله: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ من آيات آخر [الأنعام: ٩٠] و[هود: ٥١] و[الشورى: ٢٣]، والذي

هنا: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١٥٥ / ٢)، بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٤٠ / ٢)، واستغربه.

وقيل: السَّيْفُ.

وقيل: القرآنُ.

وقيل: بعثةُ النَّبِيِّ ﷺ.

﴿وَمَا يَدْعَى الْبَاطِلُ﴾؛ أي: ما يخلق إبليسُ شيئاً ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ ولا يبعثُ.

وقيل: الباطلُ: الأصنامُ.

وقيل: معناه: وزال الباطلُ؛ أي: الشُّركُ، كقوله: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾

[الإسراء: ٨١]، ومثله: ﴿نَقَذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقيل: هذا مثلٌ يُضْرَبُ لكلِّ مَنْ انقطعَ عن الاحتجاج، ما يُبدئُ وما يُعيدُ، وما

يُحْلِي وما يُمِرُّ.

وجمهورُ المُفسِّرين على أن ﴿مَا﴾ نفيٌّ.

وقيل: هي استفهامٌ بمعنى النَّفْيِ، ومحله نصبٌ؛ أي: أيُّ شيءٍ يُبدئُ الباطلُ؟

وأيُّ شيءٍ يُعيدُ؟

(٥٠) - ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ

قَرِيبٌ﴾.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾: إن أخطأتُ عن الحقِّ والرَّشَادِ كما تزعمون ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ

نَفْسِي﴾؛ أي: وبأل ضلالي على نفسي، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾: فبوحى الله

وتوفيقه.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: سمعٌ دُعائي فاستجابَ بفضله.

(٥١) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ قيل: عند الموت.

وقيل: في القبر.

وقيل: عند البعث.

وقيل: يوم بدرٍ.

﴿فَلَا قُوَّةَ﴾: لا مناص ولا مهرب.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من تحت أقدامهم.

وقيل: من ظهر الأرض إلى بطنها.

وقيل: أُخْرِجُوا مِنَ الْأَرْضِ.

وقيل: بدرٍ^(١) ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ بعذاب الدنيا. وقُرْبُ الْمَكَانِ مَثَلٌ لسهولة

أخذهم وتعذيبهم. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف؛ أي: لرأيت أمرًا عظيمًا.

الكلبي والثعلبي وغيرهما: نزلت في السفينانية^(٢).

روى حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ فِتْنَةً تَكُونُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ

والمشرق، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فوره

ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشًا إلى المشرق وجيشًا إلى المدينة،

حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤١) واستغربه.

(٢) ذكره عن الكلبي السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٩٦)، أما الثعلبي فقد روى في «تفسيره»

(٢٢/ ١٣٦) خبر حذيفة الآتي، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤١) عن الكلبي

والثعلبي خبر حذيفة الآتي، وعده من العجائب.

آلافٍ، ويقرّون بها أكثرَ من مئةِ امرأةٍ، ويقتلون بها ثلاثَ مئةِ كبشٍ من بني العباسِ، ثمَّ ينحدرونَ إلى الكوفةِ فيخربون ما حولها، ثمَّ يخرجون متوجّهين إلى الشامِ، فتخرجُ رايةُ هدى من الكوفةِ، فتلحقُ ذلك الجيشَ منها على ليلتين، فيقتلونهم لا يُفلتُ منهم مُخبرٌ، ويستنقذون ما في أيديهم من السبيِّ والغنائمِ، ويحلُّ جيشه الثاني بالمدينةِ فينتهبونها ثلاثةَ أيامٍ ولياليها، ثمَّ يخرجون متوجّهين إلى مكةَ، حتّى إذا كانوا بالبيداءِ بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ جبريلَ، فيقولُ: يا جبريلُ، اذهبْ فأبدئهم. فيضربها برجله ضربةً يخسفُ اللهُ بهم، فذلك قوله في سورةِ سبأ: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ فلا ينفلتُ^(١) منهم إلا رجلان؛ أحدهما بشيرٌ، والآخرُ نذيرٌ، وهما من جهينةَ، فلذلك جاء القولُ: وعند جهينةَ الخبرُ اليقينُ^(٢).

(٥٢) - ﴿ وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ وَقَالُوا ﴾ عند البأسِ^(٣) والأهوالِ: ﴿ ءَأَمَّنَّا بِهِ ﴾: بالله، وقيل: بمحمّدٍ.

﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾؛ أي: كيفَ يتناولون الإيمانَ وقد ذهبَ

مكانَ التّكليفِ وزمانه؟

وقيل: يسألون الرّدَّ وليس حينَ رُدِّ.

والتّناوُشُ: التّناوُلُ، من نُشِتَ تَنُوشٌ، قال الشّاعرُ:

(١) في (ن): «فلا ينقلب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٣١٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ١٣٦)، والداني في

«الفتن» (٥ / ١٠٨٩)، وانظر: «عقد الدرر في أخبار المتنظر» ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي

(ص: ١٤٧ - ١٤٩)، وعزاه للنقاش في «تفسيره».

(٣) في (ف): «اليأس».

بَاتَتْ تَنْوُشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَاذَ الْفَلَاحِ^(١)

وَمَنْ هَمَزَ^(٢) فَعِنْدَ سَبِيوِيهِ قَلْبَ الْوَاوِ الْمَضْمُومَةِ هَمْزَةً^(٣).

وقيل: هو من نَأَشَ وَأَتَأَشَ: إِذَا بَطَّؤَ^(٤)، وَالتَّيَشُّ: الْحَرَكَةُ فِي إِبْطَاءٍ، قَالَ

الشَّاعِرُ:

تَمَنَّى نَيْشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورًا^(٥)

ثَعْلَبُ: التَّنَاوُشُ بِغَيْرِ هَمْزٍ: التَّنَاوُلُ مِنْ قُرْبٍ، وَالتَّنَاوُشُ بِالْهَمْزِ: مِنْ بُعْدٍ^(٦).

وَالْمَكَانَ الْبَعِيدُ: قِيلَ: هُوَ الَّذِي هَمَّ فِيهِ.

وقيل: هو الذي ليسوا فيه، وهو: الدُّنْيَا.

(١) الرجز لغيلان بن حريث كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٠)، و«شرح أبيات سبيويه» للسيرافي

(٢/ ٢٤٧)، و«اللسان» مادة: (ن و ش). ولأبي النجم العجلي في «معجم ديوان الأدب»

(٤/ ٢٢)، و«الصحاح» مادة: (ع ل ا)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٣/ ٣١٩). ودون نسبة

في «الكتاب» (٣/ ٤٥٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٣٠٧).

قال في «اللسان»: الضمير في قوله: (فهي) للإبل أي: تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شرباً

كثيراً، وتقطع بذلك الشرب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وأبي بكر، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة»

(ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٦٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٥٦٦).

(٤) انظر: «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٢٣٢).

(٥) صدر بيت لنهشل بن حري، كما في «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٢٠٣)، و«جمهرة الأمثال»

للعسكري (١/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٦) ذكره ابن سيده في «المحكم» (٨/ ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٢)،

(٥٣) - ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ .

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ كالأول ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: في الدنيا، وقيل: قبل العذاب.
﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: يرمون بالظن، يقولون: لا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار.

وقيل: هو قولهم في النبي ﷺ: إنه ساحر، وكاهن، وشاعر.

وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: بالآخرة ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يُنكرونها ويقولون:
﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

وقيل: هو طعنهم في القرآن.

وقيل: يُؤخرون التوبة.

ويحتمل أن المعنى: يستبعدون جميع ما غاب عنهم فلا يؤمنون به.

(٥٤) - ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ

مُرِيْبٍ﴾ .

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الرجوع إلى الدنيا وقبول إيمانهم وتوبتهم.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: بأمثالهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ حين آمنوا إيمان اليأس، يعني:

الأمم المهلكة. وقيل: أصحاب الفيل.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيْبٍ﴾: مُشَكِّكٌ مُبَالِغٌ فِي الشَّكِّ، كما تقول: عَجَبٌ عَجِيبٌ.

وقيل: في شكٍّ مُوجِبٍ لِصَاحِبِهِ مَا يَرِيْبُهُ مِنْ مَكْرُوهِ، وهذا ردُّ على مَنْ زعمَ

أنَّ الله لا يُعَذِّبُ عَلَى الشَّكِّ. والله أعلم.

سُورَةُ فَاطِمَةَ

سُورَةُ فَاطِرٍ

خمسٌ وأربعون آيةً^(١)، مكيةٌ.

الحسن: مكيةٌ إلا آيتين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٠-٢٩]^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنٍ وَثُلَاثٍ وَرُبُعٍ
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمدٌ نفسه تعظيمًا له وتعليمًا لعباده.

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خالقهما ابتداءً.

قال الزجاج: روي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما كنت أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر؛ فقال أحدهما: أنا فطرتهما؛ أي: ابتدأتها^(٣)،

(١) «خمس وأربعون آية»: من (ن). وفي «البيان في عدّ آي القرآن» (ص: ٢١٠): «وهي أربعون وست آيات في المدني الأخير والشامي، وخمس في عدد الباقيين».

(٢) ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» (٢٢/٢٢٤)، وعنه الألوسي في «روح المعاني» (١١/٣٣٤): أن الحسن استثنى آيتين: آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ الآية [٢٩]، وآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [٣٢]، وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٢/٢٤٧): وهي مكية بالاتفاق، وحكى الألوسي عن الطبرسي: أن الحسن استثنى آيتين... ولم أر هذا لغيره.

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٥)، ومن طريقه ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/١٧٥).

ومثل ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خالق السماوات والأرض. انتهى كلامه (١).
ابن عيسى: الفطر: الشق عن الشيء بإظهاره للحس (٢).
﴿جَاعِلِ الْمَلَكِكَةِ رُسُلًا﴾؛ أي: إلى عباده؛ يعني: جبريل وميكائيل وعزرائيل
عليهم السلام.

وقيل: هذا وصف لعامتهم؛ أي: جميع ملائكة الله رسل الله (٣) إلى الجن
والإنس، أو بعضهم إلى بعض.

﴿أُولَِّ أَجْنَحَةٍ﴾: ذوي أجنحة، جمع جناح، مشتق من (جَنَحَ)؛ إذا مال.
﴿مَثْنَى﴾: اثنين اثنين ﴿وَتُكَلَّثَ﴾: ثلاثاً ثلاثاً ﴿وَرُيِّنَ﴾: أربعاً أربعاً، فعدل ووصف
ما قبله به، فلم ينصرف للعدل والوصف، والمعنى: اثنين من الجنابين.

وقيل: اثنين من كل جانب، وكذلك ثلاثاً من كل جانب؛ لينقسم باعتدال.

وقيل: الثالث على الظهر كما يرى لبعض الحيتان.

وقيل: الطيران بجناحين، وما زاد فللزيئة.

وروى المفسرون عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن النبي ﷺ رأى
جبريل وله ست مئة جناح (٤).

وقيل: هما جناحان، ثم ينقسم كل جناح إلى جناحين وزيادة.

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾؛ أي: في خلق الملائكة، وقيل: عام.

وعن النبي ﷺ: أنه فسره بالوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن (٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٦١).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٦٠) بلانسية، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٣).

(٣) اسم الجلالة: «الله»: ليس في (ف).

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤).

(٥) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، والزمخشري في «الكشاف» =

وقيل: الخطُّ الحسنُ، وعنه عليه السلام: «الخطُّ الحسنُ يزيدُ الحقَّ وضوحًا»^(١).
 وقرأ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (يزيدُ في الحلقِ) بالحاءِ^(٢)، وفُسِّر بالصَّوتِ.
 وقيل: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ هو السَّلَامُ على الأعمى^(٣).
 وقيل: العقلُ والتَّمييزُ والعلومُ والصَّنائعُ.
 وقيل: المحبَّةُ في قلوبِ المؤمنين^(٤).
 ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من ذلك وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاته.

(٢) - ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ قيل: وحيٌّ ورسولٌ، ومطرٌ وعافية، ونعمةٌ وتوسعةٌ رزقٍ.

﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: لا دافعٌ ولا مانعٌ ولا حابسٌ.

= (٣/٥٩٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/٣٢٠)، وعزاه القرطبي للقشيري، وأورده الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٨) ولم يذكر له تخريجاً.

وروى الفاكهي في «أخبار مكة» (١٧٣٣)، وأبو عوانة في «المستخرج» (٣٩٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٠٥٦) عن ابن شهاب في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال: «حسن الصوت».

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥) عن قتادة قال: «الملاحه في العينين».

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/١٥٣) عن مهاجر الكلاعي مرسلًا.

(٢) ذكرها محمد بن أبي نصر الكرمانى في «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٤)، وذكرها ابن كثير في

«تفسيره» (٦/٤٧١) دون نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٤٤)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٤٤)، واستغربه.

﴿وَمَا يُمْسِكُ﴾: يَمْنَعُ وَيُدْفَعُ وَيَحْبِسُ ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي سُلْطَانِهِ
﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ.

(٣) - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفُتُوكُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: اشكروها.

وقيل: اذكروها بلسانكم، واحفظوها بقلوبكم، ولا^(١) تنسوها.

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النفي.

﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النبات^(٢).

وقيل: يرزقكم الهداية.

مَنْ جَرَّه^(٣) جَعَلَهُ وَصْفًا لـ ﴿خَلْقٍ﴾ عَلَى اللَّفْظِ، وَمَنْ رَفَعَهُ^(٤) فَعَلَى الْمَحَلِّ، أَوْ
عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، فَإِنَّهُ نَفْيٌ فِي الْمَعْنَى^(٥)، أَوْ عَلَى الْخَبَرِ.

(١) في (ف): «بقلبكم فلا».

(٢) في (ن): «بالنبات».

(٣) أي: لفظ ﴿غَيْرُ﴾.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٥) قوله: «فإنه نفي...» يعني به: الاستفهام، والقول بأنه رفع بالاستثناء ذكره أبو علي في «الحجة» (٢٧/٦)، والواحد في «البيسط» (٤٠٢/١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٤٥/٢)، واستغربه، وجعل الزمخشري في «الكشاف» (٥٩٧/٣) الاستثناء على قراءة شاذة بنصب الراء من (غير) نسبت للفضل بن إبراهيم النحوي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤).

قوله: ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ يجوزُ أن يكونَ خبرًا، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ جرٍّ وصفًا لـ ﴿خَلِقِ﴾، ولا يمتنعُ أن يكونَ حالًا من اسمِ الله.
 ومعنى ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾: يُعْطِيكُمْ. والرِّزْقُ: العطاءُ.
 وقيل: الرِّزْقُ ما جعله الله صالحًا للغذاءِ أيضًا.
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصْرَفُونَ عن الحقِّ إلى الباطلِ، وعن عبادةِ الله إلى عبادةِ الأوثانِ؟ والإفكُ: الصَّرْفُ.
 وقيل: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ تُكذَّبُونَ، ويُقالُ لكم: إنَّ آلهتكم ترزُقُكم؟ والإفكُ: الكذبُ.

(٤) - ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾؛ أي: نأسَّ بهم واصبرِ ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فلن تعدم لصبرك جزاءً.

(٥) - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ مِنْ وَجْهِهِمْ وَمِنْ ظُهُورِهِمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ مِنْ وَجْهِهِمْ وَمِنْ ظُهُورِهِمْ﴾: بالبعثِ والجزاءِ ﴿حَقُّ﴾: صدقٌ وكائنٌ لا خُلفَ فيه.
 ﴿فَلَا تُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: لا يخذعنكم البقاءُ فيها فتركنوا إليها؛ فإنها عن قريبٍ زائلةٌ.

﴿وَلَا يُغْنِيكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ، يُريدُ: يُمَنِّيكم المغفرةَ مع الإصرارِ على المعصية، و﴿الْغُرُورُ﴾ بالفتح: الشَّيْطَانُ، وبالضمِّ جمعُ غَارٍ، كسجودِ جمعٍ ساجدٍ،

وَجُلُوسٍ جَمْعُ جَالِسٍ، أَوْ يَكُونُ مَصْدَرًا وَإِنْ كَانَ فَعْلُهُ مُتَعَدِّيًّا كَالعُقُوقِ، وَاللُّزُومِ، وَالنُّهُوكِ؛ مَصْدَرٌ: نَهَكَهُ الْمَرَضُ.

(٦) - ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .
 ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ يَسْعَى طَاقَتَهُ فِي فِسَادِكُمْ، وَلَا يَسْرُهُ صَلَاحُكُمْ .
 ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: عَامِلُوا مَعَهُ مُعَامَلَةَ الْأَعْدَاءِ، وَلَا تَقْبَلُوا قَوْلَهُ فَتَصِيرُوا مِنْ حِزْبِهِ .
 ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾: أَتْبَاعَهُ ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ أَي: غَرَضُهُ مِنْ دُعَائِهِ
 إِيَّاهُمْ أَنْ يُورِدَهُمُ النَّارَ.

(٧) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ .
 ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ أَي: فَمَنْ أَجَابَهُ حِينَ دَعَاهُ فَلَهُ عَذَابٌ شَدِيدٌ؛ لِأَنَّهُ
 صَارَ مِنْ حِزْبِهِ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَلَمْ يُجَبِّوهُ وَلَمْ يَصِيرُوا مِنْ حِزْبِهِ ﴿لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ﴾ لَدُنُوبِهِمْ ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ فِي الْجَنَّةِ.

(٨) - ﴿أَمَنْ زِينٌ لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا
 تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ .
 ﴿أَمَنْ زِينٌ لَهُ﴾: زَيْنٌ لَهُ الشَّيْطَانُ، وَقِيلَ: زَيْنَهُ نَفْسُهُ ﴿سُوءٌ عَمَلِهِ﴾: قَبِيحُ أَعْمَالِهِ
 وَذُنُوبِهِ.

﴿فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾: فاعتقده صوابًا، وقيل: صدقًا جميلًا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الجوابُ محذوفٌ؛ أي: كمن هو بضدّه.

وقيل: المحذوفُ: تحسّرت عليه، ودلّ عليه قوله: ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ

حَسْرَتٍ﴾.

وقيل: تقديرُ جوابه: كمن عرف الحسن من الأعمال حسنًا والقيح قبيحًا.

وتفسيرُ ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾: لا تمّت حسرةً أن لا يؤمنوا، ومعناه:

لا تحزن عليهم حزنًا شديدًا يكاد يقتلك، والحسرةُ: الاغتمامُ على ما فات.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِم بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: يعلم أعمالهم فيجازيهم عليها.

قيل: هم اليهودُ عاندوا رسولَ الله ﷺ.

وقيل: هو إبليس، وسوءُ عمله: إغواؤه.

وقيل: نزلت في العاص بن وائل والأسود بن المطلب^(١).

وقيل: في أبي جهل^(٢)، عليهم اللعنة.

(٩) - ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مِّتِّ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

كَذَلِكَ الشُّورُ﴾.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تُهَيِّجُهُ ﴿فُسْقَنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مِّتِّ﴾ أسند الإرسال

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦٣).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٥٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٠) عن مقاتل

وَالسَّوْقُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَالْإِثَارَةُ إِلَى الرِّيحِ؛ أَي: أَحَدَتْهَا بِصِفَةِ الْإِثَارَةِ، وَذَكَرَ الْإِرْسَالَ وَالسَّوْقَ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَالْإِثَارَةَ بِلَفْظِ الْحَالِ لِهَذَا.

وَقِيلَ: الْمُسْتَقْبَلُ وَالْمَاضِي فِي هَذِهِ سَوَاءٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ تَبْقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّ التَّقْدِيرَ: أَرْسَلَ الرِّيحَ فَأَثَارَتْ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ، فَرَسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَنَسَوْقُهُ^(١)، فَانْتَفَى بِذِكْرِ الْبَعْضِ عَنِ الْبَعْضِ^(٢).

وَقِيلَ: إِسْنَادُ الْإِثَارَةِ إِلَى الرِّيحِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ لَا فَعَلَ لَهَا، وَحَرَكَاتُهَا وَسَكَنَاتُهَا مِنْ فَعَلِ اللَّهِ.

﴿فَسَقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾؛ أَي: خَصَّصْنَا بِالْمَطْرِ مَا شِئْنَا مِنَ الْبِقَاعِ^(٣).
 ﴿فَأَحْيَيْنَا﴾: أَنْبَتْنَا ﴿بِهِ﴾: بِالْمَطْرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ضَمْنًا لَا صَرِيحًا.
 ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يَبْسُهَا.
 ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحْدُهُمَا: كَمَا أَحْيَيْنَا الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ نُحْيِي الْمَوْتَى.

وَقِيلَ: كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصَارَ سَبَبًا لِحَيَاةِ الْأَرْضِ نُزِّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يَكُونُ بِهِ حَيَاةُ الْمَوْتَى، فَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ: أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى سَحَابًا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُمَطِّرُ مِثْلَ مَنِيِّ الرَّجَالِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يُنْشِرُهُمُ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّلَاثَةِ^(٤).

(١) فِي (ف): «فُرْسِلُ الرِّيحُ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَيَسَوْقُهُ». وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ن) وَمِثْلُهُ فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ».

(٢) فِي (ف): «فَاكْتَفَى عَنِ الْبَعْضِ بِذِكْرِ الْبَعْضِ». وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ن) وَمِثْلُهُ فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/٩٤٦)، وَاسْتَغْرَبَهُ.

(٣) فِي (ن): «خَصَّصْنَا مِنَ الْبِقَاعِ مَا شِئْنَا بِالْمَطْرِ».

(٤) ذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/٩٤٦ - ٩٤٧)، وَاسْتَغْرَبَهُ.

وكان القياسُ: كذلك الإنشَارُ، فافتقَى بالشُّورِ لآَنَهُ يتضمَّنُ الإنشَارَ^(١)، مثل:
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِأَنَاءٍ﴾ [نوح: ١٧].

(١٠) - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ العِزُّ والعِزَّةُ واحدٌ، وهي: المَنَعَةُ.

﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾؛ أي: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ لِمَنْ الْعِزَّةُ فليَعْلَمْ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.

وقيل: مَنْ كَانَ يَطْلُبُ عِزَّةً فليَطْلُبْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ.

وقيل: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، فاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ ذُلٌّ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ

﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: مُجْتَمِعَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾؛ أي: إِلَى مَحَلِّ الْقَبُولِ.

وقيل: إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَجْرِي فِيهِ حُكْمٌ إِلَّا لِلَّهِ.

وقيل: الصُّعُودُ كِنَايَةٌ عَنِ الْقَبُولِ؛ أي: يَقَعُ أَجَلٌ مَوْقِعٍ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَ لَا يُوصَفُ

بِالصُّعُودِ وَالنُّزُولِ.

واختارَ لفظَ الصُّعُودِ لِأَنَّ الْعُلُوَّ فِي مَرَاتِبِ النَّاسِ أَشْرَفُ مِنَ السُّفَالِ، كَمَا تَقُولُ:

ارتفعَ إِلَى الْقَاضِي، وَتَرَاقَى الْخَبْرُ إِلَى السُّلْطَانِ، وَإِنْ كَانَ فِي سَرَبٍ.

وقيل: يَصْعَدُ بِهِ الْمَلِكُ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَخَذَهُنَّ مَلِكٌ فَجَعَلَهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ ثُمَّ صَعِدَ

(١) الظاهر أن الإنشَار يتضمّن الشُّور، لا العكس، هذا إذا نظرنا إلى أن المتعدي يتضمّن اللازم، لكن الفعل

(نشر) متعدّد، وبمعناه (أنشر)، وعليه يصبح الشُّور والإنشاء يتضمّن كلٌّ منهما الآخر، والله أعلم.

بهنَّ إلى السَّمَاءِ، فلا يُمْرُّ على جمعٍ من الملائكةِ إلا استغفروا لقائلهنَّ»^(١).

﴿الْكَلِمُ﴾: جمع كَلِمَةٍ، وهي: كلمة التَّوْحِيدِ.

وقيل: سبحان الله، كما سبق.

وقيل: ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: القرآنُ.

وقيل: ﴿الطَّيِّبُ﴾: الحَسَنُ.

وقيل: ﴿الطَّيِّبُ﴾: ما ارتضاهُ الله.

وقيل: ما كان طاعةَ الله فهو طَيِّبٌ.

وقيل: هو الطَّيِّبُ؛ لأنَّه ذكُرُ الله، وكان القياسُ: الطَّيِّبَةَ، لكنَّ كُلَّ جمعٍ ليس بينه وبينَ واحدِه إلا الهاءُ جاز تذكيرُه وتأنِيثُه.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾: العملُ الصَّالِحُ: أداءُ الفرائضِ والاشتغالُ بالنَّوافِلِ.

وفي فاعلٍ ﴿يَرْفَعُهُ﴾^(٢) ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: مُضَمَّرٌ يَعُودُ إلى (العملِ)، والهاءُ في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ يَعُودُ إلى ﴿الْكَلِمُ﴾؛ أي: لا يُقْبَلُ قولٌ إذا لم يكنْ معه عملٌ.

والثَّاني: مُضَمَّرٌ يَعُودُ إلى ﴿الْكَلِمُ﴾، والهاءُ يَعُودُ إلى (العَمَلِ)؛ أي: التَّوْحِيدِ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٣٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٤)، والحاكم في

«المستدرک» (٣٥٨٩) وصححه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من قوله بلفظ: «إذا حدثتكم

بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: الحمد لله، وسبحان الله، ولا

إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، قبض عليهن ملك، فجعلهن تحت جناحه، ثم صعد بهن، فلا يمر

على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن تعالى، ثم قرأ عبد الله:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

(٢) في (ف): «يرفع».

يرفعُ العملَ، وكذلك مَنْ فسَّرَه بالقرآنِ؛ أي: القرآنُ يرفعُ العملَ.

والثالثُ: مُضْمَرٌ يعودُ إلى الله سبحانه، والهَاءُ يعودُ إلى (العملِ)، وعلى هذين الوجهين قُرئَ: (والعملُ الصالح) بالنصب^(١).

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: يسعون في إبطالِ دينِ الله.

وقيل: هم الذين يُشركون بالله.

وقيل: هو ما ذُكِرَ في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

وقيل: هي: الرياءُ.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: دائمٌ في الآخرةِ ﴿وَمَكْرُؤٌ كُبِرْتُمْ﴾ أي: الذين يَمْكُرُونَ

السَّيِّئَاتِ ﴿هُوَ بَوْرٌ﴾؛ أي: يهلكُ، والبوارُ: الهلاكُ.

وقيل: يبطلُ.

وقيل: يضيعُ ويفسُدُ ولا ينفدُ.

وقيل: يفسدُ عندَ الله.

(١١) - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا

تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَمَا يَعْمَرُ مِنْ تُعْمَرٍ وَلَا يَقْضِ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ أباكم وأصلكم، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾

يعني: بني آدمَ، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وقيل: أصنافًا. وقيل: أمركم بالتزُّوجِ.

وفي ﴿ثُمَّ﴾ أقوالٌ:

أحدها: لترتيبِ الأخبارِ.

(١) نسبت لعيسى وابن أبي عملة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

وقيل: ثم قَدَّرَ خَلْقَكُمْ مِنَ النُّطْفِ، ثم لم يَكُنْ ذلك إِلَّا بالتَّرْوِجِ، فجعلكم أزواجًا.

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملة قد يدلُّ على التَّقْدِيمِ.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾؛ أي: ولدها في بطنها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: بعلم الله.

وقيل: بأمره، والباءُ للحال.

﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾: يمدُّ في عُمُرٍ مُعَمَّرٍ فيبلغُ الهَرَمَ والكِبَرَ.

﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ فيميتُهُ قبلَ الهَرَمِ والكِبَرِ، قيل: ستونَ سنةً.

وقيل: أربعونَ سنةً.

وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

وفي الهاءِ من ﴿عُمُرِهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يعودُ إلى المُعَمَّرِ^(١) المذكورِ، وله معنيان:

أحدهما: ﴿يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾: ينقصي ما ينقصي منه؛ فإن لكلِّ أحدٍ كتابًا مكتوبًا

في أوَّلِهِ تسميةَ عمره، ثم يكتَبُ في أسفلِ ذلك: ذهبَ يومٌ، ذهبَ يومانِ، حتى يأتيَ على آخره، فذلك نُقصانُ عمره.

والثاني: يُنْقِصُ من مدَّةِ عمره، وهذا فيمنَ أجازَ الزِّيادَةَ والنُّقصانَ في العمرِ^(٢)؛

فإنَّ كعبًا قالَ لَمَّا طَعِنَ عمرُ رضي اللهُ عنه: لو دعا اللهُ عمرُ لأخرَ في أجَلِهِ، فقيلَ له:

أليسَ اللهُ يقولُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]؟ قالَ

كعبٌ: أما تَقْرؤونَ: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾^(٣)؟

(١) في (ف): ﴿مُعَمَّرٍ﴾.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٧)، وعده من العجائب.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٥٤)، والفريابي في «القدر» (٤٤٢)، من طريق الزهري عن ابن =

والثاني: أن الهاء يعودُ إلى آخر، كأنه قال: ولا يُنْقَصُ من عمرِ آخر، وإليه ذهب الفراءُ وابنُ عيسى والنَّقَّاشُ وجماعةٌ من المُفسِّرين، وقالوا: هذا كقولِ القائلِ: له عليٌّ درهمٌ ونصفه، فإنَّ الضَّميرَ إلى درهمِ آخر، كذلك هاهنا^(١).

وإذا دَقَّقْتَ النَّظَرَ وجدتَ الهاءَ في هذا القولِ الثاني أيضًا تعودُ إلى المُعَمَّرِ؛ لأنَّ التَّقْدِيرَ: ولا يُنْقَصُ آخرُ من عمرِ هذا المُعَمَّرِ؛ أي: من مقدارِ عمرِه؛ لأنَّ الأعمارَ مُتفاوتَةٌ خصوصًا عندَ مَنْ لا يجوزُ القولُ في زيادةِ العمرِ ونقصانِه، وهو مذهبُ الجميع، والله أعلم.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ﴾؛ أي: حفظُ ذلك ﴿عَلَى اللَّهِ سَيْرٌ﴾: سهلٌ.

وقيل: إنَّ زيادةَ عمرِ إنسانٍ ونقصانَ عمرِ آخرٍ على الله يسيرٌ.

(١٢) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَبَنٍ غَوًّا مِنْ فِضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ العَذْبُ: الطَّيِّبُ، والفُرَاتُ: أَعَذْبُ العَذْبِ.

وقيل: الفُرَاتُ: الخالصُ لا يشوبُه شيءٌ.

= المسيب، عن كعب، وقال الزهري: «فترى أن ذلك يؤخر ما لم يحضر الأجل؛ فإذا حضر لم يؤخر، وليس أحد إلا وله أجل مكتوب».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/٣٦٨)، وفيه: «قوله: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنَ مُعَمَّرٍ﴾ يقول: ما يُطَوَّلُ من عمرِ ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾، يريدُ آخرَ غيرِ الأول، ثُمَّ كُنِيَ عنه بالهاء كأنه الأول، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه؛ يعني: ونصف آخر. فجازَ أن يكنى عنه بالهاء؛ لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول، فكُنِيَ عنه ككناية الأول».

﴿سَائِغٌ﴾: سهل المرور في الحلقِ ﴿شَرَابُهُ﴾: ماؤه ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ والأجَاجُ: أَمِلْحُ المُلُوْحَةِ.

ابن عيسى: الأَجَاجُ: من أَجَّتِ النَّارُ، كَأَنَّهُ يُحْرَقُ من شِدَّةِ المَرَارَةِ^(١).
أي: ليسا بمُستويين في الانتفاع.

﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾؛ أي: من العَذْبِ والمِلْحِ؛ لأنَّ الحوتَ يُصَادُ منهما جميعًا.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾: اللُّؤْلُؤُ والمِرْجَانُ، ولم يذكر من أيِّ البحرين يُسْتَخْرَجُ في هذه السُّورَةِ؛ فذهب بعضهم إلى أَنَّهُ يُسْتَخْرَجُ من المِلْحِ، وعليه أَكْثَرُهُمْ. وقيل: يُخْرَجَانِ منهما؛ لأنَّ في المِلْحِ عيونًا عذبةً يخرجُ اللُّؤْلُؤُ عند التَّمَازِجِ وينعقدُ.

وقيل: ينعقدُ من ماءِ السَّمَاءِ.

وقيل: لا بدَّ من عيونِ^(٢) العذبِ والمِلْحِ حتَّى يُمكن إِخْرَاجُهُمَا.

وقيل: إِنَّهُمَا يُخْرَجَانِ من العذبِ. والله أعلمُ.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: تَتَّخِذُ نِسَاؤُكُمْ منها مَلَابِسَ.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: جمعُ فُلْكِ، وهو السَّفِينَةُ ﴿فِيهِ﴾ في الكَلِّ، وقيل: في المِلْحِ.

﴿مَوَازِرَ﴾: جمعُ مَآخِرَةٍ، جَائِيَةٌ ذَاهِبَةٌ والرِّيحُ^(٣) واحدةٌ؛ أي: ترى سفينتين

تَجْرِيَانِ بِرِيحٍ واحدةٍ، إِحْدَاهُمَا مُقْبِلَةٌ والأُخْرَى مُدْبِرَةٌ.

وقيل: هي مَوَاقِرُ بِالْحِمْلِ.

(١) ذكر معناه الزجاج في «معاني القرآن» (٤٠٥/٣)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١٦٦/٢) بلا نسبة.

(٢) في (ف): «عبور».

(٣) في (ف): «بريح».

وقيل: هي التي تشق الماء بصدرها.

ويحتمل أنه من قوله ﷺ: «استمخروا الرِّيحَ وأعدُّوا النَّبْلَ»^(١)؛ يعني: عند الاستنجاء؛ أي: اجعلوا ظهوركم مما يلي الرِّيحَ، وهذه حالة السُّفْنِ.

﴿تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بما تستخرجون من اللؤلؤ والمرجان، وتصيدون من الحوت، وتربحون بالتجارة، وتغنمون بالجهاد.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على فضله إذ أنجاكم من هوله.

(١٣) - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: يوم القيامة، ثم ينقطع جريهما.

وقيل: يجريان إلى أقصى منازلهما لا يجاوزان ذلك، ثم يرجعان إلى أدنى منازلهما.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: الذي فعل هذه الأشياء هو خالقكم ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ فهو المستحق للعبادة ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾؛ أي: الأصنام، وقيل: الملائكة ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾: من خلق قِطْمِيرٍ، وهو: القشرة البيضاء بين التمر والنواة. وقيل: شق النواة.

وقيل: ما بين القمع والنواة.

(١) تقدم عند تفسير الآية (١٤) من سورة (النحل).

(١٤) - ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾؛ أي: الأصنام ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ فإنه لا لسان لها.

وقيل: معناه: ما أجابوكم إلى مُلْتَمَسِكُمْ.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ حين يجعل الله لها بياناً ولساناً.

وقيل: يعني: الملائكة يتبرؤون منكم ويقولون: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلَ حِنَ﴾ [سبأ: ٤١].

وقيل: ما يظهر من الأصنام ممَّا يدلُّ على بطلانِ كلامِ الكفارِ بمنزلةِ النطقِ منها بالبراءة، كما قيل: دلالتها على التوحيدِ تسيحُها.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ كلامُ جميعِ المُفسِّرينِ وأصحابِ المعانيِ مقصورٌ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أن ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ هو الله عزَّ وجلَّ.

والثاني: أن ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ دلَّ ﴿يُنَبِّئُكَ﴾ عليه؛ أي: لا يُنَبِّئُكَ تنبيهاً مثل تنبيء الخبير.

وكلا القولين فيه نظرٌ:

أما الأول: فإضافة ﴿مِثْلُ﴾ إلى الله عزَّ وجلَّ غيرُ جائزٍ [١١]، ولا يجوزُ أن يُقال: هو زيادةً، كما قلنا في: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لفسادِ معنى الكلامِ بحذفه.

وأما الثاني: فلا يجوزُ؛ لأنه يقتضي أن يكون ﴿مِثْلُ﴾ منصوباً.

فالتأويل الصحيح: أن يجعل هذا مثلاً، وله نظائر، ويكون المُنْبِيءُ الخبيرُ
المضروبُ له المثل هو الله سبحانه، والله أعلم.

(١٥) - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ في الدنيا إلى رزقه، وفي الآخرة إلى مغفرته.
﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ في ملكه.

(١٦) - ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن يشأ يُفْنِكُمْ ويأتِ بقومٍ أُخْرَ أُطْوَعِ اللهُ منكم.

والثاني: يُفْنِ عَالَمَكُمْ وأنواعكم ويأتِ بعالمٍ آخَرَ سِوَى مَا تَعْرِفُونَ.

(١٧) - ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ الإِذْهَابُ وَالِإِتْيَانُ ﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: منيعٌ صعبٌ.

(١٨) - ﴿وَلَا تَنْزِرُ وَاِزْرَةً وَّزَرَ أُخْرَىٰ ۗ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا

قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۗ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ

وَالِإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَنْزِرُ وَاِزْرَةً وَّزَرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا تحمِلُ نفسٌ آثمةٌ إثمَ نفسٍ أُخْرَى.

﴿وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفسٌ مُثْقَلَةٌ بِالذُّنُوبِ أَحَدًا ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: ثَقَلَهَا، لِيَتَحَمَّلَ عَنْهَا بَعْضَ ذَلِكَ، ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾: لَا يَحْمِلُ الْمَدْعُوُّ مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الثَّقَلِ ﴿وَلَوْ كَانَ﴾؛ أَي: الْمَدْعُوُّ ﴿ذَاقِرِي﴾: ذَا قَرَابَةٍ قَرِيبَةٍ كَالْأَبِ وَالْأَخِ.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ، وَيُؤْمِنُونَ^(١) بِالْغَيْبِ، وَهُوَ: مَا غَابَ عَنْهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وقيل: معنى ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: يَخَافُونَ اللَّهَ سِرًّا، فَلَا يَأْتُونَ الْمَعَاصِيَ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُ اللَّهِ.

وقيل: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ أَي: عَذَابَ رَبِّهِمْ ﴿بِالْغَيْبِ﴾: لَمْ يَرَوْهُ.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أَدَامُوهَا فِي مَوَاقِيتِهَا الْخَمْسَةِ، وَغَايِرَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لِأَنَّ أَوْقَاتَ الْخَشْيَةِ دَائِمَةٌ، وَأَوْقَاتَ الصَّلَاةِ مُعَيَّنَةٌ مُنْقَضِيَةٌ.

ويحتملُ أَنَّ الْمَعْنَى: يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ مَعَ تَوْفُرِهِمْ عَلَى الطَّاعَاتِ.

﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: تَطَهَّرَ عَنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾؛ أَي: فَلِنَفْسِهِ ثَوَابُ ذَلِكَ ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ.

(١٩) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ.

وقيل: الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ.

(١) في (ف): «فيؤمنون».

(٢٠) - ﴿وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا التُّورُ﴾.

﴿وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا التُّورُ﴾ يعني: الكفرُ والإيمانُ.

وقيل: الجهلُ والعلمُ.

وقيل: المعصيةُ والطاعةُ.

(٢١) - ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ﴾.

﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ﴾ يعني: الجنةُ والنَّارُ.

وقيل: الحَرُورُ: الرِّيحُ الحارَّةُ تأتي بالليلِ، والسَّمومُ بالنَّهارِ خاصَّةً^(١).

وقيل: الحَرُورُ: بالليلِ والنَّهارِ، والسَّمومُ بالنَّهارِ خاصَّةً.

والحَرُورُ: فَعولٌ من الحرارة، وهو: اشتدادُ الحرِّ ولَفْحُهُ.

وقيل: الظِّلُّ: الحَقُّ. والحَرُورُ: الباطلُ^(٢).

(٢٢) - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: المؤمنون والكافرون.

وقيل: العُقلاءُ والجهلاءُ.

﴿لَا﴾ فيها كَلِّها زيادةٌ أفادت نفي^(٣) المُساواة من الجانبين.

(١) «خاصة»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

(٣) في (ف): «ففي».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ حَتَّى يَتَعِظَ وَيُجِيبَ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ يَعْنِي: الْكُفَّارَ، شَبَّهَهُم بِالمُوتَى حَيْثُ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَسْمُوعِهِمْ.

وَقِيلَ: ﴿يُسْمِعُ﴾ تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ، مِنْ قَوْلِنَا: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ أَي: قَبِلَ.

(٢٣) - ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مَا أَنْتَ إِلَّا مُنذِرٌ، وَلَيْسَ إِلَيْكَ غَيْرُهُ.

(٢٤) - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ يَعْنِي: بِالْقُرْآنِ ﴿بَشِيرًا﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَنَذِيرًا﴾ لِلْكَافِرِينَ، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ قِيلَ: نَذِيرٌ مِنْهُمْ بَلَّغْتَهُمْ.

وَقِيلَ: إِذَا بَلَّغْتَهُمْ نَذَارَةً نَذِيرٌ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَقَدْ خَلَا فِيهِمُ النَّذِيرُ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَى جَمِيعِ بَنِي آدَمَ وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ.

(٢٥) - ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ

وَإِلَّا كَتَبَ الْمُنِيرُ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أَي: رُسُلُهُمْ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْمُعْجَزَاتِ ﴿وَإِلَّا كَتَبَ الْمُنِيرُ﴾ جاز التكرارُ لا اختلافَ اللَّفْظَيْنِ، وَلِأَنَّ الزُّبُرَ: الْكِتَابَةَ الثَّابِتَةَ^(١).

(١) انظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٩٠)، وقد ذكر فيه أن الزبر في الكتابة في الحجر، وانظر:

«تفسير ابن فورك» (١٦٨/٢).

(٢٦) - ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرًا﴾.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأنواع العذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرًا﴾؛ أي: إنكاري بالعقوبة والتعسير.

(٢٧) - ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَلِيْبٌ سُودٌ﴾.

﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: بالماء، ذَكَرَ بلفظِ التَّعْظِيمِ لتلويين الخطاب.

وما ذكره أبو مسلم: أَنَّ التَّقْدِيرَ: فَأَخْرَجْنَا نَحْنُ بِنُو آدَمَ بِالْحَرْثِ وَالغَرْسِ ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ بإضمارِ القولِ = فَرَكِيكٌ^(١)، وقد سبق في (الأنعام).

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يجوزُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِهِ الأَلْوَانُ^(٢) حَقِيقَةً؛ حُمْرًا، وَصُفْرًا، وَبَيْضًا، وَسُودًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِهِ الصَّنْفَ.

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ جُدَدٌ: جَمْعُ جُدَّةٍ، كَغُدَّةٍ وَغُدْدٍ؛ أي: طرائق؛ جُدَّةٌ بَيْضَاءٌ، وَجُدَّةٌ حُمْرَاءٌ، وَالهَاءُ فِي ﴿أَلْوَانُهَا﴾ يَعُودُ إِلَى (الجبال).

وقيل: إِلَى (حُمْرٍ)؛ أي: بَعْضُهَا أَشَدُّ حُمْرَةً، وَبَعْضُهَا أَخْفَى، وَبَعْضُهَا وَسْطٌ فِي الحُمْرَةِ^(٣).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، وعده من العجائب.

(٢) في (ن): «باللون» بدل: «به الألوان».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

﴿وَعَرَابِيْبُ سُودٌ﴾: جمعُ غَرِيْبٍ، وَجُلُّ الْمُفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّ التَّقْدِيرَ: وَسُودٌ غَرَابِيْبٌ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: أَسْوَدُ غَرِيْبٌ، وَلَا يُقَالُ: غَرِيْبٌ أَسْوَدٌ.

ابنُ عيسى: العَرَابِيُّ: الَّذِي لَوْنُهُ لَوْنُ العُرَابِ، فَصَارَ كَأَنَّهُ قَالَ: وَكَلَوْنِ العُرَابِ أَسْوَدٌ^(١).

وقيل: ﴿سُودٌ﴾ بدلٌ من ﴿غَرَابِيْبٌ﴾ وليس بوصفٍ.

(٢٨) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ﴾؛ أي: كاختلاف الثمرات والجبال، ودُكْر الضَّمِيرُ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: جِنْسٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ.

وقيل: [ما] مختلف ألوانه، وقيل^(٢): مَنْ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ؛ لِتَقْدِيمِ ذِكْرِ النَّاسِ، فَحُذِفَ (مَا) وَ(مَنْ) لِأَنَّ (مَنْ) يَدُلُّ عَلَيْهِ.

فإن قيل: قد ذُكِرَ مع الجبالِ ﴿مِنْ﴾؟

قلنا: قد بيَّن البعض بقوله: ﴿جُدُدٌ بِيضٌ﴾، وَلَمْ يُبَيِّنْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ﴾، فبَقِيَ ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ صِفَةً لِلْمُقَدَّرِ.

وأجاز الكوفيون أن يكونَ وصلًا لـ(مَا)، أو لـ(مَنْ)، وهو ممتنعٌ عند البصريين.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؛ أي: العلماء بالله.

ومارُوي عن أبي حنيفةَ وعمر بن عبد العزيز وابن سيرين رحمهم الله:

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

(٢) «وقيل: مختلف ألوانه» من (ن)، وما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٠).

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)^(١) فمعناه: يعلم، كقوله: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠].

وقيل: هو بمعنى: يمتحن.

وقيل: يختار.

وعن عطاء قال: نزلت الآية في أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أنه ظهر من أبي بكر خوف حتى عرف فيه، فكلمه النبي ﷺ في ذلك، فنزل فيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

وعن النبي ﷺ: «كفى بخشية الله علماً، وبالاعتزاز به جهلاً»^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ﴿لَمَنْ أَذْنَبَ﴾ ﴿خَفُورٌ﴾ ﴿لَمَنْ تَابَ﴾.

(٢٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾؛ أي: يقرؤون^(٤) القرآن ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾

المفروضة.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨ / ١٠٥)، و«الكامل» للذهلي (ص: ٦٢٤)، و«الكشاف» (٣ / ٦١١). قال الثعلبي: «والقراءة الصحيحة ما عليه العامة».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ١٨٣) عن عطاء الخرساني مرسلًا، وفيه سيف بن عمر، وهو متروك.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٨٦٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٣٢)، والطبراني في

«المعجم الكبير» (٨٩٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله

عنه من قوله.

(٤) في (ف): «يعني» بدل: «أي: يقرؤون».

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا﴾: الصَّدَقَةُ ﴿وَعَلَانِيَةً﴾: الزَّكَاةُ، وَغَايِرَ بَيْنِ الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمَاضِي لِأَنَّ أَوْقَاتَ التَّلَاوَةِ أَعْمٌ مِنْ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ التَّلَاوَةُ فِي الصَّلَاةِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ سَابِقَةً عَلَى التَّلَاوَةِ.

﴿يَرْجُبُونَ تَجْرَةً﴾ خَيْرٌ ﴿إِنْ﴾.

﴿لَنْ تَكْبُرَ﴾: لَنْ تَكْسُدَ. وَقِيلَ: لَنْ تَهْلِكَ. وَقِيلَ: لَنْ تَفْسُدَ.

والتَّجَارَةُ هِيَ الْجَنَّةُ، وَقِيلَ: قَبُولُ أَعْمَالِهِمْ.

(٣٠) - ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ.

﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ مَتَّصِلٌ بِ﴿تَلَوْتُ﴾ وَمَا بَعْدَهُ، وَ﴿أَجُورَهُمْ﴾: ثَوَابٌ

أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: يُضَاعَفَ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ.

وَقِيلَ: يَشْفَعُونَ فِي مَنْ وَجَبَ لَهُمُ (١) النَّارُ.

وَقِيلَ: يُفْسَحُ لَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ.

﴿إِنَّهُ عَفُورٌ﴾ لَذُنُوبِهِمْ ﴿شَكُورٌ﴾: مُجَازٍ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَقِيلَ: يُعْطَى الْجَزِيلَ عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ (٢)، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَشْكُرُ مِنْ بَرِّوَقَةٍ (٣)،

وَهِيَ: شَجَرَةٌ إِذَا تَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ اخْضَرَّتْ وَأُورِقَتْ مِنْ غَيْرِ مَطَرٍ.

(١) فِي (ف): «لَهُ».

(٢) فِي (ن) زِيَادَةٌ: «مَشْتَقٌ».

(٣) مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ، ذَكَرَهُ ابْنُ دَرِيدٍ فِي «جَمْهَرَةِ اللُّغَةِ» مَادَّة: (ب ر ق) (١/٣٢٢)، وَالْعَسْكَرِيُّ فِي

«جَمْهَرَةُ الْأَمْثَالِ» (١/٥٦٣).

(٣١) - ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: الصدق لا يشوبه كذب ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: موافقاً لما في الكتب المتقدمة.

وقيل: يجعل ما تقدمه من الكتب صادقة؛ لأن فيها الوعد به.

وقيل: مُصَدِّقًا بِإِعْجَازِهِ دَعْوَى النَّبِيِّ ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالمٌ بهم.

(٣٢) - ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الإيراث، وقيل: لتراخي الإخبار.

واستعمل لفظ الميراث لأنه صار لهم كما يصير الميراث للورثة.

وقيل: لأنه أعطاهم من غير مسألة ولا اكتساب.

وقيل: معناه: أخرناه إلى الذين اصطفينا من عبادنا، وأنشد لعنترة:

وأورثت سيفي عن حصين بن معقلٍ إلى جدّه إنني لثأري لطالب^(١)

أي: أخرت سيفي.

﴿الْكِتَابَ﴾ قيل: هو القرآن.

وقيل: ﴿الْكِتَابَ﴾ اسمُ الجنس، والمرادُ به: الكتب.

(١) البيت في «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ١٨٩)، ولم أجده في المطبوع من «ديوان عنترة».

وقيل: المراد به: أحكام الكتاب.

﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ قيل هم: أمة محمد ﷺ، وقيل: هم الأنبياء عليهم السلام، والاصطفاء على هذين الوجهين للثواب.

وقيل: الذين اصطفيناهم للتكليف والامتحان.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾ قد أكثر العلماء في تفصيل هذه الثلاثة، وأحسن ما قيل ما وافق القرآن والخبر وكلام الصحابة والتابعين؛ أمّا القرآن فقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴿ [الواقعة: ٧-١٠]، فيكون الظالم: أصحاب المشأمة، والمقتصد: أصحاب الميمنة، والسابق: السابقين.

ومثله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨]: فالسابق منهم، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠]: فالمقتصد منهم، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢]: فالظالم منهم؛ فالضمير في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ على هذا يعود إلى العباد، وإلى (١) الذين اصطفاهم على القول الآخر (٢).

وأما الخبر فما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية ثم قال: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنةً بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يُحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يُحبسون في طول المحسر، ثم هم الذين يتلقاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾» (٣).

(١) في (ف): «أو إلى».

(٢) في (ف): «الأخير».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٦٩٧) و(٢٧٥٠٥)، =

وَرَوَى أُسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْآيَةِ: «كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: السابق: المؤمنُ المُخلصُ، والمُقتصدُ: المُرَائِي، والظَّالِمُ: الكافرُ بالنَّعْمَةِ غيرُ الجاحِدِ لها؛ لأنَّه حكمَ للثلاثةِ بدخولِ الجنةِ^(٢).

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»^(٣).

= والطبري في «تفسيره» (١٩ / ٣٧٥)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٩٣)، وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٨). قال الحاكم وعنه البيهقي: «وقد اختلفت الروايات في إسناد هذا الحديث... وإذا كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٩٥): «رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح - وهي هذه - إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي». وقال محققو «المسند»: بينهما فيه أبو خالد البكري كما في «تاريخ البخاري» (٩ / ١٨)، ولم تنبئ به.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٤١٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٩٦): «فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي لیلی وهو سيع الحفظ».

وروي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧٤٥)، والترمذي (٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ٣٧٦). قال الترمذي: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «في إسناده من لم يُسَمَّ».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ١٩٨).

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣ / ٤٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥ / ١٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٣ / ٥٠٥)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي عن عمر رضي الله عنه. والفضل بن عميرة ضعيف، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.

= ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦١) من طريق ميمون بن سياه عن عمر رضي الله عنه. وقال =

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سابقنا أهل جهادنا، ومقتصدنا أهل حصرنا، وظالمنا أهل بدونا^(١).

وقال سهل بن عبد الله: السابق: العالم، والمقتصد: المتعلم، والظالم: الجاهل^(٢).

الحسين بن الفضل: الظالم: القارئ للقرآن، والمقتصد: القارئ العالم به، والسابق: القارئ له، العالم به، العامل بما فيه^(٣).
والهاء على هذه الوجوه يعود إلى المصطفين.

وقيل: الظالم لنفسه: آدم عليه السلام، والمقتصد: إبراهيم عليه السلام، والسابق: محمد ﷺ^(٤).

وقيل: إنما قدم الظالم كي لا يقنط.

= البيهقي: «فيه إرسال بين ميمون بن سياه، وبين عمر رضي الله عنه. وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفاً عليه».

والموقوف رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٢).
وإسناده غير قوي كما قال البيهقي، وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٩).

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩٦ / ٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥٠)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨ / ١٠٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥١)، واستغربه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠٢ / ٢٢٢) بلا نسبة.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥١)، وعده من العجائب.

وقيل: آخر السَّابِقِ ليكون أقرب إلى الجِنَانِ والثَّوَابِ.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: الاصطفاء، وقيل: السَّبْقُ ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

(٣٣) - ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا

حَرِيرٌ﴾.

﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبرُهُ.

وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الثَّلَاثَةِ عَلَى مَا سَبَقَ.

وقيل: يعودُ إلى ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾

وقيل: إلى الْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ فَيَمْنُ جَعَلَ الظَّالِمَ الْكَافِرَ.

وقيل: إلى السَّابِقِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ قَطْعًا.

﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: جَمْعُ أُسُورَةٍ، وَأُسُورَةٌ: جَمْعُ سِوَارٍ.

﴿مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾؛ أي: مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِاللُّؤْلُؤِ.

الزَّجَاجُ: مِنْ ذَهَبٍ فِي صِفَاءِ اللَّؤْلُؤِ^(١)، كَمَا قِيلَ: مِنْ فِضَّةٍ فِي صِفَاءِ قَوَارِيرَ.

وَمَنْ نَصَبَ^(٢) عَطْفَهُ عَلَى مَحَلٍّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ أي: يُحَلِّونَ أَسَاوِرَ ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾.

قِيلَ: الْحَلِيُّ فِيهَا لِلنِّسَاءِ دُونَ الرِّجَالِ.

وقيل: لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، يَدُلُّكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٠).

(٢) بالنصب قرأ نافع وعاصم، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤ - ٥٣٥)، و«التيسير»

(٣٤) - ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.
 ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: حَزَنَ
 النَّارِ^(١).

عكرمة: حَزَنَ الذُّنُوبِ^(٢).

وقيل: حَزَنَ الموتِ.

وقيل: حَزَنَ الخبزِ وطَلَبِ المعاشِ، ويُقال: الجوع^(٣).

ويُقال: حَزَنَ إبليسَ ووسوسته.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

(٣٥) - ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَآ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾؛ أي: الإقامة لا نَبْرُحُ منها ولا نُفَارِقُها.

وقيل: المَقَامَةُ: الموضعُ الذي يُؤْكَلُ فيه ويُشْرَبُ، والمَقَامَةُ - بالفتح -: كُلُّ

موضعٍ يُجْتَمَعُ فيه لأمرٍ حتَّى يُقَطَعَ^(٤).

﴿مِنْ فَضْلِهِ لَآ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: وجَعٌ، وقيل: تَعَبٌ.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كَلَالٌ يلحِقُ الجوارحَ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٣٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٠٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٠٩)، والواحدي في «البيسط» (١٨ / ٤٢٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥١)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥١)، واستغربه.

وَكَّرَرَ ﴿وَلَا يَمْسَنَا﴾ كَيْلَا يُظَنَّ أَنَّهُمَا لَا يَمَسَّانِ مَعًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَمَسَّا فُرَادَى.
وقيل: النَّصَبُ عَلَى الْقَلْبِ، وَاللُّغُوبُ عَلَى الْبَدَنِ.

(٣٦) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾؛ أي: لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ بِمَوْتٍ ثَانٍ فَيَسْتَرِيحُوا؛ لِأَنَّهُمْ مَاتُوا مَوْتَةً.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ وقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ [الإسراء: ٩٧] لَا يَدُلُّ عَلَى تَخْفِيفِ عَنْهُمْ، بَلْ عَلَى نَقْصَانٍ فِي النَّارِ ثُمَّ تَزَادُ.
﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾.

(٣٧) - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾: يَسْتَغِيثُونَ فِيهَا: ﴿رَبَّنَا﴾ يَقُولُونَ: رَبَّنَا ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾؛ أي: أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ، وَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا نُؤْمِنُ بِدَلِّ الْكُفْرِ وَنُطِيعُ بِدَلِّ الْمَعْصِيَةِ، فَيُجَابُونَ بِقَوْلِهِ:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾؛ أي: أَطَّلَعْنَا أَعْمَارَكُمْ وَجَعَلْنَاهَا مُدَّةً يُمَكِّنُكُمْ التَّدَكُّرَ فِيهَا وَالْإِعْتِبَارَ، وَرُوِيَ مَرْفُوعًا: أَنَّهُ سِتُونَ سَنَةً^(١).

(١) رواه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى

ابن عباس رضي الله عنهما: أربعون سنة^(١).
 ورؤي عنه أيضًا ستون سنة^(٢).
 وهب: ثماني عشرة سنة^(٣).
 الحسن: البلوغ؛ لأنه أول زمان التذكير^(٤).
 وقيل: سبعون سنة؛ لأنه^(٥) نهاية التذكير، وما بعده هرم.
 وقيل: إنه المدة التي كان رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله، وهي عشرون سنة.

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ قيل: محمد ﷺ ومن ناب عنه.

وقيل: القرآن.

وقيل: الشئب، وهو قول الأكثرين.

وقيل: العقل.

وقيل: الحمى.

وقيل: موت الأهل والأقارب^(٦).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٣٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٤٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ٣٨٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ٥١٤) عن وهب وعطاء وقتادة وأبي العالية، وذكره الواحدي في «البيسط» (١٨ / ٤٣٢) عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤ / ٤٧٦).

(٥) في (ف): «لأنها».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥٢)، واستغربه.

﴿فَذُوقُوا﴾؛ أي: العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: ناصرٍ يُعِينُهُمْ.

(٣٨) - ﴿إِنِ اللَّهُ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿إِنِ اللَّهُ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غابَ فيهما عنكم وإن شاهدَه

غيركم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ التي لا يُشاهدُها أحدٌ.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تُضمِرُوا فيها ما يكرهه سبحانه.

وقيل: إن الله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلو أخرجكم لعدتُم إلى ما كنتم عليه؛

لقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

(٣٩) - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا إِخْسَارًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: خلائِفَ الأرضِ بعد الأُممِ الخالية.

وقيل: جعلكم خلفًا بعد خلفٍ، وقرنًا بعد قرنٍ، فالخلفُ^(١): التالي للمتقدِّم؛

أي: أورثكم الكتابَ وجعلكم خلائِفَ في الأرضِ؛ لتشكُّروه ولا تكفُّروه، ثم أوعِدَ

الكفَّارَ فقال:

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾؛ أي: جزاءُ كُفْرِهِ.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنًا﴾: بُغْضًا وَعَظَبًا.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: تبارًا وهلاكًا وخسرانًا بالجنة.

(٤٠) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنِ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: آلهتكم، وفي الإضافة قولان: أحدهما: أنهم كانوا جعلوهم شركاء فيما كانوا يملكونه.

وقيل: تأويله: شركائي؛ فأضاف إليهم لأنهم زعموا ذلك.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ المعنى: قل لهم: إن خلقوا شيئًا من الأرض أو من السماء فأرونيه.

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾: أم أمرتم بذلك في كتاب فاتم على بيّنة. وقيل: أم أنزلنا كتابًا فيه: إن الله شركاء.

وقيل: آتيناهم كتابًا بأن الله لا يُعذبهم، فهم واثقون به.

﴿بَلْ إِنِ يَعِدُ﴾: ما يعِدُ ﴿الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: كفرهم عن تقليد محض، ووعدٍ كاذبٍ.

(٤١) - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بَعْدَهُ إِتَنَّهُ، كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ أي: يُمْسِكُ السَّمَاءَ بغير عمدٍ ولا علاقة، ويُمْسِكُ الأَرْضَ مع ما عليها من الخلقِ ﴿أَنْ تَزُولَا﴾: كراهة أن تزولا، ولأن لا تزولا، وثنى الضمير والسماوات جمعٌ ازدواجًا للأرض.

﴿وَلَيْنَ زَالَتَا﴾؛ أي: لو خلاهما لزالتا، ولو زالتا ﴿إِنْ أَمَسَكَهُمَا﴾: ما أمسكتهما
﴿مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد الزوال.

وقيل: بعد الإمساك.

وقيل: بعد الله؛ أي: غيره وسواه^(١)؛ أي: ما يقدرُ أحدٌ على إعادتهما إلى مكانهما
إلا الله.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ عند قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]، فأمسك السماء
والأرض - وكادا تزولان لعظم القول - فلم يُعجلَ عليهم بالعقوبة.
﴿غَفُورًا﴾ لَمَنْ تَابَ عَنْ كُفْرِهِ وَذَنْبِهِ.

(٤٢) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ وذلك أن
قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى؛
أنتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لو أتانا نذيرٌ لَنكوننَّ أصوبَ ديناً منهم، ومثله: ﴿لَوْ أَنَّا
أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ.

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ أي: ما زادهم مجيء الرسول ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تباعداً عن الحق.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢)، وعده من العجائب.

(٤٣) - ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّنْتَ الْأُولَىٰ فَلَن تَجِدَلِسُنَّتِ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَلِسُنَّتِ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾.

﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾؛ أي: تكبروا عن الإيمان ومكروا السيئ في دفع أمره، وهو العمل القبيح.

وقيل: هو إجماعهم على الشرك وقتل النبي في دار الندوة.

وهما منصوبان على الغرض^(١).

وقيل: إنهما بدلان من قوله: ﴿مُفَوَّرًا﴾.

وقيل: مصدران، وأضيف المكر إلى السيئ، وهو صفته كمسجد الجامع.

وقيل: هو من باب: ثوبٌ خزٌّ؛ لأنَّ المكر قد يكون سيئًا وغير سيئ.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ﴾: لا يحل ولا ينزل ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ إلا بالماكرين.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّنْتَ الْأُولَىٰ﴾ يعني: العذاب.

﴿فَلَن تَجِدَلِسُنَّتِ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَلِسُنَّتِ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾ فقتلوا يوم بدر.

(٤٤) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ حِمْمًا فَوَّهًا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: هلا سافروا في

الأرض فينظروا عاقبة الذين من قبلهم؛ فإن من سافر فيها رأى آثار نزول العذاب بمن مكر السيئات.

(١) أي: على المفعول من أجله؛ أي: لغرض الاستكبار والمكر، فهو كما في «غرائب التفسير»

(٢/ ٩٥٢) مفعول له متصل بقوله: ﴿مُفَوَّرًا﴾؛ أي: نفروا للاستكبار. ذكره المصنف واستغربه.

وقيل: معناه: اقرؤوا القرآن فتعرفوا ما حلَّ بمن قبلكم.

﴿وَكَاوُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾: من أهل مكة ﴿قُوَّةٌ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعْجِزُهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: شيء؛ أي: أحد ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بهم ﴿قَدِيرًا﴾ عليهم.

(٤٥) - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بَعِيدًا بَصِيرًا﴾.
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾: ظهر الأرض.

ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه كناية عن غير مذكور، وأن العرب تقول: ما على ظهرها أحد أحب إلي من فلان؛ يعنون: الأرض.
ولعل هذا القائل أراد في موضع آخر؛ فإن في الآية الأولى ذكر الأرض مرتين. ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ الدابة في هذه الآية عند بعضهم: الإنس والجن.
وقيل: الإنس وحدهم.

وقيل: عام فيما دب ودرج؛ فإن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ الجعلل يهلك بخطيئة ابن آدم^(١).

وقال أنس رضي الله عنه: إنَّ الضَّبَّ ليموت هزلاً في جحره بذنب ابن آدم^(٢).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٦٥)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٦٠/١٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣٦٠٢) وصححه.

(٢) رواه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٣٩٥/٢)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٦٨).

قال شيخنا^(١) أبو القاسم: ليس أن البهيمة تُؤخذُ بذنبِ ابنِ آدمَ، ولكنها خُلقت لابنِ آدمَ فلا معنى لإبقائها بعد إفناء من خُلقت له.

وقيل: معنى ذلك: لو أُخذَ الجاني في الوقتِ الثاني من معصيته لكانَ قد فنيَ الخلقُ وانقطعَ النسلُ؛ لأنَّه لا أحدَ إلا وقد عصى هو أو أبوه أو جدُّه، ولو أُهلكَ أوَّلُ عاصٍ لانقطعَ النسلُ قديماً.

وقيل: يحبسُ عنهم المطرَ فيهلكُ كلُّ شيءٍ.

وقيل: قد فعلَ بهم مرَّةً في زمانِ نوحٍ عليه السَّلامُ، فلم يبقَ منهم سوى من كانَ في السَّفينةِ.

﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: مُعَيَّنٍ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾؛ أي: ذلك المُعَيَّنُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ بمكانهم فيؤاخِذهم، وبأعمالهم فيجازيهم.

(١) «شيخنا»: ليس في (ف).

سُورَةُ يُونُسَ



سُورَةُ الْيَسِّ

ثلاثٌ وثمانونَ آيةً^(١)، مَكِّيَّةٌ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَسٌ تُدْعَى الْمُعَمَّةُ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُعَمَّةُ؟ قَالَ: «تُعَمُّ صَاحِبَهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَخَيْرَ الْآخِرَةِ، وَتُدْعَى الدَّافِعَةَ، وَالْقَاضِيَةَ، تَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ سُوءٍ، وَتَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَسٌ﴾.

﴿يَسٌ﴾ الْقَوْلُ فِيهِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الْحُرُوفِ أَوْائِلِ السُّورِ، وَتَخْتَصُّ هَذِهِ السُّورَةُ بِأَقْوَالٍ:

(١) «ثلاثٌ وثمانونَ آيةً»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢١١)، وفيه: «وهي ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، وأيتان في عدد الباقيين، اختلافها آية ﴿يَسٌ﴾ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون».

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢١٦)، والحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٣/ ٢٥٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٣٧). وضعفه العقيلي بسليمان بن مرقاع الجندعي، وقال: «لا يتابع على حديثه والحديث منكر ولا يعرف إلا به». وقال البيهقي: «تفرد به محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجندعاني، عن سليمان بن مرقاع، وهو منكر».

ابن عباس رضي الله عنهما: يا إنسان بلغه طيبي^(١).
 سعيد بن جبير وابن الحنفية: يا محمد^(٢).
 أبو العالية: يا رجل^(٣).
 وقيل: يا سيّد.

(٢) - ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾.
 ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ أقسم الله بالقرآن، و﴿الْحَكِيمَ﴾: الحاكم.
 وقيل: ﴿الْحَكِيمَ﴾: أحكمه الله، كالسعيد أسعده الله.

(٣ - ٤) - ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
 ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جواب القسم، وهو ردُّ على الكفار حين قالوا: ﴿لَسْتَ
 مُرْسَلًا﴾.
 ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ من صلة ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: الذين أرسلوا ﴿عَلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.
 وقيل: هو خبرٌ بعد خبرٍ؛ أي: إنك لمن المرسلين، إنك على صراطٍ مستقيم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٨/١٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
 (٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١١٥/٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/٥) عن محمد
 ابن الحنفية، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢٠/٨)، والواحدي في «البيسط» (٤٤٩/١٨) عن
 سعيد بن جبير.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢٠/٨)، والواحدي في «البيسط» (٤٤٩/١٨).

ولا يمتنع أن يكون حالاً من النبي ﷺ^(١)، كما تقول: إن زيدا في الدار على الفرش.

(٥) - ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ من رفع جعله خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو تنزيل، ومن نصب جعله مصدراً^(٢)؛ أي: نزله تنزيلاً.

وأجاز الفراء وغيره أن يكون خبراً ثالثاً^(٣) عن النبي ﷺ: إنك لمن المرسلين، إنك على صراطٍ مستقيم، إنك ذو تنزيلٍ العزيز الرحيم^(٤).

(٦) - ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.

﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا﴾: لتخوف، فهو متصل بالإرسال؛ أي: أرسلت لتنذر قوماً ﴿مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾؛ أي: في الفترة.

والأكثر على أن ﴿مَّا﴾ للنفي؛ لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] يعني: العرب، والمراد بهم: آبائهم الأذنون، فإن آبائهم الأقدمين أتاهاهم المُنذرون لا محالة.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٦)، واستغربه.

(٢) قرأ حفص وابن عامر وحزمة والكسائي: ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ﴾ بنصب اللام، والباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٥)، واستغربه. وفي هامش (ف): «فيه نظر».

وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي، فيكونُ محلُّه نصباً؛ أي: العذاب الذي أُنذِرَ آباؤُهُم ذلك كقوله: ﴿أُنذَرْتُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبا: ٤٠].

وقيل: لتُنذِرَ كما أُنذِرَ آباؤُهُم، فيكونُ صفةً مصدرٍ محذوفٍ.

وقيل: بما أُنذِرَ آباؤُهُم، فحُذِفَ الجارُّ ونُصِبَ المجرور.

﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿هُم﴾ كنايةٌ عن القومِ، ومن جعله نفيًا جاز أن يعودَ إلى الآباءِ.

والغفلةُ: ذهابُ المعنى عن النفسِ، والنسيانُ: ذهابُ المعنى عن النفسِ بعد

حُضوره.

(٧) - ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وجبَ السُّخْطُ لأنهم لا يؤمنون،

وجُلُّ المُفسِّرين على أن القولَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[السجدة: ١٣].

وقيل: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ﴾ كقوله: ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١].

(٨) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ الغُلُّ: قيدٌ يجمعُ اليمينَ والعُنُقَ^(١).

﴿فَهِيَ﴾ قيل: يعودُ إلى الأيمانِ ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾^(٢)، والغُلُّ يدلُّ عليه.

وقيل: إلى الأغلالِ.

(١) في هامش (ف): «ولذلك سمي جامعة».

(٢) في (ن): «قيل: ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾»، والمثبت من (ف)، وانظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٦).

﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ غَاضُوا الْأَبْصَارِ رَافِعُوا الرُّؤُوسَ.

وقيل: رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ وَشَخَّصُوا بِأَبْصَارِهِمْ^(١)؛ لَأَنَّ مَنْ غُلَّتْ يَدُهُ إِلَى ذِقْنِهِ ارْتَفَعَ رَأْسُهُ، وَالذَّقْنُ: مَجْمَعُ اللَّحْيَيْنِ.

وقيل: مُقْمِحُوا رُؤُوسَهُمْ.

والمعنى: مُتَبِعُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَفَعَلَ الْخَيْرَاتِ كَالْمَغْلُولِ.

(٩) - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: أَعْمَيْنَاهُمْ ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الْحَقُّ وَالرَّشَادُ، وَالسَّدُّ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ لُغْتَانِ.

وقيل: بِالْفَتْحِ مِنْ فَعَلَ بِنِي آدَمَ، وَبِالضَّمِّ مِنْ فَعَلَ اللَّهُ.

وقيل: بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ، وَبِالضَّمِّ الْأِسْمُ^(٢).

وَرَوَى^(٣) الْمُفَسِّرُونَ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، حَلَفَ أَنْ يَرْضَخَ رَأْسَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِحَجَرٍ، فَأَتَاهُ - وَهُوَ يُصَلِّي - وَمَعَهُ حَجْرٌ لِيَدْمَغَهُ^(٤)، فَلَمَّا رَفَعَهُ أَمْسَكَ اللَّهُ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَلَزِقَ الْحَجْرُ بِيَدِهِ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَسَقَطَ الْحَجْرُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِالَّذِي رَأَى، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَقَالَ: لَأَقْتُلَنَّ بِهَذَا الْحَجَرِ، فَأَتَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَأَعْمَى اللَّهُ بَصَرَهُ، فَجَعَلَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا يَرَاهُ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى نَادَوْهُ وَقَالُوا لَهُ: مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَهُ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

(١) في (ن): «أبصارهم».

(٢) تقدم الكلام عليه في تفسير سورة (الكهف).

(٣) في (ف): «وذكر».

(٤) في (ف) تحت الكلمة: «أي ليهلكه».

كهَيْتَةِ الْفَحْلِ يَخْطُرُ بَدْنِيهِ، وَلَوْ دَتَوْتُ مِنْهُ لِأَكَلْنِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(١).
 عِكْرَمَةٌ: الْأَغْلَالُ: ضَلَالَاتٌ وَظُلُمَاتٌ كَانُوا فِيهَا^(٢).
 وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ حِكَايَةً حَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

(١٠ - ١١) - ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١) إِيْمَانُنْدِرُ مِنْ أَتَبَعِ
 الذِّكْرِ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿
 ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سبق في (البقرة).
 ﴿ إِيْمَانُنْدِرُ مِنْ أَتَبَعِ الذِّكْرِ ﴾؛ أي: يَنْفَعُ إِذْذَارُكَ مَنْ أَتَبَعَ الْقُرْآنَ وَعَمَلَ بِمَا فِيهِ
 ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾: خَافَ عِقَابَ اللَّهِ وَلَمْ يَرَهُ.
 وَقِيلَ: ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾: فِي سِرِّيْرَتِهِ.
 ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾؛ أي: بِالْجَنَّةِ.

(١٢) - ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاخِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي
 إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ بِالْبَعْثِ، وَقِيلَ: بِالْهَدَايَةِ ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣ / ٥٧٣)، وذكره الواحدي في «البيضا» (١٨ / ٤٥٤) عن الكلبي ومقاتل. وروى القصة الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٤٠٦) عن عكرمة مختصرة بلفظ: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ قال: «فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٥٠).

وَأَثَرَهُمْ ﴿ في سبب النزول: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: شَكَتْ
بنو سَلِمَةَ إلى رسولِ الله ﷺ بعدَ منازِلهم من المسجدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَنَكْتُبُ مَا
قَدَّمُوا وَأَثَرَهُمْ﴾، فقال النبي ﷺ: «منازِلُكُمْ فَإِنَّمَا تُكْتُبُ آثَارَكُمْ».

وفي روايةٍ أُخرى: فَأَرَادُوا أَنْ يَتَّقِلُوا إلى قُرْبِ المسجدِ، فنزلت هذه الآية^(١).

فيكون معنى ﴿آثَارُهُمْ﴾: خُطَاهُمْ.

وقيل: ﴿آثَارُهُمْ﴾: ما سُنُوا من سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أو سُنَّةٍ سَيِّئَةٍ فاقْتَدِيَ بهم فيها.

وقيل: ما أَثَرُوهُ من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: في اللوحِ المحفوظِ.

(١٣) - ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ الزَّجَّاجُ: مَثَلٌ لَهُمْ مَثَلًا، من قولهم: هذه الأشياءُ على

ضربٍ واحدٍ؛ أي: مثالٍ واحدٍ، وعندني من هذا الضَّرْبِ كثيرٌ؛ أي: من هذا المَثالِ^(٢).

غيره: بَيْنَ لَهُمْ سَبَبًا.

وَضَرْبُ المَثَلِ يَتَعَدَّى إلى مفعولين، وهما في الآية: ﴿مَثَلًا﴾ ﴿أَصْحَابَ

الْقَرْيَةِ﴾.

وقيل: ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ بدلٌ من ﴿مَثَلًا﴾، كأنه قال: اذْكُرْ لَهُمْ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ؛

(١) رواه الترمذي (٣٢٢٦)، وقال: «حديث حسن غريب»، وروى نحوه مسلم (٦٦٥)، لكن ليس فيه

أن ذلك سبب النزول، وله شاهد - دون التصريح بسبب النزول أيضاً - من حديث أنس رضي الله عنه

عند البخاري (٦٥٥) و(٦٥٦) و(١٨٨٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨١) ولفظه: «اذكر لهم مثلاً».

أي: خبر أصحاب القرية، وهي: أنطاكية بإجماع المفسرين ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: رُسُلُ عيسى عليه السَّلام^(١).

(١٤) - ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ أسند الفعل إليه سبحانه لأن عيسى عليه السَّلام أرسلهم بأمره.

﴿إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ وهب: اسمهما يحيى ويونس^(٢).

ابن إسحاق: تارووص ومارووص^(٣).

كعب: صادق وصدوق^(٤).

مقاتل: تومان ومانووص^(٥).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: فكذبت أصحاب القرية الرسولين.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: فقويْنَا، والتشديد والتخفيف واحد^(٦).

(١) القول بأن القرية هي أنطاكية وأن الرسل من عيسى عليه السلام ذكره الثعلبي في «تفسيره»

(٢٦١ / ٢٢) عن وهب بن منبه، وهو متداول في أكثر كتب التفسير، لكن لم يرتض أياً منهما ابن

كثير، وذكر وجوهاً تدفع هذا القول، فانظرها في «تفسيره» (٥٧٣ / ٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٦٤) وفيه: «يحيى وبولس».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٦٤)، وفيه: «قارووص ومارووص».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٤١٣) عن ابن إسحاق فيما بلغه ابن عباس، وعن كعب الأحبار،

وعن وهب بن منبه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٦٤) وفيه: «تومان ومارووص». وفي «تفسير مقاتل» (٣ / ٥٧٥):

«تومان ويونس».

(٦) قرأ (فَعَزَّزْنَا) بالتخفيف شعبة عن عاصم، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)،

و«التيسير» (ص: ١٨٣).

وقيل: ﴿عَزَزْنَا﴾ بالتَّخْفِيفِ: غَلَبْنَا.

واسمُ الثَّالِثِ: شَمْعُونُ.

وقيل: سَمْعَانُ.

وقيل: سَلُوم.

قال الفَرَاءُ: الثَّالِثُ كان قد أُرْسِلَ قبل الاثْنَيْنِ، وإِنَّمَا المعنى: شَدَدْنَا أَمْرَهُمَا وقوَيْنَا بما عَلَّمَهُمَا الرَّسُولُ الْأَوَّلُ^(١).

وفي القَصَصِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وغيره: أَنَّ عيسى عليه السَّلَامُ وَجَّهَ رسولَيْنِ، فلما قَرَّبَا مِنَ المَدِينَةِ رَأَى شيخًا يرعى غُنيَمًا له، فسَلَّمَ عليه، فقال الشَّيْخُ لهما: مَنْ أَنْتُمَا؟ قالَا: رسولَا عيسى عليه السَّلَامُ ندعوكم من عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، قال: أَمَعُكُمَا آيَةٌ؟ قالَا: نعم، نحنُ نَشْفِي المَريضَ، وَنُبْرِئُ الْأَكْمَةَ والأَبْرَصَ.

فقال الشَّيْخُ: إِنَّ لِي عَليلاً، قالَا: وَمَنْ هو منك؟ قال: هو ولَدِي، قالَا: انطَلِقْ بنا إِلَى منزلِكَ نَطَلِّعْ حالَهُ، فَأَتَى بهما إِلَى منزلِهِ، فَمَسَحَا ابنَهُ فقامَ فِي الوَقْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، ففَشَا الخَبْرُ فِي البلَدَةِ، وشفَى اللهُ على يَدَيْهِمَا خَلْقًا كَثِيرًا.

وكان لهما مَلِكٌ يُقالُ لَهُ: سَلاحِحُنُّ، فَأَنهِيَ الخَبْرُ إِلَيْهِ، فقال لهما: مَنْ أَنْتُمَا؟ قالَا: رسولَا عيسى عليه السَّلَامُ، قال: وما آيَتُكما؟ قالَا: نُبْرِئُ الْأَكْمَةَ والأَبْرَصَ ونشفي المَريضَ، قال: وفيم جِئْتُمَا؟ قالَا: جِئْنَا نَدْعُوكَ مِنَ عِبَادَةِ ما لا يَسمَعُ ولا يُبْصِرُ إِلَى عِبَادَةِ مَنْ يَسمَعُ وَيُبْصِرُ، فقال سَلاحِحُنُّ: وَلَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُ^(٢) آلِهَتِنَا؟ قالَا: نَعَمْ، مَنْ خَلَقَكَ وَخَلَقَ آلِهَتَكَ؟

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٣).

(٢) في (ف): «ولنا إله سوى».

قال: قوما حتى أنظر في أمركما. فتبعهما الناس وضربوهما، فبعث عيسى عليه السلام رسولا ثالثا، وهو شمعون الصفا، واسم الشيخ الذي ذهب بهما إلى منزله حبيب بن إسرائيل النجار^(١).

قال وهب: بعث عيسى عليه السلام يحيى ويونس إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلا إلى ملكها، وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله، فغضب الملك وأمر بهما؛ فحبسا بعد أن جلد كل واحد منهما مئة جلدة، فبعث عيسى عليه السلام شمعون على أثرهما، فدخل البلد متنكرا، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به وأنس بهم، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما أو سمعت قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك.

قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما، فدعاهما، فقال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالوا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، ثم قال شمعون: صفاه، قالوا: إنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

قال شمعون: وما آيتكما؟ قالوا: ما تمنناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين، فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما.

فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: رأيت أن تسأل إلهك حتى يصنع مثل هذا، فيكون لك الشرف^(٢) ولإلهك؟

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٦٠ - ٢٦١)، والبغوي في «تفسيره» (٧ / ١١)، ونسباه للعلماء

بأخبار الأنبياء.

(٢) في (ف): «الشاهد».

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَيْسَ لِي عَنْكَ سِرٌّ؛ إِنَّ إِلَهَنَا الَّذِي نَعْبُدُ^(١) لَا يُبْصِرُ وَلَا يَسْمَعُ، وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. فَقَالَ الْمَلِكُ: إِنْ قَدَرَ إِلَهُكُمَا الَّذِي تَعْبُدَانِهِ عَلَى إِحْيَاءِ مَيِّتٍ آمَنَّا بِهِ وَصَدَّقْنَاكُمَا، قَالَا: إِلَهُنَا قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

فَقَالَ الْمَلِكُ: إِنَّ هَذَا مَيِّتٌ مَاتَ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَأَبُوهُ غَائِبٌ، وَلَمْ نَدْفِنْهُ حَتَّى يَرْجِعَ أَبُوهُ وَكَانَ غَائِبًا، فَجَاؤُوا بِالْمَيِّتِ وَقَدْ تَغَيَّرَ وَاصْفَرَّ وَأَرْوَحَ، فَجَعَلَا يَدْعُوَانِ رَبَّهُمَا فِي الْعِلَانِيَةِ وَشَمْعُونُ مَعَهُمَا فِي السِّرِّ، فَقَامَ الْمَيِّتُ وَقَالَ: إِنِّي مِتُّ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَوُجِدْتُ مُشْرِكًَا فَأَدْخِلْتُ فِي سَبْعَةِ أَوْدِيَةٍ مِنْ نَارٍ، وَأَنَا أُحْدِرُكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ: فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَنظَرْتُ فَرَأَيْتُ شَابًّا حَسَنًا يَشْفَعُ لَهُوَلَاءِ الثَّلَاثَةِ، قَالَ الْمَلِكُ: وَمَنْ الثَّلَاثَةُ، قَالَ: شَمْعُونُ وَهَذَانِ، وَأَشَارَ إِلَى صَاحِبِيهِ.

فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ، فَلَمَّا عَلِمَ شَمْعُونُ أَنَّ قَوْلَهُ قَدْ أَثَّرَ فِي الْمَلِكِ أَخْبَرَ الْمَلِكَ بِالْحَالِ وَدَعَاهُ فَاْمَنَّ قَوْمٌ، وَكَانَ الْمَلِكُ فَيَمَنَ آمِنًا، وَكَفَرَ آخَرُونَ^(٢).

وَقِيلَ: كَانَ الْمَلِكُ فَيَمَنَ كَفَرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾^(٣).

(١) في (ف): «نعبده».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٦١-٢٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧ / ١١-١٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وهو مما أخذه وهب من أهل الكتاب.

(٣) ذكره الثعلبيُّ والبغويُّ عن ابن إسحاق عن كعب وهب قالا: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾.

(١٥) - ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.
 ﴿قَالُوا﴾؛ أي: أصحابُ القريةِ ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾؛ أي: لا يصلحُ أن تكونوا رُسُلًا كما لا يصلحُ.

﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾: من كتابٍ.
 ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: ما أنتم إلا كذبةٌ.

(١٦-١٧) - ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾.
 ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ وذكر ابنُ مَهْرَبُزْدٍ^(١) أن الوقفَ على قوله: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾ تامٌّ؛ لأنَّهم قالوا: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾، وما نرى لكم شيئًا باينتمونا به فاستحققتُم كرامةَ الله بالرسالةِ، ألا نستحقُّه نحنُ أيضًا؟ فقالوا: ربُّنا يعلمُ ما لأجله خصَّنا بالرسالةِ دونكم.

قال: وليس قوله: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ في موضعٍ مفعولي ﴿يَعْلَمُ﴾، بل مفعولاه محذوفان، والتقديرُ: ربُّنا يعلمُ ما سألتُمونا عنه^(٢).

(١٨) - ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ نَنْتَهُوا لَرْجَمْنَاكُمْ وَلَمِسَّاكُمْ مِتَّا عَذَابَ أَلِيمٍ﴾.
 ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: تشاءمنا بكم^(٣) حيثُ خالفتمُ آبَاءَكم وتركتمُ معبودكم، فلا نأمنُ سوءَ عاقبةِ ذلك.
 والتطيرُ: التَّشَاؤْمُ بطيرِ الشُّؤْمِ.

(١) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مَهْرَبُزْدِ أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي، تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٥٧/٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥٧ / ١٧).

وقيل: حَسِبَ عنهم المطرُ عامَ أتاهم الرُّسُلُ فَنَسَبُوا ذلكَ إليهم.
﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا﴾؛ أي: عن مقالَتِكُم هذه ﴿لَنَرْجِمَنَّكُمْ﴾: لَنَقْتُلَنَّكُمْ، وقيل:
لَنَشْتُمَنَّكُمْ، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١٩) - ﴿قَالُوا طَئِرِكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.
﴿قَالُوا طَئِرِكُمْ مَعَكُمْ﴾؛ أي: الشُّؤْمُ كُلُّهُ في عِبَادَةِ الصَّنَمِ، وهو معكم.
وقيل: ﴿طَئِرِكُمْ﴾: حَظُّكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ معكم.
وقيل: الطَّائِرُ: الأَعْمَالُ وَالرِّزْقُ، وَالطَّائِرُ مَا يُتَيَمَّنُ بِهِ وَيُشَاءُ، وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ.
﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾: وَوَعظتُمْ وَدُعيتُمْ إلى الإسلامِ، وَجوابُ الشَّرْطِ مُضْمَرٌ؛
الرَّجَاجُ: تَطْيِيرْتُمْ جوابه (١).

وقيل: ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ قَلْتُمْ هَذَا الْقَوْلَ.

وقيل: ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ تَوَعَّدْتُمْ بِالرَّجْمِ وَالْعَذَابِ.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: ظَالِمُونَ.

(٢٠) - ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ هو حَبِيبُ النَّجَّارِ، وَكَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي جَبَلٍ،
فَلَمَّا سَمِعَ خَبَرَ الرُّسُلِ سَعَى مُسْتَعْجِلًا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَتَسْأَلُونَ عَلَيَّ مَا جِئْتُمْ بِهِ أَجْرًا؟
قَالُوا: لَا، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ الْقَوْمِ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٢) وفيه: «أي: أئن ذكرتم تطيرتكم».

(٢١) - ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ على أداء النصح وتبليغ الرسالة ﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

يعني: الرُّسل .

فقليل له: وأنت مُخالفٌ لديننا ومُتابعٌ دين هؤلاءِ ومؤمنٌ باللهِهم؟ فقال:

(٢٢) - ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾: خلقتني ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ومصيرُ الكلِّ إليه .

(٢٣ - ٢٤) - ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي

شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ﴾ سواه ﴿ ءَالِهَةً ﴾ يعني: الأصنام ﴿ إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا

تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾؛ أي: لا تنفعني شفاعتهم ﴿ وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ إِذَا لَفِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

(٢٥) - ﴿ إِنْ ءَأَمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .

﴿ إِنْ ءَأَمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾: اشهدوا عليّ، خاطبَ بذلك الرُّسلَ .

وقيل: خاطبَ به القومَ، فلمَّا سمِعُوا منه هذا الكلامَ وثَبَّوا عليه فقتلوه .

وقيل: رَجَمُوهُ، وكان يقول: اللَّهُمَّ اهدِ قومي .

وقيل: عَلَّقُوهُ فِي سَوْقِ الْمَدِينَةِ، وَقَبْرُهُ فِي سَوْقِ أَنْطَاكِيَّةَ .

وقيل: وَطئوه بأقدامهم حتى قتلوه، فأوجب الله له الجنة وأدخله فيها، وهو قوله:

(٢٦-٢٧) - ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قال الحسن: لَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا يَمُوتُ إِلَّا بَفَنَاءِ السَّمَاوَاتِ^(١).

فَلَمَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى نَعِيمَهَا ذَكَرَ قَوْمَهُ ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ فِيرَغَبُوا فِي الْإِسْلَامِ وَإِجَابَةِ الرَّسْلِ.
وقوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنْ (ما) لِلْمَصْدَرِ؛ أَي: بِمَغْفَرَةِ رَبِّي^(٢).

والثاني: بِمَعْنَى: الَّذِي؛ أَي: بِالَّذِي غَفَرَ لِي رَبِّي بِسَبَبِهِ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ.

(١) ذكره عن الحسن القشيري كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٥/١٩)، وتعقبه الألوسي في «روح المعاني» (٢٢/٢٢٨) بقوله: «والجمهور على أنه قتل».

وفي هامش (ف) تعقَّبُ من وجه آخر حيث جاء فيه: «قوله: إلا بفناء السماوات، ليس كما ينبغي؛ لأنه إذا دخل الجنة كيف يموت؟ إذ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ وإن أراد بدخول الجنة أنه حي عند ربه كما قال: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فما فائدة التخصيص بحبيب النجار؟ بل كل من مات في سبيل الله تعالى فهو حيٌّ كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] اللهم إلا أن يعني: أن الحبيب ما مات في الدنيا ينبغي أن يموت في الجنة؛ لأن الموتة الأولى هو الموت في الدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾.

(٢) ضَعَّفَ الْمُصَنِّفُ هَذَا الْقَوْلَ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (٢/٩٥٧).

وقيل: بأيّ شيءٍ غفر لي؟ وكان القياسُ على هذا القولِ: بِمِ (١).
الحسنُ: هو بمعنى: أيّ شيءٍ، ولا استفهام فيه (٢).

(٢٨) - ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾: قوم حبيبٍ ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد قتله.

الحسنُ: بعد رفعه (٣).

﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لنصرة الرُّسُلِ؛ أي: لم نَحْتَجْ في إهلاكهم إلى إرسالِ

جندٍ.

﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ قيل: تكرارٌ، وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي، والتقديرُ: من جندٍ،

ومما كُنَّا مُنْزِلِينَ على مَنْ قبلهم من حجارةٍ وريحٍ وأمطارٍ شديدةٍ.

(٢٩) - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ ما كانت عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بهم جبريلٌ صيحةً

واحدةً فماتوا عن آخرهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ ميتون.

(١) يعني: لأن (ما) على هذا القول استفهام - كما صرح المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨) -

فيحذف الألف كقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وعدَّ المصنف هذا القول من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨)، وعده من العجائب.

(٣) تقدم قريباً.

(٣٠) - ﴿يَحْسَرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿يَحْسَرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من كلام حبيب.

والثاني: من كلام القوم، تحسروا على قتلهم الأنبياء حين عاينوا العذاب، وآمنوا، وقالوا: ﴿يَحْسَرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ﴾؛ يعنون: الرسل، فلم ينفعهم إيمانهم.

الثالث: من كلام الله^(١)؛ يعني: يا لها حسرة؛ أي: يتحسر بعضهم على بعض، أو يتحسر عليهم، أو حلوا محل من يتحسر عليهم.

والحسرة: الندامة^(٢) على فائت لا يمكن تلافيه.

الزجاج: الحسرة: أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده، حتى يبقى قلبه حسيراً^(٣).

وقيل: استهزأؤهم بالرسل حسرة لهم.

وقيل: تم الكلام على ﴿الْعِبَادِ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

(٣١) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾؛

أي: لم يعتبروا بمن هلك قبلهم فيؤمنوا مخافة أن ينزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الندم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٥).

و﴿كَمْ﴾ نصبٌ بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، والجملةُ في تقديرِ النَّصْبِ بـ﴿يَرَوُا﴾، و﴿يَرَوُا﴾ مُعَلَّقٌ، و﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدلٌ من الجملةِ، ولهذا فُتِحَ.
وأجازَ الفراءُ أن يُنصَبَ ﴿كَمْ﴾ بـ﴿يَرَوُا﴾^(١).
وأجازَ المُبرِّدُ: بأنهم لا يرجعون، فحذَفَ الجارُ^(٢).

(٣٢) - ﴿وإنَّ كُلَّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وإنَّ كُلَّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾؛ أي: نجتمعهم للحسابِ والجزاءِ على الأعمالِ. من خَفَّفَ جعلَ (إنَّ) هي المُخَفَّفَةُ من المُثَقَّلَةِ، واللامُ هي التي تُلزِمُه، و﴿ما﴾ صلةٌ. ومن شَدَّدَ^(٣) جعلَ (إنَّ) هي النَّافِيَةُ، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى: إلَّا. وأجازَ الفراءُ (لَمِنْ ما) ثمَّ أَدغَمَتِ التَّوْنُ في الميمِ، وحذَفَتِ إحدى الميماتِ^(٤).

(٣٣) - ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْأَيَّتَةُ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْأَيَّتَةُ﴾: اليابسةُ ﴿أَحْيَيْنَهَا﴾ بالمطرِ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: جنسَ الحبوبِ، ﴿فَمِنْهُ﴾: من الحبِّ ﴿يَأْكُلُونَ﴾.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥٩)، وعده من السجائب.

(٢) ذكره مكِّي بن أبي طالب في «الهداية» (٩ / ٦٠٢٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٥٩)، واستغربه.

(٣) هم عاصم وابن عامر وحمزة، شَدَّدُوا الميمَ من (لَمَّا)، وقرأَ الباقرُ بتخفيفها. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٦)، و«الكامل» للهدلي (ص: ٥٧٤)، وجاء في (ف) زيادة: «إن».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٧٧).

و ﴿وَأَيَّةٌ﴾ رَفَعُ بِالْإِبْتِدَاءِ، ﴿لَهُمْ﴾ خَبْرُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَرْتَفِعَ بِالْإِبْتِدَاءِ، ﴿لَهُمْ﴾ صِفَتُهَا، ﴿الْأَرْضُ﴾ خَبْرُهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ تَرْتَفِعَ ﴿الْأَرْضُ﴾ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ﴿أَيَّةٌ لَهُمْ﴾ الْخَبْرُ تَقَدَّمَ لِتَعْدَادِ الْآيَاتِ.

(٣٤) - ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: فِي الْأَرْضِ ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ﴾ اسْمٌ لِلْجَمْعِ، كَعَبِيدٍ وَكَلِيبٍ

﴿وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا﴾: أَجْرَيْنَا ﴿فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾.

(٣٥) - ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ قِيلَ: ثَمَرِ الْمَاءِ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ أَصْلُ الْجَمِيعِ.

وقيل: ثَمَرِ مَا ذَكَرْنَا.

وقيل: ثَمَرِ ذَلِكَ.

ويحتمل: ثَمَرِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا^(١).

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أَي: لَمْ تَعْمَلْهُ أَيْدِيهِمْ بَلْ أَبْدَعْنَاهُ، وَمَنْ حَذَفَ الْهَاءَ^(٢)

جَعَلَ ﴿مَا﴾ مُوَصُولَةً، وَلَهُ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى الثَّمَرِ؛ أَي: وَمِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَرَسِ

وَالْحَرْثِ وَالطَّبِيخِ وَالْحَلَاوِي، وَمَا يُصْنَعُ بِالْأَيْدِي مِنَ الْمَطَاعِمِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٩)، واستغربه.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

والثاني: عطفٌ على ﴿الْأَرْضُ﴾؛ أي: وآيةٌ لهم ما عملت أيديهم.

وقيل: ﴿ما﴾ للمصدر، وفيه ضعفٌ.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: اشكروا نعيي.

(٣٦) - ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا

يَعْلَمُونَ﴾.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: الأجناس والأنواع.

﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾: الحبوب والثمار والحشيش والأشجار.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: الذكور والأنثى.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ فإن في البر والبحر أشياء لا يعلمها الناس.

(٣٧) - ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فَاذَاهُمْ مُظْلِمُونَ﴾.

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ﴾ السَّلَخُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: بمعنى: الإخراج، تقول: سَلَخْتُ الشَّاةَ مِنَ الْإِهَابِ، والشَّاةُ مسلوخةٌ، وتقديرُ الآيةِ على هذا: أخرجنا النهارَ مِنَ اللَّيْلِ إخراجًا لم يبق معه شيءٌ منه.

وقيل: أخرجنا الشمسَ منه^(١).

والثاني: سَلَخْتُ الْإِهَابَ عَنْ^(٢) الشَّاةِ؛ أي: نزعته عنها، وسَلَخَتِ الْمَرْأَةُ جِلْبَابَهَا:

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، واستغربه.

(٢) في (ن): «من».

نَزَعَتْهُ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْآيَةِ عَلَى هَذَا: سَلَخْنَا الضَّوَاءَ الَّذِي هُوَ شِعَاعُ الشَّمْسِ - وَكَانَ كَاللَّبَاسِ لِلهَوَاءِ - مِنَ الهَوَاءِ فَصَارَ لَيْلًا كَمَا يُنَزَعُ اللَّبَاسُ مِنَ الشَّيْءِ.

﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: دَاخِلُونَ فِي الظَّلَامِ.

(٣٨) - ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾؛ أَي: وَآيَةٌ لَهُمُ الشَّمْسُ؛ ﴿تَجْرِي﴾ حَالٌ مِنْهَا، وَفِي الْمُسْتَقَرِّ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لَانْتِهَاءِ أَمْرِهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا.

وَالثَّانِي: مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، وَقَدْ جَاءَ مَرْفُوعًا^(١)، وَهِيَ إِذَا بَلَغَتْ كِبَدَ السَّمَاءِ وَوَسَطَ الْفَلَكَ نِصْفَ النَّهَارِ صَارَتْ كَأَنَّ لَهَا اسْتِقْرَارًا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: إِنَّ لَهَا هُنَاكَ وَقْفَةً مَّا وَإِبْطَاءً عَنِ الزَّوَالِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا بِالْجَوِّ تَدْوِيمٌ^(٢)

وَالثَّلَاثُ: مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةٍ وَسِتِّينَ كُوَّةً، كُلُّ يَوْمٍ مِنْ كُوَّةٍ لَا تَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْكُوَّةِ إِلَى ذَلِكَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨٠٣)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) عَجَزَ بَيْتٌ لَدَى الرِّمَّةِ يَصِفُ جَنْدَبًا، وَهُوَ فِي «دِيْوَانِهِ» (١ / ٤١٨)، وَ«الْعَيْنِ» (٨ / ٨٧)، وَ«الشَّعْرَاءِ» (٢ / ٧٨٩). وَصَدْرُهُ:

مُعْرُورِيًّا رَمَضَ الرِّضْرَاضَ يَرْكُضُهُ

وَالْمَعْنَى: الْجَنْدَبُ بَاشِرُ الرَّمْضَاءِ لَا شَيْءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا يَسْتَرُهُ، وَهُوَ يَضْرِبُ بِرِجْلِهِ الْحَصَى الصَّغَارَ الَّذِي سَخَّنَتْهُ الرَّمْضَاءُ، وَالشَّمْسُ كَأَنَّهَا مَتَحِيرَةٌ، وَهِيَ تَدُورُ فَوْقَ رَأْسِهِ، لَا تَكَادُ تَزُولُ.

اليوم من العام المُقبل، فلا تطلعُ إلا كارهةً لمعاصي بني آدم^(١).
 وزاد الحسنُ البصريُّ لهذا بيانًا فقال: إنَّ للشمسِ ثلاثَ مئةٍ وستينَ مطلعًا،
 تنزلُ كلَّ يومٍ في مطلعٍ منها، ثمَّ لا تنزلُهُ إلى الحولِ^(٢).
 فلا استقرارُ على هذا: ثباتها في منازلها غيرَ متحوِّلةٍ عنها فهي مُستقرُّها^(٣)، وإنْ
 كانت جاريةً فيها غيرَ ساكنةٍ، وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (لا مُستقرُّ لها)^(٤).

(٣٩) - ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾.

﴿والقمر﴾^(٥)؛ أي: وآيةٌ لهم القمر، ويرتفعُ بالابتداءِ أيضًا و﴿قَدَرْنَهُ﴾ خبرُهُ،
 وَمَنْ نَصَبَ فَبفِعْلٍ مُّضَمَّرٍ تَقْدِيرُهُ: وَقَدَرْنَا الْقَمَرَ.
 ﴿قَدَرْنَهُ مَنَازِلَ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:
 أحدها: جعلنا نفسَ القمرِ منازلَ؛ يزيدُ وينقصُ بخلافِ الشمسِ^(٦).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣ / ٢٨٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣ / ٢٨٣) عن ابن عباس أيضًا، ولم أجده عن الحسن.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٦٠)، واستغربه.

(٤) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٧٦)، ونسبت أيضًا لابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح

وأبي جعفر محمد بن علي وأبي عبد الله جعفر بن محمد وعلي بن الحسين. انظر: «تفسير يحيى بن
 سلام» (٢ / ٨٠٨)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣١٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤ / ٢٨٧)،
 و«معاني القرآن» للنحاس (٥ / ٤٩٣)، و«المحتسب» (٢ / ٢١٢).

(٥) ضبط في (ن) و(ف) بفتح الراء، وقد قرأ بها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، ولكن السياق يقتضي
 قراءة الرفع، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٦٠)، واستغربه.

والثاني: قَدَرْنَا سِيرَهُ مَنَازِلَ، فَيَكُونُ ظَرْفًا^(١).

والثالث: قَدَرْنَا لَهُ مَنَازِلَ، فَحُذِفَ الْجَارُ.

ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً: الشَّرَطَانُ، البُطَيْنُ، الثُّرَيَّا، الدَّبْرَانُ، الهَقْفَةُ، الهَنْعَةُ، الدَّرَاعُ، النَّثْرَةُ، الطَّرْفُ، الجَبْهَةُ، الزُّبْرَةُ بضم الزاي، الصَّرْفَةُ، العَوَى بفتح العين مقصورةً، وقد جاء ممدودةً في ضرورة الشعر، السَّمَكُ، العَفْرُ، الزُّبَانِي، وقد يُشْنَى فيقال: الزُّبَانِيَانِ، الإكْلِيلُ، القَلْبُ، الشَّوْلَةُ، النَّعَائِمُ، البَلْدَةُ، سَعْدُ الذَّابِحِ، سَعْدُ السُّعُودِ، سَعْدُ بَلْعٍ، سَعْدُ الأَخْبِيَةِ، فَرغُ الدَّلْوِ المُقَدَّمِ، فَرغُ الدَّلْوِ المُؤَخَّرِ، بطن الحوت، وهو الرِّشَاءُ^(٢).

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾: هو عودُ الشَّمْرَاحِ إِذَا يَسَسَ وَاَعْوَجَّ يُشْبِهُ الهَلَالَ، ووزنه (فُعْلُون) من الانعراج، قاله الزَّجَّاجُ^(٣).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، وعده من العجائب.

(٢) انظر في تفسير هذه المنازل: «الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٢٣)، والرِّشَاءُ: كواكب كثيرة صغار على صورة السمكة، يقال لها: بطن الحوت، وفي سُرِّيها كوكبٌ نيرٌ ينزله القمر. انظر: «الصحاح» مادة: (ر ش ا).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٨). ووقع في مطبوعه: «فعلول»، وكذا نقله عنه المرزوقي

في «الأزمنة والأمكنة» (ص: ٢٢)، والواحد في «البيسط» (١٨/ ٤٨٥).

وكون وزنه «فعلون» بالنون من الانعراج نقله عن الزجاج الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٢٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٠)، وأبو حيان في «البحر» (٩/ ٤٧)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٢٧١)، والنيسابوري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٣)، والآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٣٤٦)، وهو الصواب على أنه من «عرج» والنون زائدة، كما ذكر الآلوسي حيث قال: «ونونه - على ما حكى عن الزجاج - زائدة، فوزنه (فعلون) من الانعراج وهو الاعوجاج والانعطاف».

وليس له في الكلام نظيرٌ، ويجوزُ أن يكونَ فُعلولًا من قولِ رُوْبَةٍ:

فِي خِدرِ مَيَّاسِ الدَّمى مُعْرَجِنِ^(١)

المُعْرَجِنُ: المُصَوَّرُ بصورِ العُرْجونِ.

الأزهرِيُّ: العُرْجونُ نبتٌ مثلُ الذُّونونِ^(٢).

وأوَّلُ القصيدةِ:

يا أَيُّها الكاسِرُ عَيْنِ الأَغْضَنِ^(٣)

و﴿القَدِيرُ﴾: العَتِيقُ.

وقيل: هو الذي أتى عليه الحولُ.

(٤٠) - ﴿لَا السَّمْسُ يَبْغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ﴾.

﴿لَا السَّمْسُ يَبْغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ ابنُ عيسى: ﴿لَا

(١) الرجز لرؤية، وهو في «ديوانه» (ص: ١٦١)، و«تهذيب اللغة» (٣/ ٢٠٥)، و«الخصائص»

(١/ ٣٦٠). وقبله:

أَوْ ذَكَرُ ذَاتِ الرَّبِّذِ الْمُعَهَّنِ

(٢) لم أجده عن الأزهرى بهذا اللفظ، ولكن أثبت الأزهرى أن العرجون من الكمأة، والذنون كذلك.

انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٠٥)، و«المخصص» (٣/ ٢٨٣)، و«اللسان» (٧/ ٢٣٥)، وفي «مجالس

ثعلب» (ص: ٩٨): «والعرجون أبيض مثل الذونون والذآنين، تأكله الإبل وتنشط بألبانها الرجال».

وفي «اللسان» مادة: (ذ أن): «الذُونُونُ والعُرْجُونُ والطُّرُوثُ مِن جنسٍ: وهو ممَّا يَنْبُتُ فِي الشِّتَاءِ،

فإِذَا سَخَنَ النَّهَارُ فَسَدَ وَذَهَبَ».

(٣) انظر: «ديوان رؤية» (ص: ١٦٠).

الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴿١﴾ فِي سُرْعَةِ سَيْرِهِ (١).

وقال أيضًا: ﴿وَلَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ حَتَّى يَكُونَ نَقْصَانُ ضَوْئِهَا كَنَقْصَانِهِ، ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، وَكُلٌّ عَلَى مَقَادِيرَ قَدَّرَهَا اللَّهُ.

الزَّجَاجُ: لَا يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا بِمَعْنَى الْآخِرِ (٢)، وَرِضِيهِ الْمُحَقِّقُونَ.

وقيل: لَا يُدْرِكُ أَحَدُهُمَا ضَوْءَ الْآخِرِ.

﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾؛ أَي: مِمَّا يَتَعَاقَبَانِ، وَلَا يَسْبِقُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فِي فِئْوَتِهِ.

وَيَحْتَمِلُ: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ لِاخْتِلَافِ مَكَائِهِمَا؛ لِأَنَّ (٣)

الْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالشَّمْسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ لِاخْتِلَافِ زَمَانِيهِمَا (٤)؛ فَإِنَّ زَمَانَ النَّهَارِ وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَزَمَانَ اللَّيْلِ وَقْتُ غِيَبَتِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا: أَنَّ الْمَعْنَى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ، وَلَا الْقَمَرُ يَنْبَغِي

لَهُ أَنْ يُدْرِكَ الشَّمْسَ، فَكُنِيَ عَنِ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ وَعَنِ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٦).

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَاكِ﴾؛ أَي: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْكَوَاكِبُ ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَسِيرُونَ فِيهِ

بِانْبِسَاطٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ (٧) انْبَسَطَ فِي شَيْءٍ فَقَدْ سَبَحَ فِيهِ.

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١٩٢/٢) بلا نسبة

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/٢٨٨).

(٣) في (ف): «فإن».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٦١)، واستغربه.

(٥) في (ف): «زمان».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٦١)، واستغربه.

(٧) في (ف): «من».

(٤١) - ﴿وَأَيُّ لَهْمٌ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾.

﴿وَأَيُّ لَهْمٌ أَنَا حَمَلْنَا﴾: رَفَعْنَا، وَالْحَمْلُ: مَنَعُ الشَّيْءِ أَنْ يَصِيرَ إِلَى جِهَةِ السُّفْلِ.

وقيل: قَوَيْنَاهُمْ عَلَى اتِّخَاذِ ذَلِكَ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَيْهِ.

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قُرِئَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْجَمْعِ^(١)، وَفِيهَا هَاهُنَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: الأبناء؛ لأنهم كانوا يترفهون ويبعثون بأبنائهم إلى التِّجَارَاتِ بَرًّا وَبِحَرًّا.

الثاني: آبائهم؛ يعني: النَّاجِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَ(الذُّرِّيَّةُ) عَلَى هَذَا مِنَ الْأَضْدَادِ.

الثالث: هم أنفسهم، وَالتَّقْدِيرُ: حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ بِحَمَلِنَا آبَاءَهُمْ؛ لِأَنَّ الذُّرِّيَّةَ فِي

ظُهُورِهِمْ.

﴿فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ الْفُلُّ هُوَ سَفِينَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَنْ جَعَلَ الذُّرِّيَّةَ

الآبَاءَ، وَمَنْ جَعَلَ الذُّرِّيَّةَ الْأَبْنََاءَ فَالْفُلُّ عَامٌّ، وَمَنْ جَعَلَ ذُرِّيَّتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ فَالْفُلُّ

مَحْمُولٌ عَلَى الْوَجْهَيْنِ مَعًا^(٢).

و(المشحون): المملوء، وقد سبق.

(٤٢ - ٤٣) - ﴿وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾^(٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ

يُقَدَّرُونَ﴾.

﴿وَحَلَقْنَا لَهُمْ﴾: لِأَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾: مِثْلُ الْفُلِّ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: يَعْنِي:

مَا اتَّخَذُوهُ عَلَى مِثَالِ سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) قرأ نافع وابن عامر بالجمع وكسر التاء، والباقون بالتوحيد وفتح التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)،

و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٢) في (ف): «ومن جعل الذرية هم أنفسهم فمحتمل الفلك الوجهين معًا».

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أراد به الإبل، وأنَّ الإبل سُنْفُنُ البرِّ^(١).
وقيل: الفرسُ والبغلُ، وسائرُ ما يُركَبُ مِنَ الدَّوَابِّ. وفيه أدنى ضعفٍ؛ لقوله:
﴿وَلِنْ نَشَأُنْغِرِقَهُمْ﴾؛ أي: في البحر.

﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ هناك؛ أي: لا مُعِيثَ، وقيل: لا مُسْتَعِيثَ.
والصَّرِيخُ والصَّارِحُ: المُعِيثُ. والصَّرِيخُ والصَّارِحُ: المُسْتَعِيثُ.
ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَلَاهُمْ يُفْقَدُونَ﴾؛ أي: لا يُنْقِذُهُمْ أَحَدٌ سِوَانَا.

(٤٤) - ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾؛ أي: إلَّا أن نرحمَهُم ونُمتِعَهُم إلى انقضاءِ
أجَالِهِم، فهما منصوبانِ على المفعولِ له.

(٤٥ - ٤٦) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ

مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: مثل ما نزلَ بَمنَ قبلكم مِنَ العذابِ ﴿وَمَا
خَلْفَكُمْ﴾: عذابَ الآخرة.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: أمرَ الدُّنيا ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: أمرَ الآخرة.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: الدُّنيا.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: وأحسِنُوا العَمَلَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٤٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣١٩٧)، وذكره

المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٦٢)، واستغربه.

وقيل: تحرّزوا عن ذنوبكم التي بين أيديكم بالتوبة، وما خلفكم بالاجتناب عنه .

وجوابُ ﴿إِذَا﴾ مُضْمَرٌ؛ أي: أعرضوا، وجاز حذفه لأنّ قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يدلُّ عليه و﴿مَنْ﴾ الأولى لتحقيقِ النَّفْيِ، والثانية للتَّبَعِيضِ.

(٤٧) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: لمُشْرِكِي مَكَّةَ: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: تصدّقوا على الفقراء .
 ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ﴾ قالوها استهزاءً؛ أي: لا نُطْعِمُهُمْ ولا نُعْطِيهِمْ، ولم يعرفوا أنّ الله أمرهم بذلك تعبدًا وامتحانًا للعباد .
 ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من تمام كلامهم لمن أمرهم بالإنفاق .

وقيل: جوابٌ من الله لهم .

وقيل: أمرٌ للمؤمنين؛ أي: قولوا لهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .

(٤٨) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعنون: وَعَدَ الْبَعْثِ .

وقيل: إِنَّمَا ذُكِرَ بِلَفْظِ الْوَعْدِ دُونَ الْوَعِيدِ لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ لَهُمُ الْحَسَنَى عِنْدَ اللَّهِ
إِنْ كَانَ الْوَعْدُ حَقًّا.

(٤٩) - ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾؛ أي: ما يَنْتَظِرُونَ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: هي النَّفْخَةُ الْأُولَى،
وَالنَّفَخَاتُ ثَلَاثٌ: نَفْخَةُ الْفَرْعِ، وَنَفْخَةُ الصَّعْتِ، وَنَفْخَةُ الْبَعْثِ.

﴿تَأْخُذُهُمْ﴾: تَلْحَقُهُمْ لِحُوقِ الْمُتَنْتَظِرِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يَنْتَظِرُونَهُ.

﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يَخْتَصِمُونَ؛ يُخَاصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قِيلَ: فِي تِلْكَ السَّاعَةِ.

وقيل: يَخْتَصِمُونَ الْآنَ فِي دَفْعِ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ وَيُنْكِرُونَ.

وقيل: يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمُ الْغَلْبَةَ فِي الْخِصَامِ.

(٥٠) - ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ يُوصِيَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ يَرْجِعُونَ، بَلْ يَمُوتُونَ حَيْثُ يَسْمَعُونَ.

(٥١) - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هي النَّفْخَةُ الثَّلَاثَةُ، وَالصُّورُ: صُورُ إِسْرَافِيلَ يَنْفُخُ فِيهِ، وَهُوَ

قَرْنٌ فِيهِ أَرْوَاحُ الْمَوْتَى.

وذهب أبو عبيدة إلى أنه جمع صورة^(١)، كصوفية وصوف؛ أي: يُنفخ في الأجسام فيحيون.

﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: جمع جدث وجدف، وهو: القبر، وأجمعوا على الثاء في الجمع.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون، ونسل: خرج من مضيق.

(٥٢) - ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾؛ أي: قبورنا، وفي تسميته مرقدا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن العذاب يُخَفَّفُ عنهم أربعين سنةً بين النَّفْخَتَيْنِ.

والثاني: من عظم ما صاروا إليه عدوا ما كانوا فيه من العذاب رُقودًا.

والثالث: كانوا في الدنيا مختلطة عقولهم، فبعثوا كذلك، فظنوا أنهم كانوا نيامًا.

وقوله: ﴿هَذَا﴾ يجوز أن يكون من صفة ﴿مَّرْقَدِنَا﴾.

﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ مبتدأ، وخبره مُضْمَرٌ؛ أي: حق.

وقيل: تقديره: بعثكم ما وعد الرحمن، فيكون جوابًا من الملائكة^(٢).

ويجوز أن يكون ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، وما بعده خبره، وهو الأحسن، واختلَفَ في

قائله:

فقال بعضهم: هذا أيضًا من كلام الكفار؛ أي: يؤمنون يومئذ فلا ينفعهم إيمانهم.

وقال بعضهم: يقول لهم الملائكة كما سبق.

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ١٩٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤ / ٢٩٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٦٣)، واستغربه.

وقال بعضهم: يقول لهم المؤمنون؛ يُجيبون به الكفار.

(٥٣) - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾: ما كانت؛ أي: الفِعلَةُ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي: النَّفْخَةُ الأخيرةُ ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

(٥٤) - ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَنْظُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تَنْظُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يجوزُ أن يكونَ ﴿مَا﴾ مفعولًا، ويجوزُ أن يكونَ التَّقْدِيرُ: بما، فحُذِفَ الجارُّ.

(٥٥) - ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ﴾: في التَّلَذُّذِ بنعيمِ الجنةِ.

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: هو افتِضاضُ الأَبْكَارِ^(١).

وعن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُدْنَ أَبْكَارًا»^(٢).

وقيل: في شُغْلٍ عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ.

(١) رواه ابن وهب في «جامعه - التفسير» (٢/ ٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٠).

(٢) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٤/ ١٩٩)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢٤٩)، وأبو

الشيخ في «العظمة» (٥٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٣١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة»

(٣٦٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٧): «رواه البزار والطبراني في الصغير، وفيه

معلًى بن عبد الرحمن الواسطي، وهو كذاب».

وقيل: في السَّماعِ.

وقيل: في ضيافةِ الله.

وقيل: في زيارةِ بعضهم بعضًا.

﴿فَكَهُونٌ﴾ و﴿فَكَهُونٌ﴾^(١) لغتان.

وقيل^(٢): الفَاكِهَةُ: كثيرُ الفاكهةِ، كالألابنِ والتَّامِرِ. والفَكِهُ: الذي يتناولُ الفاكهةَ أو الطَّعامَ وغيره.

وقيل: ﴿فَكَهُونٌ﴾: فَرِحُونَ، و﴿فَكَهُونٌ﴾: مُعْجَبُونَ.

(٥٦) - ﴿هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَايِكِ مُتَّكِنُونَ﴾.

﴿هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾: حلائلهم ﴿فِي ظِلِّ﴾: جمعُ ظِلَّةٍ، وهي^(٣): ما استرك عن الشَّمسِ.

و﴿ظِلِّ﴾ يجوزُ أن يكون جمعَ ظِلِّ كحَلَّةٍ وحَلَلٍ وحِلَالٍ، ويجوزُ أن يكون جمعَ ظِلٍّ، وهو: الموضعُ الذي لا تقعُ عليه الشَّمسُ.

﴿عَلَى الْأَرَايِكِ مُتَّكِنُونَ﴾: جمعُ أريكةٍ، وهي: السُّرُرُ في الجِجالِ.

ابنُ عيسى: هي الوسائدُ^(٤).

وقيل: الفُرُشُ.

(١) قرأ بكسر الكاف أبو جعفر، و﴿فَكَهُونٌ﴾ قراءة باقي العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٢) في (ف): «ويقال».

(٣) في (ف): «هو».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٣٠) عن أبي عوسجة.

(٥٧) - ﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ .

﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾: يفتعلون من الدعاء؛ أي: لهم فيها ما يدعون الله به.

وقيل: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾: ما يتمنون.

وقيل: من ادعى في الجنة شيئاً فهو له؛ لأنهم لا يدعون إلا ما يحسن، وليس ثم حُصومة ولا مُنازعة^(١).

ويحتمل: وللمؤمنين في الجنة ما يدعون في الدنيا من الثواب والدرجات فيها ويُنكره الكافرون.

(٥٨) - ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ .

﴿سَلِّمْ﴾؛ أي: لهم ما يدعون سلاماً خالصاً لهم، وتم الكلام، ثم قال: ﴿قَوْلًا﴾؛ أي: أقول قولاً.

وقيل: تقديره: لهم ما يدعون، ولهم مع ذلك سلاماً.

وقيل: ﴿سَلِّمْ﴾ بدل من ﴿مَا يَدْعُونَ﴾، ونُصِبَ ﴿قَوْلًا﴾ على المصدر؛ أي: لهم سلاماً يقوله الله قولاً.

وقيل: لهم سلامة من النار.

وقيل: تُحْيِيهِم الملائكة بالسَّلام.

وقيل: ﴿قَوْلًا﴾ نُصِبَ على تقدير: ولهم ما يدعون قولاً ﴿مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾؛ أي:

عِدَّةٌ مِنَ اللَّهِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٣)، واستغربه.

(٥٩) - ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾.

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ السُّدِّيُّ: كونوا على حِدَةٍ^(١).

قتادة: اعتزلوا عن كلِّ خير^(٢).

وقيل: تميزوا عن المؤمنين.

وقيل: معناه: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

الضَّحَّاكُ: لكلِّ كافرٍ في النَّارِ بيتٌ يدخلُ فيه، ويُردُّمُ بابه بالنَّارِ - أي: يُسَكِّنُ - فيكونُ فيه أبدَ الأبدِين، لا يرى ولا يُرى^(٣)، نعوذُ بالله من النَّارِ.

(٦٠ - ٦١) - ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ

أَعْبُدُونِي﴾ يقولُ لهم يومَ القيامةِ.

والمُرَادُ بالعهدِ: ما عهِدَ إليهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي عَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾

[الأعراف: ١٧٢].

وقيل: ألم أعهد إليكم بإرسالِ الرُّسُلِ وإنزالِ الكُتُبِ، والمعنى: ألم أمرُّكم؟

ألم أوصيكم؟

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٩٤)، والواحدي في «البيسط» (١٨ / ٥٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٤٦٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٢٩٤)، والواحدي في «البيسط» (١٨ / ٥١٠).

وقوله: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾؛ أي: الأصنام؛ لأنهم عبدوها بأمره فكأنهم

عبدوه.

وقيل: لا تُطيعوه.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: دينٌ قِيمٌ.

ويحتمل أن يكون هذا من خطابِ الله عباده في الدنيا.

(٦٢) - ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا﴾؛ أي: خلقًا ﴿كَثِيرًا﴾ وفيه لغاتٌ، واشتقاقه من جبلة؛

أي: خلقه وطبعه.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ استفهامٌ تقريري على تركهم الانتفاع بالعقل.

(٦٣ - ٦٤) - ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ﴾.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿أَصَلَوْهَا﴾: ذوقوا حرَّها.

وقيل: ادخلوها.

وقيل: الرَّمُوها.

(٦٥) - ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾: نمنعها عن الكلام، وذلك إذا كذبوا الرُّسُلَ وقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَجِيءُ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَةً أَفْوَاهِهِمْ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ عَنْهُ لَفَخِذُهُ وَيَدُهُ»^(١).
فيه أربعة أفعال:

أحدها: أَنَّ اللَّهَ يُمَكِّنُهَا مِنَ الْكَلَامِ، وَيَجْعَلُ لَهَا خِلْقَةً تَصْلُحُ لِلنُّطْقِ.

وقيل: الْمُتَكَلِّمُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، إِلَّا أَنَّهُ يُسْمَعُ مِنْ جِهَتِهَا فَنَسَبَ إِلَيْهَا.

وقيل: كَلَامُهَا دَلَالَتُهَا عَلَىٰ أَعْمَالِهَا، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا نَظَرْتُ نَحْوِي تَكَلَّمَ طَرْفُهَا وَجَاوَبَهَا طَرْفِي وَنَحْنُ سَكُوتٌ^(٢)

وقيل: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُؤَكَّلِينَ بِأَعْضَاءِ بَنِي آدَمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ.

(٦٦) - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾؛ أَي: أَعْمَيْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾:

طَرِيقَ مَنْزِلِهِمْ، ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ الطَّرِيقَ وَقَدْ أَعْمَيْنَاهُمْ؟

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٤٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤١٦٠)، والطبراني

في «الكبير» (٩٧٣/١٩)، من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ. قال الهيثمي في

«معجم الزوائد» (٣٥١ / ١٠): «رواه أحمد في حديث طويل، ورجاله ثقات».

(٢) البيت للتحيف العجلي كما في «الدر الفريد» (٢٥٠ / ٣).

وقيل: أعميٰناهم عن الهدى، فأنى يُبصرونَ طريقَ الرِّشادِ؟
 وقيل: ولو نشاء لفقأنا أعينَ ضلاليتهم فأبصروا الرُّشدَ وبادرُوا إلى الإيمانِ
 والطَّاعةِ، فأنى يُبصرونَ ولمْ نفعلْ ذلك^(١)؟
 والطَّمْسُ: مَحُو الشَّيْءِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ.

(٦٧) - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا
 يَرْجِعُونَ﴾.
 ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾: صَيَّرناهم قردةً وخنازيرَ ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: في
 منازلهم.

وقيل: على المكان؛ أي: ساعتئذٍ، والمكانُ والمكانةُ واحدٌ^(٢).
 وقيل: معنى ﴿لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: لأقعدناهم عن أرجلهم.
 ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: مجيئًا وذهابًا.
 وقيل: ما قدرُوا أن يُجاوِزُوا تكذيبهم، ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ولا يتوبون.
 وقيل: ﴿لَمَسَخْنَاهُمْ﴾: جعلناهم حجارةً ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: حيث كانوا.
 والمسَّخُ: نهايةُ النِّكَالِ والتَّنْكِيلِ.

(٦٨) - ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.
 ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾؛ أي: مَنْ أَطْلَنَّا عُمُرَهُ رَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَرْضِ الْعَمْرِ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٤)، واستغربه.

وقيل: نُصِيْرُهُ إِلَى الضَّعْفِ بَعْدَ الْقُوَّةِ، وَإِلَى النُّقْصَانِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ.
وعن سُفْيَانَ: إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ ثَمَانِينَ سَنَةً تَغَيَّرَ جِسْمُهُ^(١).
﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

(٦٩) - ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ؛ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ قال عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ: مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ شِعْرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾^(٢).

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أَنْ يَقُولَ شِعْرًا^(٣)؛ لِأَنَّهُ يُورِثُ شُبُهَةً.

﴿إِنْ هُوَ﴾ مَا هُوَ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ لِلخَلْقِ ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ ظَاهِرُ الشِّعْرِ كَلَامٌ
مُوزُونٌ مُقْفَى، وَالْبَيْتُ الْوَاحِدُ لَا يَكُونُ شِعْرًا؛ لِأَنَّ الْقَافِيَةَ تَظْهَرُ بِالْبَيْتِ الثَّانِي، وَلَمْ
يَكُنْ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَبْعٌ^(٤) شِعْرًا؛ لِأَنَّ صِنْعَهُ وَلَا رِوَايَةَ؛ فَإِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَرَادَ
النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتِمَثَّلَ بَيْتَ أَخِي قَيْسٍ فَقَالَ: «سُتَبْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ
مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ: وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ
تُزَوِّدْ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا عَلَّمْتُ الشِّعْرَ، وَمَا يَنْبَغِي لِي»^(٥).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٣٠١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٠٠) مقتصرًا على قوله: «ثمانين سنة».

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣ / ٥٨٤).

(٣) في (ف): «الشعر».

(٤) «طبع»: ليس في (ف).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩ / ٤٨٠)، والثعلبي في «تفسيره»

(٢٢ / ٣٠٤)، من طريق قتادة عن عائشة رضي الله عنها، وفيه انقطاع؛ لأن قتادة لم يسمع من عائشة.

وما رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ من مثلِ قوله:

هل أنتِ إلا إصبعٌ دَمِيَتْ وفي سبيلِ الله ما لقيت^(١)
وقوله:

أنا النَّبِيُّ لا كَذِبٌ أنا ابنُ عبدِ المُطَلِّبِ^(٢)
ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ﷺ قال: «دَمِيَتْ» من غيرِ إشباعٍ، و«لَقَيْتُ» بالسُّكُونِ للوقوفِ، فلا يكونُ موزونًا، وكذلك «لا كَذِبٌ» بالفتح، و«المطلِّبِ» بالكسرِ.

والثاني: أن هذا رَجَزٌ، والرَّجَزُ غيرُ الشُّعْرِ، والرَّاجِزُ غيرُ الشَّاعِرِ، وديوانُ رُؤْبَةٍ والعجاجِ كلُّه رَجَزٌ، وليس فيه بيتُ شعْرٍ، والرَّجْزُ يأتي تامًّا مُسَدَّسًا ومجزوءًا ومشطورًا^(٣) ومنهوكًا، حتَّى إنَّ عبدَ الصَّمَدِ بنَ المُعَدَّلِ^(٤) صنعَ قصيدةً على جزءٍ واحدٍ، منها:

هذا الرَّجُلُ

لَمَّا احتَقَلَ

أهدى بصلِّ

(١) رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦)، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «أو مشطورًا».

(٤) عبد الصَّمَدِ بن المُعَدَّلِ بن غيلان البصري من فحول الشعراء، له أشعار كثيرة منها قصيدة على حروف المعجم في أوائلها وآخرها. توفي سنة (٢٤٠هـ). انظر: «المؤتلف والمختلف» (٤/٢١٣٤)، و«تاريخ الإسلام» (٨٧١/٥).

فَجَعَلَ كَلَّ «مُسْتَفْعِلْنَ» بَيْتًا^(١).

وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْقَوْلَ، وَقَالَ: إِنَّ الرَّجْزَ وَالْهَزْجَ وَالرَّمَلَ مِنْ دَائِرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْهَزْجُ وَالرَّمَلُ شَعْرٌ، فَكَذَلِكَ الرَّجْزُ، وَأَمَّا مَجِيئُهُ مَشْطُورًا وَمَنْهُوًكَ فَلَا يُخْرِجُهُ عَنِ الشُّعْرِ، فَقَدْ جَاءَ:

هَلْ بِالذِّيارِ إِنْسٌ

وليس برجز، وهو دون المنهوك في عدد^(٢) الحروف والحركات.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ اللَّهَ نَفَى الشُّعَرَ عَنِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعَرَ﴾، إِنَّمَا عَلَّمْنَاهُ الْقُرْآنَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ: الْقُرْآنُ شَعْرٌ^(٣).

وقيل: وما يَنْبَغِي لِلْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ شَعْرًا.

وَالْقَوْلُ هُوَ الْأَوَّلُ، فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَرَى عَلَى لَفْظِهِ:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيَّتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

انْقَطَعَ الْوَحْيُ مُدَّةً مَدِيدَةً حَتَّى قَالَتِ الْكَفَّارُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]^(٤).

(١) ذكر المصنف القول الثاني في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «عدة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٦) وعده من العجائب.

(٤) رواه بتمامه الترمذي (٣٣٤٥) من حديث جندب البجلي رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح».

ورواه البخاري ومسلم فجعلاه حديثين: الأول: رواه البخاري (٦١٤٦)، ومسلم (١٧٩٦)، عن

جندب قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت إصبعه، فقال: «هل أنت إلا

إصبع...».

وهذا أحد ما قيل في سبب انقطاع الوحي تلك الأيام، والله أعلم.

(٧٠) - ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: ليُنذِرَ مُحَمَّدٌ.

وقيل: ليُنذِرَ القرآنُ.

ومن قرأ بالتاء: ﴿لَتُنذِرَ﴾^(١) يا مُحَمَّدُ.

﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعني: المؤمنين، وخصَّهم بالذكر لانتفاعهم به.

وقيل: مَنْ كان حَيًّا في القلب.

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾: وَيَجِبُ الْعَذَابُ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وهذا مُطَابِقٌ معنًى؛ أي: وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى مَنْ كان ميتاً؛ لأنَّهم في عدادِ الموتى.

وقيل: ليَحِقُّ الْقَوْلُ فلا يكون للناسِ على الله حِجَّةٌ بعد الرُّسُلِ.

(٧١) - ﴿أَوْلَتْرَبْرُؤًا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمْنَا لَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾.

﴿أَوْلَتْرَبْرُؤًا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمْنَا﴾؛ أي: خَلَقْنَا لانتفاعهم

واعتبارهم، وذَكَرُ الأيدي يُفيدُ أَنَّ الله خَلَقَهَا بذاته سبحانه من غير واسطة.

﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ فيه قولان:

= والثاني: رواه البخاري (٤٩٨٣)، ومسلم (١٧٩٧): قال جنذب: «اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلة أو

ليلتين، فأنته امرأة، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ

﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾».

(١) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٥).

أحدهما: ضابطون قابضون، من قول الشاعر:
 أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا^(١)
 والثاني: ما لكون ملك اليمين؛ أي: خلقناها وجعلناها ملكاً لهم.

(٧٢) - ﴿وَدَلَلْنَاهُمْ فَمَنَّارِكُوبِهِمْ وَمِنِّهَايَا كُؤُونَ﴾.

﴿وَدَلَلْنَاهُمْ﴾: صيّرناها منقادة لهم ﴿فَمَنَّارِكُوبِهِمْ﴾ الرُّكُوبُ: ما يُرَكَبُ، وهو جمعٌ، وكذلك الحَلُوبُ ما يُحَلَبُ، والرُّكُوبَةُ: تكونُ واحداً وجمعاً.
 ﴿وَمِنِّهَايَا كُؤُونَ﴾؛ أي: سخرناها لهم؛ ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها.

(٧٣) - ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: في نسلها، ودرّها، وُصُوفِهَا، وشعرها، والحمل عليها
 ﴿وَمَشَارِبٌ﴾؛ أي: ألبانها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نَعَمْ اللهُ؟ استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

(٧٤) - ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يَنْصَرُونَ﴾.

﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يَنْصَرُونَ﴾؛ أي: لعل أصنامهم تنصرهم إذا
 حزبهم أمرٌ.

(١) للربيع بن ضبع الفزاري كما في «الكتاب» (١/ ٨٩)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٤٩)، و«الحماسة» للبحري (ص: ٣٩٩)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٧).

(٧٥) - ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ .

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾؛ أي: خاب أملهم، ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ بل الكفار ينصرون الأصنام ويدبونها عنها.
وقيل: ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الأصنام، ﴿لَهُمْ﴾: للكفار ﴿جُنْدٌ﴾: تبع ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ في النار.

(٧٦) - ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ فيه قولان:
أحدهما: قولهم في الله: إن له شريكاً وولداً، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنجازيهم على أقوالهم وأفعالهم.
والثاني: قولهم فيك: إنك شاعرٌ ومجنونٌ.
وقيل: ﴿قَوْلُهُمْ﴾: تهديدهم إياك بالقتل ووعيدهم، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنحول بينك وبينهم.

(٧٧) - ﴿أَوْلَتِ بَرَآئِنَ الْإِنْسَانِ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ .

﴿أَوْلَتِ بَرَآئِنَ الْإِنْسَانِ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: منطبق، جدل، بارع، لسين.

وقيل: هذه صفة ذم؛ أي: خلقناه أحسن ما يكون، ثم هو يُجادِلُنَا وَيُخَاصِمُنَا نَبِيَّنَا وَيُنْكِرُ قُدْرَتَنَا.

واختلفوا في نزوله؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في عبد الله بن أبي^(١).

سعيدُ بنُ جبَّيرٍ: في العاصِ بنِ وائلٍ^(١).

الحسنُ: في أميةَ بنِ خلفٍ^(٢).

قتادةُ: في أبي بنِ خلفٍ، وعليه الأكثرون، وذلك أنه أتى النبيَّ ﷺ بعظمِ حائلٍ قد بلي، ففتته بيده وقال: يا محمد، أترى أن الله يُحيي هذا بعدما رمَّ؟! فقال ﷺ: «نعمُ وبيعتكُ ويدخلك النار»، فأنزل الله هذه الآية^(٣).

(٧٨) - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾؛ أي: خَلَقْنَا إِيَّاهُ، مصدرٌ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ.

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ تقول: رَمَّ الشَّيْءُ وَرَمَمْتُهُ، وهي ك: كَفَّ

خَضِيبٌ، وَعَيْنٌ كَحِيلٍ^(٤).

(٧٩) - ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾: خَلَقَهَا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابتداءً حين أَوْجَدَ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه أجزاءه وإن تفرقت في البرِّ والبحرِ،

فيجمعه ويُعيدُه خلقًا كما كان.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٨٧/١٩)، والحاكم في «المستدرک» (٣٦٠٦) من طريق سعيد بن

جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣٧/٨)، والواحدي في «البيسط» (٥٢٥/١٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦/٢)، والطبري في «تفسيره» (٤٨٦/١٩)، عن قتادة.

(٤) أي: تدلُّ على المؤنث بلا تاء؛ لأنها جاءت على (فعليل) بمعنى: مفعول، وقد سبق ذكره مراراً.

(٨٠) - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يريد شجرة المَرخ والعفار، فمن أراد منهم النار قطع غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ وهو ذكراً، على العفار وهي أنثى، فتخرج منهما النار، وتقول العرب: في كل شجر ناراً، واستمجد المرخ والعفار^(١).
وفي التفسير: كل شجر فيه نار إلا العناب^(٢).

(٨١) - ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ

الْعَلِيمُ﴾ .

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ لأنهم مقررون

بذلك، ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم يقولون: بلى.

والثاني: فإن أجابوك وإلا فقل: بلى؛ إذ ليس له جواب غير ذلك.

﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ .

(١) يضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض أي لكل واحد من هؤلاء فضل إلا أن فلاناً أفضل. انظر: «جمهرة الأمثال» (٩٢ / ٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٥٢٨ / ١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣١٢ / ٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٢٩ / ٧) عن الحكماء.

(٨٢) - ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ﴾ : لذلك الشيء، وقيل: لأجله.

﴿كُنْ﴾ سبق في أول (البقرة).

﴿فَيَكُونُ﴾ ؛ أي: فهو يكونُ على ما قدرَ وأراد.

(٨٣) - ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ؛ أي: نزهوه عن الوصفِ بالعجزِ عمَّا

أراد.

والملكوت: المُلْكُ بأبلغ الألفاظ، ولا يكونُ إلا لله وحده.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إمَّا إلى جنَّة، وإمَّا إلى نارٍ.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مئة واثنتان وثمانون آية^(١)، مكِّيَّة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) - ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّلِيَّتِ ذِكْرًا ۝﴾.

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّلِيَّتِ ذِكْرًا ۝﴾ ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن المراد بالثلاثة الملائكة^(٢)؛ لأنهم صفوف في السماء كصفوف المصلين في الأرض، ولأنها تزجر عن معاصي الله، وقيل: تزجر السحاب؛ تسوقه إلى حيث أمر الله، ولأنها تتلو كتاب الله على الأنبياء عليهم السلام.

وذهب ابن بحر إلى أن المراد بالثلاثة: المصلون من الناس، قال: والزجر والصيحة واحد؛ أي: يرفعون أصواتهم بتلاوة القرآن في الصلاة فهم الزاجرات التاليات.

وقيل: الصافات: الطيور في الهواء^(٣).

(١) في (ن): «مائة وثمانون واثنتان آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت. وانظر: «البيان في عدد آي القرآن» (ص: ٢) وفيه: «وهي مئة وثمانون آية في البصري وأبي جعفر القارئ، وأيتان في عدد الباقيين»، و«الكشاف» (٣٣/٤) وفيه: «هي مئة وإحدى وثمانون، وقيل: واثنتان وثمانون آية».

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١١)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٧/٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٦٩/٢)، وعده من العجائب.

وقيل: الزاجرات: آيات القرآن^(١).

وقيل: التاليات ذكراً: آيات القرآن أيضاً.

وقيل: التاليات ذكراً: قراء القرآن^(٢).

ويحتمل أن المراد بالثلاثة: الغزاة^(٣)، كقوله: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾ [العاديات: ١]؛ فهم الصافات في الحرب، الزاجرات للكفار^(٤)، التاليات ذكر الله بالتكبير والتهليل والتسبيح.

والصَّفُّ: ترتيب الشيء على نسق، كالصَّفِّ في الصلاة، والصَّفُّ واحدٌ، والصَّافَةُ جمعٌ، والصَّافَاتُ: جمع الصَّافَةِ.

والزَّجْرُ: الصَّرْفُ عن الشيء بخوفٍ وتخويفٍ.

والتَّلَاوَةُ: القراءة، والتَّلْوُ: الاتِّبَاعُ.

أقسم الله بهذه الأشياء تعظيماً لها وتشريفاً.

وقيل: ورب الصافات، وكذلك ﴿وَالذَّرِيَّتِ﴾ ﴿وَالطُّورِ﴾ ﴿وَالنَّجْمِ﴾ وغيرها.

(٤) - ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ جواب القسم رداً على من قال: ﴿أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾

[ص: ٥].

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، واستغربه.

(٤) في (ن): «والزاجرات الكفار».

(٥) - ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾؛ أي: مطالع الشمس، ولها ثلاث مئة وستون مطلعاً، وكذلك المغارب.

وقيل: لها مئة وثمانون مشرقاً، فإذا انتهى إلى آخرها رجعت.

وقيل: كل ما طلع عليه الشمس من الأرض فهو مشرق، وكل ما غرب عنه الشمس فهو مغرب.

(٦) - ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾.

﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ تأنيث الأدنى، وهي التي تدنو من الأرض.

﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ من جرّها غير منوثة فللاضافة، ومن جرّها منوثة فبالبدل، ومن نصبها فعلى محلّ الجارّ والمجرور^(٥).

وقيل: بدل من ﴿السَّمَاءِ﴾.

وقيل: زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب.

(٧) - ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾.

﴿وَحِفْظًا﴾؛ أي: وحفظناه حفظاً ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ خالٍ عن الخير خبيث.

(٥) قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿بِزِينَةِ﴾ منوثة ﴿الكواكب﴾ نصباً، وقرأ عاصم في رواية حفص وحمره: ﴿بِزِينَةِ﴾ منوثة ﴿الكواكب﴾ خفضاً على البدل، والباقون: ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ مضافة.

انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٦ - ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦)

(٨) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾؛ أي: إلى كلام الملائم الأعلى، وهم الملائكة، وتقديره: أن لا يسمعون؛ أي: لئلا يسمعون، فلما حذف (أن) رُفِعَ الفعل، وعداه بـ ﴿إِلَى﴾ لأنه في معنى الإصغاء.

وقيل: (سَمِعْتُ إليه) بمعنى: صرَفْتُ إلى جهته سمعي.

قُرِيءَ: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف^(١)؛ فمن شدد فأصله: يتسمعون، فأدغم، ومن خفف جعله من: سمع يسمع.

ابن عباس رضي الله عنهما: يتسمعون ولا يسمعون^(٢).

الحسن: لا يسمعون الوحي، ويختطفون الخطفة مما سوى ذلك فيلقون إلى الكهنة^(٣).

﴿وَيُقَذِفُونَ﴾ تقول: قذفت الشيء: طرحته، وقذفته بالحجر^(٤): رميت إليه حجراً، ومنه: قذفه بالفجور، والآية تحتل وجهين.

﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾؛ أي: مرة من هذا الجانب، ومرة من هذا الجانب.

وقيل: يُقَذِفُونَ من كل الجوانب.

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بتشديد السين والميم، والباقون بإسكان السين وتخفيف الميم. انظر:

«السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيشير» (ص: ١٨٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٠٥)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما

في «الدر المنثور» (٧ / ٧٩). وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢ / ٣٨٢). قال الزمخشري في

«الكشاف» (٤ / ٣٥): «وبهذا يُنصَرُ التخفيفُ على التشديد».

(٣) لم أجده.

(٤) في (ف): «بحجر».

(٩) - ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.

﴿دُحُورًا﴾ مصدرٌ من غير لفظِ الفعلِ الأوَّلِ؛ أي: يُقَدِّفُونَ قَدْفًا.

وقيل: فعلُهُ مُضَمَّرٌ تَقْدِيرُهُ: وَيُدْحَرُونَ دُحُورًا.

وقيل: ﴿دُحُورًا﴾: جمعُ: دَحِرٍ، وهو ما يُرْمَى بِهِ، فيكونُ تَقْدِيرُهُ: بِدُحُورٍ، فَحُذِفَ

الجارُّ ونُصِبَ^(١)، يُقَوِّيه قِراءَةُ مَنْ فَتَحَ (دَحُورًا)^(٢).

ولا يمتنعُ أن يكونَ حالًا؛ أي: مدحورين مطرودين^(٣)، من قوله: ﴿مَذْمُومًا

مَذْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾؛ أي: للشياطينِ عذابٌ ﴿وَاصِبٌ﴾ قيل: دائمٌ، من الوَصُوبِ.

وقيل: مُوجِعٌ، من الوَصَبِ.

وقيل: شديدٌ.

وقيل: خالصٌ.

(١٠) - ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ قيل: الاستثناءُ من قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾، ومحلُّ ﴿مَنْ﴾

رفعٌ^(٤).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧١)، واستغربه.

(٢) نسبت لعلی بن ابی طالب رضی الله عنه وأبی عبد الرحمن السلمی. انظر: «المختصر في شواذ

القراءات» (ص: ١٢٧)، و«المحتسب» (٢ / ٢١٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧١)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧١)، واستغربه، وقال: «وفيه نظر».

وقيل: الاستثناء مُنْقَطِعٌ، وخبره: ﴿فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ﴾.
ومعنى ﴿خَطَفَ الْخَطْفَةَ﴾: اختلَسَ الكلمة مُسَارِقَةً.
وقيل: استمع استماعاً.
وقيل: مُسَارِعَةً.
وقيل: وَثَبَ وَثَبَةً.
﴿فَأَتْبَعَهُ﴾؛ أي: تَبِعَهُ، رُمِيَ فِي أَثَرِهِ ﴿شَهَابٌ﴾: كوكبٌ ﴿ثَاقِبٌ﴾: مضيءٌ.
وقيل: ماضٍ.
وقيل: عالٍ.
وقيل: يَثْقُبُ بظوئه، من الثَّقِبِ.
فإِذَا قُذِفُوا احْتَرَقُوا.
وقيل: تُصِيهُم آفَةٌ فلا يعودون.
وقيل: لا يُقْتَلُونَ بِالشُّهُبِ، بل يُحِسُّ بِذلك فلا يرجعُ، ولهذا لا يَمْتَنِعُ غَيْرُهُ عن ذلك.
وقيل: يُصِيهُم مرَّةً وَيَسْلَمُونَ مرَّةً، فصاروا في ذلك كراكبي السَّفِينَةِ للتَّجَارَةِ وغيرها.

(١١) - ﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾.
﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ﴾: سَلَّ قَوْمَكَ.
نَزَلَتْ فِي أَبِي الْأَشَدِّ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ أَسِيدٍ، حَكَاهُ الثَّلَعِيُّ^(١).

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/٣٢٧)، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/٦٠٣). وقد اختلف في اسمه ولقبه، فقيل: أبو الأشد بن أسيد بن كلد، وقيل: كلد بن أسيد، وقيل: أبو الأشد بن أسيد بن كلاب الجمحي، وقيل غير ذلك. انظر: «النكت والعيون» (٥/٤١)، و«زاد المسير» (٤/٣٦٤).

وقيل: فحاجَّهم.

﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يُرِيدُ: عَادًا وَثَمُودَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَمَّنْ خَلَقْنَا قَبْلَهُمْ وَسِوَاهُمْ؟ فَإِنَّ الْكَلَّ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ.

وقيل: فاستفتت بني آدم أهم أشد خلقًا أم من خلقنا؟ يعني: الملائكة.

الحسن في جماعة: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يُرِيدُ: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ، كَقَوْلِهِ ^(١) تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] ^(٢)، فَيَكُونُ ﴿مَنْ﴾ حَيْثُ لَا زِدَاجَ الْكَلَامِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ بَنِي آدَمَ فَقَالَ: ﴿إِنَّا خَلَقْتَهُمْ﴾ يَعْنِي: أَصَلَ بَنِي آدَمَ ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ الطِّينُ: الثَّرَابُ خَالِطَهُ الْمَاءُ. وَاللَّازِبُ: اللَّازِمُ، وَالْبَاءُ بَدَلٌ مِنَ الْمِيمِ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ.

وقيل: هو من اللزوب بمعنى: اللزوم، ومعناه: لازق.

وقيل: من طينٍ عَلِكٍ ^(٣).

ابن عباس رضي الله عنهما: هو الملتصق من الطين الحر الجيد ^(٤).
مجاهدٌ والصَّحَّاكُ: مُتَّيْنٌ ^(٥).

(١) في (ف): «لقوله».

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢ / ٨٢٥)، وجعل المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧٢) من الغريب تفسير (مَنْ خَلَقْنَا) بالسماء.

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢ / ٢١٣)، ومكي في «الهداية» (٩ / ٦٠٨٦). وَطِينَةٌ عَلِكَةٌ: خَضْرَاءٌ لَيِّنَةٌ حَرَّةٌ. انظر: «التاج» مادة: (ع ل ك).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٥١١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥ / ١٥٤٥).

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٣٢٨).

(١٢) - ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾.

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾؛ أي: عَجِبْتَ من تكذيبهم وهم يسخرون من تعجبك.

وقيل: بل عَجِبْتَ يا مُحَمَّدُ من القرآنِ حين أُعْطِيَتْه ويسخرُ أهل الكفرِ منه.

ومن قرأ بالضم^(١) فلذلك وجهان:

أحدهما: أنَّ المعنى: حَلُّوا محلَّ مَنْ يَتَعَجَّبُ منهم، والعَجَبُ على الله غيرُ جائزٍ، ومنهم مَنْ أجازَ لفظَ التَّعَجُّبِ^(٢) وحمله على مثلِ ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، و﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥]، ومثله: ﴿ وَإِنْ نَعَجِبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [الرعد: ٥]، وقال ﷺ: «يعجب ربك من الشابِّ ليست له صبوة»^(٣).

وقيل: العَجَبُ أن يرى الإنسان ما يُنكرُه، فيجوزُ على هذا القولِ أن الله أنكر ما عليه الكفارُ.

(١٣ - ١٤) - ﴿ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَنْدُرُونَ ﴾ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَنْدُرُونَ ﴾: وإذا عِظُوا لا يَتَعَطُّونَ ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً ﴾: انشقاق القمرِ وغيره من المعجزاتِ ﴿ يَسْتَسْخَرُونَ ﴾: يسخرون.

(١) أي: بضم التاء، قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٢)، واستغربه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والطبراني في

«المعجم الكبير» (١٧/ ٣٠٩) عن عقبه بن عامر رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»

(١٠/ ٢٧٠): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن».

وقيل: يستدعي بعضهم بعضًا إلى أن يسخر.
ويحتمل: أنهم يسألون غيرهم أن يسخروا منه عليه السلام.

(١٥-١٦) - ﴿ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ آءِذَا مِنَّا وَكَانُوا آبَاءًا وَعِزْمًا آءِذَا لَمَبَعُوثُونَ ﴿١٦﴾ .

﴿ وَقَالُوا إِن هَذَا ﴾؛ أي: الذي نراه ﴿الْأَسِحْرُ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ.

﴿ آءِذَا مِنَّا وَكَانُوا آبَاءًا وَعِزْمًا آءِذَا لَمَبَعُوثُونَ ﴾؛ أي: أتبعث إذا متنا؟ وقد سبق.

(١٧) - ﴿ أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ .

﴿ أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ قرئ بفتح الواو على تقدير: أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ مبعوثون؟
وبسكون الواو^(١)، وتقديره: أبيعثُ واحدٌ منَّا؟ مُبالغةٌ في الإنكارِ.

(١٨) - ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ نَعَمْ ﴾ تبعثون وأبأؤكم ﴿ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴾ صاغرون أذلاءً على رَغْمٍ منكم.

(١٩) - ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ .

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾؛ أي: القيامة، أو نفخة القيامة ﴿ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾: صيحة واحدة ﴿ فَإِذَا هُمْ

يَنْظُرُونَ ﴾؛ أي: أحياءٌ ينظرون.

(١) هي قراءة قالون وابن عامر، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير»

وقيل: ينتظرون أمر الله فيهم.

(٢٠-٢١) - ﴿وَقَالُوا يَا بُولُوكُنَّا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ﴾.

﴿وَقَالُوا يَا بُولُوكُنَّا﴾ معناه: وجب لنا الويل والحزن.

وقيل: حل بنا أشد شيء نكرهه.

﴿هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ قيل: هو من تمام كلامهم؛ أي: هذا يوم الجزاء الذي كنا نُنكره.

وقيل: تم الكلام على قوله: ﴿يَا بُولُوكُنَّا﴾، ثم قال الله: ﴿هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿هَذَا يَوْمَ

الْفَصْلِ﴾ بين المحسن والمسيء ﴿الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ﴾.

(٢٢ - ٢٣) - ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى

صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿وَأَزْوَجَهُمْ﴾ الحسن: نساءهم اللاتي على دينهم^(١).

وقيل: أتباعهم.

ابن عباس رضي الله عنه: أمثالهم وأضرابهم ونظراءهم^(٢)؛ الزاني مع الزاني،

وصاحب الخمر مع صاحب الخمر، من قوله: ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]؛ أي:

أشباهها.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: الأصنام؛ ليعذب بها الكفار.

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢١٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤) عن الحسن بلفظ:

«المشركات»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٣)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٨).

﴿فَاهْدُوهُمْ﴾: ادعوهم.

وقيل: قدموهم، والسَّابِقُ يُسَمَّى: الهادي.

وقيل: دُلُّوهم.

﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾: وسطها، وقيل: طريقها.

(٢٤) - ﴿وَقَفُوهُرَّائِثَهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

﴿وَقَفُوهُرَّائِثَهُمْ مَسْئُولُونَ﴾؛ أي: احبسوهم، تقول: وقفتُه وقفاً.

وفي السؤال قولان:

ابن عباس رضي الله عنهما: عن (لا إله إلا الله)^(١).

وقيل: عن خطاياهم.

وقيل: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

والثاني: ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ثم بينَ عَمَّ يُسألُونَ فقال:

(٢٥) - ﴿مَالِكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ﴾.

﴿مَالِكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ﴾ كما كنتم تنصرون أوثانكم على من قصدها، وها هي تُحشَرُ

إلى النار، ما لكم تركتم نصرتها؟ وهذا توبيخ لهم وتقريع.

وقيل: هذا جوابٌ لأبي جهلٍ حيث قال يوم بدرٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْصَرُونَ﴾ [القمr:

[٤٤]، حكاه الثعلبي^(٢).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٣٣٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢ / ٣٣٩)، وذكره الواحدي في «البيسط» (١٩ / ٣٦) عن ابن عباس

وقيل: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ مُقَدَّمٌ مُّتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: (احشروهم)، و(احشروهم) مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَنتَاهِي زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

(٢٦) - ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: خَاضِعُونَ، وَقِيلَ: مُنْقَادُونَ.

الْأَخْفَشُ: هُمْ مُلْقُونَ بِأَيْدِيهِمْ^(١).

(٢٧ - ٢٨) - ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْنٌ﴾^(٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿.

﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يَعْنِي: الْآتِبَاعَ وَالرُّؤْسَاءَ ﴿يَسَاءَ لَوْنٌ﴾: يَتَخَاصِمُونَ ﴿قَالُوا﴾ يَعْنِي: الْآتِبَاعَ لِلرُّؤْسَاءِ: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾؛ أَي: مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فَتُضَلُّونَا عَنْهُ؛ أَي: تَأْتُونَنَا مِنْ أَقْوَى الْوَجْهِ وَأَيْمَنِهِ، كَأَنَّكُمْ تَنْفَعُونَنَا نَفْعَ السَّانِحِ، فَجَنَحْنَا إِلَيْكُمْ فَهَلَكْنَا.

وَقِيلَ: ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: عَنِ الْخَيْرِ تُرَوَّنَا أَنْتُمْ تُرِيدُونَ بِنَا خَيْرًا.

وَقِيلَ: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾؛ أَي: تُكْرَهُونَا عَلَى الدِّينِ^(٢).

(٢٩ - ٣٠) - ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا

طٰغِينَ ﴿.

﴿قَالُوا﴾؛ أَي: الرُّؤْسَاءُ: ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾؛ أَي: مَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَرَدَدْنَاكُمْ

عَنِ الْإِيمَانِ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: بُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ، وَلَا قَهْرْنَاكُمْ عَلَيْهِ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٣٣٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧٣)، واستغربه، وأضاف: «واليمين: القوة».

﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: بل كفرتم بطغيانكم.

(٣١) - ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ﴾.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾؛ أي: وجب علينا جميعاً كلمة العذاب ﴿إِنَّا لَذَٰبِقُونَ﴾

يعني: الرؤساء والأتباع.

وقيل: معناه: استحققنا العذاب الذي أوعدناه ربنا.

وقيل: حق علينا قول الله وإخباره أننا جميعاً نكفر فنصير إلى النار ونذوق

العذاب.

وقيل: ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾: قضاء ربنا.

وقيل: ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أنه يعدبنا إن كفرنا.

(٣٢) - ﴿فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

﴿فَأَعْوَبْتَكُمْ﴾: أضللناكم ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾: ضالين.

وقيل: معناه: خيبتنا كما خبنا؛ والغواية: الخيبة.

والإغواء: الدعاء إلى الغي.

(٣٣ - ٣٤) - ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: جميعاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: بالمُشركين.

(٣٥) - ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ؛ أي: يتكبرون على من يدعوهم إلى قول: لا إله إلا الله.

وقيل: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يأنفون من قوله، ويستخفون بمن دعاهم إليه.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ خبر (كان)، فإن أُلغيت (كان) فهو خبر (إن)، والعامل في إذا: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

(٣٦) - ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتِ الشَّاعِرِ مَجْنُونًا﴾ .

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتِ الشَّاعِرِ مَجْنُونًا﴾ يعنون محمداً ﷺ، فردَّ الله عليهم وقال:

(٣٧) - ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: جاء بالصدق، ووافق ما كان معهم.

وقيل: لأن مجيء المخبر يصدق المخبر به، وقد سبق.

(٣٨ - ٤٠) - ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ إِلَّا

عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ .

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من غير زيادة﴾ إِلَّا

عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ قيل: الاستثناء مُتَّصِلٌ بِالْجِزَاءِ؛ أي: إلا عباد الله المخلصين فإن

جزاءهم أضعافٌ مضاعفةٌ تفضلاً منه سبحانه عليهم.

وقيل: مُتَّصِلٌ بِالذَّوْقِ؛ أَي: يذوقون إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ.

﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: الْمُصْطَفَيْنِ، وَبِالْكَسْرِ^(١): الْمُصَحِّحُونَ عَزَمَهُم.

وقيل: الاستثناء مُنْقَطِعٌ؛ أَي: لکن عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ^(٢).

(٤١ - ٤٢) - ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَّهَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أَي: معلومٌ دَوَامُهُ، وَقِيلَ: معلومٌ وَقْتُهُ، بَكَرَةً وَعَشِيًّا.

﴿فَوَكَّهَهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿رِزْقٌ﴾، وَالْفَاكِهَةُ: مَا يُؤْكَلُ تَلَذُّدًا، لَا لِحْفَظِ الصِّحَّةِ وَالْقُوَّةِ.
﴿وَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾: مُعْظَمُونَ.

(٤٣ - ٤٤) - ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾؛ أَي: لَا شَيْءَ فِيهَا إِلَّا النَّعِيمُ.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾: يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وقيل: لَا عِدَاوَةَ بَيْنَهُمْ.

وقيل: يَسْتَمْتَعُ بَعْضُهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْبَعْضِ.

(٤٥) - ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾: إِذَا فِيهِ خَمْرٌ ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾: خَمْرٌ جَارِيَةٌ ظَاهِرَةٌ تَرَاهَا الْعَيُونُ.

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي ونافع: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام، والباقون بكسرهما. انظر: «السبعة»

(ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٤)، واستغربه.

وقيل: ﴿مَعِينٌ﴾ فَعِيلٌ مِنَ الْمَعْنِ، وهو: المنفعةُ.
 وقيل: من الإمعانِ في السَّيرِ؛ أي: جارٍ.
 وقيل: من مَعَنَ الماءَ: إذا جَرَى على وجهِ الأرضِ.
 وقيل: هو مفعولٌ من: عَيْنَ الماءِ^(١).

(٤٦) - ﴿بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلسَّدْرِ بَيْنَ﴾.

﴿بَيَّضَاءَ﴾ من صفةِ الكأسِ، وقيل: من صفةِ الخمرِ^(٢)، والبياضُ أحسنُ الألوانِ.
 ﴿لَذَّةٍ﴾: ذاتِ لَذَّةٍ؛ أي: لذيدٍ ﴿لِلسَّدْرِ بَيْنَ﴾.

(٤٧) - ﴿لَا فِيهَا عَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾.

﴿لَا فِيهَا عَوْلٌ﴾: صُدَاعٌ، وقيل: داءٌ.

وقيل: لا تذهبُ بعقولهم فتغتالها، والعَوْلُ: فسادٌ يلحقُ في خفاءٍ.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ من كسرِ الزَّايِ فله معنيان:

أحدهما: لا يسكرون، من قولهم: أنزَفَ الرَّجُلُ؛ إذا سكرَ، والنزيفُ: المخمورُ.
 والثاني: لا ينفدُ شرابهم.

ومن قرأ بفتحِ الزَّايِ^(٣) فالمعنى: لا يسكرون فيزولَ عقلهم، تقولُ: نُزِفَ الرَّجُلُ؛
 إذا زالَ عقله سُكرًا.

(١) العَيْنُ والعَيْتَانُ: جريان الماء. انظر: «القاموس» مادة: (ع ي ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي، والباقون بفتحها، ولا خلاف في ضم الياء. انظر: «السبعة» (ص:

(٤٨ - ٤٩) - ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتٌ أَلْطَرَفِ عَيْنٍ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتٌ أَلْطَرَفِ عَيْنٍ﴾؛ أي: قَصْرَنَ عَيُونَهُنَّ عَنِ النَّظْرِ إِلَى غَيْرِهِمْ ﴿عَيْنٌ﴾: جَمْعُ عَيْنَاءٍ؛ أي: نَجْلَاءُ وَاسِعَةُ الْعَيْنِ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾: مَصُونٌ، شَبَّهُنَّ بِبَيْضِ النَّعَامَةِ^(١)؛ فَإِنَّهَا تُكْنَى عَنْ الرِّيحِ وَالشَّمْسِ وَالغَبَارِ بِرِيْشِهَا.

وقيل: شَبَّهُنَّ^(٢) بِيَاضِ الْبَيْضِ الْمَسْلُوقِ تَحْتَ الْقَشْرِ^(٣).

وقيل: شَبَّهَ لَوْنَهُنَّ وَمُلَاسَتَهُنَّ بِالْبَيْضِ.

ابن عباس رضي الله عنهما: البَيضُ المَكْنُونُ: الدُّرُّ فِي صَدْفِهِ^(٤).

(٥٠) - ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني: أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَذَاكَرُونَ أَحْوَالَ الدُّنْيَا وَأَحْوَالَ أَصْدِقَائِهِمْ.

(٥١) - ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: جَلِيسٌ فِي الدُّنْيَا؛ قِيلَ: كَانَا أَخْوَيْنَ.

وقيل: كَانَا شَرِيكَيْنَ.

(١) في (ف): «النعام».

(٢) في (ف): «شبهن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧٥)، واستغربه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٤٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٥٤١) بلفظ:

«اللؤلؤ المكنون»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧٥)، وعده من العجائب.

وقيل: كان القرينُ شيطانًا.

وقيل: هما قَطْرُوسُ الكافرِ وَيَهُوذا المسلمِ، وقصَّتهما في (الكهف): ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]^(١).

(٥٢ - ٥٣) - ﴿يَقُولُ أَيْ نَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (٥٢) ﴿أَيْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَيْ نَالْمَدِينُونَ﴾.

﴿يَقُولُ أَيْ نَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث ﴿أَيْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَيْ نَالْمَدِينُونَ﴾: مجزيُّون، وقيل: مُحاسِبون. وقيل: مملوكون.

(٥٤) - ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ﴾ يقولُ اللهُ لأهلِ الجَنَّةِ: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ إلى النَّارِ؛ أي: هل تحبُّون أن تطلِّعوا فتعلِّموا أين منزلتكم من منزلة أهلِ النَّارِ؟
ابنُ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: في الجَنَّةِ كُورٌ ينظرُ أهلُها منها إلى النَّارِ، وأهلُها يُناظرونهم^(٢)؛ لأنَّ لهم في توبيخِ أهلِ النَّارِ لَذَّةً وسرورًا.

(٥٥) - ﴿فَاطَّلَعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَاطَّلَعَ﴾ على أهلِ النَّارِ ﴿قَرَأَهُ﴾؛ أي: قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: وسطه.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٣٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧٥)، واستغربه.
(٢) في (ف): «إلى النار وأهلها ويناظرون أهلها». رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٣٤٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢١٦) عن كعب بلفظ: «في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، وأهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فازداد شكرًا». قوله: «يناظرونهم» يعني: ينظرون إليهم نظر المترقب، وليس من المناظرة والمجادلة، والله أعلم.

(٥٦) - ﴿قَالَ تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِين﴾ .

﴿قَالَ﴾؛ أي: يقول له: ﴿تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِين﴾: تُهْلِكُنِي، مَنْ الرَّدَى، وَهُوَ الْهَلَاكُ.

(٥٧) - ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ .

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: عِصْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك فيها، ولم يُقَل: فِي الْعَذَابِ؛ لِأَنَّ الْإِحْضَارَ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الشَّرِّ.

(٥٨ - ٦٠) - ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْنَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾؛ أي: أفما نحنُ بَمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَمُوتَ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ

مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

﴿إِلَّا مَوْنَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قيل: هذا استفهامٌ تعجبٍ، يقولونها فيما

بينهم فرحاً بذلك.

وقيل: يسأل أهل الجنة من الملائكة^(١)، فيقولون: لا، ويقولون: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

وقيل: هذا من تمام كلامه لقرينه تقريباً له وتوبيخاً^(٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغريه.

(٢) كذا في النسختين، ولو كانت العبارة: «يسأل أهل الجنة الملائكة» لكان أظهر؛ فعبارة المصنف في

«غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥): «هم يسألون الملائكة عنه، فيقولون: لا، فيقول أهل الجنة: ﴿إِنَّ هَذَا

هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .»

﴿مَوْتَنَا﴾ نصبٌ على المصدرِ.

والاستثناءُ يجوزُ أن يكونَ مُتَّصِلًا، وتقديرُه: لا نموتُ إلا مرَّةً.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ مُنْقَطِعًا، وتقديرُه: لكن الموتُ الأولى قد كانت في الدنيا^(١).

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ ها هنا بمعنى: بعد^(٢).

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ تمَّ كلامُه لقرينه، ثمَّ قال الله:

(٦١) - ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾.

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾ وقيل: هذا أيضًا من كلامه، ثمَّ قال الله:

(٦٢) - ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلًا﴾؛ أي: أذلك الذي ذكرتُ من نعيم أهل الجنة خيرٌ نَزَلًا أمَّ

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ؟ يُريدُ: أسبابُ ذلك خيرٌ أم أسبابُ هذا^(٣)؟

والنَزْلُ: ما يُقدِّمُ للضيِّفِ عند نزوله^(٤).

والزَّقُّومُ: طعامٌ يبتلعُه الإنسانُ على مشقَّةٍ وجهدٍ؛ جهيدٍ لمرارته وتنته وخشونته.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، وعده من العجائب، وذكر المرادي في «الجنى

الداني» (ص: ٥٢١) أن هذا من أغرب ما قيل في (إلا).

(٣) في (ف): «أسباب هذا خير أو أسباب ذلك».

(٤) في (ف): «ما يقام للضيِّف»، «عند نزوله»: ليس في (ف).

وذكر قُطْرُبٌ أَنَّ الزُّقُومَ شَجْرَةٌ مُرَّةٌ تَكُونُ بَيْتِهَامَةً^(١).

وذكر المُفسِّرونَ: أَنَّ ابنَ الزُّبَيْرِ قالَ لصناديدِ قُرَيْشٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُخَوِّفُنَا بِالزُّقُومِ، وَإِنَّ الزُّقُومَ بِلِسَانِ بَرَبَرٍ وَإِفْرِيقِيَّةِ الزُّبْدِ وَالتَّمْرِ.

وذكروا أَيضًا: أَنَّ أبا جهلٍ لَمَّا سَمِعَ ذَكَرَ الزُّقُومِ أَدْخَلَهُمْ بَيْتَهُ وَقَالَ: يَا جَارِيَةُ زَقْمِينَا، فَاتَّتَهُمْ بِالزُّبْدِ وَالتَّمْرِ، فَقَالَ: تَزَقَّمُوا؛ فَإِنَّ هَذَا مَا يُوعِدُكُمْ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ صِفَةَ الزُّقُومِ^(٢)، فَقَالَ:

(٦٣ - ٦٥) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤)

طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾: امْتِحَانًا وَبَلَاءً ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾؛ أَي: مَنبَتُهَا فِيهَا.

﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ قِيلَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ هَاهُنَا نَوْعٌ مِنَ الْحَيَاتِ تَعْرِفُهَا

العَرَبُ، خِفَافٌ لَهَا أَعْرَافٌ وَرُءُوسٌ قَبَاحٌ.

وقيلَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ العَرَبِ قَبِيحٌ الأَعَالِي، يُسَمَّى: الأَسْتَنَ،

شُبَّهَ طَلْعُ الزُّقُومِ بِهِ فِي قُبْحِ المَنْظَرِ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٥١).

(٢) هذا والذي قبله خبر واحد ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣ / ٦٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٣٥٠)،

والماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٥١). وروى الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي

في «الكبرى» (١١٤٢٠)، بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وقال أبو جهلٍ: أَيَخَوِّفُنَا

محمد بشجرة الزُّقُومِ، هاتوا تَمْرًا وَزُبْدًا فَتَزَقَّمُوا». وروى الطبري في «تفسيره» (١٤ / ٦٤٨) عنه

نحوه، وروى نحوه (١٤ / ٦٥٠) عن قتادة.

وقيل: هذا مثل، وذلك أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَقْبَحَ شُبِّهَ بِالشَّيْطَانِ فَقِيلَ: كَأَنَّهُ وَجْهُ شَيْطَانٍ، كَأَنَّهُ رَأْسُ شَيْطَانٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَقْبَحُ الْأَشْيَاءِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَأَاهُ.
وقيل: يُشَوِّهُ اللَّهُ الشَّيَاطِينَ فِي النَّارِ، فَشُبِّهَ طَلْعُهَا بِرُؤْسِهِمْ.
مُقَاتِلٌ: رُؤُوسُ الشَّيَاطِينَ حِجَارَةٌ سُوْدٌ تَكُونُ حَوْلَ مَكَّةَ^(١).

(٦٦ - ٦٧) - ﴿فَاتَّهَمُوا لَأَكُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنٌ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾^(٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ

حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾.

﴿فَاتَّهَمُوا لَأَكُونَ مِنْهَا﴾: مِنَ الشَّجَرَةِ ﴿فَمَا لَوْنٌ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ وَالْمَلَأُ: حَشَوُ الْوَعَاءِ بِمَا لَا يَحْتَمِلُ زِيَادَةَ عَلَيْهِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾؛ أَي: عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ فَيَشْرَبُونَ^(٢) مَزَاجًا مِّنَ الْمَاءِ الْحَارِّ الْمُفْرِطِ الْحَرَارَةِ، وَمِنَ الصَّدِيدِ وَالْعَسَاقِ.
وَالْحَمِيمُ: هُوَ الدَّانِي مِنَ الْإِحْرَاقِ.
وقيل: يَشْرَبُونَ عَلَى الرَّقُومِ مِنَ الْحَمِيمِ فَيَخْلِطُونَهُ بِهِ.

(٦٨) - ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِأَيِّ الْجَحِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِأَيِّ الْجَحِيمِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨ / ٥٦٧) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «يشربون».

أحدهما: أَنَّهُمْ فِي وَقْتِ أَكْلِهِمْ وَشُرْبِهِمْ ذَلِكَ لَا يُعَذَّبُونَ بِالنَّارِ، ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى الْجَحِيمِ.

وقيل: هذا كقولهم: فلانٌ يرجعُ إلى مالٍ ونعمةٍ؛ أي: هو فيها. ويحتملُ أن ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الإخبار؛ أي: فقد صحَّ أن مرجعَ الكفارِ إلى النارِ^(١). وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملةِ قد يدلُّ على التقديم؛ أي: وقبل ذلك كان مرجعُهم إلى الجحيمِ^(٢).

(٦٩ - ٧٠) - ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاةٌ أَبَاءَ هُمْضَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آتْرِهِمْ مُرْعُونَ﴾. ووجدوا ﴿أَبَاءَ هُمْضَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آتْرِهِمْ مُرْعُونَ﴾: يُزْعَجُونَ وَيُسْتَحْتُونَ.

وقيل: كأنَّ بعضهم يسوقُ بعضًا، لكنَّه ذُكِرَ بلفظِ المجهولِ. والإهراعُ: الإسراعُ في المشي.

(٧١ - ٧٤) - ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾. ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ﴾: قبل أهلِ مكةَ ﴿أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ يعني: الأممِ الخاليةِ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾: رُسُلًا وأنبياءَ ﴿فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: الكافرينِ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصوا الطاعةَ لله.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، وعده من العجائب.

(٧٥) - ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا﴾ ؛ أي: دَعَانَا لِنُنَجِّيَهُ، وقيل: دَعَانَا لِنُغْرِقَ مَنْ كَفَرَ بِهِ ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ ؛ أي: نحن.

(٧٦) - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ .

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الغرقُ والطوفانُ وأهوالُ السَّفِينَةِ .
وقيل: تكذيبُ قومه إِيَّاه واستدلاله .

(٧٧) - ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ .

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فالخلقُ كُلُّهم من أولادِ نُوحٍ عليه السَّلَامُ؛ لأنَّ مَنْ كان معه في السَّفِينَةِ ماتوا إلا أولاده ونساءهم، حامٌ وسامٌ ويافثٌ؛ فسامٌ أبو العربِ وفارسَ والرُّومِ، وحامٌ أبو السُّودانِ، ويافثٌ أبو التُّركِ والخزِرِ ويأجوجَ ومأجوجَ وما هُنالك .

(٧٨ - ٨٢) - ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ .

﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ ؛ أي: تَرَكْنَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ الْآخِرُونَ: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ فارتفعَ بالحكاية؛ كما قال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾ [النمل: ٥٩].

وقيل: وتَرَكْنَا عَلَيْهِ ثَنَاءً حَسَنًا، وتَمَّ الكلامُ، ثمَّ قال اللهُ: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾؛ أي: سائر المُحْسِنِينَ نُجَبِّهِمْ وَنُثْنِي عَلَيْهِمْ كَمَا نَجَّيْنَا نوحًا وَأُنْتَيْنَا عَلَيْهِ.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ خُصَّ الْإِيمَانُ بِالذِّكْرِ - وَالنُّبُوَّةُ أَشْرَفُ مِنْهُ - بَيَانًا لَشَرَفِ الْمُؤْمِنِينَ لَا لَشَرَفِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا تَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. وَقِيلَ: فِيهِ بَيَانٌ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَقَّ ذَلِكَ بِإِيمَانِهِ؛ فَضِيلَةٌ لِلْإِيمَانِ وَتَرْغِيبًا فِيهِ. ﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ يَعْنِي: قَوْمَهُ الْكَافِرِينَ.

(٨٣) - ﴿وَإَاتٍ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِثْرِهِمْ﴾.

﴿وَإَاتٍ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِثْرِهِمْ﴾ الشَّيْعَةُ: الْجَمَاعَةُ تَتَّبِعُ سَيِّدَهُمْ، وَاسْتِقَاقُهَا مِنْ شَاعِهِ يَشِيعُهُ شَيْعًا: إِذَا تَبِعَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

قال الخليلُ غداً ترحلنا أو شيعه فمتى تُودعنا^(١)

أي: بعد غدٍ.

وقيل: الشَّيْعَةُ: الْأَعْوَانُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّيَاعِ، وَهُوَ الْحَطْبُ الصَّغَارُ تُوَضَعُ مَعَ الْكِبَارِ عَلَى النَّارِ.

وفي الهاء قولان:

الجمهور: يَعودُ إِلَى نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة. انظر: «شرح أبيات سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (١/ ١٢٤)، و«شرح

ديوان المتنبي» للمعري (ص: ٤٧١).

الْفَرَاءُ: يَعُودُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ أَي: هُوَ عَلَى مَنَاجِحِهِ وَدِينِهِ وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَابِقًا لَهُ^(١).

(٨٤) - ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ﴾: حِينَ أَجَابَ دَاعِيَةَ الْإِيمَانِ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّطَاعَةِ.

وَقِيلَ: حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَالْعَامِلُ فِي ﴿إِذْ﴾ مَعْنَى التَّبَعِ، وَ﴿إِذْ﴾ الثَّانِيَةُ بَدَلٌ مِنَ الْأُولَى.

﴿بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾ قِيلَ: سَلِيمٌ مِنَ الشَّرِكِ وَالشَّكِّ.

وَقِيلَ: مُخْلِصٍ.

وَقِيلَ: خَالِصٍ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ.

وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿سَلِيمٍ﴾: حَزِينٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فَلَانٌ سَلِيمٌ؛ أَي: لَدِيدٌ.

وَقِيلَ: سَلِيمٌ مِنْ كُلِّ عِلَاقَةٍ دُونَ اللَّهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿سَلِيمٍ﴾: لَا يَكُونُ لِعَانًا.

(٨٥) - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ يَرِيدُ: لِأَيِّ شَيْءٍ؟ فَإِنَّ السُّؤَالَ وَقَعَ عَنِ الْغَرَضِ

لَا عَنِ الْجِنْسِ، وَ﴿مَاذَا﴾ إِنْ جَعَلْتَهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَهُوَ نَصْبٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ كَلِمَتَيْنِ فَهُوَ مَبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ، وَقَدْ سَبَقَ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)،

(٨٦) - ﴿أَيْفَاكَ ءِإِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ .

﴿أَيْفَاكَ ءِإِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإِفْكَ: الكذِبُ. والآلهَةُ: بدَلٌ منه، وهو منصوبٌ بـ ﴿تُرِيدُونَ﴾ .

وقيل: ﴿أَيْفَاكَ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: كاذِبين^(١).

(٨٧) - ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

٨٧ - ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أيُّ شيءٍ ظنُّكم برَبِّ العالمين وأنتم تعبدون غير

الله!؟

وقيل: وما ظنُّكم برَبِّ العالمين أَنَّهُ من أيِّ جنسٍ من أجناسِ الأشياءِ حتَّى شبَّهْتُم به هذه الأصنام؟! أي: لا يُشْبِهُهُ شيءٌ.

(٨٨ - ٩٠) - ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنوَلَّوْا عَنهُ مُدْبِرِينَ﴾ .

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ وذلك حين طلبوا منه أن يخرج معهم إلى عيدٍ لهم، فأراد أن يتأخَّرَ للأمر الذي همَّ به ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ .

قد أكثرَ المُفسِّرون في هذه الآية؛ فقال بعضهم: كانوا يتعاطونَ علمَ النُّجومِ، وكانَ علمًا نبيًّا إلى أن نُسخَ، فنظرَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ في النُّجومِ؛ أي: في علمِ النُّجومِ، وكتبِ النُّجومِ، فرأى في طالعه ما يدلُّ على سقمٍ، فقال: إنِّي سقيمٌ؛ أي: في الحالِ، والسَّقَمُ والمرُّضُ: خروجُ المزاجِ من الاعتدالِ، وقَلَّ مَنْ يخلو منه.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، واستغربه.

وقيل: معناه: سَأَسْقَمُ.

وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَوْتُ، وهو يلحقه لا محالة.

وقيل: أَرَادَ بِالسَّقَمِ الطَّاعُونَ، وكانوا يخافون العَدُوَّ، ﴿فَنَوَّلُوْا عَنْهُ مُدْرِبِينَ﴾.

وقيل: أَرَادَ نَجْوَمَ السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ، وكانت الحمى تأخذه بعداد^(١)، فرأى

أمارات ذلك في ذلك الوقت، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: محموماً.

وقيل: هذا كما يُقال: فلان ينظر في الطَّبِّ والأدب؛ أي: يعرفهما، فيكون

﴿فِي﴾ بمعنى: إلى.

وقيل: ﴿نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾: ما حكى الله عنه في قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى

كُوْكِبًا﴾ الآيات [الأنعام: ٧٦ - ٧٩]، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إذ لست على يقين من الأمر

ولا شفاء؛ لأن العلم شفاءً، والجهل سُقْمٌ وداءٌ، فعلى هذا قوله: ﴿فَنَوَّلُوْا عَنْهُ مُدْرِبِينَ﴾

عطفٌ على قوله: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقيل: المراد بالنجوم: النَّبَاتُ؛ أي: فنظر فيها مُتَخَيِّرًا منها ما فيه شفاءً لسُقْمِ

أَوْهَمَهُمْ أَنْ بِهِ ذَلِكَ^(٢).

قال الأزهري عن أبي العباس أحمد بن يحيى قال: ﴿فِي النُّجُومِ﴾ النُّجُومُ: جمعُ

نجمٍ، وهو ما نجم من كلامهم لما سأله أن يخرج معهم إلى عيدهم، ﴿فَنظَرَ

نَظْرَةً﴾ أي: تفكَّرَ لِيُدَبِّرَ حُجَّةً، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: سقيمٌ من كُفْرِكُمْ بخالقكم^(٣)،

كما تقول: أنا مريض القلب من كذا.

(١) في (ف): «لعداد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٧٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١ / ٨٨)، وذكره الواحدي في «البيسط» (١٩ / ٧١).

وقيل: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾؛ أي: إلى جانبِ السَّمَاءِ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهو في ذلك كاذبٌ للمكيده التي همَّ بها، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد كذب إبراهيم عليه السلام ثلاث كذبات، ما منها واحدة إلا وهو يماحل ويُناضلُ بها عن دينه، وهي: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هذه أُختي»^(١).

وقيل: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾؛ أي: ففكر في الحيل^(٢)، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فأقنعهم ذلك ﴿فَنَوْلُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾. والله أعلم.

(٩١ - ٩٢) - ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ﴾: ذهب إليها في خفية حتى لا يرى.

وقيل: مال.

وقيل: أقبل عليها.

وقيل: راغ بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ حتى خلا بها.

وقيل: رجع إليها مُراوِغاً قومته، وسماها آلهة على زعمهم.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ وكان عندها طعامٌ زعموا أنها تأكل منه.

وقيل: وُضِعَ الطَّعَامُ لِيُبَارَكَ فِيهِ ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ استهزاءً بها وبعابديها.

ويحتمل: أنما قال ذلك لأنَّ سدنتها كانوا يأكلون ما يوضع عندها من

(١) رواه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، وعده من العجائب.

الطَّعَامِ، وَيَنْطِقُونَ عِنْدَ الضَّعْفَةِ عَنْ لِسَانِهَا؛ يُوهْمُونَ أَنَّهَا تَأْكُلُ وَتَنْطِقُ^(١).

(٩٣) - ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ عَدَّاهُ بـ (على) لَأَنَّ (رَاغًا) بِمَنْزِلَةِ: مَالٍ، فَكَمَا تَقُولُ فِي الْمَحْبُوبِ: مَالٌ إِلَيْهِ، وَفِي الْمَكْرُوهِ: مَالٌ عَلَيْهِ، كَذَلِكَ: رَاغٌ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ. قَوْلُهُ: ﴿ضَرْبًا﴾؛ أَي: يَضْرِبُ ضَرْبًا، فَيَكُونُ مُصَدَّرًا لِفِعْلِ مُحذُوفٍ، وَجَازٌ أَنْ يَكُونَ حَالًا.

وقوله: ﴿بِالْيَمِينِ﴾؛ أَي: بِالْيَدِ الْيُمْنَى؛ لِأَنَّهَا أَقْوَى عَلَى الْأَعْمَالِ مِنَ الشَّمَالِ. وقيل: بِالْقُوَّةِ، كَقَوْلِهِ:

إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ^(٢)

وقيل: بِالْيَمِينِ الَّتِي سَبَقَتْ مِنْهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَأَلَّهَ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾

[الأنبياء: ٥٧] (٣).

(٩٤) - ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ زُرْفُونَ﴾.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾: إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿زُرْفُونَ﴾ بِالْفَتْحِ: يُسْرِعُونَ. وقيل: يَمْشُونَ عَلَى مَهَلٍ، وَأَصْلُهُ مِنْ زَرْفِيفِ النَّعَامَةِ، وَهُوَ ابْتِدَاءُ عَدْوِهَا.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «ديوان الشماخ بن ضرار الذيباني» (ص: ٣١٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٠٧)، و«الكامل»

(١/ ١٠٨)، وهو من قصيدة في مدح عرابة بن أوس رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٩)، واستغربه.

وقيل: مشية فيها اختيال، من قولهم: زُفَّتِ العروسُ إلى زوجها.

وُقِرَى: ﴿يُزِفُونَ﴾ بالضم^(١)، وله وجهان:

أحدهما: يُزِفُونَ دوابهم، فحذِفَ المفعول؛ أي: يحملونها على الزَّيفِ، قاله

أبو عليٍّ في «الحجّة»^(٢).

والثاني: أَزَفَ الرَّجُلُ: إذا صارَ إلى حالِ الزَّيفِ.

(٩٥ - ٩٦) - ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ بأيديكم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: خلقكم وخلق

أعمالكم.

وقيل: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أصنامكم.

وقيل: وما تعملون منه الأصنام^(٣)؛ كالخشبِ والفِصَّةِ والذَّهَبِ.

(٩٧) - ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ﴾؛ أي: لأجله ﴿بُيُوتًا﴾.

مُقاتلٌ: بنوا له حائطًا من الحجر، طوله ثلاثون ذراعًا، وعرضه عشرون ذراعًا،

وملأوه من الحطب، وأوقدوا فيه النَّارَ، ثم رموا به إليها^(٤).

(١) قرأ بها حمزة، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) انظر: «الحجّة» لأبي علي الفارسي (٦ / ٥٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٠)، واستغربه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣ / ٦١٣).

وقيل: بنو له أئونا.

وقيل: بنو له مثل بناء التتور.

﴿قَالَ قَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ هي: النار يُجمعُ بعضها إلى بعض.

وقيل: كلُّ نارٍ على نارٍ جحيمٍ.

وتقديرُ الآية: ابناؤه بُنيانا، واملؤوه نارا، فألقوا إبراهيمَ فيها.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ إبراهيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ كَانَتِ الدَّوَابُّ كُلُّهَا تُطْفِئُ عَنْهُ النَّارَ إِلَّا الْوَزْغَةَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفُخُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتْلِهَا»^(١).

(٩٨) - ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: مكرًا وحيلةً لَمَّا غلبهم بالحجاجِ ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾

قيل: المقهورين.

وقيل: المغلوبين في الحجة.

وقيل: الأسفلين في النارِ.

وقيل: أسفل من سافلين غيرهم، وليس التقدير: أسفل من إبراهيم؛ إذ لم يكن

في أمر إبراهيم سفالًا.

وقيل: ليس أفعل هذا للتفضيل، بل للمبالغة؛ كما قلنا في: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ

(١) رواه النسائي (٢٨٣١)، وابن ماجه (٣٢٣١)، وروى البخاري (٣٣٥٩) عن أمِّ شريك رضي الله

عنها: أن رسولَ الله ﷺ أمر بقتلِ الوزغِ، وقال: «كان ينفخُ على إبراهيم عليه السَّلَامُ»، ورواه مسلم

(٢٢٣٧) مختصرًا.

عَلَيْهِ ﴿ [الروم: ٢٧]، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والمعنى: علا أمرُ إبراهيمَ لأنَّ النَّارَ لم تُحْرِقْ منه إلا الوثاق، وسَفَلَ أمرُهم لأنَّ الله منع النَّارَ التَّحَرُّكَ في جَهْتِهِ فلم تُدَاخِلْهُ، والنَّارُ تحرقُ الأجسامَ بالمُدَاخِلَةِ فيها.

(٩٩) - ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ قاله حين نَجَّاه اللهُ مِنَ النَّارِ، وقوله: ﴿إِنِّي رَبِّي﴾: إلى أمرِ رَبِّي، وإلى مرضاةِ رَبِّي.

وقيل: إلى الشَّام، كما في قوله: ﴿مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقيل: إلى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ.

وقيل: إلى حَرَّانَ.

وقيل: مُهَاجِرٌ بَعْمَلِي وَنَيْتِي، مُتَجَرِّدٌ لِعِبَادَةِ رَبِّي، سَيِّدِينِي إِلَى مَقْصِدِي.

وقيل: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ حِينَ طُرِحَ فِي النَّارِ؛ أَي: ذَاهِبٌ إِلَى مَا قَضَى عَلَيَّ رَبِّي.

وقيل: معناه: إِنِّي مَيِّتٌ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ مَاتَ: ذَهَبَ إِلَى اللَّهِ^(١).

﴿سَيِّدِينَ﴾ إِلَى الْخِلَاصِ مِنَ النَّارِ، وَقِيلَ: إِلَى الْجَنَّةِ.

وقيل: إِلَى قَوْلِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ^(٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٠)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥٩/ ٥) وعزاه لسليمان، ولعله أخذه من خبر رواه عبد بن حميد كما في

«الدر المنثور» (٦٤١/ ٥) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صرَدٍ - وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ -: «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَرَادُوا

أَنْ يَلْقَوْهُ فِي النَّارِ جَعَلُوا يَجْمَعُونَ لَهُ الْحَطَبَ... فَلَمَّا ذُهِبَ بِهِ لِيُطْرَحَ فِي النَّارِ قَالَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي

سَيِّدِينَ﴾ فَلَمَّا طُرِحَ فِي النَّارِ قَالَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ...». وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٤٥٦٤) عَنْ ابْنِ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ آخِرُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

وقيل: سَيُبْتِئِي عَلَى الْهَدَى (١).

(١٠٠) - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الموصوفُ محذوفٌ تقديرُه: أولادًا من الصَّالِحِينَ؛ أي: من المُطِيعِينَ لك، ويحتملُ: من الأنبياء.

(١٠١) - ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾؛ أي: بغلامٍ يبلغُ درجةَ الحُلماءِ؛ فَإِنَّ الصَّبِيَّ لَا يُوصَفُ بِالْحِلْمِ، وَالْحَلِيمُ: الَّذِي لَا يُعَجَّلُ بِالْعُقُوبَةِ مَعَ الْقُدْرَةِ. وقيل: بغلامٍ عليمٍ في صِغَرِهِ حليمٍ في كِبَرِهِ.

(١٠٢) - ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ قَوِيٌّ عَلَىٰ أَنْ يَسْعَىٰ مَعَهُ فِي مَنَافِعِهِ.

وقيل: يمشي مع أبيه.

وقيل: بلغ أن يسعى في عبادة الله وطاعته.

وقيل: بلغ مبلغ الرجال.

وقيل: كان له مع يومئذ (٢) ثلاث عشرة سنة.

(١) ثمة نقص ورقتين في (ن) تبدأ من هنا.

(٢) كذا في (ف)، وحذف (مع) يجعل السياق ظاهراً.

﴿قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ آتِيَكَ أَذْبَحُكَ﴾ اختلفوا في الذبيح؛ فذهب أبو بكر الصديق، وابن عباس، وابن عمر، ومحمد بن كعب القرظي، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، إلى أنه إسماعيل عليه السلام^(١).

واستدلَّ المحتجُّ لهذا بقوله ﷺ: «أنا ابنُ الذبيحين»^(٢)؛ فأحدهما: جدُّه إسماعيل، والآخر: أبوه عبد الله؛ وذلك أن عبد المطلب نذر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح واحداً منهم تقرباً، فلما كملوا عشرة أتى بهم البيت وضرب عليهم بالقِداحِ على أن يذبح من خرج قِدْحُه، وقد كتب اسم كل واحدٍ على قِدْحٍ، فخرج قِدْحُ عبد الله ففداه بعشرة من الإبل، ثم ضرب عليه وعلى الإبل فخرج قِدْحُه ففداه بعشرة أخرى، إلى أن تمت مئة، فخرج القِدْحُ على الجُزْرِ فنحرها وسنَّ الدية مئة^(٣).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/٥٩٢ - ٥٩٨) عن ابن عمر، وابن عباس، والشعبي، ويوسف بن

مهران، ومجاهد، والحسن، ومحمد بن كعب القرظي، وعمر بن عبد العزيز، ومعاوية.

وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/٣٧٤) أبا الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، والربيع بن أنس، والكلبي، قال: وهي رواية عطاء بن أبي رباح وأبي الجوزاء ونصر بن عمران الضُّبَعِي ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/٥٤٧) عن عبد الله بن سلام، ورواه الحاكم في «مستدرکه» (٤٠٤٠) عن خوات بن جبير.

(٢) لا أصل له بهذا اللفظ، كما ذكر ابن حجر والزيلعي فيما نقله العجلوني في «كشف الخفاء» (١/٢٢٦). وانظر الحديث الآتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/٥٩٧)، والحاكم في «المستدرک» (٤٠٣٦)، عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله! عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك عليه الصلاة والسلام، فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم... الخبير. قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/٣٥): «هذا حديث غريب جداً». وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/١٠٦).

واستدلَّ أيضًا بقوله عند تمامِ قصَّةِ الذَّبْحِ: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] بعدَ قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ فالبشارةُ بالغلامِ غيرُ البشارةِ بإسحاقَ.

واستدلَّ أيضًا بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فيمن قرأه بالنصب^(١)؛ لأنَّه إذا بُشِّرَ بالولدِ من صُلْبِهِ عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَبْحِهِ.

وذهبَ عليٌّ وابنُ مسعودٍ وكعبُ الأحرارِ إلى أنَّ الذَّبِيحَ إسحاقُ^(٢)، وإليه ذهبَ أهلُ الكتابِ، واستدلُّوا بما رُوِيَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ النَّسَبِ أَشْرَفُ؟ فقال: «يوسفُ صديقُ الله، ابنُ يعقوبَ إسرائيلَ الله، ابنُ إسحاقَ ذبيحِ الله، ابنُ إبراهيمَ

(١) قرأها ابن عامر وحمزة وحفص، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/٥٨٨ - ٥٩٢) عن العباس، وابن عباس، وابن مسعود، وكعب، ومسروق، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن أبي الهذيل، وعبد الرحمن بن سابط، وأبي مسيرة. وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/٣٦٧) عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن التابعين وأتباعهم: سعيد بن جبيرة وقتادة ومسروق وعكرمة، والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي، قال: وهي رواية عكرمة وابن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو القول الذي رجحه الطبري في «تفسيره» (١٩/٥٩٨).

ورد ذلك ابن كثير فقال: «وهذه الأقوال - والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحرار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه، وربما استمع له عمر، فترخص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا عنه غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة - والله أعلم - حاجة إلى حرف واحد مما عنده، وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين، ولكن لم يصح سنده». وقال الحاكم في «المستدرک» (٢/٦٠٩): «وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيه وهم لا يختلفون أن الذبيحَ إسماعيلَ».

خليل الله»^(١)، فأجابوا عن قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ﴾ أنه بُشِّرَ بالغلامِ أولاً، ثمَّ بنبوته ثانياً، وزادوا فقالوا: صرَّحَ بالمبشِّرِ به في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ﴾ [هود: ٧١]، وفي قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فيحملُ عليه قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾؛ لأنَّ هذا مُبَهَمٌ، وذلك مُفسَّرٌ.

وأجابوا عن قوله: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ أنه لم تكن الإشارةُ يعقوبَ مُتَّصِلاً ببشارة إسحاق اعتباراً بقراءة مَنْ قرأ ﴿يعقوبُ﴾ بالرفعِ.

والأظهرُ أنه إسماعيلُ، وأمَّا قوله في أشرفِ الأنسابِ، فالصَّحيحُ أنه قال: «يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ»، والزوائدُ من الرواي.

واحتجَّوا أيضاً بأنَّ قرني الكبشِ كان ميراثاً لولدِ إسماعيلَ عن أبيهم، وكان منوطين بالكعبةِ إلى أن احترق البيتُ واحترق القرنُ في أيامِ ابنِ الزبيرِ والحجاجِ^(٢).

(١) بهذا اللفظ ذكره الماتريدي في «تفسيره» (٨ / ٥٨٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣ / ١٤٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤ / ٥٨٠) إلى أبي الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وسيأتي قول المصنف أن هذا من زوائد الراوي، وأن المذكور في الصحيح هو الأسماء دون الأوصاف، كما رواه البخاري (٣٣٩٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» (١٦٦٣٧)، وأبو داود (٢٠٣٠)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١ / ٢٢٣) واللفظ له، من طريق سفيان، عن منصورِ الحَجَبِيِّ، حدثني خالي مسافع بن شيبه، عن أُمِّي صفية بنت شيبه: أن امرأةً من بني سُلَيْمٍ وَلَدَتْ عَامَّتَهُم قالت لعثمان بن طلحة: لِمَ دعَاكَ النبيُّ ﷺ بَعْدَ خروجه من البيت؟ قال: قال لي: «إِنِّي رَأَيْتُ قَرْنِي الكِبْشِ فِي البَيْتِ، فَتَنَبَّيْتُ أَنَّ أَمْرَكَ أَنْ تَحْمَرَّهَا، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي البَيْتِ شَيْءٌ يَشْغُلُ مُصَلِّياً». زاد الأزرقي: قال عثمان: وهو الكبشُ الذي فُدي به إسماعيلُ بن إبراهيمَ عليهما السلام. وفي رواية أحمد: قال سفيان: لَمْ تَزَلْ قَرْنَا الكِبْشِ فِي البَيْتِ حَتَّى احْتَرَقَ البَيْتُ فَاحْتَرَقَا. ورجاله ثقات.

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: متى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل، وهو الذي بنى البيت مع أبيه كما قال الله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، والمنحرف بمكة^(١). والله أعلم.

قوله: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ آيَاتٍ أَدَّبُكَ﴾ إنما قال بلفظ المستقبل لأنه كان يرى ذلك ثلاث ليالٍ، والمعنى: رأيت رؤيا أمرت فيها بذبحك، ورؤيا الأنبياء في المنام وحي.

﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قرئ بفتحين، وقرئ بضم التاء وكسر الراء^(٢)؛ فمن فتح فالمعنى: ما عندك من الرأي؟

ومن ضم التاء فالمعنى: ما تشير؟ وقيل: ماذا تُرينيه من صبرك أو جزعك؟ و(رأيت) هذا من الرأي، كما تقول: فلان يرى رأي أبي حنيفة، وهو مُتَعَدِّ إلى مفعول واحد، فنُقِلَ بالألف فتعدى إلى المفعولين، وليس من رؤية العين، ولا من رؤية القلب التي بمعنى: العلم.

﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾؛ أي: من الذبح.

وقيل: كان نذر ذبحه فنسي، ثم رأى في المنام فتذكر.

وقيل: أفعَل ما تُؤْمَرُ بعد هذا، ولهذا جاء بلفظ المستقبل: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾؛ أي: على الذبح، وقيل: على قضاء الله.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/٣٨٤-٣٨٥).

(٢) قرأ بهذه حمزة والكسائي، والباقون بفتحهما. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير»

(١٠٣) - ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ .

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾: سَلَّمَ الذَّبِيحُ نَفْسَهُ، وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ.

وقيل: ﴿أَسْلَمَا﴾: اتَّفَقَا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ.

وقيل: اسْتَسْلَمَا لِأَمْرِ اللَّهِ.

﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: صَرَعَهُ عَلَى جَبِينِهِ، وَالْجَبِينُ: أَحَدُ جَانِبِي الْعَجْبَةِ.

وقيل: كَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ^(١)؛ لِأَنَّ الذَّبِيحَ قَالَ لَهُ: اذْبَحْنِي وَأَنَا سَاجِدٌ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى

وَجْهِِي، فَعَسَى أَنْ تَرْحَمَنِي فَلَا تَذْبَحْنِي^(٢).

(١٠٤ - ١٠٥) - ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾؛ أَي: عَمِلْتَ بِمَا رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ؛

أَي: صَدَّقْتَ الْأَمْرَ فِي رُؤْيَاكَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِأَكْثَرِ مِمَّا وُجِدَ

منه، وَهُوَ الْإِضْجَاعُ عَلَى الْجَنْبِ وَالتَّلُّ عَلَى الْجَبِينِ.

(١) فِي (ف): «كَبَّهُ لَوْجِهِ».

(٢) قَوْلُهُ: «فَعَسَى أَنْ تَرْحَمَنِي فَلَا تَذْبَحْنِي» كَذَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ فَهَذِهِ الْعِبَارَةُ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ

مُسْتَأْنَفَةً، فَيُقَالُ: كَانَ الذَّبِيحُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَأَنْ تَنْفِيذَهُ عَلَى الْخَلِيلِ وَاجِبٌ، فَكَيْفَ يَرْتَجِي أَنْ

يَتْرَكَ تَنْفِيذَ أَمْرِ اللَّهِ وَهُوَ نَبِيٌّ وَأَبُو نَبِيٍّ؟ وَلَكِنَّ الْعِبَارَةَ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مُتَّصِلَةً بِالنَّهْيِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَا

تَنْظُرْ، فَإِنَّ النَّظَرَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي رَجَاءِ مَا لَا يَنْبَغِي، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ قَطْعًا؛ فَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

«كَبَّنِي عَلَى وَجْهِِي فَإِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي وَجْهِِي رَحِمْتَنِي، وَأَذْرَكَتْكَ رِقَّةٌ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمْرِ اللَّهِ» رَوَاهُ

الْفَاكَهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» (٦)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «التَّارِيخِ» (١/٢٧٥)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ،

وَذَكَرَهُ عَنْهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٢/٣٨٦-٣٨٨)، وَالبَغْوِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧/٤٩).

وقيل: كَانَ مأمورًا بذبحِ الولدِ بشرطِ التَّخْلِيةِ والتَّمْكِينِ فلم يُمَكَّنْ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ السُّكَّيْنَ عَلَى حَلْقِهِ فَانْقَلَبَ، وَأَرَادَ أَنْ يَطْعَنَهُ بِهِ فَاثْنَى.

وقيل: جعلَ اللهُ عَلَى حَلْقِهِ صَفْحَةً مِنْ نُحَاسٍ.

وقيل: كَانَ يَقْطَعُ فِيلْتَيْمًا، وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ الْفِدَاءَ وَقَعَ لِعَدَمِ الذَّبْحِ.

وقيل: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ تَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ:

رُؤْيَا تَقَعُ عَلَى مَا رَأَى كَمَا رَأَى النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَكَانَ كَمَا رَأَى؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧].

والثَّانِي: أَنْ تَقَعَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، كَمَا رَأَى يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا، فَكَانَ إِخْوَتَهُ^(١).

وَرُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَبِيلِ الثَّانِي، وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْقَبِيلِ الْأَوَّلِ، فَأَخَذَ بظَاهِرِهِ، فَأَخْبَرَهُ اللهُ أَنَّهُ بِمَا قَدْ فَعَلَ قَدْ صَدَّقَ الرُّؤْيَا، ثُمَّ نُودِيَ: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ دُونَكَ هَذَا الذَّبْحُ فَهُوَ فِدَاءٌ لَهُ، فَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا هُوَ بِكَبْشٍ أَمْلَحَ يَنْحَطُّ مِنَ الْجَبَلِ، فَخَلَّى ابْنَهُ، وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَذَبَحَهُ.

وقيل: هُوَ قُرْبَانُ ابْنِ آدَمَ الَّذِي تُقْبَلُ مِنْهُ.

الحَسَنُ: وَعَلَّ نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ^(٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٣)، وعده من العجائب. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٢١) عن ابن عباس، قال: «الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء، فذبحه، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه، فكان مخزونًا حتى فدى به إسحاق».

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١٠٦) - ﴿إِن كَذَلِكَ هَذَا هَلُوَ الْبَلْتُوا الْمِينُ﴾.

﴿إِن كَذَلِكَ هَذَا هَلُوَ الْبَلْتُوا الْمِينُ﴾: النعمة الظاهرة.

وقيل: الاختبار الظاهر، والامتحان الشديد، ولو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أولادهم.

(١٠٧) - ﴿وَفَدَيْتَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَفَدَيْتَهُ﴾ الفداء: جعل الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه.

﴿بِذَبِيحٍ﴾ الذبيح: اسم لما يُذبح، كالطخن لما يُطحن.

﴿عَظِيمٍ﴾ صغر جرم أشكاله بالإضافة إلى جرمه.

وقيل: ﴿عَظِيمٍ﴾ لأنه رعى في الجنة أربعين خريفاً.

وقيل: ﴿عَظِيمٍ﴾؛ أي: مُتَقَبَّلٍ.

وقيل: لأنه فدي به نبي.

وقيل: هو شيء أحدثه الله ذلك الوقت.

ويحتمل: أنه إنما وصفه بالعظيم لبقاء أثره إلى يوم القيامة؛ لأنه ما من سنة إلا

ويُذبح بسبب ذلك من الأنعام ما لا يُحصيه إلا الله.

(١٠٨ - ١١٣) - ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَيَّ إِزْرَهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ .

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم ﴿في الآخرين﴾^(١) ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِزْرَهِيمَ ﴿١٠٩﴾ سبق في قصة نوح عليه السلام.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقل: (إنا) كما في غيره؛ لِمَا تَقَدَّمَ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١٠٥]، ولأنه بقي من القصة شيء، وسائر ذلك وقع بعد تمام القصة.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ سبق ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ مَنْ جَعَلَ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: وَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ، وَمَنْ جَعَلَ الذَّبِيحَ إِسْحَاقَ قَالَ: بَشَّرَ بَنُوؤْتَهُ، وَقَدْ كَانَ بَشَّرَ بِمَوْلَاهُ.

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ .

وقيل: على الغلام المُبَشَّرِ به وعلى إسحاق، وهو ما رُزِقَا من الذرية الصالحة التي تُوجَدُ قرناً بعد قرنٍ إلى قيام الساعة.

وقيل: خرج من صلبِ إسحاق ألفُ نبيٍّ؛ أولهم يعقوبُ، وآخرهم عيسى عليهم السلام.

وقيل: جعلنا فيهما وفي نسلهما البركة والزيادة، تقول: بَارَكَ اللهُ فِيكَ وَعَلَيْكَ.

وقيل: معنى ﴿باركنا﴾: بَقَيْنَا عَلَيْهِمْ نَعْمَنَا، وَالْبِرْكَةُ: الْبَقَاءُ.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾؛ أي: في أولادهما المؤمنون والظالمون، وهم الكافرون والفاسقون.

(١) هنا ينتهي النقص في (ن).

وللعلماء في الذبح ثلاثة أقوال:
أحدها: أمر بالذبح ثم نُسِخَ.
والثاني: أنه أمر غير ممتد، فلا يحتمل النسخ.
والثالث: أنه أتى بما أمر به على ما سبق بيانه.

(١١٤ - ١١٦) - ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَبَجَيْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾.
﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ بِالنَّبْوَةِ، الْمَنُّ: قَطْعُ الْأَذَى بِالْمِنَةِ^(١)، وَمِنْهُ:
الْمَنُونُ.

﴿وَبَجَيْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴿١١٤﴾﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٤﴾﴾ قيل: من
الغرق. وقيل: من تعذيب فرعون.
﴿وَنَصَرْنَاهُمْ ﴿١١٥﴾﴾ يعودُ إلى موسى وهارون وقومهما، وقد تقدّم ذكرُ القوم.
﴿فَمَا كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ على فرعون وقومه.

(١١٧ - ١٢٢) - ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَيِّنِ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَيِّنِ ﴿١١٧﴾﴾: التَّوْرَةَ يَسْتَيِّنُ فِيهِ الْحَقُّ وَيُظْهِرُ، وَبَانَ وَأَبَانَ
وَاسْتَبَانَ بِمَعْنَى.

﴿ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾: دين الله الإسلام؛ أي: أثبتناهما عليه.
 ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ ﴾ (١١٩) سَلَّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ ١٢٠ ﴾ إِنَّا كَذَلِكَ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٢١ ﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١٢٢ ﴾

(١٢٣) - ﴿ وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

﴿ وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ اختلف المفسرون في إِيَّاسَ:
 فذهب الجمهور إلى أنه نبيٌّ من بني إسرائيل بُعث بعد موسى عليه السَّلامُ.
 وقيل: كان من ولد هارون عليه السَّلامُ.
 قتادة: إِيَّاسُ اسمٌ لإدريس^(١).

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: (وإنَّ إدريسَ لَمِنَ المرسلين)، (سَلامٌ
 على إدراسين)^(٢).

وفي حرف أبي رضي الله عنه: (وإنَّ إيليسَ لَمِنَ المرسلين) (سَلامٌ على
 إيليسين)^(٣).

وقيل: كان له اسمان كيعقوب وإسرائيل.

(١) لم أجده عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٢/٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»
 (٤/١٣٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/٤٠٠) ثم قال: وإلى هذا ذهب عكرمة، قال: وتفرد
 عبد الله وعكرمة بهذا القول.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفرأ (٢/٣٩٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)،
 و«المحتسب» (٢/١٢٤).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/٤٨٤).

وحكى الثعلبي وغيره: أن إلياس نبي من سبط هارون، بعثه الله إلى بني إسرائيل، وكان فيهم ملك يقال له: أجب، وله امرأة يقال لها: إزيبيل، وكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتجلس للحكم كما يجلس، فأتاهما إلياس ودعاهما إلى الله فأبيا عليه، وهما بقتله، فاختمتا منهن سبع سنين، وكان اليسع خليفته، وآل أمره إلى أن أوجي إليه: اخرج إلى موضع كذا فما جاءك فاركبه ولا تهبه، فجاءه فرس من نار فوثب عليه وناداه خليفته اليسع بن أخطوب: يا إلياس ما تأمرني؟ فرمى إلياس إليه بكسائه من الجو، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساء الریش، فكان إنسيا ملكيا، أرضيا سماويا^(١).

وقيل: بعث إلياس بعد حزقيل لما عظمت الحوادث في بني إسرائيل.

وقيل: إلياس موكل بالفيافي، كما وكّل الخضر بالبحار، وهما آخر من يموت من بني آدم^(٢).

والحسن يقول: قد هلك إلياس والخضر، ولا يقول ما يقول الناس: إنهما حيان، والله أعلم^(٣).

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢ / ٤٠٢ - ٤١٦) في خبر طويل جداً عن ابن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٦١٦) عن ابن إسحاق. وهو بلا شك من خرافات الإسرائيليات.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٤)، وعده من العجائب. قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ٩٧): «واختلف العلماء هل هو باق إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا يقول، ويقبح قول من يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقاءه. وروى أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل =

(١٢٤) - ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْفَرُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْفَرُونَ﴾ عذاب الله بالإيمان به، وقيل: معناه: اتقوا الله.

(١٢٥) - ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾.

﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ قيل: من الدعاء الذي هو الطلب؛ أي: تطلبون الخير من الصنم وتذرون أحسن الخالقين.

وقيل: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ إلهًا، وتعرضون عن أحسن الخالقين.

وقيل: معنى ﴿أَنْدَعُونَ﴾: أْتَسْمُونَ الصنم إلهًا؟

وفي «بعل» أقوال:

أحدها: أنه اسم صنم لقوم كانوا يسكنون موضعًا يُقال له: بك، فركبًا فصار: بَعْلَبَكَّ، فبعث الله إليهم إلياس.

وقيل: اسم امرأة عبدها قوم^(١).

وقيل: البعل: الربُّ.

وقيل: البعل: الربُّ المملك، كالزوج ربُّ البضع، وهو مملك.

وقيل: بعل: تين عبده أهل ذلك الزمان.

وقوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: المصوِّرين، وقيل: المُقَدِّرِينَ، وقد سبق.

= عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على

رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»؟ رواه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، وعده من العجائب.

(١٢٦) - ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ .

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ النَّصْبُ عَلَى الْبَدْلِ مِنْ ﴿أَحْسَنَ﴾، وَلَا يَجُوزُ الْوَصْفُ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَالرَّفْعُ^(١) عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، وَالْمَعْنَى: اللَّهُ مُرَبِّكُمْ وَرَازِقِكُمْ وَمُرَبِّي آبَائِكُمْ وَأَجْدَادِكُمْ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي وَرَازِقَهُمْ.

(١٢٧) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُّحْضَرُونَ﴾ .

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أَي: كَذَبَهُ قَوْمُهُ ﴿فَأَنَّهُمْ مُّحْضَرُونَ﴾ فِي الْعَذَابِ، وَالْإِحْضَارُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي^(٢) الشَّرِّ. قَالَ صَاحِبُ «النِّظْمِ»: عُرِفَ بِالْقَرِينَةِ أَنَّهُ لِلشَّرِّ^(٣).

(١٢٨) - ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ .

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الْإِسْتِثْنَاءُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، وَقِيلَ: مِنَ الْمُحْضَرِينَ.

(١٢٩ - ١٣٠) - ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٠﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ﴾ .

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٠﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَعَنَهُ فِي الْيَأْسِ، كَسَيْنَا وَسِينِينَ، وَمِيكَالَ وَمِيكَائِيلَ.

وَالثَّانِي: أَصْلُهُ: الْيَأْسِيُّ، بِيَاءِ النِّسْبِ، ثُمَّ حُذِفَ كـ ﴿الْأَعْجَمِيِّينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨] ^(٤).

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم (الله ربكم ورب آبائكم)، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) في (ف): «عند».

(٣) في (ف): «الشر».

(٤) واعترضه الزمخشري في «الكشاف» (٦٠/٤) بقوله: «لو كان جمعاً لعُرِفَ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ»، لکنه =

وَقُرِيَ: ﴿آلِ يَاسِينَ﴾^(١)؛ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ ﴿يَسَ﴾ اسْمُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَلَّهُ: عِثْرَتُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ.

وقيل: على آلِ دينِ ياسين؛ يعني: المؤمنين.

وقيل: ﴿إِلَ﴾ زيادةٌ؛ أي: سلامٌ على يس، وهو مُحَمَّدٌ ﷺ.

وقيل: يس: اسمُ كتابٍ من كُتُبِ اللَّهِ، فَصَارَ كَقَوْلِكَ: سلامٌ على آلِ الْقُرْآنِ، حَكَاهُ أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَّائِيُّ^(٢).

(١٣١ - ١٣٢) - ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿﴾.

(١٣٣ - ١٣٦) - ﴿وَإِنَّ لَوْلَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١٣٣) إِذْ جِئْتَهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزَانِي

الْفَرِيدَيْنِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿﴾.

﴿وَإِنَّ لَوْلَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١٣٣) إِذْ جِئْتَهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزَانِي الْفَرِيدَيْنِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ

دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿﴾ سَبَقَ.

= ذهب إليه في قراءة: (على الياسين) بالوصل، فقال: «على أنه جمعٌ يُراد به إيلياس وقومه؛ كَقَوْلِهِمُ: الْخُبِيُّونَ وَالْمُهَلَّبُونَ».

والقراءة بالوصل هي قراءة الحسن كما في «تفسير يحيى بن سلام» (٨٤١/٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٩٤/٣)، وزاد ابن جني في «المحتسب» (٢٢٣/٢) نسبتها لابن محيصن، وعكرمة بخلاف، وأبي رجاء.

(١) قرأ بها نافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/٩٨٤)، وعده من العجائب.

(١٣٧ - ١٣٨) - ﴿وَإِنَّكَ لَمُتْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَإِنَّكَ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمُتْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ﴾؛ أي: تَمُرُونَ في أسفاركم على ديارهم ليلاً ونهاراً.

وقيل: بكرةً وعشيّاً؛ لأنَّ سدومَ في طريقِ الشامِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن من فعل ذلك بهم قادرٌ على أن يفعل بكم مثل ما فعل بهم.

إن قيل: لِمَ لَمْ يَخْتِمْ قِصَّةَ لوطٍ ويونسَ بالسَّلامِ أُسوةً بَمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ في السُّورَةِ؟

قلنا: لأنَّه لَمَّا قال: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فكأنَّه قد قال: سلامٌ عليهما؛ لأنَّ الله قد سلَّم على جميع المرسلين آخر السُّورة فقال: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، فاكتفى بذلك عن ذكر كلِّ واحدٍ مُنفرداً بالسَّلامِ، وأمَّا إيلاس؛ فمِنَ الْقَبِيلِ الْأَوَّلِ فَيَمِّنُ جَعَلُ ﴿إِلِ يَاسِينَ﴾ لغةً في ﴿إِيلَاسَ﴾، ومَن جعله غيرَه أو قرأ ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ فمِنَ الْقَبِيلِ الثَّانِي. والله أعلم.

(١٣٩ - ١٤٠) - ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ .

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَتَى﴾: هَرَبَ .

ابنُ عيسى: الْآبَى: الْفَارُّ إِلَى حَيْثُ لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ الطَّالِبُ، فَشَبَّهَ يُونُسَ بِالْفَارِّ مِنْ مَوْلَاهُ^(١).

وقيل: أَبَى: خَرَجَ. وقيل: فَرَعَ. وقيل: تَبَاعَدَ.

﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: الْمَمْلُوءِ، وقيل: الْمُجَهَّزِ.

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/٢٥٠) بلا نسبة.

وكان يونس عليه السّلامُ وعدّ قومه العذابَ، فلمّا تأخّر العذابُ عنهم خرجَ كالْمُتَشَوِّرِ^(١) منهم، فقصّد البحرَ وركبَ السّفينةَ.

وقيل: لمّا وعدّهم بالعذابِ خرجَ من بين أظهرهم كعادةِ الأنبياءِ إذا نزلَ بقومهم العذابُ، وكان ذلك بغيرِ إذنٍ من الله، وقد سبق.

(١٤١) - ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

﴿فَسَاهَمَ﴾: قَارَعَهُمْ مَرَّةً، وقيل: ثلاثَ مرّاتٍ. وقيل: سبعينَ مرّةً.

والمُساهمةُ: إلقاءُ السّهامِ على جهةِ القرعةِ.

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾؛ أي: فوقَ السّهمِ عليه، فكانَ منَ المقروعين المغلوبين بالحجّة، تقول: دَحَضْتُ حُجَّتَهُ فهي داحضةٌ، وأدحضتُ زيداً؛ إذا أدحضتَ حجّته وغلبته. ابنُ عيسى: المُدْحَضُ: المُلقى في البحرِ، والدَّحَضُ: الرّلقُ^(٢).

(١٤٢) - ﴿فَاللَّقَمَةُ الْحُوْتُ وَهُوَ مِلْمٌ﴾.

﴿فَاللَّقَمَةُ الْحُوْتُ﴾: ابتلعه، وقيل: أخذه بفيه كاللّقمةِ.

﴿وَهُوَ مِلْمٌ﴾: أتى بما يُلامُ عليه.

وقيل: يُلومُ نفسه.

وقيل: يُلامُ. والوجهُ الأوّلُ.

(١) المتشوّر: الخجلان. انظر: «تاج العروس» مادة: (ش و ر)، (٢٥٧/١٢).

(٢) ذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (٢/٢٥٠) بلا نسبة.

(١٤٣) - ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ .

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ : المصلِّين قبل ذلك .

وقيل : هو من قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنبياء : ٨٧] .

وقيل : من التائبين .

وقيل : من العابدين .

وقيل : من المصلِّين في بطن الحوت .

(١٤٤) - ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ .

﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بقي هو والحوت إلى يوم البعث .

والثاني : يموت الحوت ويبقى هو في بطنه .

والثالث : يموتان ثم يحشر يونس من بطنه .

فلم يلبث لكونه من المُسَبِّحِينَ في بطن الحوت إلا ساعة من الزمان عند

الحسن^(١) .

وقيل : التَّقَمَهُ ضَحَّى وَلَفَّظَهُ عَشِيَّةً .

قتادة : ثلاثة أيام^(٢) .

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٤ / ٣١٣) بلفظ : «لم يلبث إلا قليلاً وأخرج من بطنه بعيد الوقت

الذي التقم فيه» .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٣٠) ، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٦٨) .

وقيل: سبعة أيام.

وقيل: أربعين يوماً، وعليه الأكثرون.

قال أبو علي: ستة أشهر^(١).

(١٤٥) - ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾.

﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾: رَمَيْنَاهُ بِالْمَكَانِ الْخَالِيِ الَّذِي لَا شَجَرَ فِيهِ وَلَا بِنَاءَ.

وقيل: العراء: الفضاء.

وقيل: العراء: الأرض.

وقيل: الساحل.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: مَرِيضٌ مِمَّا نَالَهُ مِنَ الْقِتَامِ الْحَوْتِ.

وقيل: صارَ كَبِدِنِ الْأَطْفَالِ فِي الرَّقَّةِ وَالضَّعْفِ.

وقيل: كالفرخِ الْمُمَعَّطِ^(٢).

(١٤٦) - ﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِّنْ يَقْطِينٍ﴾.

﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ أَكْثَرُهُمْ عَلَى أَنَّهَا الْقَرْعُ، وَالْيَقْطِينُ مِنَ الشَّجَرِ:

مَالُهُ وَرَقٌّ عَرِيضٌ مُنْبَسِطٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ خُصَّ بِالْقَرْعِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا بُدِّدَ بِالْعَرَاءِ كَانَ فِي غَايَةِ الرَّقَّةِ وَاللَّطَافَةِ،

(١) لعلّه الجبائي، فالمصنف ينقل عنه وعن الفارسي، ولم أقف على قوله، وليس عليه وعلى ما قبله دليل، وليس لنا بها حاجة. قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ١٢٤): «ذكر في مدة لبثه في بطن الحوت أقوال متكاذبة، ضربنا عن ذكرها صفحاً».

(٢) أي: لا يغطي جلده شيء. انظر: «لسان العرب» مادة: (مع ط)، (٧/ ٤٠٥).

فكان يُؤذيه وقوعُ الذُّبابِ عليه، وورقُ القرعِ لا يحومُ حوله الذُّبابُ ولا يقعُ عليه^(١).
والله أعلم.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وكانت تختلفُ إليه وَعَلَّةٌ يشربُ من لبنها حتَّى قَوِيَ^(٢).
ثمَّ يَسْتِ الشَّجَرَةَ فبكى حُزناً عليها، فأوحِيَ إليه: أتبكي على هلاكِ شجرةٍ ولا
تبكي على هلاكِ مئةِ ألفٍ أو يزيدون^(٣)؟

(١٤٧) - ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هم القومُ الذين بُعِثَ إليهم قبلَ الالتقامِ، فيكونُ (قد) مُضْمَرًا.
والثاني: أُرْسِلَ بعدَ الخروجِ من بطنِ الحوتِ إلى قومٍ غيرِ الأوَّلِ.
وقيل: يجوزُ أن يكونَ أُرْسِلَ إلى الأوَّلِينَ بشريعةٍ أُخْرَى فآمَنُوا به^(٤).
قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ابنُ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: ثلاثينَ ألفًا^(٥).
وقيل: بضعةٌ وثلاثينَ ألفًا^(٦). وقيل: بضعةٌ وأربعينَ. وقيل: سبعينَ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٥)، وعده من العجائب.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٦) عن سعيد بن جبير، وذكره البغوي في «تفسيره»

(٤/ ٤٨) عن مقاتل.

(٤) في (ف): «بها».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٧) بلفظ: «بل يزيدون، كانوا مائة ألف وثلاثين ألفًا»، ورواه

ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣١) بلفظ: «يزيدون ثلاثين ألفًا».

(٦) «ألفًا»: ليس في (ف).

وجاء مرفوعاً: عشرين ألفاً^(١).

ويحتمل: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في مرور الزمان؛ لأنه بقي فيهم مدة؛ لقوله:
﴿فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وفي ﴿أَوْ﴾ أقوال:

أحدها: بمعنى الواو.

والثاني: بمعنى: بل.

والثالث: هو للإبهام على أصله في حق المخاطبين؛ أي: لو رأيهم واحد منكم
لقال: مئة ألف أو يزيدون، وكذلك ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، وهذا مذهب النحاة.

وقيل: كان الفرض عليه أن يدعو مئة ألف، ثم خيره فيما بعد؛ أي: أو يزيدون إن شاء.

قلت: يمتنع أن يكون ﴿يَزِيدُونَ﴾ عطفًا على ﴿مِائَةِ أَلْفٍ﴾ من وجهين:

أحدهما: أن قوله: ﴿يَزِيدُونَ﴾ فعل، والفعل لا يعطف على الاسم.

والثاني: أن ﴿مِئَةٍ﴾ مجرورٌ بـ ﴿إِلَىٰ﴾، والفعل لا يليه حرف الجر، بل التقدير:

إلى مئة ألف أو ذوي عدد يزيدون على مئة ألف.

ويحتمل أيضًا أن التقدير: أرسلناه إلى مئة ألف، أو أرسلناه إلى قوم يزيدون

على مئة ألف، و﴿أَوْ﴾ للإبهام في حق المخاطبين كما سبق. والله أعلم.

(١٤٨) - ﴿فَتَأْمَنُوا فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَتَأْمَنُوا﴾ به وبما أرسل به، وعلى القول الأول: جددوا إيمانهم.

(١) روى الترمذي (٣٢٢٩) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله

تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: «عشرون ألفاً»، وقال الترمذي: «هذا حديث

غريب». وفي سنده ضعيف ومجهول.

﴿فَمَتَّعْتَهُمْ﴾: بَقِيَّتُهُمْ فِي لَذَّةٍ وَرَاحَةٍ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إِلَىٰ مُتَّهَىٰ أَجَالِهِمْ.

(١٤٩) - ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾.

﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ﴾: سَأَلَ يَا مُحَمَّدُ أَهْلَ مَكَّةَ، وَالِاسْتَفْتَاءُ: طَلَبُ الْفَتْوَى، وَهِيَ: جَوَابُ الْمَسْأَلَةِ؛ أَي: سَأَلْتَهُمْ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَجْهِيلٍ؛ يَعْنِي: بَنِي خُرَاعَةَ؛ لِأَنَّهَمْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

﴿الرَّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾؛ أَي: أَيُّ قِيَاسٍ يَقْتَضِي أَنْ يَخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ الْأَنْقَصَ وَيَجْعَلَ لَكُمْ الْأَفْضَلَ!؟

(١٥٠) - ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْدَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْدَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: حَاضِرُونَ خَلَقْنَا إِيَّاهُمْ، فَهَمْ يَشْهَدُونَ عَنْ مُشَاهَدَةٍ وَعِيَانٍ.

(١٥١-١٥٢) - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَا اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَا اللَّهِ﴾؛ أَي: لَمْ يَقُولُوا عَنْ قِيَاسٍ وَلَا مُشَاهَدَةٍ، بَلْ عَنْ كَذِبٍ مُحْضٍ يَقُولُونَ: وَلَدَهُمُ اللَّهُ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي هَذَا وَفِي سَائِرِ مَا يَتَدَيَّنُونَ بِهِ.

(١٥٣) - ﴿أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾.

﴿أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ مِّنْ وَصَلِ الْأَلْفَ جَعَلَهُ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَدَ﴾

اللَّهُ ﴿١﴾، أو بإضمارِ القولِ على تقديرٍ: (يقولون: اصْطَفَى البناتِ على البنين). وَمَنْ
 قطع الألفَ جعله استفهامًا ووصله بقوله: ﴿الرَّيكَ أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١).
 ﴿اصْطَفَى أَلْبَنَاتٍ عَلَى أَلْبَنِينَ﴾ والاصطِفَاءُ: أخذُ صِفْوَةِ الشَّيْءِ؛ أي: فكيفَ أخذَ
 الشَّائِبَ الكَدِيرَ وتركَ الصَّفْوَةَ الخَالِصَ؟

(١٥٤ - ١٥٥) - ﴿مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾.

﴿مَالِكُمْ﴾: أيُّ شيءٍ لكم في هذه الدَّعْوَى ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لربِّكم ما لا تَرْضُونَهُ
 لأنفسِكُمْ؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَنَّهُ واحدٌ لا ولدَ له؛ لا ذَكَرًا ولا أنثى؟

(١٥٦ - ١٥٧) - ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥٦) فَأَتُوا بِكِنْيَتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾ كتابٌ من عندِ الله فيه أَنَّ الملائكةَ بناتُ الله.
 ﴿فَأَتُوا بِكِنْيَتِكُمْ﴾؛ أي: فاتوا بذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعْوَاكُمْ؛ أي: بقي في
 القسمةِ وجهٌ ثالثٌ لَمَّا بطلَ القياسُ والمُشاهدةُ، وهو: إخبارُ صدقٍ؛ أي: في كتابٍ
 من عندِ الله، وليس عندكم ذلك أيضًا، فقد بطلَ حجَّتكم وظهرَ عنادكم.

(١) قرأ أبو جعفر بوصول الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدئ بهمزة مكسورة، واختلف عن ورش؛
 فروى الأصبهاني عنه كذلك، وهي رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع، وروى عنه الأزرق
 بقطع الهمزة على لفظ الاستفهام، وكذلك قرأ الباقون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«النشر»

(١٥٨) - ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾: الملائكة ﴿نَسْبًا﴾ حين قالوا: إنهم بناتُ الله، وسموا

الملائكة جنَّةً لاستتارهم عن العيون.

وقيل: إنَّ أهلَ الجاهليَّةِ كانوا يُسمُّونَ الملائكةَ جنَّةً.

وقيل: هم بطنٌ من الملائكةِ.

وقيل: سُمُّوا جنَّةً لأنَّهم في الجنانِ.

وجماعةٌ من المُفسِّرينَ على أنَّ الجنَّةَ هاهنا: الجنُّ المعروفُ.

وقال الكلبيُّ: قالوا: الباري سبحانه تزوَّجَ إلى الجنِّ فخرجَ منها الملائكةُ^(١).

عكرمةُ: قالوا: سرَّواتُ الجنِّ بناتُ الرَّحمنِ^(٢).

وقال بعضُ الكفَّارِ: إبليسُ والباري أخوانِ، والنُّورُ والخيرُ من الله، والظُّلمةُ

والشرُّ من إبليس^(٣)، تعالى الله عمَّا يقولُ الظَّالمونَ علواً كبيراً.

وقال الحسنُ: أشركوا الشَّيطانَ في عبادةِ الله، فهو النَّسبُ الذي جعلوا بين الله

وبين الجنَّةِ^(٤).

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٧٢)، والواحدي في «البيسط» (١٩/ ١٢١) عن الكلبي من

قول الزنادقة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٣٣)، وذكره السمرقندي في «تفسيره»

(٣/ ١٥٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٥)، والماوردي في

«النكت والعيون» (٥/ ٧٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ السُّدِّيُّ وَالزَّجَّاجُ وَالْفَرَّاءُ: عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ لَمُحْضَرُونَ فِي النَّارِ (١).

مجاهدٌ: أَي: عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ لِلْحِسَابِ (٢)، وَالْقَوْلُ هُوَ الْأَوَّلُ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْجِنَّةَ هُمُ الْجِنُّ الْمَعْرُوفُ قَالَ: وَلَقَدْ عَلِمَ الْجِنُّ الَّذِينَ نَسُبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنَّهُمْ مُعَذَّبُونَ، وَهَذَا فِيهِ كَلَامٌ، أَوْ يُحْمَلُ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ.

(١٥٩) - ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ وَالْأَخِ وَالصَّاحِبَةِ.

(١٦٠) - ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ تَقَدَّمَ، تَقْدِيرُهُ: لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُحْضَرُونَ.

(١٦١ - ١٦٣) - ﴿فَاتَّكُرُومًا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفَتِينٍ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَاتَّكُرُومًا تَعْبُدُونَ﴾؛ أَي: مِنَ الْإِلَهَةِ، وَهَذَا خَطَابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ﴾.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣١٥)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٦٦)، وقال: «كذا قال السدي، وهو صحيح، وكذا كل ما في السورة من محضرين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣١).

﴿مَا أُنْتَرَعَيْتِهِ بَفْتِنَيْنِ﴾؛ أي: مُهْلِكَيْنِ، وقيل: الفاتن: الداعي إلى الضلال

بتزيينه.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾: داخل النار، والمعنى: إِلَّا مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ.

وقيل: إِلَّا مَنْ تَوَلَّيْتُمْ.

وقيل: إِلَّا مَنْ قَدَّرَ اللهُ لَهُ أَنْ يَصَلِيَ الْجَحِيمَ.

وقيل: إِلَّا مَنْ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُ يَصَلِيَ الْجَحِيمَ.

الحسن: معناه: يا بني إبليس ليس لكم سلطان إِلَّا على مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ^(١)؛

أي: يُعَذَّبُ بنيرانها.

(١٦٤ - ١٦٦) - ﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ﴾.

﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ أي: وما منا أحدٌ إِلَّا له مَقَامٌ مَعْلُومٌ، فيه أقوال:

الجمهور: على أَنَّهُ كَلَامُ الْمَلَائِكَةِ؛ أي: وما منا مَلَكٌ إِلَّا له فِي السَّمَاءِ مَقَامٌ

مَعْلُومٌ يَعْبُدُ اللهُ هُنَاكَ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾؛ أي: نَقِفُ صُفُوفًا فِيهَا، وقيل: حَوْلَ الْعَرْشِ. وقيل: فِي

الهِوَاءِ.

وقيل: الصَّافُّونَ فِي الصَّلَاةِ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ﴾: الْمُنَزَّهُونَ الْمُمَجِّدُونَ، فَمَنْ أَيْنَ اسْتَحَقَّقْنَا الْعِبَادَةَ عِنْدَ

الْكَفَّارِ؟

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٨).

وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « مَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٌ قَدِمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ »^(١).

قتادة: كَانَ يُصَلِّي الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ مَعًا حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ وَمِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾، فَتَقَدَّمَ الرَّجَالُ وَتَأَخَّرَ النِّسَاءُ، قَالَ: وَكَانُوا يُصَلُّونَ فُرَادَى حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾^(٢).

وقيل: الْمُضْمَرُونَ فِي هَذَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَمَنْ خَاطَبَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، يَقُولُ: لَيْسَ مِنَّا وَمِنْكُمْ إِلَّا مَنْ لَه فِي الْآخِرَةِ مَقَامٌ مَعْلُومٌ كَقَوْلِهِ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾^(٣) وَرَأَتْهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ [النَّازِعَاتِ: ٣٧ - ٤١]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾؛ أَي: النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ؛ أَي: نَحْنُ الصَّافُونَ لِلَّهِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ الْمُنَزَّهُونَ اللَّهُ عَنِ الشُّوْءِ.

وقيل: مَا مِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ لَه مَقَامٌ مَعْلُومٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ^(٣).

(١) رواه المروزي في «الصلاة» (٢٥٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٨٢٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٨). وروى الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء وحق لها أن تظت، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله...»، قال الترمذي: «حديث حسن غريب... ويروى عن أبي ذر موقوفاً».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٧٢ / ٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٩٨٦ / ٢)، واستغربه.

(٣) عزاه المصنف في «غرائب التفسير» (٩٨٦ / ٢) للكوفيون ثم قال: «وهذا لا يجوز عند البصريين».

(١٦٧ - ١٧٠) - ﴿وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ .

﴿وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى كَفَّارِ مَكَّةَ، كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ جَاءَنَا كِتَابٌ كَمَا جَاءَ غَيْرَنَا مِنَ الْأُولِينَ لِأَخْلَصْنَا عِبَادَةَ اللَّهِ .

وقيل: لو أن عندنا علمًا كما للأولين من كتابٍ ورسولٍ .

وقيل: المرادُ بالأولين النبيون والصالحون، وهو قوله: ﴿لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ .

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾؛ أي: فلما جاءهم محمدٌ ﷺ ومعه القرآن، وفيه ذِكرٌ من الأولين وذكُرٌ من الآخرين ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾، الهاءُ يَعُودُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

وقيل: إلى الذِّكرِ .

وقيل: للآيةِ وجهٌ آخرٌ؛ وهو: أَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا حَالَ آبَائِنَا وَمَا آَلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ كَمَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ لَأَمَنَّا بِهِ وَأَخْلَصْنَا، لَكِنَّا عَلَى شَكٍّ مِمَّا يَقُولُهُ فَلَا نُصَدِّقُهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ .

ثُمَّ أَوْعَدَهُمْ فَقَالَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ (١) .

(١٧١) - ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: سبق وعَدْنَا إِيَّاهُمْ بِالنُّصْرَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية [غافر: ٥١] .

وقيل: ﴿كَلِمَتُنَا﴾ ما ذُكِرَ مِنْ قَوْلِهِ:

(١٧٢ - ١٧٣) - ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (٧٤) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿﴾.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ بالحجّة ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾، ولم يُقتل نبيٌّ في معركةٍ وقاتل، وإنما قتل منهم من لم يؤمر بالقتال.

وقيل: هم المنصورون بالحجّة والغالبون بالسُّلطان.

الكلبيُّ: إن لم يُنصروا في الدُّنيا نُصروا في الآخرة^(١).

(١٧٤) - ﴿فَوَلَّعْتَهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَوَلَّعْتَهُمْ﴾: أعرّض عن قولهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى يوم بدرٍ.

وقيل: إلى فتح مكّة.

وقيل: إلى الموت.

وقيل: إلى يوم القيامة.

وقيل: إلى أن تؤمر بالقتال.

والآية منسوخة. وقيل: ثابتة.

(١٧٥) - ﴿وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾.

﴿وَأَبْصَرْتُمْ﴾؛ أي: وأبصر ما ينالهم يومئذٍ ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ ذلك.

وقيل: وأنظرهم إلى ذلك الوقت^(٢).

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤ / ٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) هذه العبارة في تفسير الآية السابقة، ومقتضاها أن يكون الهين الذي وُقت لإنظارهم وقت معاينتهم

وقيل: أَبْصِرْ حالهم بقلبك، فسوف يُبْصِرُونَ مُعَايَنَةً.

وقيل: أَعْلِمَهُمْ فسوف يَعْلَمُونَ.

وقيل: أَبْصِرْ ما ضَيَّعُوا من أَمْرِنَا، فسوف يُبْصِرُونَ ما يحلُّ بهم من عَذَابِنَا.

(١٧٦) - ﴿أَفَعَدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿أَفَعَدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ لَمَّا نَزَلَ: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قالوا: متى هذا الذي تُوعِدُنَا به؟

فنزلت: ﴿أَفَعَدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

(١٧٧) - ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِحِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِحِهِمْ﴾: بدارهم؛ أي: العذاب.

وقيل: مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾: فبئس صباح الكافرين يوم نزل العذاب، وذكر الصِّبَاحِ

والمُرَادُ به اليوم.

وقيل: نَزَلَ وقت الصُّبْحِ، كما نزلَ بقومِ لوطٍ من قوله: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

[هود: ٨١].

(١٧٨ - ١٧٩) - ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قيل: هذا التَّكْرَارُ^(١) للتَّأْكِيدِ.

وقيل: الأوَّلُ في الدُّنْيَا، والثَّانِي في الآخِرَةِ.

(١) في (ف): «تكرار».

وقيل: ترى اليومَ عزَّهم إلى ذلٍّ، وترى بعدَ اليومِ ما تحتقرُّ معه ما شاهدتهم فيه من عذابِ الدنيا، وحُذِفَ الضَّميرُ اكتفاءً بالأوَّلِ.

(١٨٠ - ١٨١) - ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزهة نفسه، وأمر المؤمنين بالتنزيه.

ومعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: ذو العِزَّة؛ لأنَّ العِزَّةَ صِفَتُهُ لا مربوبُهُ، وفي الحديث أنَّ ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما سمع رجلاً يقول: اللَّهُمَّ رَبَّ الْقُرْآنِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ وَقَالَ: الْقُرْآنُ لَيْسَ بِمَرْبُوبٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ (١).

﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ عَمَّ الرُّسُلَ بِالسَّلَامِ بَعْدَمَا حَصَّ الْبَعْضَ فِي السُّورَةِ؛ لِأَنَّ تَخْصِيصَ كُلِّ وَاحِدٍ بِالذِّكْرِ يَطْوُلُ.

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» (٢).

(١) رواه ابن بطه في «الإبانة» (٤٠)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٣٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩ / ٦٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٣٤) عن قتادة مرسلًا.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٤٤٣) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٣٤) عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة رضي الله عنهما. وروى البزار في «مسنده» (٩٤١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «صلوا على أنبياء الله فإن الله تبارك وتعالى بعثهم كما بعثني». وانظر: «جلاء الأفهام» (ص: ٤٦٢).

وقيل: المراد بهم من تقدّم ذكرهم في السّورة.
والقول هو الأوّل، والمعنى: يُسَلِّمُهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ من كلّ مكروه.
و﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِالْعِزَّةِ؛ أي: امتنعَ عَمَّا يَصِفُونَ.

(١٨٢) - ﴿وَلِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هلاك الكافرين.

وقيل: علّم عباده كيف يحمدونه في الفواتح والخواتم.

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمَكِّيَالِ
الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيَكُنْ آخِرُ كَلَامِهِ مِنْ مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى آخر السّورة^{(١)(٢)}.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤٤٥/٢٢ - ٤٤٦)، والواحي في «الوسيط» (٥٣٦/٣). وفي إسناده
الأصغر بن نباتة رمي بالكذب. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣٠٨/٣). ورواه ابن أبي حاتم في
«تفسيره» (٣٢٣٤/١٠) عن الشعبي.

(٢) بعدها في (ف): «تَمَّ الرَّبُّعُ الثَّلَاثُ مِنْ كِتَابِ لُبَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَيَتْلُوهُ فِي الرَّبُّعِ الرَّابِعِ أَوَّلُ سُورَةِ
ص. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ. اتَّفَقَ الْفَرَاغُ
مِنْ كِتَابِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِئَةِ هِجْرِيَّةٍ، كَاتِبُهُ الْعَبْدُ
الضَّعِيفُ الْمُحْتَاجُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُؤَدَّنُ بِجَامِعِ عَرَبِيِّ عَسْكَرِ
مَكْرَمٍ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

سُورَةُ صَاءِ



سُورَةُ ص

ثمانٍ وثمانون آيةً^(١)، مَكِّيَّةٌ.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(١ - ٢) - ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(١) بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ﴾ سبقَ الكلامُ^(٢) في الحروفِ، وتختصُّ ﴿صَّ﴾ بأقوالٍ:

قال ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: اسمُ بحرٍ عليه عرشُ الرَّحْمَنِ^(٣).

سعيدُ بنُ جبَّيرٍ: ﴿صَّ﴾ بحرٌ يحيي اللهُ به الموتى بين النَّفْخَتَيْنِ^(٤).

وقيل: اسمٌ من أسماءِ اللهِ.

وقيل: اسمٌ للقرآنِ.

وقيل: اسمُ السُّورَةِ.

(١) «ثمان وثمانون آية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد أي القرآن» (ص: ٢١٤)، وفيه: «خمس وثمانون في البصري، وهو عدد عاصم الجحدري، وست في عدد المدنيين والمكي والشامي، وثمان في الكوفي، اختلافها ثلاث آيات...».

(٢) في (ف): «القول».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٤٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٩)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٤٥٢)، والواحدي في «البيضا» (١٩ / ١٣٥).

الفراءُ: هو كقولك: وجَبَ والله، نَزَلَ والله^(١).

وقيل: صدَقَ الله والقرآن.

وُقِرِيَ بالفتح^(٢)، كأنه حُرِّكَ بالفتح لالتقاء الساكنين.

وقيل: اسمٌ للسورة لا ينصرف؛ أي: اقرأ صَادَ.

وقيل: فعلٌ ماضٍ؛ أي: صادَ محمَّدٌ قلوبَ العبادِ^(٣).

وُقِرِيَ بالكسر^(٤) لالتقاء الساكنين.

وقيل: أمرٌ من صادَى^(٥) يُصادي؛ أي: صادِ بالقرآنِ عملَكَ^(٦).

قال أبو علي: الواوُ بدلٌ من الباءِ في غيرِ القسمِ^(٧).

﴿ذِي الذِّكْرِ﴾: ذي البيان.

وقيل: ذي الشرف.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٩٦).

(٢) أي: صادَ، ونسبت لعيسى الثقفي ومحبوب عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢ / ٢٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٩)، وعده من العجائب.

(٤) أي: صادِ، ونسبت لأبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق وأبي السمال وابن أبي عبله ونصر بن عاصم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٣٩٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢ / ٢٣٠)، و«البحر» (١٨ / ٢٢٨).

(٥) في هامش (ف): «وقيل: صادى من المقابلة ومنه الصدى في الجبل».

(٦) ذكره أبو علي في «الحجة» (٤ / ١٤٩)، وزاد: «ومن ذلك الصدى، وهو انعكاس الصوت إذا فعل في موضع صقيل كثيف».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٨٩)، واستغربه.

(٧) انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (ص: ٢٥٥).

وقيل: فيه ذِكْرُ الْأَوَّلِينَ وَنَبَأُ الْآخِرِينَ.

المُبْرَدُ: ذي الذِّكْرِ؛ أي: ذي المنع من^(١) القبيح كما تمتنع الذُّكْرَةُ وهي الصَّخْرَةُ الشَّدِيدَةُ الصَّلَابَةِ.

والجمهورُ على أَنَّ ﴿وَالْقُرْآنَ﴾ قَسَمٌ، واختلفوا في الجوابِ:

فقال بعضهم: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾.

وقال بعضهم: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾.

وقيل: مُضْمَرٌ؛ أي: لِيُبْعَثَنَّ.

وقيل: مُقَدَّمٌ على أَنْ يَكُونَ ﴿ص﴾ اسماً للقرآن، فيكون التَّقْدِيرُ: اذْكُرْ صَادِ وَالْقُرْآنِ، كما تقول: قُمْ وَاللَّهِ، وكذلك^(٢): صَدَقَ اللَّهُ وَالْقُرْآنِ.

وقيل: جوابُهُ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وَالتَّقْدِيرُ: لَكُمْ أَهْلَكْنَا، كما في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ في سورة (الشمس)؛ أي: لقد أَفْلَحَ، لكنَّ لَمَّا حِيلَ بَيْنَ الْقَسَمِ وَالْمُقَسَّمِ عَلَيْهِ حُذِفَ اللَّامُ فَصَارَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، وكذلك^(٣) هَاهُنَا، وَهَذَا قَوْلُ الْقُرَّاءِ^(٤)، وَهُوَ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ؛ لِأَنَّ (كَمْ) لَتَضْمُنُهُ مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ لَا يَعْمَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ، فَلَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى اللَّامِ.

وقيل: جوابُهُ مُضْمَرٌ دَلَّ عَلَيْهِ:

(١) في (ف): «عن».

(٢) في (ن): «فكذلك».

(٣) في (ف): «فكذلك».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للقرَّاء (٢/ ٣٩٧)، وذكره المصنف في «تب التفسير» (٢/ ٩٩٠) وعده

﴿بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وتقديره: ما آمن بك قومك، بل هم ﴿فِعْرِ﴾.

و(بل) لترك كلامٍ وأخذ كلامٍ آخر.

قوله: ﴿فِعْرِ﴾؛ أي: أنفة من الانقياد للحق.

وقيل: معنى ﴿فِعْرِ﴾: عازوا الرسل وطلبوا بتكذيبهم أن يكونوا أعز منهم.

وقيل: ﴿فِعْرِ﴾: في امتناع من أتباعهم.

وقيل: في منعة بتمكين الله إياهم، قد تقووا به على دفع الحق.

وقيل: في تمنع على من يدعوهم إلى رشيد.

وقيل: في تكبر عن قبول الحق.

﴿وَشَقَاقٍ﴾: خلافٍ وعداوةٍ، وقيل: فراقٍ.

(٣) - ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَّتْ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾؛ أي: كم قرناً، وقيل: كم مرةً أهلكنا^(١).

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: قبل قومك ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: أمة من الأمم.

وقيل: القرن: الزمان، والتقدير: من أهل زمانٍ، وهو ثلاثون سنةً.

وقيل: أربعون سنة.

وقيل: ستون سنةً.

وقيل: ثمانون.

وقيل: مئة.

(١) في (ف): «أهلكت».

وقيل: مئةٌ وعشرون سنةً.

﴿فَنَادَا﴾: رفعوا أصواتهم بالويل، وأظهروا الندم في البكاء على أنفسهم، والنداء: رفع الصوت، من قول العرب: هو أندى صوتاً من غيره.

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أصله (لا) زيدَ عليه التاءُ كما زيدَ في (ثُمَّتَ) و(رُبَّتَ)، فيكون ﴿حِينَ﴾ منصوباً به، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: لا حينَ مناصٍ لهم، ويختصُّ بالدخولِ على الأزمنةِ فحسب.

والثاني: أن أصله (ليس) ثُمَّ قَلِبَ^(١) الياءُ ألفاً، وَقَلِبَ السَّيْنُ تَاءً، كما قال الشاعرُ:

يَا قَبْحَ^(٢) اللهُ بَنِي السَّعْلَاتِ عَمْرَو بْنَ يَرْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ^(٣)

يُرِيدُ: النَّاسَ، فيكونُ الاسمُ مُقَدَّرًا، وتقديره: وليس الحينُ حينَ مناصٍ.

والثالثُ: أن التَّاءَ مُلْحَقٌ بـ(حين) كما قال:

العاطِفُونَ لِحِينَ مَآ مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُطْعَمُونَ زَمَانَ مَآ مِنْ مُطْعِمٍ^(٤)

وكذلك تلحقُ (الآنَ) فيقالُ: تَلَانَ، قال الشاعرُ:

(١) في (ف): «فقلب».

(٢) في (ف): «قاتل»، وهي رواية.

(٣) الرجز لعلباء بن أرقم. انظر: «النوادر» لأبي زيد (ص: ٣٤٥)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت

(ص: ٤٢)، وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٠)، واستغربه.

(٤) البيت لأبي وجزة السعدي كما في «العين» (٨/ ٣٦٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)،

و«الوقف والابتداء» لأبي بكر الأتباري (١/ ٢٩٣).

نُوْلِي قَبْلَ نَأْيِ دَارِي جُـمَانَا وَصِلِينَا كَمَا زَعَمْتِ تَلَانَا^(١)
 وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو عُبَيْدٍ^(٢) وَقَالَ: نَظَرْتُ فِي الْإِمَامِ مُصْحَفِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ، وَكَانَ التَّاءُ مُتَّصِلًا بِـ﴿حِينَ﴾^(٣).
 وَالقَرَاءَةُ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ^(٤).

وَاخْتَلَفُوا فِي الْوَقْفِ؛ فَالْكَوْفِيَّةُ تَقْفُ بِالْهَاءِ قِيَاسًا عَلَى الْاسْمِ نَحْوُ: قَائِمَةٌ،
 وَالْبَصْرِيَّةُ تَقْفُ بِالتَّاءِ^(٥) قِيَاسًا عَلَى الْفِعْلِ نَحْوُ: ضَرَبْتُ، وَهَذَا الْمَرَضِيُّ عِنْدَ النُّحَاةِ^(٦).
 وَالْمَنَاصُ: مُصَدَّرُ نَاصٍ يَنْوِضُ نَوْضًا وَمَنَاصًا، وَهُوَ الْفِرَاؤُ وَالْمَهْرَبُ.

(١) البيت لجميل بثينة كما في «ديوانه» (ص: ٢١٨)، و«لسان العرب» مادة: (ت ل ن)، ودون نسبة في
 «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٨٤)، و«تفسير الطبري» (١٦/٢٠)، و«الصحاح» مادة: (ت ل ن).
 (٢) في هامش: «قال الشيخ: إن أبا عبيد قال: كان مصحف أمير المؤمنين ملطخًا بالدم وأكثر الدم كان
 في سورة النجم».

(٣) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩١).
 (٤) قال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ١٥٠ - ١٥١) معقبًا على كلام أبي عبيد: «ثم ذكر غير ذلك من
 حجج ظاهرة، وهو مع ذلك إمام كبير وحجة في الدين وأحد الأئمة المجتهدين مع أنني أنا رأيتها
 مكتوبة في المصحف الذي يقال له: الإمام، مصحف عثمان رضي الله عنه (لا) مقطوعةً والتاء
 موصولة بـ﴿حِينَ﴾، ورأيت به أثر الدم، وتبعته فيه ما ذكره أبو عبيد فرأيته كذلك، وهذا المصحف
 هو اليوم بالمدرسة الفاضلية من القاهرة المحروسة».

(٥) ﴿وَلَاتَ﴾ وقف الكسائي عليها بالهاء، والباقون بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ٦٠).

(٦) قال في «النشر» (٢/ ١٥٠): «وأما ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ فإن تاءها مفصولة من (حين) في مصاحف
 الأمصار السبعة فهي موصولة بـ(لا) زيدت عليها لتأنيث اللفظ كما زيدت في (ربت وثمت)، وهذا
 هو مذهب الخليل وسيبويه والكسائي، وأئمة النحو والعربية والقراءة، فعلى هذا يوقف على التاء،
 أو على الهاء بدلًا منها كما تقدم. وقال: أبو عبيد القاسم بن سلام إن التاء مفصولة من (لا) موصولة
 بـ﴿حِينَ﴾ قال: فالوقف عندي على (لا) والابتداء: (تحين)».

وقيل: المطلبُ.

وقيل: التأخرُ، والمعنى: لا منجى ولا فوت.

وقيل: ولات حين نداءٍ يُنجي.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كان كفَّارُ مَكَّةَ إذا قاتلوا فاضطروا في الحربِ قال بعضهم لبعضٍ: مناصٌّ؛ أي: اهْرُبوا وأخذوا حذرَكم، فلَمَّا نزلَ بهم العذابُ بيدرٍ قالوا: مناصٌّ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٧).

(٤) - ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ﴾؛ أي: من أن جاءهم ﴿مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ، استبعدوا أن يكون النبي من البشر.

﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ﴾ يسحرُ أعيننا في إظهارِ المُعْجِزَاتِ ﴿كَذٰبٌ﴾ يكذبُ على الله أنه رسوله.

(٥) - ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا﴾ معنى (جعل) هاهنا: سمى وحكم.

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ عجيبٌ في النهاية، وكيف يسعُ الخلقُ إلهً واحداً؟!

وفي سببِ النزولِ: أنه لما أسلمَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه شقَّ ذلك على قُرَيْشٍ وفرحَ المؤمنون، فقال الوليدُ بنُ المغيرةِ للملأ من قُرَيْشٍ وهم الصناديدُ والأشرافُ: امشوا إلى أبي طالبٍ، فأتوه فقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٤٦٠) عن ابن كيسان.

ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنا أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه فقال له: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السواء، فلا تمل كل الميل على قومك، فقال: «وماذا يسألونني؟» قالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك، فقال عليه السلام: «أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟» فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها، فقال عليه السلام: «قولوا: لا إله إلا الله»، فنفروا من ذلك، وقاموا وقالوا: أجعل الآلهة إلهًا؟ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟ فأنزل الله فيهم هذه الآيات^(١)، يريد: من أول السورة إلى قوله: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾.

(٦) - ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْهَتَكِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾.

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ أي: نهضوا من ذلك المجلس ﴿أَنْ آمَسُوا﴾ (أن) هذه هي المفسرة، ومعناه: (أي: امشوا) من غير أن تلفظوا به. وقيل: وانطلق الملاء منهم وقالوا لغيرهم: امشوا. وقيل: انطلقوا بأن امشوا؛ أي: بهذا القول، وليس المراد بالمشي السير، إنما المراد المضي على الأمر. وقيل: امشوا واتركوا محمدًا واصبروا على آلهتكم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٢٠) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/٤٦٠ - ٤٦١)،

والواحدي في «أسباب النزول» (١٩/١٥٤).

وروى أصله الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى»

(٨٧١٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقال بعضهم: هي من مشتِ الماشية - إذا كثر نسلها - مشاء، قال:

والعنز لا تَمْشي على الهمْلَعِ^(١)

وزَيْفَهُ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى، وقال: إِنَّمَا يُقَالُ: أَمْشَى الرَّجُلُ؛ إِذَا كَثُرَتْ مَاشِيَتُهُ^(٢)، وهذا يُوجِبُ: (أَنْ أَمْشُوا) بِالْقَطْعِ وَالْفَتْحِ.

وفي «تهذيب اللغة» عن الأزهري: مَشَى الرَّجُلُ - إِذَا اسْتَعْنَى - مَشَاءً^(٣)، فيحتملُ أَنْ يَكُونَ الْقَائِلُ ذَهَبَ إِلَى هَذَا، كَأَنَّهُ دَعَاءٌ لَهُمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾؛ أَي: عَلَى عِبَادَتِهَا.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني: التَّوْحِيدَ ﴿لَشَيْءٍ يُرَادُ﴾ ذَكَرَ بِلَفْظِ الْمَجْهُولِ وَالْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ أَي: هَذَا أَمْرٌ يُرِيدُهُ مُحَمَّدٌ.

وقيل: ﴿إِنَّ هَذَا﴾؛ أَي: الْاسْتِعْلَاءَ وَالتَّرْفُعَ وَالرِّيَاسَةَ ﴿لَشَيْءٍ يُرَادُ﴾؛ أَي: يُرِيدُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَكُلُّ ذِي هِمَّةٍ^(٤).

(١) في (ف): «مع الهملع»، وكذا في نسخة بهامش (ن)، وكلمة «الهملع» كتب تحتها في (ن): «الذئب». والرجز بلا نسبة في «جمهرة اللغة» (١ / ١٥٥)، و«الإتباع» لأبي علي القالي (ص: ٨٧)، و«غريب الحديث» للخطابي (٣ / ٢٠٦)، و«الصحاح» (٦ / ٢٤٩٣)، وفيها كلها: «والشاة» بدل «والعنز»، وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٣ / ١٧٤) بلفظ «فالعنز»، وذكر في «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٤ / ٦١) باللفظين.

وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٣) دون نسبة، وجاء في «تهذيب اللغة» (١١ / ٣٠١) يمش: يكثر، يقال: مشت إبل بني فلان تمشي مشاء، إذا كثرت»، وهو معنى ما قاله المصنف، وقد قال الخطابي..

في «غريب الحديث» (٣ / ٢٠٦): «يقال: أمش الرجل؛ إذا كثرت ماشيته، ومثله مش بغير ألف».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٣) واستغربه.

وقيل: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ بِنَا، وَمَكْرٌ يُمَكِّرُ عَلَيْنَا.

وقيل: إِنَّ هَذَا لَكَيْدٌ يُكَادُ.

وقيل: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني: عبادة الأصنام ﴿لشئ يُرادُ﴾ نُريدُه ونحتاجُ إليه.

(٧) - ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلَقٌ﴾.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾؛ أي: بالذي يقوله محمدٌ ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ قيل: فيما أدركنا

عليه آباءنا.

وقيل: الملة الآخرة: ملة عيسى عليه السلام؛ أي: دينه.

وقيل: اليهودية والنصرانية.

وقيل: في ديننا وزماننا.

وقيل: ما سمعنا بأن هذا يكون في آخر الزمان.

قال المؤرِّج: الملة الأولى بلغة القبط^(١).

وقيل: لم نعرفه في هذا الزمان، إنما هو شيء كان يبلغنا عمّن تقدّم فيما مضى

من الزمان.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلَقٌ﴾: كذبٌ اختلقه من تلقاء نفسه.

(٨) - ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلِّغْهُمْ فِي شَكِّ مِنْ ذِكْرِي بَلِّغْهُمُ الْوَعْدَ الَّذِي لَعَنَّا﴾.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: الوحي. وقيل: القرآن. وقيل: النبوة.

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٢٦)، وفيه: «وعن مؤرِّج بن عمرو قال: في الملة الآخرة؛ أي:

في الملة الأولى، وهو لغة لبعض العرب».

﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾؛ أي: كيف خُصَّ من بيننا بذلك؟ قالوه حَسَدًا، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِّنْ ذِكْرِي﴾: وَحَيِّي ووحْدَانِيَّتِي؛ أي: إنَّهم لا يُكذِّبُونَكَ ولكن جحدوا آياتي.

وقيل: ﴿مِنْ ذِكْرِي﴾؛ أي: ذِكْرِكَ لِي.

﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾؛ أي: لم يذوقوه بعدُ وسيذوقونه.

قتادة: هو يومٌ بدرٍ^(١).

وأخبرهم الله به قبل أن يكون، ولو ذاقوه لآمنوا ولم يجحدوا.

(٩ - ١٠) - ﴿أَمْعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾.

﴿أَمْعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ يعني: خزائن النبوة فيعطوا من يشاء، كقوله: ﴿أَهْرَاقِسِمُونَ رَحِمَتِ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقيل: ﴿خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾؛ أي: علم ذلك، فهم يعلمون على من ينزل وحي ربك.

﴿الْعَزِيزِ﴾ من أن يُغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ لمن يشاء ما يشاء.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أم الإلهية لهم فيتخيروا الرسل؟

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ / ٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٣٦)، لكن في قوله

تعالى: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْرَابِ﴾.

وقيل: معنى الآيتين: كيف يتجاسرون على عداوتي ولي ملك السموات والأرض؟

ابن عيسى: وجه اتصال ﴿أَمْعِنْدَهُمْ﴾ بما قالوا اتصال الإنكار لما قالوا قبله؛ أي: ذلك ليس إليهم، وإنما هو إلى من يملك هذه الأمور.

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾؛ أي: إن يملكوا السماء فليصعدوا إليها، والأسباب: الأبواب، والارتقاء يستعمل في الجبل، وهو الأصل، وفي الطريق والوسيلة وغير ذلك، ويقال للعالم المتبحر: قد ارتقى في الأسباب.

وقيل: الأسباب: هي التي تؤدي الملائكة إلى السماء التي يعتمدون بأجنحتهم في طيرانهم وصعودهم إليها، والمعنى: إن ادعوا ملك السموات وأنهم يعلمون ما يجري فيها فليرتقوا إليها.

(١١) - ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾.

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾؛ أي: هم جند، و﴿مَا﴾ زيادة، ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الارتقاء إلى السماء، ﴿مَهْزُومٌ﴾: مكسور، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: من الكفار الماضية، و﴿مِنَ﴾ صلة ﴿جُنْدٍ﴾.

وقيل: الأحزاب: إبليس وأتباعه.

وقيل: إنه وعد بما كان يوم بدر^(١)، متصلاً بقوله: ﴿لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٍ﴾؛ لأنه وعد بالعذاب، والمعنى: يتحزبون عليك ويهزمون هناك.

وقيل: معنى الأحزاب: أتباع مقلدون ليس فيهم مرشد.

(١) روي عن قتادة كما تقدم قريباً.

(١٢) - ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ ﴿نوحًا﴾ ﴿وعَادٌ﴾ ﴿هودًا﴾ ﴿وفِرْعَوْنُ﴾ ﴿موسى﴾.

﴿ذُو الْأَوْنَادِ﴾ قيل: ذو الجموع الكثيرة.

وقيل: هي أوتادٌ أربعةٌ كان يُعَذَّبُ النَّاسَ بها.

وقيل: هي أوتادٌ وحبالٌ يُلْعَبُ بها^(١) بين يديه.

وقيل: ذو الملك الثابت في الأرض.

وقيل: بنى أبنيةً طويلةً مُحْكَمَةً صارت كالأوتادٍ لطولِ بقائها وثباتها. حكاة

المُبرِّد.

وقيل: أراد أوتادَ الخيام، وكانت فيها كثرةً.

(١٣) - ﴿وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾.

﴿وَتَمُودٌ﴾ وهم قومٌ صالح، وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أن قومَ صالح آمنوا به، فلما مات صالحٌ رجعوا بعده عن الإيمان، فأحيا الله صالحًا وبعثه إليهم، فأعلمهم^(٢) أنه صالحٌ فكذبوه، فأتاهم بالناقية فكذبوه، فعقروها، فأهلكهم الله^(٣).

﴿وَقَوْمٌ لُوطٍ﴾ قال مجاهدٌ: كانوا أربعَ مئةِ ألفِ بيتٍ، في كلِّ بيتٍ عشرةٌ^(٤).

(١) في (ف): «عليها».

(٢) في (ن): «وأعلمهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧ / ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٥١١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥ / ١٥١٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٣٤٤).

وقال عطاء: ما من أحدٍ من الأنبياءِ إلا يقومُ معه^(١) يومَ القيامةِ قومٌ من أمتهِ إلا لوطٌ؛ فإنه يقومُ وحده^(٢).

﴿وَأَصْحَابُ كَيْكَةِ﴾ كَذَّبُوا شُعَيْبًا، وَالْأَيْكَةُ: الْغَيْضَةُ^(٣).

وقيل: النَّبْعُ وَالسُّدْرُ، وَهَمَّ أَصْحَابُ الرَّسِّ أَيْضًا، وَكَانُوا يَأْتُونَ فِي الصَّيْفِ الرَّسَّ وَيَعُودُونَ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْأَيْكَةِ.

﴿أَوْلَيْكَ الْأَحْزَابُ﴾ هَذَا مِبَالِغَةٌ فِي الدَّمِّ كَمَا تَقُولُ فِي الْمَدْحِ: هُوَ عَيْنُ الْجَوَادِ.

وقيل: معناه: هم الذين تحزَّبوا على الأنبياءِ بالعداوة.

وقيل: هم أحزابُ الشَّيْطَانِ بِالْمُؤَالَاةِ.

(١٤) - ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٍ﴾.

﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ﴾ أَي: مَا كُلُّ مِنْهُمْ إِلَّا كَذَّبُوا الرَّسُلَ^(٤).

وقيل: كُلُّهُمْ كَذَّبُوا الرَّسُلَ.

﴿فَحَقَّ عِقَابٍ﴾: فَاسْتَحَقُّوا عِقَابِي، وَقِيلَ: فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ عِقَابِي.

(١) في (ن): «ومعه».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٣٤٥).

(٣) في هامش (ن): «قال: الغيضة الأجمة، والنبع: شجر تكون في البوادي».

(٤) في هامش (ن) بخط مختلف: «وفي «القاموس»: وقراءة عبد الله: «إن كلهم لما كذب الرسل» لكننا

ما وجدنا في الكتب المشهورة من ذكرها غيره».

قلت: كذا جاء، والقراءة في «القاموس» مادة: (ل م م) بلفظ: «إن كل لما كذب الرسل»، ووجدت

اللفظ نفسه في «التاج» مادة: (ل ل ا)، وقوله: «ما وجدنا...» فيه نظر؛ فقد ذكرها الفراء في «معاني

القرآن» (٢ / ٤٠٠)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥ / ٣٠٧).

(١٥) - ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً مَا لَهَا مِنْ فُوقٍ﴾.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءِ﴾؛ أي: ما ينتظر قومك؟ والمعنى: يلحقهم لحوق المنتظر وإن كانوا لا يتوقعون.

﴿الْأَصِيحَّةُ وَجِدَةٌ﴾ يعني: النَّفْخَةُ الأُولَى، وهي الفزع الأكبر.

﴿مَا لَهَا مِنْ فُوقٍ﴾ و﴿فُوقٍ﴾^(١) وهما لغتان؛ أي: من رجوع وتردادٍ ونظرةٍ ومثنويةٍ^(٢)؛ أي: صيحةٌ واحدة^(٣) تُهْلِكُ الكُلَّ فلا يتخلَّصُ منها أحدٌ فيحتاج إلى صيحةٍ ثانية.

وقيل: المرادُ بها نفخةُ القيامةِ، والمعنى: لا يمهلون بعدها.

و^(٤) الفُوقُ: ما بينَ الحلبتين. وقال عليه السَّلامُ: «العيادةُ قَدْرُ فُوقِ النَّاقَةِ»^(٥)، والفُوقُ بالفتح: الإفاقةُ، والمعنى: إفاقةٌ بالرجوعِ إلى الدنيا. وقيل: فُوقٌ: فترةٌ.

وقيل: يُريدُ بالصَّيحةِ عذابَ الدنيا.

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي، والباقون بفتح الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) في (ن): «مثنوية» دون الواو.

(٣) في (ف): «الصيحة الواحدة».

(٤) في (ف) زيادة: «قيل».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١ / ٤٣٢)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٦٧٢): «أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة».

(١٦) - ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا مَجَّلْ لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا مَجَّلْ لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ القِطُّ: كتابُ الجائزة. والقِطُّ: النَّصِيبُ، وأصله^(١) من قَطَطْتُ؛ أي: قَطَعْتُ. والقِطُّ: الصَّكُّ، وهو الخَطُّ^(٢).

والمعنى: عَجَّلْ لَنَا نَصِيبَنَا مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي تَعِدُّنَا.

وقيل: مِنَ الْعَذَابِ.

وقيل: مِنَ الرَّزْقِ.

وقيل: قالوها عند نُزُولِ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ بِسَمِينِهِ﴾ [الحاقة: ١٩]، كُلُّ ذَلِكَ اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُمْ.

وقيل: ﴿قَطْنَا﴾: حَسَابَنَا.

السُّدِّيُّ: أَرَادُوا آيَةَ عَلَى صَدَقِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُؤْمِنُونَ بِهَا^(٣).

عطاء: قَالَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ^(٤).

(١٧) - ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ إِذْ أَلَيْدًا إِنَّهُ وَأَوَّابٌ﴾.

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾؛ أي: اصْبِرْ عَلَى أذى قَوْمِكَ؛ فَإِنَّكَ مُبْتَلَى بِذَلِكَ

كما صَبَرَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى مَا ابْتَلَاهُمْ بِهِ، ثُمَّ عَدَّاهُمْ وَبَدَأَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ:

﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ إِذْ أَلَيْدًا﴾: النُّعْمَةُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى دَاوُدَ نِعْمًا كَثِيرَةً لَمْ يُنْعَمْ

(١) في (ن): «والأصل».

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٤٠٠)، وانظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ق ط ط)، (٨/ ٢١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨) بلفظ: «أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥).

بها على غيره. والأكثرُونَ على أَنَّ ﴿الْأَيْدِ﴾: القوَّة، وكانَ أُعْطِيَ قوَّةً شديدةً على طاعةِ الله؛ يصومُ يومًا ويُفْطِرُ يومًا، وذلكَ أشدُّ الصَّومِ، ويُصَلِّي نصفَ النَّهارِ ويقومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ؛ وقيل: ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾: القوَّة في الحربِ.

﴿إِنَّهُ وَأَوَّابٌ﴾: مُطِيعٌ.

وقيل: رَجَّاعٌ إلى الله.

وقيل: مُسَبِّحٌ بِلِغَةِ الْحَبَشَةِ، وفيه بُعْدٌ^(١).

وقيل: يذكُرُ ذُنُوبَهُ وَيَسْتَغْفِرُ^(٢) مِنْهَا.

(١٨) - ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ﴾: ذَلَّلْنَا ﴿مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ وكانَ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهَا.

وقيل: تَسَخَّرَهَا: أَنَّهُا كَانَتْ تَسِيرُ مَعَهُ إِذَا أَرَادَ سِيرَهَا إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ.

أبو القاسم الكعبي^(٣): إِنَّا سَخَّرْنَا أَهْلَ الْجِبَالِ^(٤). قال: ويجوزُ أن يكونَ أوتِيَ

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤)، واستغربه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٧)

عن سعيد بن جبیر.

(٢) في (ف): «فيستغفر».

(٣) العلامة، شيخ المعتزلة، أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المعروف: بالكعبي، من

نُظَرَاءِ أَبِي عَلِيِّ الْجَبَّائِي، وله من التَّصَانِيفِ: «التَّفسير الكبير»، وكتاب «الاستدلال بالشاهد على

الغائب»، وكتاب «الجدال»، وكتاب «السُّنَّة والجماعة»، وأشياء سوى ذلك. توفي (٣١٧هـ). انظر:

«وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤) عن أبي القاسم الكعبي في «تفسيره»، واستغربه.

وتعقبه بقوله: «والضمير في ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يشهد بفساد قوله».

من شدّة الصّوت وحُسْنِه ما يكونُ له في الجبالِ دويٌّ حسنٌ، وما تُصغي إليه الطيرُ لحُسْنِه فتصوّت معه^(١). والقولُ هما الأوَّلانِ.

وقال الزّجاجُ: كانت الجبالُ تُرجعُ التّسبيحَ، وكذلك الطيرُ^(٢).

﴿بِالْعَشِيِّ﴾: آخرُ النّهارِ ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾: صلاةُ الضّحى، تقول: شرّقت الشّمسُ؛ إذا طلعت، وأشرقت؛ إذا أضاءت.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كنتُ أمرُّ بهذه الآية لا أدري ما العشيُّ والإشراقُ، حتّى حدّثني أمُّ هانئِ بنتُ أبي طالبٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ دخلَ عليها فدعا بوضوءٍ، فتوضّأ ثمّ صلّى الضّحى وقال: «يا أمّ هانئِ هذه صلاةُ الإشراقِ»^(٣).

وقيل: الإشراقُ: وقتُ طلوعِ الشّمسِ. والقولُ هو الأوَّلُ.

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٢٦ / ٣٧٤) من قول القفال في «تفسيره».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ٣٢٤).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٤٧٦ - ٤٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣ / ٥٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٤ / ٤٠٦)، كلهم من رواية حجاج بن نصير، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس: حدّثني أمّ هانئ. وإسناده ضعيف جداً، أبو بكر الهذلي متروك، وحجاج بن نصير ضعيف. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ / ٤٤)، والحاكم في «المستدرک» (٦٨٧٣) من وجه آخر عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس: «كان لا يصلي الضحى حتى أدخلناه على أمّ هانئ فقلت لها: أخبري ابن عباس، قالت: دخل رسول الله ﷺ في بيتي فصلى صلاة الضحى ثمان ركعات. قال: فخرج ابن عباس وهو يقول: هذه صلاة الإشراق». قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٢): «هذا موقوف، وهو أصح».

ورواه بنحو هذا موقوفاً أيضاً الحميدي في «مسنده» (٣٣٣)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢١١٦).

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٤)، واستغربه.

(١٩) - ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ﴾ .

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ : وَسَخَّرْنَا الطَّيْرَ مَجْمُوعَةً مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

قيل : سَلَطَ عَلَيْهَا مِنَ الطَّيْرِ مَا يَقْوَى عَلَى حَشْرِهَا إِلَيْهِ^(١) .

وقيل : الملائكة كانت تحشرُ إليه ما امتنع عليه منها .

وقيل : زاد الله فيها ما فهمت الأمر والنهي والزجر به .

﴿كُلٌّ﴾ : الجبال والطَّيْرُ ﴿لَهُ﴾ : الله ﴿أَوَابٌ﴾ : مُطِيعٌ .

وقيل : ﴿لَهُ﴾ : لداود ﴿أَوَابٌ﴾ : رجاء^(٢) إلى التسبيح معه مُطِيعٌ لِمَا يَأْمُرُهُ .

(٢٠) - ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ .

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ : بالجنود والنصرة .

وقيل : كان يحرسُ محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف حرسٍ .

وقيل : شددنا ملكه بالهيبة، وذلك أن غلامًا استعدى على رجلٍ وادَّعى عليه

بقرة، وأنكر^(٣) المدعى عليه، ولطم الغلام لطمه، فسأل داود من الغلام البينة فلم

يُقيّمها، فرأى داود عليه السلام في المنام أن الله يأمره أن يقتل المدعى عليه، ويُسلم

البقرة إلى الغلام، فقال داود: هو منامٌ، ثم أتاه الوحي بذلك، فأخبر بذلك بني إسرائيل

فجزعت بنو إسرائيل، وقالوا: رجلٌ لطمَ غلامًا لطمه أفتقتله^(٤) بذلك؟ فقال داود:

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغربه .

(٢) في (ن): «راجع» .

(٣) في (ف): «فأنكر» .

(٤) في (ن): «فتقتله» .

هذا أمرٌ أمر الله بذلك، فسكّتوا، ثم أحضِرَ الرَّجُلُ وأخبرَ أَنَّ اللهَ أمرَ^(١) بقتله، فقال الرَّجُلُ: صدقت يا نبيَّ الله، إنني قتلتُ أباه غيلةً وأخذتُ البقرة، فقتله داودُ فعظمت هيبته واشتدَّ ملكه، وقالوا: يقضي بوحى السَّماءِ^(٢).

﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة.

وقيل: الفهم والعلم.

﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾: القضاء بالبيّنة واليمين، وذلك أن الله علّق سلسلةً من السَّماءِ، وأمره أن يقضيَ بها بين النَّاسِ، فمَن كانَ على الحقِّ يأخذُ السِّلْسِلَةَ، ومَن كانَ على الباطلِ لا يقدرُ على أخذها، ثمَّ إنَّ رجلاً غصبَ من آخرٍ لؤلؤًا فجعلَ اللؤلؤَ في جوفِ عصاه، ثمَّ خاصمه المدّعي إلى داودَ، فقال المدّعي: إنَّ هذا أخذَ مني لؤلؤًا ولم يرده عليّ، وإنِّي صادقٌ في مقالتي، فجاء وأخذَ السِّلْسِلَةَ، ثمَّ قال المدّعي عليه: خذْ مني العصا، فأخذَ عصاه فقال: إنني ردّدتُ عليه اللؤلؤَ، وإنِّي صادقٌ في مقالتي، فجاء وأخذَ السِّلْسِلَةَ، فتحيرَ داودُ في ذلك، فرُفِعَتِ السِّلْسِلَةُ، وأمره بأن يقضيَ بالبيّنة واليمين^(٣)، وذلك فصلُ الخطابِ.

وقيل: فصلُ الخطابِ: قوله: البيّنةُ على المدّعي واليمينُ على المدّعي عليه^(٤).

(١) في (ف): «أمره».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغريه.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦١)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٣٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٧)، عن علي رضي الله عنه، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠ - ٥١) عن قتادة وشريح والشعبي، وقال الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٥): «وهذا قول أكثر المفسرين».

وقيل: هو قوله: أَمَّا بَعْدُ^(١)، وهو أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ^(٢).

وقيل: إِذَا تَكَلَّمَ فِي الْحَكْمِ فَصَلَ.

وقيل: هو الْفَصْلُ يُذَكِّرُ وَيُكْتَبُ^(٣) بين كَلَامٍ وَكَلَامٍ^(٤).

وقيل: لَا يَتَعْتَعُ فِي كَلَامِهِ.

وقيل: الْخَطَابُ: الْمُخَاطَبَةُ، وَفَصْلُهُ: الْخُرُوجُ مِنْ مُخَاطَبَةٍ إِلَى مُخَاطَبَةٍ أُخْرَى،

وَقَطْعُ قِصَّةٍ بَعْدَ قِصَّةٍ.

وقيل: الْفَصْلُ: الْقَطْعُ، وَالْخَطَابُ: الْمُحَاوَرَةُ.

(٢١) - ﴿وَهَلْ أُنْتَكَبُ نَبُؤًا الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.

﴿وَهَلْ أُنْتَكَبُ﴾ افتتاحُ كَلَامٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ.

وقيل: معناه: مَا أَتَاكَ وَقَدْ أَتَاكَ الْآنَ.

﴿نَبُؤًا الْخَصْمِ﴾ النَّبَأُ: الْخَبِيرُ الْعَظِيمُ، وَالْخَصْمُ فِي الْأَصْلِ: مُصَدِّرُ خَصْمِهِ

خَصْمًا، وَلَا يُثْنَى وَلَا يُجْمَعُ.

﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ أَتَوْهُ مِنَ السُّورِ، وَالْمِحْرَابُ: الْغُرْفَةُ، وَقَدْ سَبَقَ؛ أَي: أَتَوْا

غُرْفَتَهُ؛ يَعْنِي: الْمَلِكِينَ اللَّذِينَ أَتِيَاهُ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ، هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وقيل: كَانَا آدَمِيَيْنِ^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥١ / ٢٠) عن الشعبي.

(٢) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٣٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣٢٣٧ / ١٠)، و«الأوائل» للعسكري

(ص: ٦٨).

(٣) في (ن): «أو يكتب»، والمثبت من (ف)، ومثله في «غرائب التفسير».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٥)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٦)، واستغربه، وعد القول بأنهما كانا ملكين على =

(٢٢) - ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ (إِذ) الثَّانِيَةُ تَكَرَّرَ لِلأُولَى، وَقِيلَ: هِيَ بِمَعْنَى: لَمَّا^(١)، وَالْعَامِلُ فِي ﴿إِذْ﴾ الأُولَى: النَّبَأُ، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿سَوَّرُوا﴾.

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لَأَنَّهُمْ دَخَلُوا بِغَيْرِ إِذْنِهِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الْخُصُومِ.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ جَمَعَ حَمَلًا عَلَى اللَّفْظِ، وَثَنَى حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْخَصْمَيْنِ: فَرِيقَيْنِ، كُلُّ فَرِيقٍ خَصْمٌ^(٢).

﴿خَصْمَانِ﴾ يَرْتَفِعُ بِالْخَبِيرِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَتَقْدِيرُهُ: نَحْنُ خَصْمَانِ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ هَذَا عَلَى قَوْلٍ مَن جَعَلَ الْخَصْمَيْنِ أَدْمِيَيْنِ، وَأَمَّا مَن جَعَلَهُمَا مَلَكَيْنِ وَهُوَ الْأُظْهَرُ فَمِنْهُمْ مَن أَجَازَ إِضْمَارَ (نَحْنُ).

وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ: لَوْ قَالَ الْمَلِكَانِ: «نَحْنُ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» لَكَذَبَا^(٣)، وَالْمَلَائِكَةُ لَا تَكْذِبُ، وَلَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِالْكَذْبِ، بَلِ التَّقْدِيرُ: مَا تَقُولُ: خَصْمَانِ قَالَا: بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ... الْآيَاتِ^(٤)؟

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا عَرَّضَا وَأَرَادَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا خَصْمَيْنِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ؛

= صورة آدميين من العجائب.

(١) وجوابه: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، هكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «جمع».

(٣) يعني: أن قولهما: «نَحْنُ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ»، وكذلك قولهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ دَسَعٌ وَسَعُونَ نَجَّةً﴾ ينافي كونهما ملكين؛ لأن الملائكة لا تكذب، ولا يبغى بعضهم على بعض، ولا يكونان خصمين، ولا يملكان النعجة ولا غيرها، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٦).

أي: بغى أحدنا على الآخر، ألسنتَ تحكُمُ بيننا؟ فاحكُم؛ لأنَّ الملكين لم يكونا خصميين، ولا بغى أحدهما على الآخر، وإنما هو مثلٌ.

قوله: ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾؛ أي: بغى أحدنا على الآخر، وجاء مثله في الشعر، قال الكميتُ:

وساقت الشعرَيانِ الفجرَ بعضُهما فيه وبعضُهما بالليل مُحتجبٌ^(١)
وحكى النحَّاسُ في قوله: ﴿بَغَى بَعْضُنَا﴾ يجوزُ أن يرادَ به داوُدُ عليه السَّلامُ^(٢).

﴿فَلَحَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ﴾: لا تجر عن الحقِّ في الحكومة، وقُرئ في الشَّواذِّ: (ولا تَشْطِطْ)^(٣)، وشَطَّ وأَشْطَّ لُغتان، وأصلُهما البعدُ.

﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: قصدِ الطَّرِيقِ، والمعنى: إلى الحقِّ، فعبرَ عنه بوسطِ الطَّرِيقِ؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى المقصودِ.

(٢٣) - ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَوَلِيَّ نَجْمَةٍ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾؛ أي: على ديني، وقيل: صاحبي ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَوَلِيَّ نَجْمَةٍ وَاحِدَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: الأنثى من الضَّانِ، والمرادُ بها الشَّاةُ، هذا على قولٍ من جعلَ الخصميين من بني آدم.

والثاني: إنَّها كنايةٌ عن المرأة، والعربُ تكْنِي عن المرأةِ بالنَّجْمَةِ والشَّاةِ والقلوصِ.

(١) انظر: «ديوان الكميت بن زيد» (ص: ٥٨)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ١٣٤).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحَّاس (٣/ ٣٠٩).

(٣) نسبت لأبي رجاء وأبي حيوة وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)،

و«المحتسب» (٢/ ٢٣١).

وَالثَّلَاثُ: النَّعْجَةُ: الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ اللَّيْنَةُ الْجَمِيلَةُ، مِنْ النَّعْجِ، وَهُوَ الْبِيَاضُ
وَاللَّيْنُ^(١).

وَقِيلَ: النَّعْجُ: الْفُتُورُ فِي الْعَيْنِ.

وَفِي مَصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نَعْجَةٌ أَنْثَى)^(٢)؛ لِتَأْكِيدِ التَّأْنِيثِ، حَيْثُ
لَا يَجُوزُ: جِبْهَةٌ أَنْثَى، وَلَا: عَيْنٌ أَنْثَى.

وَعَنْ جَمَاعَةٍ: أَنَّ مَعْنَى (أَنْثَى) هَاهُنَا مِنْ قَوْلِهِمْ: امْرَأَةٌ مُؤَنَّثَةٌ؛ إِذَا كَانَتْ مُطِيعَةً
لِزَوْجِهَا، وَالزَّوْجُ يَأْنَسُ بِهَا، وَعَلَى الضُّدِّ: امْرَأَةٌ مُذَكَّرَةٌ؛ لِأَنَّ تَلِينُ لَزَوْجِهَا وَلَا يَأْنَسُ بِهَا.
﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾: اجْعَلْهَا فِي كِفْلِي، وَهُوَ النَّصِيبُ.

وَقِيلَ: انزَلْ لِي عَنْهَا، وَضُمَّهَا إِلَيَّ لِأَكْفَلَهَا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَعْطِنِيهَا.

وَقِيلَ: أَعْطِنِي بِهَا كَفِيلًا إِلَى أَنْ أُخَاصِمَكَ فَيُظْهِرَ أَنَّهَا لِي أَوْ لَكَ.

﴿وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ﴾ صَارَ أَعَزَّ مِنِّي فِي مُخَاطَبَتِهِ إِيَّايَ؛ فَإِنْ تَكَلَّمَ كَانَ أَبِينَ مِنِّي،
وَإِنْ بَطَشَ كَانَ أَشَدَّ مِنِّي، فَغَلَبَنِي.

وَقِيلَ: غَلَبَنِي فِي الْخِصْمَةِ.

وَقِيلَ: قَهَرَنِي وَظَلَمَنِي^(٣).

وَالْخُطَابُ: الْمُخَاطَبَةُ.

وَقِيلَ: هُوَ مِنْ خِطْبَةِ الْمَرْأَةِ؛ أَي: دَافَعَنِي عَنْ خِطْبَةِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٧٥)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٨٥).

(٣) في (ن): «فظلمني».

(٢٤) - ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ۗ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ .
 ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ۗ﴾ ذهب بعض المفسرين إلى أن التقدير: إن كان الأمر على ما قلت فقد ظلمك^(١).

وذهب بعضهم إلى أن الآخر أقر بما ادعى عليه الأول^(٢).
 وقال بعضهم: قال ذلك قبل أن ينظر في صدق ما ادعى^(٣).
 ومعنى: (سؤال نعجتك)؛ أي: سؤاله إياك نعجتك، مصدر مضاف إلى المفعول، والسؤال هاهنا سؤال مطالبة ومغالبة لا سؤال خضوع وتفضيل؛ إذ لو كان كذلك لم يكن معازة.

﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾؛ أي: الشركاء، جمع خليط، كظريف وظرفاء.
 ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يتعدى الحق والإنصاف، مشتق من الخلطة والشركة.
 ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المستثنى منصوب؛ والتقدير: أكثر الخلق بهذه الصفة إلا الخلق المؤمنين فإنهم بخلاف ذلك.
 ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَا﴾ زيادة، والتقدير: هم قليل.
 ابن عيسى: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي^(٤)؛ أي: وقليل الذي^(٥) كذلك.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «الذين».

(٥) ذكر المصنف نحوه عن ابن عيسى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿وَلَمَّا دَاوُدُ﴾؛ أي: عليم، والظنُّ إذا دخل على خبرٍ جاز أن يكون بمعنى العلم،
وأما العيان فلا يُقال فيه إلا: علم.

﴿أَتَمَّا فَتَنَهُ﴾: ابتليناه وعاملناه مُعاملةً المُبتلى.

وقيل: معنى فتناه: شدّدنا عليه التَّعبُد.

وقرئ في الشاذِّ: (فتناه)^(١)؛ أي: الخصمان؛ لأنَّهما قالا: حكَمَ على نفسه.

وقيل: ضحكاً ودَهَباً، فعلم أن الله ابتلاه بذنبيه.

واختلفوا في ذنبه؛ فذهب جماعة من المُفسِّرين إلى أن داودَ عليه السَّلام دخل محرابه، وأعلق بابَه، وقام يُصلي، فجاء طائرٌ في أحسن صورة، مُزِينٌ كأحسن ما يكون، فوقَ قريباً منه، فنظرَ إليه فأعجبه، فوقعَ في نفسه منه شيءٌ، فدنا منه ليأخذه، فوقعَ قريباً، وأطمعه أن يأخذه، وفعل^(٢) ذلك ثلاث مرَّات، حتَّى إذا كان في الرَّابِعة ضربَ يده عليه فأخطأه فوقَ على سورِ المحرابِ، وكان خلفَ المحرابِ حوضٌ يغتسلُ فيه النِّساءُ، فضربَ يده عليه وهو على سورِ المحرابِ فأخطأه، وهبطَ الطائرُ، وأشرف^(٣) داودُ فإذا بامرأةٍ تغتسلُ، فلما رأته نقضتْ شعرها، فغطَّى جسدها، فوقعَ في نفسه منها ما شغله عن الصَّلاة، فنزلَ من محرابه، ولبست المرأةُ ثيابها، وخرجتْ إلى بيتها، فخرجَ داودُ حتَّى عرفَ بيتها، وسألها: من أنتِ؟ فأخبرته، فقال: هل لك زوجٌ؟ فقالت: نعم، قال: أين هو؟ قالت: في جندٍ كذا، فرجعَ وكتبَ إلى عامله إذا

(١) نسبت لأبي عمرو في رواية عبد الوهاب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)،

و«المحتسب» (٢/ ٢٣٢).

(٢) في (ف): «ففعل».

(٣) في (ف): «فأشرف».

جاءك كتابي هذا فاجعلْ فلانًا في أول الخيل، ففعلَ وقُتِلَ^(١).

وفي بعض القصص كتب ذلك ثلاث مرّات، ثمّ انتظرَ حتّى انقضت عدّتها، ثمّ خطبها وتزوّجها، فلما أتاه الخصمان وظنّ أنّ الله فتنه سجّد أربعين ليلة لا يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة، ولم يذُق طعامًا ولا شرابًا حتّى أوحى الله إليه: أن ارفع رأسك؛ فإنّي قد غفرتُ لك^(٢).

وفي بعض التفسير: إنّ جبريل عليه السلام قال له: اذهب إلى أوريا، وهو زوج المرأة واستحلّ منه، فإنّك تسمعُ صوته في موضع كذا، فأتاه واستحلّ منه، فقال: أنت في حلّ، فلمّا رجع قال له جبريل: هل أخبرته بجُرمك؟ قال: لا، قال: فإنّك لم تعمل شيئًا^(٤)، فارجع وأخبره بالذي صنعت، فرجع داود فأخبره بذلك، فقال: أنا خصمك يوم القيامة، فرجع مغتمًا وبكى أربعين يومًا، فأتاه جبريل وقال: إنّ الله يقول: أنا أستوهبُك من عبدي فيهبك لي، وأجزيه على ذلك أفضل الجزاء، فسرى ذلك عنه، وكان حزينًا في عمره باكيًا على خطيئته^(٥).

وذهب المحققون إلى إنكار ذلك أصلًا^(٦).

(١) في (ف): «فقتل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٧/٢٠ - ٦٤) عن ابن عباس بإسناد ضعيف جداً، وعن السدي، وليس في هذا ما يصح، وهو من الإسرائيليات، قال الزمخشري: «هذا ونحوه مما يقبح أن يُحدّث به عن بعض المتسمين بالصالح من أفناء المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٨٥) عن الحسن، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/٣٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسيأتي إنكار المصنف لهذه الأخبار.

(٤) «شيئاً»: ليست في (ف).

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/١٦٣). وكل هذا من الإسرائيليات.

(٦) من العلماء المحققين الذين أنكروا هذه القصة: النحاس في «معاني القرآن» (٦/٩٨)، والقاضي =

وَرُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْكَرَ هَذَا، وَقَالَ: مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا يَرُويهِ الْقُصَّاصُ مُعْتَقِدًا صِحَّتَهُ جَلَدْتُهُ مِثَّةً وَسِتِّينَ - أَي: حَدِّينَ - لِعَظِيمِ مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْإِثْمِ، وَكَبِيرِ مَا احْتَقَبَ مِنَ الْوِزْرِ^(١).

وَجَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنْكَارُهُ أَيْضًا^(٢).

= عِيَاضُ فِي «الشَّفَا» (٢ / ٣٧١) وَابْنُ حَزْمٍ فِي «الفصل في الملل والنحل» (٤ / ١٤)، وَابْنُ الْمَلَنِقِ فِي «التَّوْضِيحِ» (١٩ / ٥٠٥)، وَالنَّسْفِيُّ فِي «مدارك التنزيل» (٣ / ١٥٠)، وَالخَازِنُ فِي «تفسيره» (٤ / ٣٦)، وَالرَّازِيُّ فِي «مفاتيح الغيب» (٢٦ / ٣٨٠)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «تفسيره» عِنْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَالْعَلِيمِيُّ الْمُقَدَّسِيُّ فِي «فتح الرحمن» (٦ / ٢٠) وَغَيْرُهُمْ.

أَمَّا ابْنُ حَزْمٍ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ لَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا قَالَهُ الْمُسْتَهْزِئُونَ الْكَاذِبُونَ الْمُتَعَلِّقُونَ بِخِرَافَاتٍ وَلَدَّهَا الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْخِصْمُ قَوْمًا مِنْ بَنِي آدَمَ بَلَاشِكُ، مُخْتَصِمِينَ فِي نَعَاجٍ مِنَ الْغَنَمِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَيْنَهُمْ، بَغَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ عَلَى نَصِ الْآيَةِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا مَلَائِكَةً مُعَرِّضِينَ بِأَمْرِ النِّسَاءِ، فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَقَوْلُهُ مَا لَمْ يَقُلْ، وَزَادَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَكَذَّبَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ، وَأَقْرَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَبِيثَةَ أَنَّهُ كَذَّبَ الْمَلَائِكَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ فَقَالَ هُوَ: لَمْ يَكُونُوا قَطُّ خَصْمِينَ، وَلَا بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا كَانَ قَطُّ لِأَحَدِهِمَا تَسَعٌ وَتَسْعُونَ نَعِجَةً، وَلَا كَانَ لِلْآخَرِ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا قَالَ لَهُ: ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾... ثُمَّ كُلُّ ذَلِكَ بَلَاءٌ دَلِيلٌ، بَلِ الدَّعْوَى الْمَجْرَدَةُ، وَتَالَلَّهِ إِنْ كُلُّ امْرَأَةٍ مَنَّا لَيُصَوِّنُ نَفْسَهُ وَجَارَهُ الْمُسْتَوْرِعَ أَنْ يَتَعَشَّقَ امْرَأَةً جَارَهُ ثُمَّ يَعْضُرُ زَوْجَهَا لِلْقَتْلِ عَمْدًا لِيَتَزَوَّجَهَا، وَعَنْ أَنْ يَتْرِكَ صَلَاتَهُ لَطَائِرَ يَرَاهُ، هَذِهِ أَعْفَالُ السُّفَهَاءِ الْمُتَهَوِّكِينَ الْفَسَاقِ الْمُتَمَرِّدِينَ لَا أَعْفَالُ أَهْلِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَكَيْفَ بِرَسُولِ اللَّهِ دَاوُدَ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ كِتَابَهُ وَأَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ كَلَامَهُ؟! لَقَدْ نَزَّهَهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يَمُرَّ بِمِثْلِ هَذَا الْفَحْشِ بِبَالِهِ، فَكَيْفَ أَنْ يَسْتَضِيفَ إِلَى أَعْفَالِهِ...» إِلَى آخِرِ مَا قَالَ.

(١) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تفسيره» (٢٢ / ٤٩٨) مِنْ رِوَايَةِ الْحَارِثِ الْأَعُورِ، وَأَبُو حَفْصٍ النَّسْفِيُّ فِي «التيسير» فِي التفسيرِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْمَسِيْبِ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، جَمِيعُهُمْ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «أحكام القرآن» (٤ / ٥٧): «وَهَذَا مِمَّا لَا يَصِحُّ عَنْهُ».

(٢) ذَكَرَهُ عَنْهُمَا الْمُصَنِّفُ فِي «غرائب التفسير» (٣ / ٩٨٨).

وذهب بعضهم إلى أن أوريا خطب امرأة فأراد قومها تزويجها منه، فوصفت لداود فخطبها فزوجت من داود، فصار ذلك منه معصيةً، وحمل قوله: ﴿وَعَزَيْتِي فِي الْخِطَابِ﴾ على أنه^(١) الفِعال من (الخطبة) بالكسر.

وقال بعضهم: كان ذنبه أنه أحب أن يستشهد أوريا ليتزوج امرأته.

وذهب بعضهم إلى أن ذنبه هو قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاجِهِ﴾، فنسبه إلى الظلم بقول المدعي، وكان ذلك منه زلةً، وظن داود بعد فراغه من الحكم: أن الله بعث الخصمين ليعرفا مذهبه في الحكم، فاستغفر ربه.

ودلّ قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ على أن المستغفر منه مذکور في القصة المتلوّة؛

لأنّ ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى معلوم، ولقوله: ﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.

وذهب بعضهم إلى أن ذنب داود: أنه لما وقعت عينه على امرأة أوريا سأله أن ينزل عنها له، وكان ذلك جائزاً في شرعهم، وكانت الأنصار حين نزل عليهم المهاجرون ينزل من عندهم امرأتان عن إحداهما؛ ليتزوجها المهاجر، كما كان يقاسمه ماله ومنزله^(٢).

وعن الحسن: لم يكن لداود تسع وتسعون امرأة، وإنما هذا مثل^(٣)، وكان

يقراً: (تسع وتسعون) بالفتح^(٤)، وهو لغة فيه كسبع وخمس^(٥).

(١) في (ن): «أن».

(٢) وليس في هذا حجة لمن ذهب هذا المذهب، فإن من فعل ذلك من الأنصار إنما فعله من تلقاء نفسه لا أن المهاجري نظر إلى امرأة فأعجبه فطلبها من زوجها، حاشا موقع الصحابة من هذا، فكيف بالأنبياء؟

(٣) ذكره ابن فورق في «تفسيره» (٢/ ٢٧٩).

(٤) يقصد بفتح التاء فيهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز»

(٤/ ٥٠٠).

(٥) في (ف) زيادة: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾؛ أي: غفرنا له ذنبه ذلك، وعن بعض القراء الوقف على ﴿فَغَفَرْنَا﴾ =

﴿فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾: سقط ساجدًا، والرُّكُوعُ هاهنا: السُّجُودُ على الوجهِ.

وقيل: معنى ﴿خَرَّ رَاكِعًا﴾: رمى بنفسه.

وقيل: معنى ﴿خَرَّ رَاكِعًا﴾: صارَ إلى خُضُوعٍ وخُشُوعٍ وتَضَرُّعٍ.

وقيل: أرادَ الرُّكُوعَ والسُّجُودَ، فاكتفى بذكرِ الرُّكُوعِ؛ لأنَّه لا ركُوعَ إلا وبعده

سجودٌ.

(٢٥) - ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَنَآبٍ﴾.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾؛ أي: غَفَرْنَا له ذنبه ذلك، ووقفَ بعضُ القراءِ على ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ﴾؛ ليكونَ مُطلقًا^(١).

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: القربةُ بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَنَآبٍ﴾: مرجعُ في الجنةِ.

(٢٦) - ﴿بَدَاؤُدُنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَانُؤُا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

وقوله: ﴿بَدَاؤُدُنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: خليفةٌ ممَّن كان قبلكَ من

الرُّسلِ، والخليفةُ: المُدبِّرُ للأمرِ من قبَلِ غيره على جهةِ البدلِ من تدبيره.

وقيل: جعلناك خليفةَ الله في الأرضِ.

وقيل: جعلناك ملكًا.

= له، ﴿ليكونَ مُطلقًا﴾ ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ القربةُ بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَنَآبٍ﴾ مرجعُ في الجنةِ قوله «وستأتي قريبًا».

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥ / ١٨٤) عن القشيري.

﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: بالعدلِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾: لا تَمِلْ إلى هوى نفسك فتقضيَ بغيرِ عدلٍ.

وقيل: لا تجرُ في القضاء.

وقيل: لا تتبعِ الهوى كما فعلتَ بامرأةٍ أوريا.

﴿فِيضْلِكَ﴾؛ أي: الهوى ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن طاعته.

وقيل: فيستزلكَ عن دينِ الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينِ الإسلامِ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ أي: النارُ ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: أعرَضوا عنه وتركوا العملَ بما ينفعهم فيه.

وقيل: لم يؤمنوا به.

و﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ مفعولٌ ﴿نَسُوا﴾.

وقيل: عذابٌ شديدٌ يومَ الحسابِ بما تركوا العملَ به^(١).

وقيل: ﴿بِمَا نَسُوا﴾: بما تركوا منَ القضاءِ بالعدلِ.

(٢٧) - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ

النَّارِ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ من الخلقِ عبثًا غيرِ شيءٍ فترك الخلقَ

سدى، بل تُتبعُ هذه الدَّارَ دارًا أُخرى يُفصلُ فيها بينَ المُحسِنِ والمُسيءِ، ويُنتصفُ للمظلوم^(٢) من الظَّالمِ.

(١) فهو على هذا مفعول فيه ظرف زمان متعلق بصفة محذوفة من (عذاب).

(٢) في (ن): «المظلوم».

وقيل: بل خلقناهما للدلالة على خالقهما.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: ظنهم أن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

(٢٨) - ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ

كَالْفُجَّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الكفار؛ أي:

لو سوينا بينهما لكننا خلقناهما باطلاً.

وفي التفسير: أنها نزلت في ثلاثة رهط: عليّ وحزمة وعبيدة بن الحارث^(١)،

﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وهم الذين تبارزوا

يوم بدر، فقتل عليّ رضي الله عنه الوليد، وقتل حمزة عتبة، وقتل عبيدة شيبة^(٢).

وقيل: عامٌ.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون الشرك والمعاصي ﴿كَالْفُجَّارِ﴾: كالكفار؛ أي:

في الثواب.

(٢٩) - ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿كَتَبَ﴾؛ أي: هذا كتاب ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿مُبْرَكٌ﴾ فيه مغفرة

للذنوب لمن آمن به ﴿لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ﴾: ليقفوا على ما فيه ويعملوا به.

(١) في (ف): «الحرث».

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/٢٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره

السمرقندي في «تفسيره» (٣/١٦٥) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

﴿وَلِتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ولتتعظ بالقرآن ذوو العقول.

(٣٠) - ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾؛ أي: أعطينا.

ابن عباس رضي الله عنهما: أولادنا من مواهب الله لنا^(١)، ومثله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنشَاءً﴾ الآية [الشورى: ٤٩].

﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجاع إلى الله بالعبادة. وقيل: ﴿إِذْ عُرِضَ﴾ ظرف لقوله: ﴿أَوَّابٌ﴾.

وقيل: ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ داود ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، كما قال: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

(٣١) - ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِيَادُ﴾.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾: على سليمان بإجماع، إلا ابن بحر فإنه قال: عُرِضَ على داود^(٢).

﴿بِالْعَشِيِّ﴾: بعد الظهر ﴿الصَّافِنَاتُ الْإِيَادُ﴾ الخيول، والصفان من الخيل: القائم بأي وصف كان، والأكثر على أن الصفان: الذي يثني إحدى يديه أو إحدى رجليه ويقف على سُنْبِكِهِ^(٣).

﴿الْإِيَادُ﴾: جمع جواد، وهو الفرس الذي يوجد بالركض.

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، وعده من العجائب.

(٣) السُنْبِكُ: طرف مقدم الحافر، والجمع: سنابك. انظر: «الصحاح» مادة: (س ب ك) (٤/ ١٥٨٩).

ابن عيسى: جمعُ (جَوْدٍ) كَسَوَطٍ وَسِيَاطٍ، تَقَوْلُ: مَطَرٌ جَوْدٌ؛ أَي: كَثِيرٌ^(١).
 وَقِيلَ: الْجَيَادُ: الطَّوَالُ الْأَعْنَاقِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَيْدِ، حَكَاهُ أَقْضَى الْقُضَاةِ وَغَيْرُهُ^(٢).

(٣٢) - ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾؛ أَي: الْخَيْلِ، وَفِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حُبَّ الْخَيْلِ)^(٣).

وَقِيلَ: الْخَيْرُ: الْمَالُ.

﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿عَنْ﴾ هَاهُنَا بِمَعْنَى: عَلَى، وَ﴿أَحْبَبْتُ﴾ بِمَعْنَى: آثَرْتُ.

ابن جرير: أَحْبَبْتُ الْخَيْرَ حُبًّا، فَقُدِّمَ وَأُضِيفَ إِلَى الْمَفْعُولِ^(٤).

قَالَ: وَمَعْنَى ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: سَهَوْتُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي^(٥).

وَحَكَى صَاحِبُ «النِّظْمِ»: ﴿أَحْبَبْتُ﴾ بِمَعْنَى: آثَرْتُ، ثُمَّ قَالَ: وَلَهُ وَجْهُ آخَرٌ، وَهُوَ: أَنَّ ﴿أَحْبَبْتُ﴾ بِمَعْنَى: قَعَدْتُ وَتَأَخَّرْتُ، مَاخُوذٌ مِنْ إِجَابِ الْبَعِيرِ؛

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥ / ٩٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٩) وعده من العجائب.

(٣) ذكرها ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤ / ٨٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٩)، واستغربها.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠ / ٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٩)، واستغربه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠ / ٨٤).

إِذَا بَرَكَ؛ أَي: تَقَاعَدْتُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي بِحُبِّ الْخَيْرِ^(١)، وَأَنْشَدَ:
 دَعَتْكَ إِلَيْهَا مُقْلَتَاهَا وَجِيْدُهَا فَمِلْتَ كَمَا مَالَ الْمُحِبُّ عَلَى عَمْدٍ^(٢)
 الْمُحِبُّ: الْجَمْلُ الَّذِي بِهِ عَمْدٌ، وَهُوَ عَلَّةٌ فِي السَّنَامِ.
 ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾: تَسْتَرَتْ الشَّمْسُ ﴿بِالْحِجَابِ﴾ بِاللَّيْلِ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ يَسْتُرُ كُلَّ
 شَيْءٍ.

وقيل: الحجابُ جبلٌ قاف.

وقيل: معنى ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: آثَرْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ أَمْرِ رَبِّي، لَا
 مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي وَلَا حِرْصًا عَلَى الْمَالِ^(٣).

وقيل: أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي^(٤) لَهَا بِالْخَيْرِ؛ أَي: أَحْبَبْتُ الْخَيْلَ لِحُبِّ
 الْخَيْرِ عَنْ جِهَةِ ذِكْرِ رَبِّي بِمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، فَيَكُونُ الْمَفْعُولُ مَحْذُوفًا، وَ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾
 مَفْعُولٌ لَهُ.

وقيل: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَكَانَتْ فَرْضًا عَلَيْهِ.

وقيل: وَظِفْفَةٌ وَظَفَفَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ جَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ
 لِيُعْرَضَ عَلَيْهِ الْخَيْلُ.

وَكَانَتْ الْخَيْلُ وَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ^(٥).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٩)، واستغربه.

(٢) البيت لأبي ذؤيب. انظر: «ديوان الهذليين» (١ / ١٥٩)، و«إيضاح شواهد الإيضاح» (١ / ١٥٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ٩٩٩)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «الله».

(٥) في (ف): «غنيمة».

وقيل: ورثها من أبيه داود.

وقيل: كانت ألف فرسٍ أخرجها الشياطينُ من البحرِ.

وقيل: أخرجها الشياطينُ من مرجٍ من المروجِ.

وقيل: كانت عشرين فرسا ذواتٍ أجنحةٍ.

﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ الشمسُ ﴿بِالْحِجَابِ﴾؛ أي: غربت، وجازَ الكنايةُ عن الشمسِ وإن لم يتقدّم ذكرها لأنّ العشيَّ دلٌّ^(١) على ذكرها.

ابن عيسى: الضميرُ في ﴿تَوَارَتْ﴾ للخيل^(٢)؛ أي: إلى أن عُيِّت عني وسُتِرت عن بصري بحجابها، وهو مرابطها.

(٣٣) - ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾؛ أي: الخيلُ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (طفِقَ) مثل ظلَّ بالنهار؛ أي: ما زال يفعلُ، ﴿مَسْحًا﴾^(٣): يمسحُ مسحًا، ﴿بِالسُّوقِ﴾: جمعُ ساقٍ، كدارٍ ودُورٍ، ولابيةٍ ولوبٍ، ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾: جمعُ عنقٍ، والمعنى: قطعَ أعناقها وعَرَقَبَ أرجلها؛ لأنّها منعتّه عن الصلَاة.

الزَّجَّاجُ: لم يفعل ذلك إلا وقد أباح الله له ذلك، وما أباح الله فليس بمُنكرٍ^(٤).

(١) في (ن): «دلت».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير»

(٢ / ١٠٠٠)، واستغربه.

(٣) «يفعل مسحًا» من (ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤ / ٣٣١).

وقيل: ذبحه للفقراء والمساكين إلا مئة منها، فما في أيدي الناس من الخيل العراب^(١) فهي منها.

ابن عباس رضي الله عنهما: ما ضرب أعناقها وما عرقبها، بل مسح أعناقها وسوقها بيده حباً لها^(٢)، قال: ومعنى مسح: غسل^(٣).

وقيل: مسح الغبار عن أعناقها^(٤) وسوقها بيده.

وقيل: وسّم أعناقهنّ وسوقهنّ وجعلهنّ في سبيل الله^(٥).

وقيل: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾؛ يعني: الشمس، والخطاب للملائكة، يتضرّع^(٦) إلى الله، فردّ الله له الشمس فصلّى العصر.

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾: ابتليناه.

وقيل: عاقبناه.

وقيل: شدّدنا عليه في التّكليف.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ اختلف المفسّرون في سبب ذلك وفي الجسد،

(١) «العراب» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ / ٨٧) ورجحه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ١٠٠٠)، واستغربه.

(٤) في (ف): «أعرافها».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ١٠٠٠)، وعده من العجائب.

(٦) في (ف): «تضرع».

وأولى ما ذُكِرَ فيه: ما رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ، وهو أَنَّهُ قال: «قال سليمان بنُ داودَ عليهما السَّلَامُ: لأطوفَنَّ اللَّيْلَةَ على سبعينَ امرأةً - ويُروى: «على مئةٍ»، ويُروى: «على ألفِ امرأةٍ» - تأتي كُلُّ واحدةٍ بفارسٍ يجاهدُ في سبيلِ الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، ولم يُقَلِّ، فطافَ عليهنَّ ولم تحمِلْ منهنَّ إلا^(١) واحدةٌ جاءتْ بشقِّ ولِدٍ، فوالذي نفسُ محمَّدٍ بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدُوا في سبيلِ الله فُرسانًا^(٢)، فلم يستثنِ، فلم يرضَ اللهُ ذلكَ منه، وهو الجسدُ الذي أُلقيَ على كرسيِّه؛ أي: سريرِ مُلكِه.

وقيل: كرسيِّ ملكِه.

الشَّعْبِيُّ: سببُ ذلك: أَنَّهُ وُلِدَ لسليمانَ عليه السَّلَامُ ابنٌ، فاجتمعتِ الشَّيَاطِينُ وقال بعضهم لبعضٍ: إن عاشَ له ولدٌ لم ننفكْ مما نحنُ فيه من البلاءِ والسُّخْرَةِ، فسبيلُنَا أن نقتلَ ولده، فعلمَ بذلك سليمانُ، فأمرَ السَّحابَ حتى حملته الرِّيحُ إليه، فغذا ابنه^(٣) في السَّحابِ خوفًا من معرَّةِ الشَّيَاطِينِ، فعاقبه لخوفِه من الشَّيَاطِينِ، فماتَ الولدُ وأُلقيَ ميتًا على كرسيِّه، وهو الجسدُ الذي قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾^(٤).

(١) في (ف) زيادة: «امرأة».

(٢) رواه البخاري (٢٨١٩) بلفظ: «مئة امرأة، أو تسع وتسعين»، و(٣٤٢٤) بلفظ: «سبعين» وفيه: «قال شعيب وابن أبي الزناد: «تسعين» وهو أصح» ورواه (٦٧٢٠) بلفظ: «تسعين»، وكذا رواه مسلم (١٦٥٤ / ٢٥)، وفي رواية: «سبعين» وفي أخرى: «ستين»، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبلفظ: «ألف امرأة» رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢ / ٢٥٨) بإسناد فيه إسحاق بن بشر وهو كذاب.

(٣) في (ف): «غذا ابنه».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٥٤٣). وهو من خرافات الإسرائيليات بلا شك.

ابن بحرٍ: مَرَضَ سَلِيمَانُ مَرَضًا شَدِيدًا اِمْتَحَنَهُ اللهُ بِهِ حَتَّى صَارَ جَسَدًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مَطْرُوحًا، وَجَاءَ فِي الْمَثَلِ: جَسَدٌ بِلَا رُوحٍ؛ لِأَنَّ الْجَسَدَ هُوَ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ، وَتَقْدِيرُهُ: أَلْقَيْنَاهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا، وَقَدْ يُوصَفُ الْمَرِيضُ بِمَثَلِ هَذَا فَيُقَالُ: جَسَدٌ بِلَا رُوحٍ. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: عَادَ إِلَى الصَّحَّةِ.

وَقَالَ جَمَاهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: الْجَسَدُ الْمُلْقَى عَلَى كُرْسِيِّ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَيْطَانًا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ مَلِكِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَهُ كَانَ فِي خَاتِمِهِ، فَأَخَذَ الشَّيْطَانُ الْخَاتِمَ، فَزَالَ مَلِكُهُ وَصَارَ الْمَلِكُ لِلشَّيْطَانِ.

ثُمَّ اِخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: كَانَ سَلِيمَانُ وَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ فَأَخَذَهُ الشَّيْطَانُ مِنْ تَحْتَ رَأْسِهِ^(١).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قَالَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِشَيْطَانٍ يُقَالُ لَهُ آصَفُ: كَيْفَ تَفْتِنُونَا النَّاسَ؟ قَالَ: أَرِنِي خَاتِمَكَ أُخْبِرْكَ، فَلَمَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ نَبَذَهُ آصَفُ فِي الْبَحْرِ، فَذَهَبَ مَلِكُهُ، وَقَعَدَ آصَفُ عَلَى كُرْسِيِّهِ^(٢).

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا سَلِيمَانُ جَالِسٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَهُوَ يَعْبَثُ بِخَاتِمِهِ إِذْ سَقَطَ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ، وَكَانَ مَلِكُهُ فِي خَاتِمِهِ^(٣).

وَقِيلَ: إِنَّهُ وَطِئَ امْرَأَةً فِي الْحَيْضِ، فَذَلِكَ ذَنْبُهُ. حَكَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤).

وَقِيلَ: إِنَّ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: جَرَادَةٌ قَالَتْ لَهُ: إِنَّ أَخِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ حَكُومَةٌ، فَإِذَا

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٩٧) وفيه: «تحت فراشه» بدل «تحت رأسه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ / ٨٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠ / ٣٢٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٥٤٦)، وذكره

المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ١٠٠١)، واستغربه.

(٤) في هامش (ن): «في نسخة عيسى»، وقد ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٩٤) عن

أتيا غداً فاقضِ له، فقال: نعم، ولم يفعلْ، فابتلاه اللهُ بسببِ ذلك^(١) الذَّنْبِ، وأزال ملكه أربعينَ يوماً.

وقال جماعةٌ من المُفسِّرين: كان سليمانُ عليه السَّلَامُ إذا أرادَ دخولَ الخلاءِ دفعَ خاتمَه إلى جارية^(٢) - قال ابنُ عباس^(٣): اسمُها جَرَادَةُ، وقيل: الأَمِينَةُ^(٤) - وكان شيطانٌ يُقالُ له: صَخْرٌ - وقيل: آصَفُ، وقيل: غيرُه - تصوَّرَ بصورةَ سليمانَ وخرَجَ إلى المرأةِ، وقال: هاتي الخاتمَ، فأعطته إياه ظناً منها أنه سليمانُ، فلمَّا خرَجَ سليمانُ ولم يجدِ الخاتمَ علمَ أنه ابتلي، فخرَجَ يطوفُ أربعينَ يوماً إلى أن قبلَ اللهُ توبته. وكان ذلك الشَّيطانُ يقضي بينَ النَّاسِ، ويتمكَّنُ من جميعِ ملكِه إلا نساءَه. وقيل: من جميعِ ملكِه ومن نساءِه، وكان يأتي النساءَ الحَيَّصَ منهنَّ.

فلمَّا أرادَ اللهُ رَدَّ الملكِ على سليمانَ، أنكرَ قُرَّاءُ بني إسرائيلَ قضيةَ قضاها الشَّيطانُ، فأحضره التَّوراةَ، فلما قرأوها عليه فرَّ الشَّيطانُ، وألقى الخاتمَ في البحرِ فابتلَعته سمكةٌ، فصاذاها صائدٌ، فوهبها لسليمانَ.

وقيل: أعطها على أجرَةٍ عملِه يوماً.

فأخرَجَ من بطنِها الخاتمَ، وردَّ اللهُ عليه ملكه^(٥)، فذلك^(٦) قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾؛

أي: رجعَ إلى ملكِه.

(١) في (ف): «هذا».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٥).

(٣) في (ن): «ابن عيسى»، وفي هامشها: «ابن عباس نسخة».

(٤) اسم «جرادة» ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٧) عن ابن عباس وابن جبير، وذكر اسم «الأمينة» عن شهر بن حوشب.

(٥) رواه من أوله في خبر واحد طويل الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩١) عن السدي، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩١). وهو من أباطيل الإسرائيليات.

(٦) في (ن): «وهو».

وقيل: إن ذنبه أنه تزوج امرأة من غير بني إسرائيل، وكانت ممن تعبد الأصنام، فأعجب بها، فقالت: إن أبي كان باراً بي، فلو أذنت لي أن أتخذ صورة على صورة أبي وأجعلها في بيتي لي، فكننت أتسلى بها إذا رأيتها، فأذن لها فاتخذت صورة، فكانت تعبد في بيته أربعين يوماً، فعاقبه الله على ذلك، وسلبه ملكه أربعين يوماً^(١).

وحكى الثعلبي أن في بعض الروايات: أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده، فأخذه سليمان فأعاده إلى يده فسقط من يده، فلما رآه سليمان عليه السلام لا يثبت في يده أيقن بالفتنة، وأن آصف وزيره قال لسليمان: إنك مفتون بذنك، والخاتم لا يثبت في يدك أربعة عشر يوماً، ففر إلى الله تائباً من ذنك، وأنا أقوم مقامك وأسير في عيالك^(٢) وأهل بيوتك بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك، ففر سليمان هارباً إلى الله، وأخذ آصف الخاتم ووضعه في يده وثبت، والجسد الذي ألقى على كرسيه آصف وزير سليمان، وكان عنده علم من الكتاب، وقام آصف في ملكه أربعة عشر يوماً إلى أن رد الله ملكه عليه، فقام آصف وجلس سليمان على كرسيه، واتخذ الخاتم بيده فثبت فيها^(٣).

وعن سعيد بن المسيب: أن سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله إليه: يا سليمان، احتجبت عن الناس ولم تنظر في أمور عبادي، ولم تُنصف مظلوماً من ظالم، ثم ذكر الخاتم، وأخذ الشيطان منه، ورجوعه إلى سليمان^(٤).

(١) ذكره الثعلبي بنحوه مطولاً في «تفسيره» (٢٢ / ٥٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧ / ٩١)، عن وهب

بن منبه، ولا شك أنه من خرافات بني إسرائيل التي أكثر منها وهب.

(٢) في (ف): «عالمك».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢ / ٥٤٠).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢ / ٥٤١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٩٥).

قال مُقاتلٌ: ملكَ سليمانَ قبلَ الفتنَةِ عشرينَ سنةً، وبعدَ الفتنَةِ عشرينَ سنةً^(١).
ثمَّ إنَّ سليمانَ ظفَرَ بالشَّيْطَانِ فجعلَه في تابوتٍ وسدَّه^(٢) بالنُّحاسِ وألقاه في
البحرِ^(٣). والله أعلمُ.

(٣٥) - ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ أبو عبيدة في كتابِ
«المجاز»: معنى ﴿لَا يَنْبَغِي﴾: لا يكون^(٤).

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣ / ٦٤٤).

(٢) في (ن): «وشده».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥ / ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكل هذه القصص لا تصح في حق نبي الله، قال أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند
هذه الآية: وذكروا أشياء لا تقبلها العقول السليمة، وتردُّها العقائد المستقيمة، ولا يجوز على
نبي الله سليمان ولا على سائر الأنبياء الرضا بعبادة الأصنام، ولا التركُّ بعد العلم، فإنَّ فعلت ذلك
امرأته بغير علمه، فما معنى عتاب سليمان به وهو لا يعلم به؟! وكيف يجوز تسليط الشيطان أن يحكم
بين الناس بالباطل، ويأتي النساء، ويصوِّر أنه نبي، وأنَّ أحكامه أحكام الله تعالى، وهذا تلبس على
المسلمين طريق الدين؟! فكيف تصوِّر بصورة سليمان وعلى الناس الإيمان بسليمان، والشيطان
تصوِّر بصورة سليمان وهم يعتقدونه نبيَّ الله، ولا يصلون إلى حقيقة ذلك ألبتة؟! هذا محال من القول.
وكيف يسلبُ الله سليمان ملكه في حياته وقد بقاه عليه سنة كاملة بعد وفاته؟! وكيف ينزعه منه وهو
يقول: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾، واستجاب الله له في قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾.

قلت: وأصح ما قيل في الآية ما تقدم من حديث أبي هريرة في الصحيحين، وإن لم يقع فيه التصريح
بكونه تفسيراً للآية.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢ / ١٨٣).

وَحَقِيقَةٌ ﴿لَا يَنْبَغِي﴾: لَا يَنْفَعُلُ؛ مِنْ بَغَيْتِ الشَّيْءِ: طَلَبْتُهُ؛ أَي: لَا يَصِيرُ مَطْلُوبًا؛ لِأَنَّهُ سَمَاوِيٌّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي طَوِقِ الْبَشَرِ، وَلَا مِمَّا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ.
وَإِنَّمَا سَأَلَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ؛ لِيَكُونَ^(١) مُعْجِزَةً لَهُ، لَا مُنَافَسَةً وَلَا حَسَدًا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يُسَخَّرْ لَهُ الرِّيحُ وَالشَّيَاطِينُ، فَلَمَّا دَعَا بِذَلِكَ تَسَخَّرَتْ لَهُ الرِّيحُ وَالشَّيَاطِينُ، وَالْمُعْجِزَةُ هِيَ الَّتِي لَا تَتَّبَعِي لِغَيْرِ مَنْ أُيِّدَ بِهَا.

وَقِيلَ: سَأَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِيَّاهُ فِي السُّؤَالِ.

وَقِيلَ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْلُبَهُ مِنِّي بَعْدَ هَذِهِ السَّلْبَةِ^(٢).

وَقِيلَ: لِأَفْوَى بِهِ عَلَى مَنْ عَصَانِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَقِيلَ: ﴿لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾؛ أَي: غَيْرِي مِمَّنْ بُعِثْتُ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُرَدَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿أَنْتَ أَتَى لَوْهَابُ﴾: الْمُعْطَى.

(٣٦) - ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾: ذَلَّلْنَاهَا لَطَاعَتِهِ ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾: بِأَمْرِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقِيلَ: بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى حَيْثُ يَأْمُرُهَا.

وَقِيلَ: تَحْمَلُ مَا يَأْمُرُهَا.

﴿رُخَاءً﴾: لَيِّنَةً، مِنَ الرَّخَاوَةِ.

(١) فِي (ن): «سَأَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ أَنْ تَكُونَ»، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ (ف) وَ«غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ» (٢/ ١٠٠٢).

(٢) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ» (٢/ ١٠٠٢)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

وقيل: طيبةً.

وقيل: سريعةً.

وقيل: مُطِيعَةً، لا عاصِفةً ولا ضعيفةً.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أراد، والعربُ تقول: أصاب الصَّوَابَ فأخطأ الجواب^(١).

وقيل: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيثُ ما قصدَ من إصابةِ السَّهمِ.

وقيل: حيثُ شاءَ حملته الرِّيحُ.

(٣٧) - ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾.

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ﴾؛ أي: وسخرنا له الشياطينَ كلَّ بناءٍ يبنونَ له الأبنية العجيبة،

من قوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾ الآية [سبأ: ١٣].

﴿وَعَوَّاصٍ﴾ يغوصونَ في البحرِ لإخراجِ اللؤلؤِ، وهو أوَّلُ مَنْ استخرجَ اللؤلؤَ

من البحرِ.

(٣٨) - ﴿وَعَاخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

﴿وَعَاخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ يعني: مرده الشياطينِ مُوثَّقينَ في الحديدِ ما لم

يؤمّنوا، فإذا أمّنوا خلّى سبيلهم.

والأصفاذُ: السّلاسلُ من الحديدِ. وقيل: الأصفاذُ: الأغلالُ. والصّفدُ: القيدُ

والعطاء^(٢)، وحقيقته: التعويضُ على الخيرِ والشّرِّ.

(١) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٠)، وانظر: «الزاهر» لأبي بكر الأنباري (١٩٤/٢).

(٢) انظر: «العين» مادة: (ص ف ر) (١٠٢/٧)، قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٤٤٤/٦): «وسمي

العطاء صفاذاً؛ لأنه يقيده».

(٣٩) - ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾؛ أي: قلنا لسليمان: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾، وفي المُشَارِ إليه بـ ﴿هَذَا﴾

أقوال:

أحدُها: أَنَّهُ إشارةٌ إلى المُلْكِ، ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أعطِ مَنْ شئتَ وامنعْ مَنْ شئتَ، ليس عليك في ذلك حرجٌ، لا تُحاسِبُ على ما تُعطي وتُمنعُ يومَ القيامةِ.

وذهب جماعةٌ إلى أنَّ ﴿هَذَا﴾ إشارةٌ إلى تسخيرِ الشَّيَاطِينِ؛ أي: امننْ على مَنْ شئتَ فأطلقه^(١)، واجعلْ ذلك مِنَّةً عنده، وأمسكْ مَنْ شئتَ واحبسْهُ؛ فأنتَ في سعةٍ من ذلك، لا تُحاسِبُ في حبسِ مَنْ حبستَ وإطلاقِ مَنْ أطلقتَ.

ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أُوتِيَ على الجماعِ قوَّةٌ مئةَ رجلٍ، وكان عنده ثلاثُ مئةِ امرأةٍ وسبعُ مئةِ سُريَّةٍ، فقيل: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ فجامعٌ مَنْ شئتَ واطرُكٌ مَنْ شئتَ، لا حسابَ عليك في ذلك^(٢).

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغيرِ جزاءٍ.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ صفةٌ للعطاءِ؛ أي: عطاؤنا بغيرِ حسابٍ؛ يعني: كثيراً.

(٤٠) - ﴿وَإِن لَّهُ عِنْدَنَا الرَّزْقُ وَحَسَنَ مَتَابٍ﴾.

﴿وَإِن لَّهُ عِنْدَنَا الرَّزْقُ﴾: القربةُ في الآخرةِ ﴿وَحَسَنَ مَتَابٍ﴾: مرجعٌ، وهو الجنةُ

ونعيمُها.

(١) في (ف): «وأطلقه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ / ١٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢ / ١٠٠٣)،

الحسن: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا عَطِيَّةً إِلَّا جَعَلَ عَلَيْهِ فِيهَا حِسَابًا، إِلَّا سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ أَعْطَاهُ عَطَاءً هَنِيئًا فَقَالَ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فَإِنْ أَعْطِيَ أُجْرًا، وَإِنْ لَمْ يُعْطِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ تَبَعَةً^(١).

(٤١) - ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أَيِّ مَسْنَى الشَّيْطَانِ يُنْصَبُ وَعَذَابٍ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ كان أيوبُ في زمانِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ، وامرأته لَيَّا بنتُ يعقوبَ، ويُروى: إلياء.

و﴿عَبْدَنَا﴾ مفعولٌ ﴿أَذْكُرْ﴾، و﴿أَيُّوبَ﴾ بدلٌ منه أو عطفٌ بيانٍ.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾: دعاه، و﴿إِذْ﴾ نصبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ، يجوزُ أن يكونَ (أَذْكُرْ) فيكونُ مفعولًا به، ويجوزُ أن يكونَ بدلًا منه^(٢) بدلَ الاشتمالِ؛ أي: زمانَ بلائه.

﴿أَيِّ مَسْنَى الشَّيْطَانِ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: قال بعضهم: مسَّهُ بالوسوسة، وذكره ما سُلِبَ منه من النعمةِ وسُلِّطَ عليه من المحنةِ.

وقيل: وسوسَ إليه بالقنوطِ من رحمةِ رَبِّهِ وتزيينِ الجزعِ المُحْبِطِ لأجرِهِ.

وقيل: وسوسَ إلى الذين آمنوا به بأنَّ أيوبَ لو كان نبيًّا لَمَا سَلَّطَ عليه الأمراضُ المُستَقْدَرَةَ حتى أخرجَه من العمرانِ، ثمَّ أبقاه فيه سبعَ سنينَ - وقيل: ثماني عشرة سنة^(٣) - فشكوا في دينهم حتى رجَع عن دينه بعضُ مَنْ كان آمنَ به.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ / ٩٩) ورجحه، ولفظه: «الملك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت».

(٢) قوله: «منه»؛ أي: من ﴿أَيُّوبَ﴾.

(٣) رواه البزار (٢٣٥٧ - كشف)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٠ / ١٠٩)، =

وقيل: مسَّه بأن استأذَنَ الله وسأله أن يُسَلِّطَه على ماله، ثمَّ على أهله وولده، ثمَّ على بدنه، حتَّى سعى الدُّودُ في بدنه، وقال: ﴿مَسَّنِيَ الصُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿بَنَصَبٍ﴾ فُرِّئَ بِفَتْحَتَيْنِ، وَضَمَّتَيْنِ، وَضَمَّةٍ وَسُكُونٍ^(١)، وهي لغاتٌ، والمعنى: بَضُرٌّ فِي بَدَنِي ﴿وَعَذَابٍ﴾ أَي: فِي أَهْلِي وَمَالِي.

وقيل: كلاهما في البدن.

وقيل: هما واحدٌ، كُرِّرَ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ.

وكان سببُ ابتلائه: أَنَّ رَجُلًا اسْتَعَانَهُ عَلَى دَفْعِ ظُلْمٍ فَلَمْ يُعِنَهُ.

وقيل: كان مَواشِيه في نَاحِيَةِ مَلِكٍ كَافِرٍ فَدَاهَنَهُ وَلَمْ يَغْزِهِ.

وقيل: كان كَثِيرَ المَالِ فَأَعْجَبَ بِهِ.

وقيل: ذَبَحَ شَاةً فَأَكَلَهَا وَجَارُهُ جَائِعٌ لَمْ يُطْعِمَهُ^(٢).

وقيل: رَأَى مُنْكَرًا فَسَكَتَ عَنْهُ.

وقيل: ابْتَلَاهُ اللهُ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ ذَنْبٌ فَيُعَاقَبَ عَلَيْهِ^(٣).

= ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٦٠/٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٨)، والضياء في «المختارة» (٢٦١٧)، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب لبت به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلا من إخوانه...» الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٨/٨): «رواه البزار وأبو يعلى ورجال البزار رجال الصحيح».

ورواه الحاكم في «المستدرک» (٤١١٥)، ووقع فيه: «خمس عشرة سنة».

(١) بضمهما أبو جعفر، ويفتحهما يعقوب، والباقون بضم فسكون. انظر: «النشر» (٣٦١/٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠٠٤/٣)، واستغربه.

(٣) وهذا هو الصواب، وما قبله كله شقشقة وإكثار من القيل مما لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام.

(٤٢) - ﴿رَكُضٌ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ .

﴿رَكُضٌ بِرَجْلِكَ﴾؛ أي: أرسلنا إليه جبرائيل عليه السلام فقال له: اركض برجليك على الأرض، فركض فنبعت عين حارة من تحت قدميه، فأمره أن يغتسل منها فاغتسل، ثم ركض برجليه الأخرى فنبعت عين أخرى، ماء عذب بارد، فشرب منها، فزال ما في باطنه وظاهره من القروح والجراحات.

﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾: ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ قيل: تقديره: هذا مغتسل، وهذا شراب بارد.

(٤٣) - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أحياءهم الله بأعيانهم وزاده مثلهم؛ لأنهم ماتوا من غير آجالهم، فأحياءهم حتى يستوفوا^(١) بقية آجالهم.

وقيل: أحياءهم ومثلهم معهم؛ يعني: من نسلهم، فيكون ﴿مِثْلَهُمْ﴾ أولاد الأولاد، وعلى القول الأول أولاد الصلب.

وقيل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾: نؤتيه في الآخرة ﴿وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ﴾: في الدنيا^(٢).

وقال ابن بحر: كانوا قد غابوا عنه وتفرقوا فجمعهم الله عليه^(٣).

(١) في (ف): «فأحياءهم ليستوفوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، واستغربه، وفيه: «الغريب»: «يهبهم له في الجنة ومثلهم معهم في الدنيا».

(٣) ذكر هذا القول والذي بعده الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، وعده من العجائب.

وقال أيضًا: أو كانوا مرضى فشفاهم الله.

وقول الجمهورِ أولى بالاتباع.

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾؛ أي: رحمناه رحمةً، ويجوزُ أن يكونَ مفعولاً له.

﴿وَدَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾؛ أي: إذا ابتليَ اللَّيْبُ ذَكَرَ بلاءَ أيوبَ.

(٤٤) - ﴿وَحَدَّ يَدَيْكَ ضِعْفًا فَضْرِبَ بِهِءٍ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَحَدَّ يَدَيْكَ ضِعْفًا﴾ وذلك أنه حلفَ في مرضه: ليضربنَّ زوجته مئةَ ضربةٍ، واختلفوا في ذلك؛ فقيل: ذهبَتْ في حاجةٍ فأبطأتْ في الرجوعِ، فضاقتْ صدرُ المريضةِ، فحلفَ: إن شفاه الله ضربها مئةَ ضربةٍ.

وقيل: إنَّ الشَّيْطَانَ أمرها أن تحملَ أيوبَ على أن يذبحَ عناقًا باسمِ الشَّيْطَانِ، فأدَّت إليه رسالةَ إبليسَ، فقال: ولا كفًا من ترابٍ، فحلفَ: ليجلدنَّها مئةً.

وقيل: إنَّ إبليسَ لقيها في صورةٍ طيبٍ، فدعته لمداواةِ أيوبَ، فقال: أدويه على أنه إذا برئ قال: أنتَ شفيتني، لا أريدُ جزاءً سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوبَ بذلك، فحلفَ: ليضربنَّها.

وقيل: جاءته بزيادةٍ على ما كانت تأتيه به من الخبزِ، فخافَ خيانتها، فحلفَ.

وفي بعضِ القصصِ: باعَتْ ذوائبها بطعامٍ فحملتهُ إليه، فسَاءَ ظنُّه، فحلفَ^(١).

(١) وكل هذا من خرافات الإسرائيليات وأباطيلها، والقرآن يبطلها حيث أظهر كرامتها وشكر لها - كما سيأتي - بأن أمر رسوله بالإبرار بيمينه بهذه الطريقة المذكورة ليمنع عنها المشقة وعن أيوب الحنث، والأولى السكوت عما سكت عنه القرآن ولم يبينه لعدم الحاجة إليه، والرجل قد يحدث له مع زوجته الكثير من الأمور التي تضطره إلى مثل ما وقع لأيوب عليه السلام، ولا يحط هذا من فضل أي منهما.

فَلَمَّا عُوْفِي شَكَرَ اللَّهُ حُسْنَ خِدْمَتِهَا لِأَيُّوبَ أَيَّامَ بَلَاءِهِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَ قَضْبَانَ رِيحَانٍ عَدْدُهَا مِئَةٌ فَيَضْرِبُهَا بِهَا ضَرْبَةً لَيِّبَرَّ يَمِينَهُ.

وقيل: الضُّعْثُ غِصْنٌ ذَاتُ أَغْصَانٍ كَثِيرَةٍ.

وقيل: هو الشُّمْرَاخُ.

وقيل: الحزْمَةُ مِنَ الْحَشِيشِ وَالرِّيْحَانِ.

وقيل: قَبْضَةٌ مِنْ سُنْبِلٍ^(١) فِيهَا مِئَةٌ سُنْبِلَةٍ.

مجاهد: هو لأَيُّوبَ خَاصَّةً، وَهُوَ مَنْسُوخٌ فِي شَرِيعَتِنَا.

قتادة: عَامٌّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ^(٢).

وقيل: هَذَا جَائِزٌ فِي الْمَرِيضِ وَالْمَعْدُورِ، وَلَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهِمْ.

وقيل: إِذَا اتَّصَلَ بِهِ أَلَمٌ جَازٌ، وَإِنْ خَلَا مِنَ الْأَلَمِ لَا يَجُوزُ.

وقيل: إِذَا أَصَابَهُ جَازٌ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ لَمْ يَجُزْ.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾؛ أَي: عَلَى الْبَلَاءِ ﴿تَعَمَّ الْعَبْدُ﴾ يُرِيدُ: أَيُّوبَ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: مُقْبِلٌ

عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ.

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ: «سُنْبِلَةٌ»، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ «تَفْسِيرِ السَّمُرْقَنْدِيِّ» (٣/١٦٩)، وَ«تَنْوِيرِ الْمُقْبَاسِ» (ص: ٣٨٣).

(٢) ذَكَرَ الْمَوَارِدِيُّ فِي «النَّكَتِ وَالْعَيُونِ» (٥/١٠٤) قَوْلِي مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ. وَفِي «النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ» لِلنَّحَّاسِ (ص: ٦٤٤، ٦٤٨): «مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: هَذَا مَنْسُوخٌ فِي شَرِيعَتِنَا، وَإِذَا حَلَفَ رَجُلٌ أَنْ يَضْرِبَ إِنْسَانًا عَشْرَ ضَرْبَاتٍ ثُمَّ لَمْ يَضْرِبْهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ حَنْثٌ، وَقَالَ قَوْمٌ: بَلْ لَا يَحْنُثُ إِذَا ضْرِبَهُ بِمَا فِيهِ عَشْرَةٌ بَعْدَ أَنْ تَصِيْبُهُ الْعَشْرَةُ، وَهَذَا قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَمَنْ قَبْلَهُ عَطَاءٌ، قَالَ: «هِيَ عَامَةٌ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ «هِيَ خَاصَّةٌ» وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَمِيلُونَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ».

(٤٥) - ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قُرِيَ بِالْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ^(١).

فَمَنْ جَمَعَ فـ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وَمَنْ بَعْدَهُ بَدَلٌ مِنْهُ، وَكُلُّهُمْ دَاخِلُونَ فِي الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ.

وَمَنْ وَحَّدَ فـ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وَحَدَهُ بَدَلٌ مِنْهُ وَدَاخِلٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ، وَغَيْرُهُ^(٢)

عَطْفٌ عَلَى الْعَبْدِ، دَاخِلٌ فِي الذِّكْرِ فَحَسَبَ.

﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ قِيلَ: أُولَى الْقُوَّةِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْبَصِيرَةَ فِي الدِّينِ، فَعَبَّرَ

عَنِ الْقُوَّةِ بِالْيَدِ لِأَنَّهَا يَكُونُ الْبَطْشُ، وَعَبَّرَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَبْصَارِ لِأَنَّ الْبَصِيرَةَ

تَحْصُلُ الْمَعَارِفَ.

وقيل: ﴿الْأَيْدِي﴾: النِّعْمَةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

ابنُ بَحْرٍ: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ كَقَوْلِكَ: أُولَى الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ، وَالْمُرَادُ بِالْأَيْدِي:

الْعَمَلُ، وَبِالْأَبْصَارِ: الْعِلْمُ^(٣).

ابنُ جَرِيرٍ: لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أُيُدٌ^(٤)؛ أَي: الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي قَدَّمُواهَا، كَمَا تَقُولُ:

لَهُ قَبْلَكَ يَدٌ^(٥).

(٤٦) - ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾ (خالصة): مصدرٌ، والمعنى: جعلناهم

يُذَكِّرُونَ النَّاسَ بِدَارِ الْآخِرَةِ وَيُزَهِّدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

(١) قرأ ابن كثير: (عبدنا) بالواحد، والباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٢) في النسختين: «وغيرهم»، والصواب المثلث.

(٣) ذكر نحوه المصنف في «غرائب التفسير» (١٠٠٤ / ٢) بلا نسبة.

(٤) في النسختين: «أيدي»، والصواب المثلث.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١١٦ / ٢٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠٠٤ / ٢)، واستغربه.

وقيل: يُكثرون ذِكْرَ الآخِرَةِ والرُّجُوعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وقيل: معنى ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾: العملُ لها.

وقيل: ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾: النُّبُوءُ.

وقيل: الكتبُ التي فيها ذِكْرُ الآخِرَةِ.

وقيل: ﴿بِمَخَالِصَةٍ﴾: بنعمةٍ خالصةٍ لهم دونَ غيرهم، والدَّارُ: الجنَّةُ؛ أي: لهم فيها

ذِكْرٌ رفيعٌ جليلٌ القَدْرِ؛ لقيامهم بحقِّ^(١) النُّبُوءِ وأداءِ الرِّسَالَةِ.

وقرئَ بالإضافةِ^(٢)؛ أي: أخلَصناهم بأفضلِ ما في الجنَّةِ، كما تقولُ: أخلَصناهم

بخيرِ الآخِرَةِ.

وقيل: الدَّارُ في الآيةِ: الدُّنْيَا، والذِّكْرُ: الثَّنَاءُ الحَسَنُ والوصفُ بالتَّعْظِيمِ،

وهذا شيءٌ قد أخلَصهم به، فليس ذِكْرٌ غيرهم في الدُّنْيَا بمثلِ ما يذكرون به، يُقوِّيه

قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقوله: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾

[الصفات: ١٨١]، وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ (١٠٨) سَلِّمْ [الصفات: ١٠٨-١٠٩].

و﴿ذَكَرَى﴾ يجوزُ أن يكونَ رفعًا ونصبًا في الوجهين^(٣)، و﴿الدَّارِ﴾: يجوزُ أن

يكونَ ظرفًا، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا به^(٤).

(٤٧) - ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾؛ أي: المُجْتَبِينَ ﴿الْأَخْيَارِ﴾: جمعُ (خيرٍ)، كميَّةٌ

وأمواتٍ، وقيل: كشرٌّ وأشرارٍ.

(١) في (ن): «بأمر».

(٢) قرأ بها نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) انظر وجوه إعرابها في «البيان» للعكبري (٢/١١٠٢)، و«الدر المصون» (٩/٣٨٣).

(٤) أي: أصل المضاف إليه يجوز أن يكون ظرفًا، والتقدير: بخالصة ذكري تقع في الدار، ويجوز أن

يكون مفعولًا به، والتقدير: بخالصة ذكرهم الدار.

(٤٨) - ﴿وَأَذْكُرُ اسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾.

﴿وَأَذْكُرُ اسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ وهو خليفة إيلياس كما سبق، وقيل: هو ابن إسحاق.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ الحسن: كان نبياً^(١).

قتادة: كان رجلاً صالحاً، كفلَ بعملِ رجلٍ صالحٍ كان يُصلي كل يوم مئة

صلاة^(٢).

وقيل: بمئة نبي انفلتوا من القتل، فأواهم وكفلهم.

والكِفْلُ: الجَدُّ والحِطُّ، والكِفْلُ: النَّصِيبُ.

وقيل: هو يوشع بن نون، وقيل: هو اليسع، وقيل: زكريا، عليهم السلام.

﴿وَكُلٌّ﴾؛ أي: وكلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾.

(٤٩) - ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَثَابٍ﴾.

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾؛ أي: شرف لهم.

وقيل: ما تقدم من أول السورة من أمور الأنبياء ذكر.

وقيل: هذا - أي: القرآن - ذكر لك ولقومك.

﴿وَإِنَ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَثَابٍ﴾: مرجع ومصير، ثم فسّر فقال:

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/٤٦٤)، والواحدي في «البيضا» (١٥/١٥٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/٣٧١ - ٣٧٣) من طريق

معمر عن قتادة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٥٠) - ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾.

﴿جَنَّتِ عَدْنٍ﴾: دار إقامَةٍ ﴿مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾؛ أي: إذا وصلوا إليها وجدوها مفتوحة الأبواب.

وقيل: لا يحتاجون إلى مفاتيح وفتح ومُعَانَاةٍ.

وقيل: هذا مثلٌ؛ كما تقول: متى جئتني وجدت بابي مفتوحًا؛ أي: لا يمنع من الدخول.

ابن بحر: هذا وصفٌ بالسَّعةِ حتَّى يسافر الطَّرْفُ في كلِّ جانبٍ.

و﴿الْأَبْوَابُ﴾ بدلٌ من الضَّميرِ في ﴿مَّفْنَحَةٌ﴾.

وقيل: تقديرُه: الأبوابُ منها.

وقيل: الألفُ واللامُ قائمٌ مقامَ الضَّميرِ؛ أي: أبوابها. والقولُ هو الأوَّلُ.

(٥١) - ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ﴾.

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ حالٌ من المُضمرين في ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: جالسين فيها جلسة المُتَنعِّمين للراحةِ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرَةً﴾ الفاكهةُ: ما يؤكَلُ للذَّةِ لا للغذاءِ، ﴿وَشَرَابٍ﴾؛ أي: وشرابٍ كثيرٍ، فحذف اكتفاءً بالأوَّلِ؛ أي: يتحكَّمون في ثمارها وشرابها، فإن^(١) قالوا لشيءٍ منها: أقبل، حصلَ عندهم.

وقيل: يَتَمَنَّونَ ويسألون.

(١) في (ف): «فإذا».

(٥٢) - ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَرْأَبٌ﴾ .

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾؛ أي: أزواجٌ غاضَّاتُ البصرِ لا ينظرنَ إلى غيرِ أزواجهنَّ.

﴿أَرْأَبٌ﴾: لِدَاتٌ، واشتقاقُها من اللَّعِبِ بالترابِ.

وقيل: على خَلْقِ أزواجهنَّ، لا أصغرُ ولا أكبرُ.

وقيل: هنَّ مُستوياتٌ في السنِّ، لا عجوزٌ فيهنَّ ولا صبيَّةٌ.

وقيل: أقرانٌ.

وقيل: أمثالٌ.

وقيل: بناتٌ ثلاثٌ وثلاثينَ على ميلادٍ^(١) واحدٍ.

(٥٣) - ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ .

﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾؛ أي: لأجلِ يومِ الحسابِ؛ لأنَّ الحسابَ علَّةٌ

الوصولِ إلى جزاءِ العملِ.

وقيل: ما وُعدتم أُعطيتم^(٢) في يومِ الحسابِ.

(٥٤) - ﴿هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ .

﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾: من نهاية، بل هو دائمٌ لا ينقطعُ.

(١) في هامش (ن): «في نسخة مثال».

(٢) في (ف): «أعطاه».

(٥٥) - ﴿ هَذَا وَاتِّ لِّلطَّغِينِ لَشَرِّ مَنَابٍ ﴾ .

﴿ هَذَا ﴾ الزَّجَّاجُ: خبرٌ، والمبتدأ محذوفٌ؛ أي: الأمرُ هذا^(١).

وقيل: مُبتدأٌ، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: هذا مألٌ أهلِ الجَنَّةِ.

﴿ وَاتِّ لِّلطَّغِينِ لَشَرِّ مَنَابٍ ﴾: مَرَجِعٌ.

(٥٦) - ﴿ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنَسَ الْمَهَادُ ﴾ .

﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدلٌ منه ﴿ يَصَلُّونَهَا ﴾: يدخلونها ويُقاسون حرَّها ﴿ فَنَسَ الْمَهَادُ ﴾: ما مُهدَّ

لهم؛ أي: جهنَّم.

وقيل: بَسَّ ما مهَدُوا لأنفسِهِم.

(٥٧) - ﴿ هَذَا فَايْدُوْفُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴾ .

﴿ هَذَا فَايْدُوْفُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴾ الحمِيمُ: الماءُ الحارُّ يبلغُ في الحرارة أن يُحرقَ.

والعَسَاقُ: الباردُ الذي يبلغُ^(٢) برده أن يُحرقَ.

وقيل: هو ما يسيلُ من القِيحِ والصَّديدِ، وهو من التَّنِّ بحيثُ لو قطرتُ منه

قطرةٌ في الشَّرْقِ لآتنَ منها أهلُ الغربِ^(٣).

وقيل: هو ما يأخذُ بالحَلْقِ^(٤) إذا أرادَ الإنسانُ شربه وابتلاعه.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٣٨).

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) في (ف): «المشرق... المغرب».

(٤) في (ن): «الحلق».

وقيل: الغَسَاقُ: الزَّمهرِيرُ.

وقيل: وادٍ في جهنَّمَ تسيلُ إليه حُمَّةٌ كلِّ ذي حُمَّةٍ^(١).

وقيل: هو مشتقٌّ من قولهم: غَسَقَتْ عينُه؛ إذا سالت.

ابنُ بحرٍ: مأخوذٌ من (الغَسَقِ)، وهو الظُّلمةُ والسَّوادُ، وهذا ضدُّ ما يُرادُ في الشَّرابِ من الصَّفَاءِ والرِّقَّةِ والحُسْنِ.

﴿غَسَاقٌ﴾ - بالتَّخْفِيفِ - أَقْرَبُ مِنَ التَّشْدِيدِ^(٢)؛ لِأَنَّ فَعَالًا - نحو الجَبَّارِ والفيَّادِ^(٣) - في الأسماءِ قَلِيلٌ، ولو جعلته وصفاً استدعى موصوفاً، وليس في الآية موصوفٌ.

ومحلُّ ﴿هَذَا﴾ رفعٌ من ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أن يكونَ مُبتدأً، و﴿حَمِيمٌ﴾ خبرُه، و﴿غَسَاقٌ﴾ عطفٌ على الخبرِ، وقولُه: ﴿فَلْيَدْوُفُوهُ﴾ اعتراضٌ.

والثَّاني: أن يكونَ مُبتدأً، و﴿فَلْيَدْوُفُوهُ﴾ خبرُه، و﴿حَمِيمٌ﴾ خبرٌ مُبتدأً آخرٌ؛ أي: هو حَمِيمٌ وغَسَاقٌ.

الفراءُ: منه حَمِيمٌ ومنه غَسَاقٌ، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ النَّصْبِ^(٤).

والثَّالثُ: أن يكونَ مُتَّصِلًا بالأوَّلِ؛ أي: فبئسَ المِهَادُ هذا.

(٥٨) - ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ﴾: وعذابٌ آخَرٌ وأنواعٌ آخَرٌ من مثلِ العذابِ المذكورِ.

(١) الحمة: السمُّ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٣٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) هو المتبختر. انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/٣٧٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/٤١٠).

وقيل: من مثل عذاب الدنيا.

وقيل: يعود إلى الحميم.

وقيل: إلى الآخر.

﴿أزواج﴾: أصناف وألوان، وقيل: مقتربات.

(٥٩) - ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْنَعٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْنَعٌ مَعَكُمْ﴾؛ أي: إذا دخلت جماعة النار ثم دخل آخرون.

والفوج الأول: قيل: إبليس وبنوه، والثاني: بنو آدم.

وقيل: الفوج الأول الرؤساء المضلون، والثاني: الأتباع.

وقيل: الفوج الأول: قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر، والفوج الثاني:

أتباعهم بدر.

يقول الملائكة الذين هم خزنة النار، وقيل: يقول الله لهم: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْنَعٌ

مَعَكُمْ﴾؛ أي: داخل معكم النار، والافتحام: الدخول في الشيء بشدة.

ويقول الفوج الأول: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾؛ أي: لا وسع الله لهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾

كما صلينا.

وقيل: إنما قالوا ذلك ولم يصدروا من الأتباع ذنب في حق من قبلهم؛ لأن النار

تكون مملوءة منهم.

وقيل: إنما قال ذلك الخزنة.

وقيل: إنما قالوا إخبارًا لا دعاء؛ أي: قد وردوا موردًا لا رُحِبَ فيه ولا سعة.

ويحتمل: أنهم إنما قالوا ذلك لأن عذابهم يُضَاعَفُ بسببهم.

(٦٠) - ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبَاءُ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾ .

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبَاءُ بِكُمْ﴾ ولا أهلاً ولا سهلاً ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا﴾ جعلتموه لنا قدماً؛ يعني: العذاب، والقدّم: كل عملٍ يُوجبُ شيئاً.

وقيل: ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا﴾؛ أي: العذاب؛ لأنكم سنّتم الكفرَ ودعوتُمونا إليه، فضللنا باتباعكم.

﴿فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾؛ أي: النَّارُ.

(٦١) - ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِّدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ .

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الفوجُ الثاني: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِّدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ الضّعْفُ: المثلُ المضمومُ إلى مثله، ضدُّ النّصفِ، والتّضعيفُ ضدُّ التّنصيفِ.

وقيل: هذا من كلامِ الجميع، كأنَّ كلَّ واحدٍ أحالَ الذّنْبَ إلى آخرِ.

(٦٢) - ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْزَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ .

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْزَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ يريدُ: يقولُ أبو جهلٍ وصناديدُ قريشٍ في النَّارِ: ﴿مَا لَنَا لَنْزَى رِجَالًا﴾؛ يعني: فقراءَ المؤمنينِ ضُهيبيّاً وبلاّلاً وعماراً وخبّاباً ﴿كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾؛ أي: الأراذلِ.

(٦٣) - ﴿أَتَّخَذْنَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ .

﴿أَتَّخَذْتَهُمْ سِحْرِيًّا﴾: كُنَّا نَسْخُرُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَ﴿سُخْرِيًّا﴾ بِالضَّمِّ^(١): نَسَخَّرُهُمْ^(٢). وَقِيلَ: هُمْ لُغْتَانِ.

﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مَالَتْ ﴿عَنَّهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ فَلَا نَرَاهُمْ، وَالْمَعْنَى: أَهْمُ^(٣) فِي النَّارِ مَعَنَا فَزَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ فَلَا نَرَاهُمْ، أَمْ لَيْسُوا مَعَنَا؟

وَقِيلَ: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ فِي الدُّنْيَا؛ تَحْقِيرًا لَهُمْ.

قَالَ الْحَسَنُ: كُلُّ ذَلِكَ فَعَلُوا، أَتَّخَذُوهُمْ سِحْرِيًّا وَسُخْرِيًّا^(٤)، وَزَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ تَحْقِيرًا لَهُمْ^(٥).

قُرِيءَ: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ عَلَى الْخَبْرِ، فَتَكُونُ صِفَةً لِقَوْلِهِ: ﴿رِجَالًا﴾.

وَقُرِيءَ بِالِاسْتِفْهَامِ^(٦)، وَحُمِلَ عَلَى مَعْنَى التَّسْوِيَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

(٦٤) - ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ النَّارِ ﴿لَحَقٌّ﴾: لَصِدْقٌ كَائِنٌ لَا

(١) قرأ بها نافع وحزمة والكسائي، والباقون بكسر السين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) في (ن): «يتسخر بهم».

(٣) في (ف): «أنهم».

(٤) في مصدري التخريج: «سحريًا» بلا تكرار.

(٥) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٣٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٩).

(٦) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي بالإخبار، والباقون بالاستفهام. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

محالة، ثم صرَّح فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ فارتفاعه بالبدل، أو بالخبر^(١)؛ وهو تخاصم، أو بالخبر بعد الخبر^(٢)، وهو جواب القسم على ما سبق.

(٦٥) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَنِّ إِلَهِي إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾: رسولٌ أخوفكم عذاب الله ﴿وَمَا مَنِّ إِلَهِي إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ يعني: قاهر الخلق.

(٦٦) - ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ﴿الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة، ﴿الْغَفَّارُ﴾ للمؤمنين بالرحمة^(٣).

(٦٧) - ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: القرآن، وسمَّاه عظيمًا؛ لأنه كلام رب العالمين.

وقيل: يوم القيامة.

وقيل: النبأ الذي يأتيكم به عن الله نبأ عظيم.

(١) في (ن): «وهو».

(٢) «بالرحمة»: ليست في (ف).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/٣١٦).

(٦٨) - ﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ .

﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ : غافلون، والإِعْرَاضُ عَنِ الشَّيْءِ: الدَّهَابُ عَنْهُ فِي عُرْضٍ؛ أي: في جانبٍ.

(٦٩) - ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ؛ أي: لو لم أكن نبياً يوحي إليّ كما كان لي من علمٍ بالملأ الأعلى، وهم الملائكةُ واختصامهم، وفي إخباري إياكم ذلك دليلٌ على أنني أعلمت ذلك بالوحي.

(٧٠) - ﴿ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

﴿ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ؛ أي: ما يوحي إليّ إلا أنني نذيرٌ مبينٌ. وقيل: ما يوحي إليّ إلا النذارُ.

وقيل: تقديره: ما يوحي إليّ إلا أنّما أنت نذيرٌ مبينٌ، فعبّر عنه بالمعنى^(١).

وأما اختصامهم فهو ما ذكروا في شأن آدم عليه السلام حين أخبرهم بخلقه فقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ الآية [البقرة: ٣٠].

وقيل: اختصامهم: مخالفتهم لإبليس ومخاصمتهم له.

وقيل: تخصّمهم: مناظرتهم بينهم في استنباط العلم؛ لأنّ بعضهم أعلم من بعض، كما تجري المناظرة بين أهل العلم.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٦)، واستغربه.

(٧١) - ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ خَلِقُ بَشَرًا مِّنْ طِیْنٍ﴾ .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ خَلِقُ بَشَرًا﴾ يعني: آدم ﴿مِّنْ طِیْنٍ﴾: ترابٍ مبلولٍ.

(٧٢) - ﴿فَاِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِیْ فَقَعُوْا لَهٗ سٰجِدِیْنَ﴾ .

﴿فَاِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِیْ﴾ يُرِيدُ: التي هي مخلوقتي ومملوكتي، والرُّوحُ جسمٌ رقيقٌ هوائيٌّ في كلِّ جزءٍ منه حياةٌ، وهذا عند مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الرُّوحَ معلومةٌ، وأنَّ المرادَ بقوله: ﴿وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيْلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] اليهودُ.

وأما عندَ الجمهورِ فالرُّوحُ من أمرِ الله لا تُعْرَفُ كَيْفِيَّتُهُ.

وقيل: الرُّوحُ: ما يمتازُ به الحيُّ من الميِّتِ.

وقيل: ﴿مِّنْ رُّوْحِیْ﴾ الذي خلقته له، وأضافه إليه تخصيصًا، كبيتِ الله وناقيةِ الله.

﴿فَقَعُوْا لَهٗ سٰجِدِیْنَ﴾ وكان انحناءٌ يدلُّ على التواضعِ.

وقيل: كان سجدةً لله.

وقيل: صلى آدمُ بهم، فصلَّوا في جماعةٍ وسجدوا في الصَّلَاةِ.

(٧٣ - ٧٤) - ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجْمَعُوْنَ ﴿٧٣﴾ اِلَّا اِبٰلِیْسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ﴾ .

﴿اَلْكَافِرِيْنَ﴾ .

﴿فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجْمَعُوْنَ ﴿٧٣﴾ اِلَّا اِبٰلِیْسَ﴾ استثناءٌ متَّصِلٌ عند بعضهم،

منقطعٌ عند بعضٍ، وقد سبق.

﴿اَسْتَكْبَرَ﴾: تعظَّم، وأوَّلُ مَنْ استكبرَ إبليسُ ^(١).

(١) ذكره ابن فورك في «مشكل الحديث وبيانه» (ص: ١٢٨).

﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ﴾ قيل: صار.

وقيل: كان منهم في سابق علم الله.

وقيل: لم يزل كافراً.

وقيل: كان مؤمناً ثم كفر، وهذا هو القول الأوّل.

(٧٥) - ﴿قَالَ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْ لَمْ يَخْلُقْ لِيْ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیَدِيْ اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِيْنَ﴾.

﴿قَالَ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْ لَمْ يَخْلُقْ لِيْ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ﴾ أي: ما منعك السُّجود، ومن السُّجود.

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِیَدِيْ﴾: تولّيتُ خلقه من غير أن أمرتُ به، ولا سبب أدى إليه.

وقيل: بقدرتي ونعمتي.

والثنية هاهنا كالجمع في قوله: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ اَيْدِيْنَا﴾ [يس: ٧١]^(١).

﴿اَسْتَكْبَرْتَ﴾ استفهام إنكار ﴿اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِيْنَ﴾ من قوله: ﴿اِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي

الْاَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

(٧٦) - ﴿قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِيْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِيْنٍ﴾.

﴿قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِيْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِيْنٍ﴾ وهذا قياسٌ فاسدٌ، ولهذا استحقَّ

اللَّعْنَ، وقد سبق.

(٧٧) - ﴿قَالَ فَاَخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ﴾.

﴿قَالَ فَاَخْرِجْ مِنْهَا﴾: من الجنة.

(١) استدل المصنف بتوحيد اليد المضافة إلى الله سبحانه وتعالى مرة، وتثنيها مرة، وجمعها مرة أخرى؛

على أنها ليست بالجارحة، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقيل: من السماء.

وقيل: من صورة الملك.

وقيل: من الأرض إلى جزائر البحور.

﴿فَأَنكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مَثْوَاهُ﴾: ملعونٌ مشتمٌ.

وقيل: إن رجعت إليها رجمت بالشهاب الثاقب؛ أي: رُجمَ (١) آدمُ ورُجمَ إبليسُ.

(٧٨) - ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾: طُرِدِي مِنَ الْجَنَّةِ وَإِبْعَادِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: يومِ

الجزاء والحساب.

(٧٩) - ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وفي التفسير: إنما قال: ﴿يُبْعَثُونَ﴾ لكيلا (٢)

يدوق الموت، فأبى الله سبحانه أن يعطيه سُؤْلَهُ، فقال:

(٨٠ - ٨١) - ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني: نفخة الموت، وهذا

إخبارٌ منه سبحانه لا استجابةٌ لدُعائه.

وقال بعضهم: لم يُعلمه الوقت الذي أنظره إليه.

(١) في النسختين: «رجم»، وهو تصحيف.

(٢) في (ف): «الثلا».

(٨٢) - ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : لَأُضِلَّنَّهُمْ .

وقيل: لأحملنهم على الغي، وهو ضدُّ الرُّشدِ .

(٨٣) - ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ وهم الذين عصمهم الله من إضلالي؛ إن فُتِحَتْ،

وإن كُسِرَتْ^(١) فهم الذين أخلصوا طاعتهم لله .

(٨٤ - ٨٥) - ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ الأوَّلُ رفعٌ من وجوه:

أحدها: بالخبر؛ أي: أنا الحقُّ .

وقيل: بالابتداء؛ أي: الحقُّ منِّي .

وقيل: الحقُّ ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾؛ أي: أن أملأ جهنم، و﴿ الْحَقَّ أَقُولُ ﴾ اعتراضٌ .

ويحتمل: فالحقُّ يميني لأملأن جهنم، كما قال: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ [الحجر: ٧٢]؛ أي:

لَعَمْرُكَ قَسَمِي وَيَمِينِي .

وَمَنْ نَصَبَ^(٢) فعلى إضمارِ القولِ؛ أي: أقولُ الحقَّ لأملأنَّ .

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿ الْمُخْلَصِينَ ﴾ إذا كان في أوله ألف ولام بفتح اللام حيث وقع، والباقون

بكسرها. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

(٢) قرأ عاصم وحمزة: ﴿ فَالْحَقُّ ﴾ بالرفع ﴿ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ بالنصب، وقرأ الباقرن كليهما بالنصب. انظر:

«السبعة» (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

وقيل: قَسَمٌ؛ كقولك: حَقًّا لَأَمْلَأَنَّ.

وقيل: بِالْحَقِّ، فَحُذِفَ الْجَارُ وَنُصِبَ، كقولك: اللهُ مَا فَعَلْتُ، و﴿الْحَقَّ أَقُولُ﴾ اعتراضٌ.

وقيل: نَصَبٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ كقوله: ﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ﴾ [يونس: ٨٢].

وقيل: نَصَبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ؛ أَي: اتَّبَعُوا الْحَقَّ.

وقيل: تَقْدِيرُهُ: فَسَأَفْعَلُ الْحَقَّ فِي أَمْرِكَ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَمَنْصُوبٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَقُولُ﴾.

وقيل: هُمَا قَسَمَانِ^(١).

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ يَا إِبْلِيسُ ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أَي: مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

(٨٦) - ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

وقيل: عَلَى النَّبَأِ الْعَظِيمِ.

وقيل: عَلَى الْقُرْآنِ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعِلَ وَرَزِقَ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ لِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ تَلْقَائِي.

وقيل: ﴿مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ بِأَنْ أَمَرْتُكُمْ مَا لَمْ^(٢) أَوْمَرُ بِهِ.

والتَّكَلُّفُ^(٣) تَعَسُّفٌ فِي طَلْبِ الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ.

(١) فِي (ف) زِيَادَةٌ: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ».

(٢) فِي (ف): «لَا».

(٣) فِي (ف) زِيَادَةٌ: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ».

(٨٧) - ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ .

﴿إِنَّ هُوَ﴾ : ما القرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ : شرفٌ وعِظَةٌ .

(٨٨) - ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ .

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ﴾ : نبأ القرآنِ وما فيه من الوعدِ والوعيدِ وذكرِ البعثِ والنُّشورِ .

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ : بعد الموتِ .

وقيل : بعد أن يأمر الله محمداً بالقتلِ والسَّبيِ .

وقيل : يوم بدرٍ .

وقيل : يوم القيامةِ .

فَتَحَ السُّورَةَ بِالذِّكْرِ وَخَتَمَ بِالذِّكْرِ .
